

الجمادى الأولى

إفشاء التزكية النفس .. وصحح المسند

www.E7saan.com

جامعة أمدرمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم العقيدة

الطريقة البرهانية في السودان دراسة وصفية تحليلية

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة

إعداد الطالب:

أحمد عبد الصمد محمد الأمين

إشراف:

د. عبد الله إبراهيم الشكري

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

الجمادى الأولى

رضاءة لتزكية النفس .. وصحاح المسند

www.E7saan.com

الفصل الأول

نشأة وظهور التصوف في الإسلام

المبحث الأول

تعريف التصوف

المطلب الأول : تعريف التصوف لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني : سبب التسمية

المطلب الثالث : نشأة التصوف وتطوره

المطلب الرابع : العلم اللدني

المطلب الخامس : الأصول السلوكية والتعبدية للتصوف

المطلب السادس : المؤثرات الخارجية في التصوف

المبحث الثاني

نشأة الطريقة البرهانية

المطلب الأول : ظهور الطريقة البرهانية ومؤسسها

المطلب الثاني : التعريف ببعض مشايخ الطريقة البرهانية

المطلب الثالث : دخول الطريقة البرهانية السودان

المطلب الرابع : تطور الطريقة البرهانية

المطلب الخامس : الهيكل التنظيمي للطريقة البرهانية

المطلب السادس : كيفية الدخول في الطريقة البرهانية

المطلب السابع : علاقة الطريقة البرهانية بالطرق الأخرى

المبحث الأول

تعريف التصوف

المطلب الأول: تعريف التصوف لغة واصطلاحاً

التصوف لغة :

ورد في معجم مقاييس اللغة : ((الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح، وهو الصُّوف المعروف؛ والباب كله يرجع إليه ؛ يقال: كبش أصوف وصوف وصائف وصاف، كل هذا يكون في كثير الصوف، ويقولون أخذ بصوفة قفاه إذا أخذ بالشعر السائل في نقرته ..

فأما قولهم: صَافَ عَنَ الشَّرِّ إذا عَدَلَ فهو من باب الإبدال، يقال: صَافَ إذا مَالَ))^١. وفي الصحاح: ((والصُّوف للشاة والصوفة أخص منه... ((وصوفة)) أبو حي من مضر، وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، كانوا قوماً يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الجاج أي يفيضون بهم ، ومنه قول الشاعر:

حتى يقال أجزوا آل صوفانا .

وكبش صاف: أي كثير الصوف ، وصاف السهم عن الهدف يصوف ويصيف عدل منه ، ومنه قولهم: صاف عني شر فلان وأصاف الله عني شره))^٢. وفي مختار الصحاح: ((الصوف للشاة والصوفة أخص منه))^٣.

وذهب صاحب المصباح المنير إلى أن كلمة (صُوفية) كلمة مُؤَلَّدة ، لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة العربية^٤.

وفي تاج العروس، أن المشهور نسبة الصوفية إلى الصوف، الذي هو لباس العباد وأهل الصوامع^٥.

^١ معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ، ج ٣ / ٣٢٢ .

^٢ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار القلم للمايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤٥ م ، ج ٤ / ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ . ولسان العرب . محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي ، بيروت ، دار صادر ، بدون تاريخ طبع ، ج ٩ / ٢٠٠ .

^٣ مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرزازي ، من منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٣ م ، ج ١ / ١٦١ .

^٤ المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف القاهرة ، بدون تاريخ طبع ج ١ / ١٦١ .

^٥ شرح التماموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس ، محب الدين أبو الفيض السيد مرتضى الحسيني ، دار الفكر بدون تاريخ نشر ورقم طبع ، ج ٦ / ١٧٠ .

وذهب ابن خلدون^١ (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) رحمه الله تعالى، إلى أنها مشتقة من الصوف وعلل ذلك بقوله: ((إن قيل بالاشتقاق فإنها مشتقة من الصوف لأنهم في الغالب مختصون بلبسه))^٢.

التصوف اصطلاحاً :

عرّف المتقدمون من الصوفية التصوف بعدة تعريفات ، كلها تدور حول معنى واحد وهو تجريد العمل لله ، والزهد في الدنيا وترك الشهرة ، والميل إلى التواضع ، فمن ذلك قول بشر الحافي^٣ (ت ٢٢٧هـ/٨٤٣م) ((الصوفي من صفا قلبه لله))^٤ ، وقول سهل التستري^٥ (ت ٢٨٣هـ/٨٩٧م) : ((الصوفي من صفا من الكدر، وامتلاً من الفكر ، وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر))^٦ ، ويقول أبو الحسين النوري^٧ (ت ٢٩٥هـ/٩٠٩م) رحمه الله تعالى: ((التصوف ترك حظ النفس))^٨ ، ويقول إمام الطائفة الإمام الجنيد بن محمد^٩ (ت ٢٩٧

^١ هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون عالم وأديب ومؤرخ ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م وبها نشأ وتعلم وطاف بلاداً عدة ورجل مصر وتولى قضاء المالكية فيها ، له عدة مؤلفات منها مقدمته في التاريخ المسماة ب ((مقممة ابن خلدون)) و ((العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)) . توفي سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م ((الأعلام)) خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة السابعة ، ١٩٨٦ ، ج ٣ / ٣٣٠ . ((شذرات الذهب في أخبار من ذهب)) ابن العماد الحنبلي ، دار الميسرة بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، ج ٧ / ٧٦ - ٧٧ .

^٢ المقدمة: ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الخامسة ١٩٨٤م ، ص ٤٦٧ .

^٣ هو أبو نصر بشر الحارث الحافي ، أصله من مرو ، سكن بغداد ، صحب الفضيل بن عياض ، من كبار المتصوفة ، له أقوال في الزهد ، والتوكل ، والتواضع ، توفي ببغداد سنة ٢٢٧هـ/٨٤٣م : ((الطبقات الكبرى المسماة بلوائح الأنوار في طبقات الأخيار ، عبد الوهاب بن أحمد الشعراني ، طبع دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م ، ج ١ / ٧٢ - ٧٣)) .

^٤ التعرف لمذهب أهل التصوف أبو بكر محمد بن يعقوب الكلّاباذي ، قدم له وحققه وراجع أصوله وعلق عليه الأستاذ محمود أمين النواوي ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩م ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ، ص ٢٨ .

^٥ هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى، التستري ، نسبة إلى تستر بلدة من كور الأهواز، من خوزستان، أحد أئمة الصوفية، ومن أكابر متكلميهم ، له أقوال في قواعد الصوفية ، توفي ٢٨٣هـ/٨٩٧م ((طبقات الشعراني الكبرى ج ١ / ٧٦ - ٧٧)) (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ نشر ورقم طبع ، ج ٢ / ٤٢٩ - ٤٣٠ .

^٦ التعرف لمذهب أهل التصوف ، أبو بكر الكلّاباذي ص ٣٤ .

^٧ هو أحمد بن محمد بغدادي النشأة والمولد خراساني الأصل يعرف بابن البغوي ، كان من أجل مشايخ القوم وعلماهم ، لم يكن في وقته أحسن منه طريقة والطف كلاماً توفي سنة ٢٩٥هـ/٩٠٩م : ((تاريخ بغداد)) ، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، بدون تاريخ طبع ، ج ٥ / ١٣٠ - ١٣٦ .

^٨ طبقات الصوفية ، أبو عبد الرحمن السلمي تحقيق : نور الدين شريفة ، دار الكتاب النفيس ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ص ١٦٦ .

^٩ هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز ، أصله من نهاوند ومولده ومنشأه في العراق ، كان فقيهاً وهو من معتدلي الصوفية ومقدميهم شيخ الطائفة ، توفي سنة ٢٩٧هـ/٩١١م ((تاريخ بغداد)) الخطيب البغدادي ، ج ١ / ٢٤١ - ٢٤٧ . (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)) ابن خلكان ، ج ٢ / ٢٨ - ٣٧ .

هـ/٩١١م) رحمه الله ، عندما سئل عن التصوف فقال : ((أن تكون مع الله بلا علاقة))^١ ، ويقول في موضع آخر : ((أن يملك الحق عنك ويحكىك به))^٢ .

والمأمل لجميع الأقوال السابقة يجدها تشير إلى أمر واحد، وهو الإخلاص لله تبارك وتعالى ؛ وهذا التعريف ينطبق على التصوف في أول نشأته ، مع أن ذلك العهد لم يخل من البدع التي صاحبت نشأة التصوف، والتي منها الغلو في العبادة ، بتعذيب النفس بالجوع والسهرة ، والسياسة في الصحاري، وترك العلم والزواج والتكسب ، بدعوى التفرغ للعبادة، وتصفية النفس من علائق الدنيا وشهواتها، ويشهد لما تقدم العديد من أقوال متقدمي الصوفية ، فمن ذلك قول الإمام الجنيد رحمه الله تعالى: ((ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات وترك المستحسنات))^٣ ، وقوله: ((أحب للمريد المبتدئ ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث وإلاً تغير حاله: التكسب وطلب الحديث والتزوج))^٤ . ويقول أبو سليمان السمرقاني^٥ (ت ٢١٥ هـ / ٨٣١ م) رحمه الله تعالى : ((إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا))^٦ ، ويقول: ((ما رأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته))^٧ ، ونقل الشعراني^٨ (ت ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م) ، عن رباح بن عامر القيسي – من الصوفية الأوائل – أنه قال: ((لا يبلغ الرجل إلى منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، وأولاده كأنهم أيتام ، ويأوي إلى منازل الكلاب))^٩ . وسيأتي مزيد لهذه الأقوال إن شاء الله تعالى .

^١ ((عوارف المعارف)) عبد القاهر بن عبد الله السهروردي ، مطبوع بهامش ((إحياء علوم الدين)) أبو حامد الغزالي ، دار القلم بيروت ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ طبع ، ج ٥ / ٦٥ .

^٢ المصدر السابق ج ٥ / ٦٥ .

^٣ الرسالة القشيرية ، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، تحقيق الدكتور عبد الحلیم محمود ومحمود بن الشريف ، الناشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٦ م ، ج ١ / ١٠٦ .

وعوارف المعارف بهامش الإحياء ج ٥ / ٦٤ .

^٤ قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريقة المرید إلى مقام التوحيد ، أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي ، شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٨١ هـ – ١٩٦١ م ، ج ١ / ٥٤٢ .

^٥ هو عبد الرحمن بن عطية ، ويقال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني ، وهو أهل ((داريا)) قرية من قرى دمشق ، من أئمة الصوفية وأعلامهم ، مات سنة ٢١٥ هـ / ٨٣١ م ، أنظر لترجمته : ((شذرات الذهب ج ٢ / ١٣)) و ((الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار)) عبد الوهاب بن أحمد بن علي المعروف بالشعراني ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، ج ١ / ٧٩ – ٨٠ .

^٦ قوت القلوب أبو طالب المكي ج ١ / ٢٥٤ .

^٧ عوارف المعارف بهامش الإحياء ج ٥ / ١٠٨ .

^٨ هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي الشعراني ، من علماء المتصوفة ، وولد في قلقةشدة بمصر سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٣ م ، ونشأ بساقية أبي شعرة – من قرى المنوفية – وإليها نسبته ، له مصنفات منها : ((الطبقات الكبرى)) و ((الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية)) ، توفي بالقاهرة سنة ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م ، أنظر لترجمته : ((شذرات الذهب ج ٨ / ٣٧٢ – ٣٧٤)) و ((الأعلام ج ٤ / ١٨٠ – ١٨١)) .

^٩ طبقات الشعراني الكبرى ج ١ / ٤٦ .

ومما لا شك فيه أن ما سلكه الصوفية الأوائل من غلو في العبادة ، بدعوى الزهد سلوك مبتدع لا يقره الشرع بل جاء بالنهي عنه ، فقد ورد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : ((أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَصُومُ وَلَا أَفْطِرُ، فَحَمَدَ اللَّهُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، لَكِنِّي أَصْلِي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))^١، وقد جاءت الشريعة الإسلامية بتلبية حاجة الروح والجسد، لا رهبانية فيها، وما وقع للصوفية من سلوك يشبه ما عليه النصارى الذين عبدوا الله بغير علم ، وابتدعوا في دينهم ما لم يأمرهم الله تعالى به، وفي ذلك يقول ابن الجوزي^٢ (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م) رحمه الله تعالى: ((تأملت أحوال الصوفية والزهاد، فرأيت أكثرها منحرفاً عن الشريعة ، بين جهل بالشرع، وابتداع بالرأي.

يستدلون بآيات لا يفهمون معناها، وبأحاديث لها أسباب ، وجمهورها لا يثبت))^٣.

ثم ذكر ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الهدى في الزواج والمأكول والملبس والعبادة، إلى أن قال: ((فجاء أقوام ، فأظهروا التزهّد ، وابتكروا طريقة زينها لهم الهوى، ثم تطلّبوا لها الدليل . وإنما ينبغي للإنسان أن يتتبع طريقاً ويتطلب دليلها . ثم انقسموا: فمنهم ، متصنع في الظاهر ، ليث الشرى في الباطن .

يتناول في خلواته الشهوات، و يعكف على اللذات . ويؤري الناس بزّيه أنه متصوف متزهّد، وما تزهد إلا القميص وإذا نظرت إلى أحواله فعنده كبر فرعون . ومنهم: سليم الباطن إلا أنه في الشرع جاهل .

ومنهم: من تصدر، وصنف، واقتدي به الجاهلون في هذه الطريقة، وكانوا كعمى أتبعوا أعمى . ولو أنهم تلمحوا للأمر الأول ، الذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه رضي الله عنهم لما ذلّوا .

^١ أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ج ٣ / ٥٨٩ ، حديث رقم ٥٠٦٣ ، صحيح البخاري مع كشف المشكل ، للإمام ابن الجوزي ، حققه ورتبه وفهرسه ، الدكتور مصطفى حلمي ، طبع دار الحديث القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
ومسلم في كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح صحيح مسلم طبعة إستانبول ج ٤ / ١٢٩ . والنسائي في النكاح وأحمد في المسند ج ٢ / ٢١٦ و ج ٣ / ٤٢١ ، ٢٨٥ .

^٢ هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن الجوزي الفقيه الحنبلي الملقب بجمال الدين كان علامة وقته وإمام عصره في الحديث والوعظ ، ولد سنة ثمان و قيل عشر وخمسائة تقريباً ، ١٢٢٤م ، صنف في فنون عديدة من مصنفاته: ((زاد المسير في علم التفسير)) و ((والمنتظم في التاريخ)) و ((تلبس إبليس)) توفي ببغداد سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م ((وفيات الأعيان ج ٣ / ١٤٠ - ١٤٢)) .

^٣ صيد الخاطر ، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، دراسة وتحقيق محمد عبد الرحمن عوض ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م ، ص ٣٣ .

ولقد كان جماعة من المحققين، لا يبالون بمعظمِّ في النفوس إذا حاد عن الطريقة، بل يوسعونه لوماً^١ .

ويقول: ((وقد دنت حيلة إبليس إلي جماعة من المتصوفة حتى منعوا من حمل المحابر تلامذتهم .

وحتى قال جعفر الخلدي^٢: لو تركني الصوفية لجئتم بإسناد الدنيا، كتبت مجلساً عن أبي العباس الدوري^٣، فلقيني بعض الصوفية فقال: دع علم الورق، وعليك بعلم الخرق .

ورأيت محبرة مع بعض الصوفية . فقال له صوفي آخر: أستر عورتك ! وقد أنشدوا للشبلي:

إِذَا طَالَبُونِي بِعِلْمِ الْوَرَقِ بَرَزْتُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمِ الْخِرْقِ
وهذا من خفي حيل إبليس، ((وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ))^٤، وإنما فعل وزينه عندهم

لسببين:

أحدهما : أنه أرادهم يمشون في الظلمة .

والثاني : أن تصفح العلم كل يوم يزيد في علم العالم . ويكشف له ما كان خفي عنه، ويقوي إيمانه ومعرفته، ويريه عيب كثير من مسالكة خصوصاً إذا تصفح منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة .

فإذا أراد إبليس سد تلك الطرق بأخفى حيلة، فأظهر أن المقصود العمل، لا العلم لنفسه، وخفي على المخدوع أن العلم عمل وأي عمل .

فاحذر هذه الخديعة الخفية، فإن العلم هو الأصل الأعظم، النور الأكبر . وربما كان تقليب الأوراق أفضل من الصوم والصلاة والحج والغزو^٥ .

ويقول: ((ولقد حدثت آفات من المتصوفة والمتزهدين، خرقوا بها شبكة الشريعة وعبروا، فمنهم من يدعي المحبة والشوق، ولا يعرف المحبوب .

فتراه يصيح ويستغيث ويمزق ثيابه ويخرج عن حد الشرع بدعواه ومضمونها .

ومنهم من حمل على نفسه بالجوع والصوم الدائم، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعبد الله بن عمرو: ((صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا))، فَقَالَ أُرِيدُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ ((لَا أَفْضَلَ))^٦ .

^١ المصدر السابق ص ٣٥ .

^٢ هو جعفر بن محمد بن نصير الخلدي ، صوفي بغدادي ، صاحب حكايات وعجائب ، توفي سنة (٣٤٨ هـ / ٩٥٩م) : ((تاريخ بغداد ج ٧ / ٢٢٦)) و ((سير أعلام النبلاء)) الإمام الذهبي ، تخريج وتحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ج ١٥ / ٥٥٨ .

^٣ هو الإمام أبو الفضل عباس بن محمد الدوري ، أحد الأئمة الأثبات ، وأكثر تلاميذ ابن معين ملازمة له ، ولد سنة ١٨٥ هـ / ٨٠٢م ، وتوفي سنة ٢٧١ هـ / ٨٨٥م : ((تاريخ بغداد ج ٧ / ٢٢٦)) و ((سير أعلام النبلاء ج ١٥ / ٥٥٨)) .

^٤ سورة سبأ (٢٠) .

وفيه من خرج إلى السياحة فأفادت نفسه الجماعة، وفيهم من دفن كتب العلم وقعد يصلي ويصوم، ولم يعلم أن دفنها خطأ قبيح، لأن النفس تغفل وتحتاج إلى التذكير في كل وقت ، ونعم المذكر كتب العلم، وإنما دخل إبليس على كل قوم منهم من قدر، وكان مقصوده بدفن الكتب إطفاء المصباح، ليس العابد في الظلمة.

وما أحسن ما قال بعض العلماء لرجل سأله فقال: أريد أن أمضي إلى جبل الآكام، فقال هذه - هوكلة - وهذه كلمة عامية معناها حب البطالة))^١.

← ٦ أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب رقم ٥٦ باب صوم الدهر، فتح الباري بشرح البخاري ج ٤ / ٢٥٩ حديث رقم ١٩٧٦، وفي كتاب فضائل القرآن، باب رقم ٢٤ حديث رقم ٥٠٥٢. وفي كتاب الصوم باب صوم الدهر صحيح البخاري مع كشف المشكل ج ٢ / ٨٥ حديث رقم ١٩٧٦.

المطلب الثاني

سبب التسمية

اختلف العلماء في المعنى الذي نسب إليه التصوف إلى أقوال عديدة ، وفيما يلي ذكر بعضها ، نقل الكلاباذي أبو بكر بن محمد^١ (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) رحمه الله تعالى، عن الصوفية أقوالاً عديدة في أصل هذه الكلمة واشتقاقها فقال : ((قالت طائفة إنما سميت الصوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها .

وقال قوم: إنما سُموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع همهم وإقبالهم عليه .

وقال قوم إنما سُموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال قوم إنما سُموا صوفية للبسهم الصوف))^٢ .

ورجَّح السهروردي^٣ (ت ٥٦٣هـ/١١٦٨م) رحمه الله تعالى، أنه مأخوذ من الصوف حيث قال: ((.. ذهب قوم إلى أنهم سُموا صوفية نسبة إلى ظاهر اللبسة، لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق ولأنه كان لباس الأنبياء عليهم السلام .. فهذا الاختيار يناسب ويلائم من حيث الاشتقاق، ولأنه يقال : تصوف إذا لبس الصوف، وكما يقال تقمَّص إذا لبس القميص))^٤ . ((ومن قال أنهم منسوبون إلى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي . ومن قال أنه مشتق من الصفاء، فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد على مقتضى اللغة.

وقول من قال أنه مشتق من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم فالمعنى صحيح، ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف))^٥ .

وقد ساق شيخ الإسلام ابن تيمية^٦ (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٨م) رحمه الله تعالى، الأقوال السابقة وضعفها إلا أنه رجَّح النسبة إلى الصوف في قوله : ((واسم الصوفية هو نسبة إلى لباس الصوف

^١ هو محمد بن إبراهيم بن يعقوب الملقب بالكلاباذي ، من بخاري كان من حفاظ الحديث حنفياً في الفقه صوفياً في المسلك ، له مؤلفات منها : ((بحر الفوائد)) و ((التعرف لمذهب أهل التصوف)) ، توفي سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م . أنظر لترجمته : ((الأعلام ج ٥ / ٢٩٥)) .

^٢ التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر الكلاباذي ، ص ٢٨ - ٢٩ .

^٣ عبد القاهر بن عبد الله بن محمد ولد سنة ٤٩٠هـ/١١٦٨م بسهرورد ، وهو من فقهاء الشافعية وكبير الصوفية ، من مصنفاته ((عوارف المعارف)) و ((آداب المريدين)) و ((شرح أسماء الله الحسنى)) ، توفي ببغداد سنة ٥٦٣هـ/١١٩٨م . ((الأعلام ج ٤ / ١٧٤)) .

^٤ عوارف المعارف بهامش الإحياء، السهروردي ج ٥ / ٦٧ - ٦٨ .

^٥ الرسالة القشيرية ج ٢ / ٥٥٠ - ٥٥١ .

هذا هو الصحيح ...)) ثم أشار إلى ضعف الأقوال السابقة بقوله: ((وهذه أقوال ضعيفة فإنه لو كان كذلك لقليل صُنِّي أو صفائي أو صفوي أو صُنِّي ولم يقل صوفي))^١.

وذهب ابن خلدون إلى أنه مشتق من الصوف فقال: ((والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف))^٢.

ويرى أبو الريحان البيروني^٣ (٤٤٠ هـ / ١٠٣٨ م) رحمه الله تعالى، إلهي أن كلمة (صوفية) مأخوذة من كلمة (سوفية) اليونانية والتي معناها الحكمة، وأشار إلى مشابهة بين فلاسفة الصوفية حكماء اليونان في بعض المعتقدات، فقال: ((إن قدماء اليونان أي الحكماء السبعة كانوا يعتقدون بأن الأشياء إنما هي شيء واحد، وكانوا يقولون ليس للإنسان فضل على الجماد والنبات إلا بسبب القرب إلى العلة الأولية في الرتبة، وكان بعضهم يعتقد أن الوجود الحقيقي هو العلة الأولى نفسها لأنها غنية بذاتها وما سواها محتاج في الوجود إلى الغير فوجودها في حكم الخيال، والحق هو الواحد الأول فقط .. ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سُموا باسمهم ..

وكذلك ذهبوا إلى أن الموجود شيء واحد وأن العلة الأولى تتراءى فيه بصور مختلفة وتحل قوتها في أبعاضها بأحوال متباينة توجب التغيرات مع الاتحاد^٤، فكان فيهم من يقول أن المنصرف بكليته إلى العلة الأولى متشبهاً بها إلى غاية إمكانه يتحد بها عند ترك الوسائل وخلق العلائق والعوائق وهذه آراء يذهب إليها الصوفية لتشابه الموضوع))^٥.

٦ ← هو شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تیمیة، الحراني، ولد بجران، سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م، برع في شتى العلوم، له عدة مصنفات أجزأها: ((مجموع الفتاوى)) فهو في ست وثلاثين مجلداً، توفي معتقلاً بقلعة دمشق، سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٨ م وخرجت دمشق كلها في جنازته. انظر لترجمته: ((البداية والنهاية)) الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، مكتبة المعارف بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٤ م، ج ١٤ / ١٣٥ - ١٤٠ و ((الأعلام ج ١ / ١٤٤)) .
١ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تیمیة ج ٦ / ١١٠ .

٢ المقدمة: ابن خلدون ص ٤٦٧ .

٣ هو محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي برع في الفلسفة والحساب والتاريخ، ولد سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م، من أهل خوارزم، أقام في الهند مدة له مصنفات منها: ((تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة)) و ((الآثار الباقية عن القرون الخالية))، توفي سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٣٨ م ((الأعلام ج ٥ / ٣١٤)) .

٤ الاتحاد: هو تصبير الذاتين واحدة، وهو حال الصوفي الواصل، وقيل هو شهود وجود واحد مطلق من أن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد معدومة في أنفسها لا من حيث أن لما سوى الله وجوداً خاصاً به يصير متحداً بالحق.. ((معجم مصطلحات الصوفية)) دكتور: عبد المنعم الحفني، دار الميسرة بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ص ٩ - ١٠ .

وقد قسمه ابن تیمیة إلى قسمين: الأول: من يقول بالاتحاد الخاص، وهو قول يعقوبية النصارى وهو أخص قولاً وهم السودان والقيط، ويقولون أن اللاهوت والناسوت اختلطاً كاللبن بالماء، وهو قول من وافق هؤلاء من غالبية المنتسبين للإسلام .

الثاني: وهو من يقول إن عين وجود الله، هو عين وجود الكائنات، وهو قول ابن عربي وغيره. ((مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تیمیة ج ٢ / ١٧٢)) .

٥ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، طبع عالم الكتب بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م، ص ٢٧، ٢٨ و التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير ص ٣٢ - ٣٣ .

ولعل المشابهة المذكورة تصدق على مذهب القائلين بالحلول^١، والاتحاد، ووحدة الوجود^٢، من فلاسفة الصوفية، أمثال الحلاج^٣، وابن عربي^٤، وغيرهما، ومن حذا حذوهم، وسيأتي مزيد بيان لهذه العلاقة بين التصوف والفلسفات الأخرى إن شاء الله تعالى .

وبالنظر إلى الأقوال السابقة ، فالذي يظهر أن أرجح الأقوال وأقربها للصواب _ والله أعلم _ مذهب القائلين بأن التصوف مأخوذ من الصوف ، وهو المعنى الذي يستقيم منه اشتقاقه من حيث اللغة ، وهو الذي رجحه الأكثرون .

^١ الحلول : هو أن الله تعالى يصطفي أجساماً يحل بمعاني الروبوبة فيزيل عنها معاني البشرية، وأن الله يحل بالعارفين من أوليائه وأصفيائه، وهذا زعم طائفة الحلولية ((معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحفني ص ٨٢)) .

وقد قسمه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى قسمين: الأول : الحلول الخاص، وهو قول النسطورية من النصارى، ممن يقول : إن اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به، كحلول الماء في الإناء ، وهذا قد قاله غالبية الرافضة الذين يقولون: إن الله تعالى حل في علي بن أبي طالب وأئمة آل بيته ، وغالبية النساك الذين يقولون بالحلول في الأولياء ، ومن يعتقدون فيه الولاية، أو في بعضهم كالحلاج وغيره .

الثاني : الحلول العام ، وهو الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث ، عن طائفة الجهمية المتقدمين ، وهو قول غالب متعبدة الجهمية الذين يقولون : إن الله بذاته في كل مكان ((مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٢ / ١٧٢)) .

^٢ وحدة الوجود فكرة فلسفية إلحادية تعني أن الوجود المفروض المقدر هو بعينه وجود الله تعالى، وأن ذواتهم المفروضة المقدرة هي صفات الله تعالى . ((التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقْتِباس ، الدكتور عبد القادر عطا ص ٣٧٢)) .

^٣ هو الحسين بن منصور الحلاج وكنيته أبو مغيث ، والحلاج من أهل بيضاء بفارس نشأ بواسطة العراق، صحب الجنيد وأبا الحسين النوري وجماعة ، فلما ظهر منه ما ظهر من أقوال مخالفة للعقيدة الإسلامية الصحيحة من ودعوى الحلول، أنكره بعض الصوفية وقبلة آخرون، وقد أمر الخليفة المقتدر بصلبه وقتله ، فقتل ببغداد سنة ٣٠٩ هـ وقيل سنة ٣١١ هـ ، ((تاريخ بغداد ج ٨ / ١١٢ - ١٤١)) و ((وفيات الأعيان ج ٢ / ١٤٠ - ١٤٦)) .

^٤ هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عربي الحاتمي الطائي ، فيلسوف متكلم ، ولد بمرسية بالأندلس سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م ، وهو من أبرز دعاة وحدة الوجود ، له أقوال وزندقات دعت العلماء إلى تكفيره ، له عدة مصنفات منها : ((فصوص الحكم)) و ((والفستوحات المكية)) ، مات بدمشق سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م ، ((شذرات الذهب ج ٥ / ١٩٠ - ٢٠٢)) ((الأعلام ج ٦ / ٢٨١ - ٢٨٢)) .

المطلب الثالث

نشأة التصوف وتطوره

اختلفت آراء العلماء حول تاريخ نشأة التصوف، فيرى كل من ابن الجوزي^١ وابن خلدون^٢ والقشيري^٣ (ت ٤٦٥هـ/١٠٧٣م) رحمهم الله، أن نشأته كانت قبل المائتين للهجرة، وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية^٤ إلى أنه نشأ في أوائل القرن الثاني، ولم يشتهر التكلّم به إلا بعد القرن الثالث، وأنه أول ما ظهر في البصرة، وأول من بنى دويرة للصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد^٥، وعبد الواحد من أصحاب الحسن البصري^٦، وعلى كل فإن التصوف لم يكن موجوداً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، في أول الأمر، بل ظهوره متأخر.

وأورد ابن خلدون رحمه الله تعالى في كتابه الموسوم بالمقدمة، نبذة عن بداية نشأة التصوف فقال: ((لما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة .. وأصل طريقتهم العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد في الخلوة للعبادة ... ومنهم كان مخالطاً للإسماعيلية^٧

^١ تلبيس إبليس، الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية سنة ١٣٦٨ هـ، إدارة الطباعة المنيرية بمساعدة بعض علماء الأزهر الشريف، الناشر دار الندوة الجديدة، بيروت، ص ١٦٣.

^٢ المقدمة: ابن خلدون ص ٤٦٧.

^٣ الرسالة القشيرية، أبو القاسم القشيري، ص ٥٠. والقشيري هو، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري ولد سنة ٣٧٦ هـ، من كبار الصوفية، له عدة مؤلفات منها: ((الرسالة القشيرية)) و ((التفسير الكبير)) و ((لطائف الإشارات)) وغيرها، توفي سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م: ((وفيات الأعيان ج ٣ / ٢٠٥ - ٢٠٨)) و ((الأعلام ج ٤ / ٥٧)) .

^٤ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٥ / ١١.

^٥ هو عبد الواحد بن زيد، البصري الزاهد: أبو عبيد، حدث عن الحسن البصري، وطاء بن أبي رباح وغيرهما. قال البخاري تركوه، وقال النسائي: متروك الحديث، وقال ابن حبان كان ممن غلبت عليه العبادة حتى غفل عن الإتيان، وكثرت المناكير في حديثه، وقد مات بعد الخمسين والمائة، ((سير أعلام النبلاء)) الإمام الذهبي، ج ٧ / ١٧٨ - ١٨٠.

^٦ هو الحسن بن يسار، أبو سعيد مولد زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال مولد أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي، وكانت أم الحسن مولدة لأم المؤمنين أم سلمة المخزومية زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ولد الحسن لسنتين بقينا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أشتهر الحسن بالعلم والزهد والورع، له أقوال في الزهد والرفائق، توفي سنة ١١٠هـ/٧٠١م. ((سير أعلام النبلاء، الذهبي ج ٤ / ٥٦٣ - ٥٨٧)) .

^٧ الإسماعيلية هم المنسوبون إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر حيث أن جعفرأ نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده فلما مات إسماعيل في حياة أبيه قال المنتسبون إليه علمنا أنه إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل. والإسماعيلية يقولون: بالأئمة المستورين، وأن الأرض لا تخلو من إمام حي قائم إما ظاهر مكشوف، وإما باطن مستور؛ ويقولون بأن علياً - رضي الله عنه - تلقى علم الباطن عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -، حتى انتهى هذا العلم إلى محمد بن إسماعيل. ولهم كتب صنفوها تؤدي إلى تعطيل الشريعة وسقوط التكليف، منها كتاب الافتخار، وكتاب تأويل الشريعة، وكتاب السر، وقد أولوا الصلاة بأنها: ولاية الأولياء الذين تجب طاعتهم، والزكاة: العلم، والصيام: كتم أسرارهم والإمسك عنها. فأنكروا القيامة، والحشر، والبعث، والجنة، والنار. ((الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منها)) عبد القاهر بن طاهر البغدادي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ص ٤٦. و ((الملل والنحل)) بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن محمد

المتأخرين من الرافضة الدائنين بالحلول وإلهية الأئمة، فأشرب كل من الصوفية والإسماعيلية مذهب الآخر، فقال الصوفية بمثل قولهم وذهبوا إلى الحلول والاتحاد والفناء^١ وامتلأت كتبهم بذلك كالهروي^٢ وابن عربي وابن الفارض^٣ والنجم الإسرائيلي^٤ وابن سبعين^٥ وغيرهم، فاختلط كلامهم، وتشابهت عقائدهم، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب^٦ وهو عين ما تقوله الرافضة وأدانوا به... ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال^٧ بعد القطب كما قالت الشيعة في النقباء^٨، حتى أنهم لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلاً لطريقتهم وتخليتهم رفعوه إلى علي رضي الله عنه، وهو لم يختص من بين الصحابة بتخليية ولا طريقة في لباس ولا حال بل كان الصحابة كلهم

واختلاف المصلين)) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ملترم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م، ج ١ / ٢٦.

^١ الفناء: تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذات، فكما ارتفعت صفة قامت صفة إلهية مقامها، فيكون الحق: سمعه وبصره. وقيل الفناء سقوط الأوصاف المذمومة، قيل: هو الغيبة عن الأشياء كما كان فناء موسى، حين تجلى ربه للجبل، جعله دكاً وخر موسى صعباً، وقيل: الفناء أن لا ترى شيئاً إلا الله، ولا تعلم إلا الله وتكون ناسياً لنفسك ولكل الأشياء سوى الله، فعند ذلك يتراءى لك أنه الرب؛ إذ لا ترى ولا تعلم شيئاً إلا هو، فتعتقد أنه لا شيء إلا هو؛ فتظن أنك هو، فتقول: أنا الحق، وتقول ليس في الدار إلا الله، وليس في الوجود إلا الله. ((معجم مصطلحات الصوفية)) عبد المنعم الحفني ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

^٢ هو أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي الحنبلي الصوفي أصولي محدث ولد بقندهار سنة ٢٢٤هـ/٨٤٠م، له عدة مصنفات منها (منازل السائر إلى الحق المبين) وقد شرحه ابن قيم الجوزية في كتابه ((مدارج السالكين)) و ((الفاروق في الصفات)) و ((مناقب الإمام أحمد)) وغيرها توفي بهراة في ذي الحجة سنة ٤٨١هـ/١٠٨٩م ((سير أعلام النبلاء ج ١١ / ٢٦٣)) و ((شذرات الذهب ج ٣ / ٣٦٥ - ٣٦٦)) .

^٣ هو عمر بن علي بن مرشد بن علي، الحموي الأصل، المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة، ولد سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م، وهو شاعر صوفية، يلقب بسلطان العاشقين، يذهب في شعره إلى القول بوحدة الوجود، وصاحب الثانية المسماة ب ((نظم السلوك))، وله ديوان شعر مطبوع، تجرد ابن الفارض، وأخذ بأوي إلى خرابات القاهرة بالقرافة، وذهب إلى مكة واعتزل بواد فيها، وعاد إلى مصر بعد خمسة عشر عاماً، توفي سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٥م. تناوله ابن تيمية بالنقض والنقد ضمن رده على الطائفة الإتحادية، وغالب المجلد الثاني من مجموع الفتاوى مخصص لذلك، ((الأعلام ٥ / ٥٥ - ٥٦)) و ((وفيات الأعيان ج ٣ / ٤٥٤ - ٤٥٦)) ((شذرات الذهب ج ٥ / ١٤٩ - ١٥٣)) .

^٤ لم أحده له ترجمة فيما اطلمت عليه من كتب التراجم.

^٥ هو عبد الحق ابن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين، ولد سنة ٦١٣هـ/١٢٢٦م بالأندلس، وهو من فلاسفة الصوفية، كان يقول: بكسبية النبوة، ووحدة الوجود، له رسائل عديدة قام بجمعها وتحقيقها عبد الرحمن بدوي، توفي سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م، وقيل بعد ذلك، منتحراً بقطع شرايين يده، ((شذرات الذهب ج ٥ / ٣٣٠)) (طبقات الشعراني الكبرى)) عبد الوهاب الشعراني ج ٢٠٣ / ١.

^٦ القطب هو رجل واحد موضع نظر الله - تعالى - من العالم في كل زمان ويسمى بالغوٲ أيضاً، باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو خلق على قلب محمد صلي الله عليه وسلم، ويسمى أيضاً بقطب العالم، وقطب الأقطاب والقطب الأكبر، وقطب الإرشاد، وقطب المدار ((معجم مصطلحات الصوفية ص ٢١٧ - ٢١٨)) .

^٧ الأبدال هم سبعة من سافر منهم من القوم عن موضعه وترك جسداً على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد، فذلك هو البديل لا غير وهم على قلب إبراهيم عليه السلام: ((اصطلاحات الصوفية)) د / عبد الحميد صالح حميدان، الناشر مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م، ص ٧. و التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، حققه وقدم له ووضع فهرسه إبراهيم الأبياري، الناشر دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ص ٦٢ - ٦٣.

^٨ النقباء هم الذين استخرجوا خبايا النفوس والضمائر، وهم ثلاثمائة. أنظر: اصطلاحات الصوفية، د. عبد الحميد صالح ص ٧ و التعريفات، الجرجاني ص ٣١٤.

أسوة في الدين والزهد والمجاهدة، وأن كلامهم هذا مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم))^١.

وقد أشار ابن خلدون في كلامه إلى جانب من جوانب تأثر التصوف بالتشيع، ومن أبرز هذه الأفكار المشتركة، والتي أخذها الصوفية من الشيعة، تقديس الأشخاص، والغلو فيهم إلى درجة القول بعصمتهم، وتأليههم، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((الرافضة تزعم أن الإثنى عشر معصومون من الخطأ والذنب ويرون هذا من أصول دينهم، والغالية في المشائخ قد يقولون، أن الولي محفوظ، والنبى معصوم وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه، فحاله حال من يرى أن الشيخ والولي لا يخطئ ولا يذنب؛ وقد بلغ الغلو بالطائفتين إلى أن يجعلوا بعض من يغلو فيه بمنزلة النبي وأفضل منه، وإن زاد الأمر جعلوا له نوعاً من الإلهية ..))^٢.

وممن وقفوا على نشأة التصوف وتطوره، وسبق ابن خلدون، الإمام عبد الرحمن أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى حيث يقول: ((.. والتصوف طريقة كان ابتدأها الزهد الكلي، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام، لما يظهرونه من الترهّد. ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب.. ويضيف قائلاً: وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم عبّروا عن صفته بصفات كثيرة، وحاصله أن التصوف عندهم: رياضة النفس، ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة: من الزهد، والحلم، والصبر، والإخلاص، والصدق إلى غير ذلك من الأخلاق الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا، والثواب في الآخرة،.. وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبس عليهم إبليس في أشياء، ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن: زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبسه عليهم، إلى أن تمكّن منهم غاية التمكن.

وكان أصل تلبسه عليهم، أنه صدّهم عن العلم، وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم، تحبّطوا في الظلمات فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم، وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح، وبالغوا في الحمل على النفوس، حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع.

وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة، غير أنهم على غير الجادة، وفيهم من كان لقلّة علمه من يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة، وهو لا يدري ثم جاء أقوام فتكلموا في الجوع، والفقر

^١ المقدمة: ابن خلدون ص ٤٧٣ .

^٢ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١١ / ٦٧ .

والوساوس، والخطرات، في ذلك، مثل الحارث المحاسبي^١ وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف، وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد، والرقص التصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة، ثم ما زال الأمر ينمى والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً، ويتكلمون بواقعاتهم وينفق بعدهم من العلماء لا بل رؤيتهم ما فيه أوفى العلوم، حتى سموه بالعلم الباطن، وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة، فادّعى عشق الحق، والهيمن فيه، كأنهم تخاييلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به، فهؤلاء بين الكفر والبدعة .

ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم، فمن هؤلاء من قال بالحلول، ومنهم من قال بالاتحاد وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع، حتى جعلوا لأنفسهم سنناً، وجاء أبو عبد الرحمن السلمي^٢ فصنف لهم كتاب ((السنن)) وجمع لهم ((حقائق التفسير))^٣ فذكر فيه العجب في تفسيرهم القراءان، بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم، وإنما جعلوه على مذاهبهم، والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم، وصنف لهم أبو نصر السراج^٤ كتاباً سماه ((لمع الصوفية)) ذكر فيه الاعتقاد القبيح، والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله تعالى، وصنف لهم أبو طالب المكي^٥ ((قوت القلوب))، فذكر فيه الأحاديث الباطلة، وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالي^٦، وغير ذلك من الموضوع، وذكر فيه الاعتقاد الفاسد، وردد فيه قول قال بعض المكاشفين، وهذا كلام فارغ، .. قال أبو طاهر محمد بن العلاف^٧ قال : دخل أبو طالب المكي إلى البصرة بعد وفاة أبي

^١ هو الحارث بن أسد المحاسبي، كنيته أبو عبد الله من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم، وهو أستاذ أكثر البغدادين، وهو من أهل البصرة، له مصنفات منها: ((الرعاية لحقوق الله)) و((التوهم)) توفي سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٨ م ((وفيات الأعيان ج ٢ / ٥٧ - ٥٨)) و ((تاريخ بغداد ج ٨ / ٢٤٨ - ٢٤٩)) .

^٢ هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى، النيسابوري، ولد سنة ٢٢٥ هـ / ٩٣٨ م، قال عنه الذهبي: ((شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم، وطبقتهم، وتفسيرهم، قيل كان يضع الأحاديث للصوفية، توفي سنة ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م: ((ميزان الاعتدال ج ٣ / ٤٧ - ٤٨)) و ((تاريخ بغداد ج ٨ / ٢٤٨ - ٢٤٩)) .

^٣ قال الإمام الذهبي عن هذا التفسير: ((في حقائق التفسير أشياء لا تسوغ أصلاً، عدها بعض الأئمة من زندقة الباطنية، وعدها بعضهم عرفاناً وحقيقة، نعوذ بالله من الضلال، ومن الكلام بهوي)) ((سير أعلام النبلاء ج ١٧ / ٢٧٢)) .

^٤ هو عبد الله بن علي الطوسي، زاهد، كان شيخ الصوفية، له كتاب ((اللمع في التصوف))، توفي سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م، أنظر لترجمته: ((الأعلام ج ٤ / ١٠٤)) و ((شذرات الذهب ج ٣ / ٩١)) .

^٥ هو محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، صوفي نشأ واشتهر بمكة، ورحل إلى البصرة، وسكن بغداد ووعظ بها، حفظ الناس عنه أقوالاً هجروه لأجلها، له مصنفات منها كتابه ((قوت القلوب في معاملة المحبوب))، توفي سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م. أنظر لترجمته: ((تاريخ بغداد ج ٣ / ٨٩)) و ((الأعلام ج ٦ / ٢٧٤)) .

^٦ قام بنقد هذه الصلوات عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه ((الموضوعات)) تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ج / ١١٣ - ١٣٣ .

^٧ هو محمد بن علي بن محمد بن يوسف البغدادي، العلاف سمع أبا بكر القطيعي، ومخلد بن جعفر البافري وطائفة، روى عنه الخطيب البغدادي وغيره، توفي سنة ٤٤٢ هـ: ((تاريخ بغداد ج ٣ / ١٠٣ - ١٠٤)) و ((سير أعلام النبلاء ج ١٧ / ٦٠٨)) .

الحسن بن سالم^١ فانتمى إلى مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ ، فخلط في كلامه ، فحفظ عليه أنه قال: ليس على المخلوق أضر من الخالق ، فبدّعه الناس فهجروه ، فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك ... وجاء أبو نعيم الأصفهاني^٢ فصنف لهم كتاب ((الحلية)) . وذكر في حدود التصوف أشياء قبيحة منكرة ، ولم يستح أن يذكر في الصوفية ، أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلياً ، وسادات الصحابة — رضي الله عنهم — فذكر عنهم فيه العجب .

فالتصوف مذهب معروف ، يزيد على الزهد ، ويدل على الفرق بينهما : إن الزهد لم يذمه أحد ، وقد ذموا التصوف — على ما سيأتي ذكره — .

وصنف لهم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، كتاب الرسالة ، فذكر فيه من العجائب من الكلام في الفناء البقاء^٣ ، والقبض^٤ ، ... إلى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء ، وتفسيره أعجب منه .

وجاء محمد بن طاهر المقدسي^٥ فصنف لهم ((صفوة التصوف)) فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها .

وجاء أبو حامد الغزالي^٦ ، فصنف لهم كتاب ((الإحياء)) ، على طريقة القوم ، وملاؤه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها^٧ ، وتكلم في علم المكاشفة^٨ ، وخرج عن قانون الفقه ...

^١ هو أحمد بن محمد بن أحمد بن سالم ، هو وأبوه من تلاميذ سهل بن عبد الله التستري ، وإلى عبد الله بن سالم تنسب مقولة السالمية ، وقد قال ابنه بقوله ، ومن أشهر السالمية أبي طالب المكي ، صاحب قوت القلوب ، توفي أبو الحسن بن سالم سنة ٣٦٠هـ / ٩٦٢م . أنظر لترجمته : ((نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام)) د. علي سامي النشار ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثامنة بدون تاريخ الطبع ، ج ١ / ٢٩٤ .

^٢ هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ، الإمام الحافظ الثقة ، صاحب كتاب ((حلية الأولياء)) ، ولد سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٧م سمع من كبار شيوخ عصره . أمثال : أبي أحمد العسال ، وأبي القاسم الطبراني ، توفي سنة ٤٣٠هـ / ١٠٣٩م . أنظر لترجمته : ((وفيات الأعيان ج ١ / ٩١ - ٩٢)) و ((شذرات الذهب ج ٣ / ٢٤٥)) .

^٣ البقاء : هو رؤية العبد قيام الله على شئ وقيل بقاء رؤية العبد لقيام الله له في قيامه لله قيل قيامه لله بالله . وقيل أن يقنى عما له ، ويبقى بما لله . ((معجم مصطلحات الصوفية ، عبد المنعم الحفني ص ٣٥)) ((عوارف المعارف ج ٥ / ٢٥٠ - ٢٥١)) .

^٤ القبض : هو حال شريف لأهل المعرفة إذا قبضهم الحق أحشهم عن تناول القوام والمباحات والأكل والشرب والكلام : ويقابله البسط ، فإذا بسطهم ردهم إلى هذه الأشياء وتولى حفظهم في ذلك ، فالقبض للعارف ، بمنزلة الخوف للمستأنف . ((معجم مصطلحات الصوفية)) عبد المنعم الحفني ص ٢١٣ و ((الرسالة القشيرية)) ص ٣٢ - ٣٣ .

^٥ هو أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي ، من حفاظ الحديث ولد سنة ٤٤٨هـ / ١٠٥٥م ، كان على مذهب داود الظاهري ، توفي سنة ٥٠٧هـ / ١١١٣م ، قال ابن حجر : ((ليس بالقوي فإن له أوام كثيرة في تواليه ... وله انحراف عن السنة إلى التصوف غير مرضي)) ((لسان الميزان: ٥ / ٢٠٧ - ٢٠٨)) ((شذرات الذهب ج ٤ / ١٨)) و ((سير أعلام النبلاء ج ١٩ / ٣٦١ - ٣٧١)) .

^٦ هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، ولد بطوس سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ، برع في الفقه ، والجدل ، والفلسفة ، والمنطق ، درس بالمدرسة ((النظامية)) في بغداد ، تصوف وهجر الدنيا وزخرفها ، وخرج إلى مكة والشام ، ثم عاد إلى مسقط رأسه طوس بنيسابور ، وبها توفي سنة ٥٠٥هـ / ١١١١م . أنظر لترجمته : ((طبقات الشافعية ج ٣ / ١٣٥ - ١٤٥)) ((سير أعلام النبلاء ج ١٩ / ٩٤ - ٩٦)) ((وفيات الأعيان ج ٢ / ١٢٨ - ١٣١)) .

وكان السبب في تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء، قلة علمهم بالسنن والآثار، وإقبالهم على ما استحسوه من طريقة القوم .. وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لهم ، لا تستند إلى أصل، وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن .. وقد كان أوائلهم يقرون بالتعويل على الكتاب والسنة، وإنما لبس الشيطان عليهم لقلة علمهم^٢.

ثم جاء بعد عصر ابن الجوزي ، عدد من رواد التصوف، ممن كان لهم بالغ الأثر في نشر الفكر الصوفي، أشهرهم، ابن عربي صاحب كتاب: ((الفتوحات المكية)) و((فصوص الحكم)) ، وهو من أشهر دعاة وحدة الوجود، حيث صحح عبادة من عبد العجل من قسوم موسى^٤، ودعوى فرعون للربوبية^٥، وممن سار على نهجه من تلاميذه ، محمد بن إسحاق القونوي^٦، وبعض صوفية المشرق ، مثل جلال الدين الرومي^٧، وعبد الرحمن الجامي^٨ السذي شرح كتاب ((فصوص الحكم)) لابن عربي، وممن اعتنى بمؤلفات ابن عربي، شرحاً، واختصاراً، الصوفي المصري عبد الوهاب الشعراني، وعبد الغني النابلسي^٩ الذي انتصر لفكر

^١ الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي تخريج لأحاديث كتاب ((إحياء علوم الدين)) ، اسمه ((المغني عن حمل الأسفار فسي الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار)) ، وهو مطبوع بهامش كتاب ((الإحياء)) دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأولى بدون تاريخ الطبع .

^٢ الكشف هو الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية ، والأمر الحقيقية وجوداً وشهوداً ((معجم مصطلحات الصوفية)) عبد المنعم الحفني ص ٢٢٥ . وقال الغزالي : ((ونعني بعلم المكاشفة ، أن يرتفع الغطاء ، حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور ، إتضاعاً يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه)) ، ((إحياء علوم الدين)) أبو حامد الغزالي ج ١ / ١٩ - ٢٠ .

^٣ تلبيس إبليس ، ابن الجوزي ص ١٦١ - ١٦٨ .

^٤ فصوص الحكم ، محي الدين ابن عربي ، تحقيق د . أبو العلا عفيفي - دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م ، ج ١ / ٦٢ وما بعدها .

^٥ المصدر السابق ج ١ / ١٩١ - ١٩٤ .

^٦ هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف ، القونوي ، الرومي ، تزوج ابن عربي أمه ورباه ، من مصنفاته ((فكوك النصوص في مستندات حكم الفصوص)) ، قال ابن تيمية في سياق نقده للقونوي : ((الصدر القونوي النصراني ، الاتحادي ، الفيلسوف ...)) ، وقال : ((ولهذا كان الصدر أكثر قولاً وأقل كفاً من عمله ...)) ((مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٢ / ٩٣ - ٩٤)) توفي القونوي سنة ١٢٧٢هـ/١٢٧٣م أنظر لترجمته: ((طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ / ١٩)) و((الأعلام ج ٦ / ٣٠)) و((طبقات الشعراني ج ١ / ٢٠٣)) .

^٧ هو محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي ، القونوي الرومي ، تنسب إليه الطريقة المولوية ، ولد في بلخ من بلاد فارس ، سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م ، نشأ في بغداد ، تولى التدريس في قونية بعد وفاة أبيه ثم ترك التدريس ، وتصف ، فشغل بالرياضة وسماع الموسيقى ، ونظم الأشعار وإنشادها ، توفي سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م : ((الأعلام ج ٧ / ٣٠)) .

^٨ هو عبد الرحمن بن نظام الدين أحمد بن شمس الدين محمد الدشتي ، نسبة إلى دشت محلة في أصفهان ، ولد في جام من بلاد من وراء النهر ، سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م ، كان الجامي صوفياً على الطريقة النقشبندية له مصنفات منها: ((شرح في فصوص الحكم)) (شرح لكافية ابن الحاجب) ، توفي سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٣م . أنظر لترجمته : ((شذرات الذهب ج ٧ / ٣٦٠ - ٣٦١)) ((الأعلام ج ٣ / ٢٨٦)) .

^٩ هو عبد الغني بن إسماعيل النابلسي ، ولد سنة ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م ، صوفي ، نقشبندي يقول بوحدة الوجود ، له مصنفات منها : ((ذخائر الموارث في الدلالة على مواضع الحديث)) ، توفي سنة ١١٤٣هـ/١٧٣٠م . أنظر لترجمته : ((الأعلام ج ٤ / ٣٣ - ٣٤)) ((معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ج ٥ / ٢٧١ - ٢٧٥)) .

ابن عربي، وخدم مؤلفاته، فمن مؤلفاته في ذلك : ((رسالة في الانتصار لابن عربي))^١ و ((الرد المتين على منتقص العارفين محي الدين))^٢ و ((جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص))^٣، وقد شغلت مؤلفات ابن عربي، ومدرسته الفكرية، حيزاً واسعاً في الفكر الصوفي. وقد انتشر في أوساط الصوفية الاعتقاد في الأضرحة والقبور، ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم، ونذر النذور لها والطواف حولها، واعتقاد أنها من البقع المباركة التي يستجاب عندها الدعاء، فمما ورد عنهم في ذلك ، قول القشيري في ترجمة معروف الكرخي^٤ : ((كان من المشايخ الكبار ، مجاب الدعوة يستشفى بقبره ، يقول البغداديون : قبر معروف تريق مجرب))^٥.

^١ أفاد عبد القادر أحمد عطا بوجود نسخة خطية للكتاب بالظاهرية ، رقم ١٠ تصوف ، أنظر : ((التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقْتِباس)) لعبد القادر أحمد عطا . أنظر : ((المصادر العامة عند الصوفية عرضاً ونقداً)) صادق سليم صادق ، الناشر مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م ، ص ٥٢ .

^٢ له نسخة خطية بالظاهرية برقم ٩٨٧٣ تصوف، أنظر المصدر السابق ص ١٢١. ((المصادر العامة عند الصوفية)) ص ٥٢ .
^٣ قال عبد القادر أحمد عطا : ((وهو شرح لفصوص الحكم للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ، وقد طبع بمصر في مجلد ضخيم ، وهو توضيح وتبسيط لمشكلات ابن عربي التي تناولها الناس بالنقد والرفض أحياناً ...)) المصدر السابق ص ١٢١ . ((المصادر العامة عند الصوفية)) ص ٥٢ .

^٤ هو معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ من كبار الصوفية المتقدمين كان من موالى الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم ، ولد في كرخ بغداد ، ولابن الجوزي كتاب في أخباره وأدابه ، توفي ببغداد سنة ٢٠٠هـ / ٨١٦ م . أنظر لترجمته ((الأعلام ج ٨ / ١٨٥)) و ((وطبقات الشعراني ج ١ / ٧٢)) .

^٥ الرسالة القشيرية ج ١ / ٦٠ .

المطلب الرابع

العلم اللدني

يذهب الصوفية إلى أن الله سبحانه قد خصهم بعلم موهوب، من غير سعي وأخذ بأسباب التعلم، وهذا العلم يأتي نتيجة للطاعة والاجتهاد في العبادة، ويسمونه بالعلم الباطن، وعلم الحقيقة، وعلم الأحوال، والعلم اللدني، وأقولهم في حقيقة هذا العلم كثيرة فمنها على سبيل المثال لا الحصر، قول أبي طالب المكي وهو يصف الصوفية وعلومهم: ((... فهم أهل الذكر لله تعالى، وأهل التوحيد والعقل عن الله تعالى، ولم يكونوا يتلقون هذا العلم دراسة من الكتب، ولا يتلقاه بعضهم عن بعض بالألسنة، إنما كانوا أهل عمل وحسن معاملات...)).^١ ويقول أبو بكر الكلاباذي: ((اعلم أن علوم الصوفية علوم الأحوال، والأحوال مواريث الأعمال، ولا يرث الأحوال إلا من صحح الأعمال)).^٢ ويقول أبو حامد الغزالي: ((سئل بعض العلماء عن علم الباطن ما هو؟ فقال هو سر من الله تعالى يقذفه في الله تعالى في قلوب أحبائه، ولم يطلع عليه ملكاً ولا بشراً،.. وكان أبو يزيد وغيره يقول: ليس العالم الذي يحفظ من كتاب، فإذا نسي ما حفظه كان جاهلاً، إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه، أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس)).^٣

وهذا هو العلم الرباني والإشارة إليه بقوله تعالى: ((وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا))، مع أن كل علم من لدنه، ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علماً لدنياً، بل اللدني الذي يفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج))،^٤ ويقول أيضاً: ((... فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون العلوم التعليمية، فذلك لم يحرصوا على دراسة العلم، وتحصيل ما صنّفه المصنفون، والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة...)).^٥ ويقول ابن عربي: ((العلماء بالله لا يأخذون من العلوم إلا الموهوب، وهو العلم اللدني، علم الخضر وأمثاله، وهو العلم الذي لا يعمل لهم فيه بخاطر أصلاً، حتى لا يصيبه شيء من كدورات الكسب)).^٦ ويقول إبراهيم الدسوقي موصياً مريديه: ((ووصيتي لجميع أولادي أن يكونوا ذائقين لا واصفين، وأن يأخذوا العلوم من معادنها الربانية، لا من الصدور والطروس، فإن القوم إنما تكلموا عما ذاقوا...)).^٧ ويقول أبو يزيد البسطامي ناعياً على علماء الشريعة مفاخرأ لهم:

^١ قوت القلوب أبو طالب المكي ج ١ / ٢٧٢ .

^٢ التعرف لمذهب أهل التصوف أبو بكر الكلاباذي ص ١٠٤ .

^٣ إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ج ٢ / ١٣٨٠ .

^٤ سورة الكهف (٦٥) .

^٥ إحياء علوم الدين ج ٢ / ١٣٨١ .

^٦ المصدر السابق ج ٣ / ١٩ .

^٧ الفتوحات المكية محي الدين ابن عربي، طبع دار صادر، بيروت، بدون رقم طبع أو تاريخ نشر، ج ١ / ٥٨٢ .

^٨ طبقات الشعراني الكبرى ج ١ / ١٧٢ .

((أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، يقول أمثالنا: حدّثني قلبي عن ربّي وأنتم تقولون حدّثني فلان وأين هو؟ قالوا: مات، عن فلان وأين هو؟ قالوا: مات))^١ . إلى غير ذلك من أقوالهم، وحثّهم التي يستندون إليها هي: ((أن النقي حق النقي الزاهد حق الزهادة في الدنيا ، صفا باطنه ، وانحلت مرآة قلبه ، ووقعت له محاذاة من اللوح المحفوظ، فأدرك بصفاء الباطن أمهات العلوم وأصولها، فيعلم منتهى أقدام العلماء في علومهم))^٢ . ويقول على حرازم^٣: ((وقد رأيت مراسلة أرسلها الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله عنه إلى الشيخ فخر الدين الرازي صاحب التفسير يبين له فيها نقص درجته في العلم هذا والشيخ فخر الدين المذكور في العلماء الذين انتهت إليهم الرياسة في الاطلاع على العلوم، من جملتها اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك أن الرجل لا يكمل في مقام العلم حتى يكون علمه من الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيخ فإن من كان علمه مستفاد من نقل أو شيخ فما برح عن الأخذ من المحدثات .. ولو أنك يا أخي سلكت على يد شيخ من أهل الله عز وجل لأوصلك إلى حضرة شهود الحق تعالى فتأخذ منه العلم بالأمور من طريق الإلهام الصحيح من غير تعب ولا نصب ولا سهر كما أخذ الخضر عليه السلام فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود لا عن نظر وفكر وظن وتخمين))^٤ . ويقول الكلاباذي: ((الخواطر وتطهير السرائر، وهذا هو علم المعرفة ثم وارد هذا علوم الخواطر، وعلوم المشاهدات والمكاشفات وهي التي تختص بعلم الإشارة: لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق بل تعلم بالمنازلات والمواجيد ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وحل تلك المقامات، ثم استدل على هذا العلم بحديث ((إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكُونِ))^٥ .

وعن عبد الواحد بن زيد قال سألت الحسن عن علم الباطن فقال سألت حذيفة بن اليمان عن علم الباطن فقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علم الباطن فقال: ((سَأَلْتُ جِبْرِيلَ عَنِ

^١ الفتوحات المكية ابن عربي ج ١ / ٣٦٥ .

^٢ عوارف المعارف بهامش الإحياء ج ١ / ١٦٣ .

^٣ هو علي حرازم بن العربي براءة ، مغربي من أهل فاس ، صاحب الشيخ أحمد التجاني ، له مؤلفات منها: ((جواهر المعاني)) جمع فيه أخبار وأقوال شيوخه أحمد التجاني، توفي سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م ، أنظر لترجمته: ((الأعلام ج ٤ / ٢٧٠)) و((معجم المؤلفين ج ٧ / ٧٥)) .

^٤ جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني ، علي حرازم بن العربي براءة المغربي الفاسي الطبعة الأخيرة ١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ م ، طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٤ — ١٥ ، والطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني ص ٥ — ٦ .

^٥ رواه أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين الصوفية ، (٨ / ٢) ، وأشار لضعفه المنذري في الترغيب ، (١ / ٦٢) ، وصرح بتضعيفه العراقي في تخريج الأحياء ، (١ / ٣٥) ، وقال الألباني : ضعيف جداً ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها ، ج ٢ / ٢٦٢ ، حديث رقم ٨٧٠ ، محمد ناصر الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .

^٦ التعرف لمذهب أهل التصوف ، أبو بكر الكلاباذي ص ١٠٥ .

عَلَّمَ الْبَاطِنِ فَقَالَ: سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ عِلْمِ الْبَاطِنِ فَقَالَ: هُوَ سِرٌّ مِنْ سِرِّي، أَجْعَلُهُ فِي قَلْبِ عَبْدِي، لَا يَقِفُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِي))^١ .

ويعتقد الصوفية أن العلم اللدني نتيجة للرياضة والمجاهدة للنفس، وفي ذلك يقول السهروردي: ((والعلوم اللدنية في قلوب المنقطعين إلى الله تعالى ضرب من المكاملة: ومن انقطع إلى الله أربعين يوماً مخلصاً متعاهداً نفسه بخفة المعدة يفتح الله عليه العلوم اللدنية فإذا تمت الأربعين انقطاعاً عن الدنيا زالت الحجب وانصبت إليه المعارف انصباباً .. فهي علوم إلهامية))^٢.

يقول ابن رشد رحمه الله تعالى: ((وأما الصوفية فطرقهم في النظر ليست طرقاً نظرية، أعني مركبة من مقدمات وأقيسة، وإنما يزعمون أن المعرفة بالله وبغيره من الموجودات شيء يلقي في النفس عند تجريدها من العوارض الشهوانية وإقبالها بالفكر على المطلوب . ويحتجون لتصحيح هذا بطواهر من الشرع كثيرة، مثل قوله تعالى: ((وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ)) [البقرة ٢٨٢]، ومثل قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)) [العنكبوت ٦٩] ومثل قوله تعالى: ((إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا)) [الأفال ٢٩]..[وفي رده عليهم قال]..ولو كانت هذه هي الطريقة المقصودة بالناس لبطلت طريقة النظر))^٣.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((طريق أهل الرياضة والتصوف والعبادة البدعية: وهؤلاء منصرفون إلى النصرانية الباطلة، فإن هؤلاء يقولون: إذا صفى الإنسان نفسه على الوجه الذي يذكرونه فاضت عليه العلوم بلا تعلم، وكثير من هؤلاء تكون عباداته مبتدعة، بل مخالفة لما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيقعون في فساد من جهة العمل، وفساد من نقص العلم، حيث لم يعرفوا ما جاء به الرسول .

وكثيراً ما يقع بين هؤلاء وهؤلاء، وتقدح كل طائفة في الأخرى، وينتحل كل منهم اتباع الرسول، والرسول ليس ما جاء به موافقاً لهؤلاء، ولا هؤلاء،.. وما كان رسول الله - صلى الله

^١ ليس هو بحديث وإنما من كلام المتصوفة وهو ليس في شيء من كتب السنة المعتمدة .

^٢ التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي ص ١٠٦ .

^٣ عوارف المعارف بهامش الإحياء للسهروردي ص ١٢٦ .

^٤ ابن رشد هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي، الملقب بابن رشد الحفيد، ولد سنة ٥٢٠ هـ الموافق ١١٢٦ م، وكان مولد ونشأته في قرطبة، من أسرة اشتهرت بالعلم والنبوغ فيه، فكان فقهياً ذكياً ثاقب النظر، برع في شتى العلوم، وتولى القضاء بأشبيلية، وتولى منصب قاضي القضاة في قرطبة، له عدة مؤلفات منها (الكليات) في الطب، و (تهافت التهافت) في الرد على أبي حامد الغزالي في كتابه (تهافت الفلاسفة) و (مناهج الأدلة في عقائد الملة) وغيرها من الكتب، توفي سنة ٥٩٥ هـ الموافق ١١٩٨ م (شذرات الذهب ج ٤ / ٣٢٠) و (سير أعلام النبلاء ج ٢١ / ٣٠٧ - ٣١٠) .

^٥ الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي، قدم له وعلق عليه احمد شمس الدين، من منشورات محمد على بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ص ٤١ .

عليه وسلم – ولا أصحابه على طريقة أهل البدع من أهل العبادة والتصوف، بل كان على ما بعثه من الكتاب والحكمة، وكثير من أهل النظر يزعمون أنه بمجرد النظر يحصل العلم بلا عبادة ، ولا دين ، ولا تزكية للنفس ، وكثير من أهل الإرادة يزعمون أن طريقة الرياضة بمجرد ما تحصل المعارف بلا تعلم ولا نظر، ولا تدبر للقرآن والحديث ، وكلا الفريقين غلط ، بل لتزكية النفس والعمل بالعلم وتقوى الله تأثير عظيم في حصول العلم لكن مجرد العمل لا يفيد ذلك ، إلا بنظر وتدبر وفهم لما بعث الله به الرسول ، ولو تعبد الإنسان ما عسى أن يتعبد، لم يعرف ما خص الله به محمداً – صلى الله عليه وسلم – إن لم يعرف ذلك من جهته ، .. وكذلك لو جاع، وسهر، وخلا ، وصمت ، وفعل ما عسى أن يفعل، لا يكون مهتدياً، إن لم يتعبد بالعبادات الشرعية، وإن لم يتلق علم الغيب من جهة الرسول^١ .

وتخلص إلى أقوال المتصوفة السابقة **إلى ما يلي** :

(أ) ما ذكروه من وسائل موصلة إلى معرفة الله تعالى إنما هي وسائل مبتدعة وغير مشروعة ، وهي لا شك أنها مفضية بأصحابها إلى الضلال، ومعرفة الله سبحانه، إنما تكون من خلال التعرف عليه بآياته القرآنية والكونية، بنعمه ومخلوقاته، وبأسمائه وصفاته .

(ب) الدعوة إلى ترك العلم الشرعي والأخذ بأسبابه ، ومما هو معلوم بأوائل العقول ، أن العلم لا ينال إلا بالتعلم ، ولهذا كان أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الغار: ((أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ))^٢، وهو القائل صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ))^٣. فالعلم الشرعي لا ينال إلا بالأخذ بالأسباب الموصلة إلى ذلك كالسماع والقراءة ونحوهما ، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: ((نَضَّرَ اللَّهُ لِمَرْءٍ سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا حَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفِقْهِهِ))^٤، وهو

^١ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، المطبعة الأميرية الكبرى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٢٢ هـ ج ١ / ٩٦ - ٩٧ .

^٢ سورة العلق (١ - ٥) .

^٣ أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل ، بلفظ ((إنما العلم بالتعلم)) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ١ / ١٩٢) ، والخطيب البغدادي في تاريخه (٩ / ١٢٧) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦ / ١١٧ / ١) ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها ص ٦٠٥ ، حديث رقم ٣٤٢ ، كما صححه في صحيح الجامع الصغير وزيدته (الفتح الكبير) ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، ج ٢ / ٢٨٠ . حديث رقم ٢٣٢٤ .

^٤ أخرجه أحمد في المسند ج ٥ / ١٨٣ ، والدارمي في سننه ، رقم ٢٣٥ ، وابن حبان في صحيحه (موارد الظمان رقم ٧٢ ، وأبو داود في العلم باب فضل نشر العلم ، حديث رقم ٣٦٦٠ ، والترمذي في كتاب العلم باب في الحث على تبليغ السماع ج ٣ / ٣٧٢ وابن ماجه في المقدمة : باب من بلغ علماً ، رقم ٢٣٠ .

القائل: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))^١، وأما تيسير سبيل العلم، وتوفيق الله سبحانه لطالب العلم المخلص، بتيسير الحفظ عليه، وتوفيقه لفهم النصوص الشرعية و المسائل فهذا مما لا نزاع فيه، وهو مما تظاهرت عليه نصوص القراءن والسنة.

(ج) الاستخفاف بعلم مصطلح الحديث، وهو علم أجمعت الأمة على فضله ، واعتنى به أهل العلم، من سلف هذه الأمة الصالح وخلفها، وصنّفوا المصنّفات فيه، ومن أهمّ مباحثه علم الإسناد، وهو طريق حفظ هذا الدين، ولولاه لقال الناس في الدين بأهوائهم، وقد ظهر الاستخفاف في قول البسطامي، وقول ابن عربي وقول إبراهيم الدسوقي .

(د) الاستدراك على الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين لهم بإحسان، وهم خير القرون، بأن علومهم التي أخذوها عن النبي صلى الله عليه وسلم، علوم لا فائدة منها، وأن علوم الصوفية المستفادة من الإلهام والكشف هي العلوم المفيدة .

(هـ) القول بأن علم الصوفية الموهوب هو علم الخضر اللدني، قول ظاهر البطلان، فالخضر عليه السلام **بِسْمِ** موحى إليه، في أصح أقوال أهل العلم، والدليل على أن ما فعله بوحى من الله قوله تعالى: ((وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا))^٢، وسيأتي المزيد من الأدلة على ثبوت نبوة الخضر عليه السلام إن شاء الله في مبحث قادم .

^١ أخرجه مسلم في كتاب الذكر و الدعاء حديث رقم (٢٦٩٩) وأبو داود ح رقم (٤٩٤٦) والترمذي في الحدود ح رقم (١٤٢٥)

^٢ سورة الكهف (٨٢) .

المطلب الخامس

الأصول السلوكية والتعبدية للصوفية

ترتبط الأصول السلوكية والتعبدية للصوفية ارتباطاً وثيقاً بالأصول الفكرية، فالسلوك والتعبد نتاج للفكر، والفكر هو موجّه السلوك، فقد بنى المتصوفة أصولهم السلوكية والتعبدية على اعتقادهم، وفي جانب السلوك والتعبد نجد أنهم يسعون إلى تطهير النفس، والوصول بها إلى أعلى درجات النقاء، والصفاء، وذلك بوسائل يعتبرونها موصلة إلى مطلوبهم، كما أنهم يسعون إلى تحقيق ما يسمونه بالمعرفة والعلم اللدني، والوصول إلى الفناء بالوسائل نفسها، فمن الأمثلة على ذلك، قول أبي يزيد البسطامي وقد سُئِلَ عن: ((بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟ فقال يبطن جانح وبدن عار))^١، والمعرفة عند الصوفية، هي العلم بلا واسطة، الناشئ عن الكشف والمشاهدة (أو الشهود) وأول من بحث فيها ذوالنون المصري، وقد رأى أن غاية الحياة الصوفية الوصول إلى مقام المعرفة التي تتجلى فيها الحقائق، فيدركها الصوفي، إدراكاً ذوقياً لا أثر فيه للعقل ولا الرواية، وذلك لا يكون إلا لخاصة أهل الله^٢.

ويبين الشعراني بعض هذه الوسائل وأهمها فيقول: ((أركان الطريق أربعة أشياء، الجوع، والعزلة، والسهر، وقلة الكلام))^٣. ويقول أبو حامد الغزالي: ((ثم دخلت الشام فأقمت به قريباً من سنتين لا شغل لي إلا العزلة، والخلوة، والرياضة، والمجاهدة، اشتغلاً بتزكية النفس، وتهذيب الأخلاق، وتصفية القلب لذكر الله تعالى، كما كنت حصلت من علم الصوفية))^٤. ويقول إبراهيم الدسوقي: ((فإن كثيراً من أرباب المكاشفات قيل لهم بم نلتم الفراسة؟ قالوا بالجوع، وقال بعضهم: بملازمة الصوم، وقال بعضهم: بالصيام والفتور بعد العشاء وصوم كل يوم يغني عن صيام الدهر))^٥.

السلوك الصوفي :

((يعتبر الشيخ والذكر قيمتان أساسيتان من قيم السلوك الصوفي ، والتربية الروحية للمريد على يد الشيخ العارف بأصول التربية والسلوك ضرورية عند القوم ، وبدونها يتعذر الوصول إلى معرفة الله تعالى ، وعلى المرید أن يخلص لشيخه ، ويوحد له بأحوال نفسه ليختار الأدوية الناجعة

^١ الرسالة القشيرية ، أبو القاسم القشيري ج ١ / ٨٠ .

^٢ التصوف الإسلامي، نصوص جمعها وقدم لها د . البير نصري نادر، طبع المكتبة الكاثوليكية بيروت بدون تاريخ طبع، ص ١٩ - ٢٠ .

^٣ الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، عبد الوهاب الشعراني، حققه وقدم له طه عبد الباقي سرور والسيد محمد عبد الشافعي ، طبع المكتبة العلمية ومطبعتها بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٦٢ م ، ص ٥٦ .

^٤ المنقذ من الضلال أبو حامد الغزالي، حققه وعلق عليه الدكتور عبد الحلیم محمود ، طبع دار الطباعة بمصر بدون تاريخ طبع، ص ٦٤ .

^٥ الجوهرة المضيئة ، إبراهيم الدسوقي القرشي، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه، إبراهيم الرفاعي، مكتبة الرفاعي للنشر والتوزيع، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، ص ٣٦٧ .

، والوسائل في السفر، ويفتاوت السالكون في فترة الوصول، فمنهم من يفتح عليه في لحظة، ومنهم من يقضي العمر في علاج داء متمكن، ومنهم من يموت وهو يقرع الباب.

وأهم التطورات أثناء السلوك هو التخلي عن أوصاف الخلق، والتحلّي بأوصاف الحق ... وهو نتيجة أخلاقية تتم أثناء السير، ومن خلاله وتكتمل بتحقيق العبودية، بل ((العبودية))^١ الخالصة حين يصير مراد الحق هو مراد العبد ... فالطريق يبدأ بالتخلي ويتوسطه التحلي، ويتوج بالتجلي وهو الغاية الحقيقية أي المعرفة بالله عز وجل^٢.

ومن آثار هذا السلوك ظهور مفهوم خاص للتوكل لديهم، وهو عدم الأخذ بالأسباب، واعتماد القلب فقط على الله تعالى دون النظر إلى الأسباب، وفي ذلك يقول الكلاباذي: ((فإصفاة أسرارهم (يعني الصوفية) وشرح صدورهم، وضياء قلوبهم صحت معارفهم بالله، فلم يرجعوا إلى الأسباب ثقة بالله عز وجل، وتوكلاً عليه ورضاً بقضائه))^٣.

علاقة المرید بالشیخ :

علاقة المرید بشيخه مبنية على التسليم الكامل للشيخ، وتعظيمه إلى درجة الغلو فيه، وعدم اتخاذ شيخ غيره، وأقوال المتصوفة شاهدة على ذلك، فمنها على سبيل المثال، قول الفوتي^٤ : ((يجب تعظيم الشيخ وتوقيره ظاهراً وباطناً، وعدم الاعتراض عليه في شيء فعله، ولو كان ظاهره أنه حرام وعدم الالتجاء لغيره من الصالحين))^٥، ويقول أيضاً: ((فإليعتصم المرید بشيخه وليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالكلية، ولا يخالفه في ورد ولا صدر ولا يبقى في متابعتها شيئاً ولا يذر ... ولا اعتراض بأن تكون كالميت بين يدي غاسله))^٦.

^١ نقل محمد عثمان عبده عن عبد الكريم الجيلي قوله : ((العبادة صدور أعمال البر من العبد لطلب الجزاء ، والعبودية صدور أعمال السر من العبد لله تعالى عارياً عن طلب الجزاء بل عملاً خالصاً لله تعالى . والعبودية هي عبارة عن العمل بالله . ولذلك الهيمنة لمقام العبادة على جميع المقامات)) تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٦ .

^٢ فصول في التصوف، حسن محمود عبد اللطيف الشافعي، دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٢م، بدون رقم طبع، ص ٨٢ - ٨٣ .

^٣ التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي ص ٣٣ .

^٤ الفوتي هو عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي السنغالي، الأزهرى، التجاني، ولد سنة ١٢١١هـ/١٧٩٧م، في قرية ((الفار)) من بلاد ((تيمار))، وقرأ في الأزهر الشريف، كانت له جهود في نشر الإسلام بين الوثنيين في غرب أفريقيا، له مصنفات منها: ((رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم)) و ((وسفينة السعادة))، توفي سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٤ م . ((دائرة المعارف الإسلامية ج ٥ / ٤٣٢، ٤٣٣)) .

^٥ رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، عمر بن سعيد الفوتي بهامش جواهر المعاني وبلوغ الأمانى في فيض سيدي أبي العباس التجاني، الشيخ علي حرازم بن العربي برادة المغربي الفاسي، ج ١ / ١٢٣ .

^٦ المصدر السابق ج ١ / ٩٥، ٩٧ .

وأورد الشعراني أن عبد القادر الجيلاني قال: ((من لم يعتقد في شيخه الكمال لم يفلح على يديه أبداً))^١، وقد أوجب الصوفية على المرید اتخاذ شيخ واحد، وذلك إمعاناً في تقييده، وكبت حريته، يقول الشعراني: ((ومن شأنه ألا يكون له إلا شيخ واحد))^٢، ونقل قولاً لأبي يزيد البسطامي: ((من لم يكن له أستاذ واحد فهو مشرك في الطريق والمشارك شيخه الشيطان))^٣. ويقول الفوتى: ((ومن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومریده أن لا يشرك في محبته غيره ولا في تعظيمه ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع إليه))^٤.

ويمارس المرید كل ذلك بدعوى الأدب مع الشيخ، ولكن هذا الأدب يسوء مع الله عز وجل حين يؤله الشيخ ويصرف له من العبادة ما لا ينبغي إلا لله سبحانه وتعالى حين تصبح: ((المسألة لا تقف عند حدود الأدب المصطنع لعلاقة المرید بشيخه، بل إنها لتأخذ شكل العقيدة الثابتة في قدرة الشيخ التي لا تحد، وبركته الخارقة التي تعلو فوق ثبات النواميس، وصرامة الأسباب، فهم يستعينون به في قضاء الخوائج ويلجؤون إليه في تفريغ الكربات، ولا يغير موته من الأمر شيئاً، بل إن الموت يزيد قدرة وبركة، ومن ثم نشأت بدعة إقامة الأضرحة، وشد الرحال إليها، والتمسح بالقباب والتماس البركة من الأعتاب، وهو شرك صريح يتنافى تماماً مع أصول العقيدة الإسلامية، ومبادئ الدين، ولكنهم يزعمون أن الأمر لا يعدو مجرد توسل بهؤلاء الشيوخ عند الله الذي لا يرد لهم مطلباً، وهي نفس الحجة البالية القديمة التي تذرّع بها مشركو العرب في عبادة أصنامهم، يقول سبحانه وتعالى ((وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى))^٥.

^١ الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبد الوهاب الشعراني ص ١٧٤.

^٢ المصدر السابق ص ٦٤.

^٣ المصدر السابق ص ٦٤.

^٤ رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، الفوتى بهامش جواهر المعاني، علي حرازم، ج ١ / ١٧٧.

^٥ سورة الزمر (٣).

^٦ نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام، سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله، طبع دار المنارة جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٩ م، ص ٢٨٨.

الذكر الصوفي :

تعتبر الأذكار من أهم أركان الطريق الصوفي، ولكل طريقة أذكارها وأورادها الخاصة بها، يقوم بتأليفها شيخ الطريقة، ويلزم بها المريدين في الطريقة، يحافظون عليها في أوقاتها المحددة، و ((كل شيخ طريقة قد جعل الله مدده وسر طريقته في أورادها التي يأمر بها المرید، فمن ترك ورده فقد نكث عهد شيخه))^١، والذكر عند الصوفية هو طريق الوصول إلى معرفة الله تعالى، وفي ذلك يقول علي المرصفي^٢: ((إذا ذكر المرید ربه بشدة وعزم، طويت له مقامات الطريق بسرعة من غير بطء، فربما قطع في ساعة ما لا يقطعه غيره في شهر أو أكثر، وكان يقول السالك من طريق الذكر كالطائر المجد إلى حضرات المجد والسالك من طريق غير الذكر (كالزمن) الذي يزحف ...))^٣. ويقول القشيري: ((الذكر ركن قوي في طريق الحق بل هو العمدة في ذلك ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر))^٤.

وغاية الذكر الصوفي هي الوصول إلى معرفة الله سبحانه، والوصول إلى مرتبة الاتحاد والفناء والمشاهدة وفي ذلك يقول الشعراني: ((ومن شأنه إذا افتتح مجلس الذكر وحده أن لا يسكت حتى تحصل له الغيبة عن الأكوان كلها، فإن الذكر إنما شرع للحضور مع الحق جل وعلا ... ثم إذا دخل الحضرة وحضر قلبه مع الحق تعالى فليسكت حينئذٍ لأنه لا معنى للذكر اللفظي مع شهود الحق تعالى، بل لو أراد الحاضر أن يذكر الله بلسانه لم يقدر على النطق، لأنها حضرة هيبية وجلال وبهت وخرس، ومن هنا رمز بعضهم إلى ذلك بقوله: **أَلَا يَذْكُرُ اللهُ تَزْدَادُ الذُّنُوبُ وَتَنْطَمِسُ الْبَصَائِرُ وَالْقُلُوبُ**)^٥.

ويقول الفتوي: ((قلت وإذا أكثر العبد ذكر ربه باللسان حصل له الحضور وإذا حصل له كثرة الذكر مع الحضور صار الحق مشهوده وهناك يستغنى عن ذكر اللسان ... لأن حضرة شهود الحق سبحانه حضرة بهت وخرس يستغنى صاحبها في الجمعية بالمدلول فقد استغنى العبد عن الدليل فافهم))^٦، ووضح ذلك بقوله: ((وفي هذا الميدان ينمحي الذاكر والذكر ويصير في حالة أن

^١ الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبد الوهاب الشعراني ص ١٠٤.

^٢ هو علي نور الدين المرصفي، كان من أئمة المتصوفة، له مؤلفات في التصوف منها: ((مختصر الرسالة القشيرية))، توفي سنة نيف وثلاثين وتسعمائة للهجرة، ودفن بزاوية بقنطرة الأمير حسين بمصر، أنظر لترجمته: (طبقات الشعراني الكبرى ج ٢ / ١٢٧ - ١٢٩)) (الأعلام ج ٤ / ٢٨٦)).

^٣ هو الشيخ الكبير الضعيف.

^٤ الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، الشعراني ص ٨٨.

^٥ رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، عمر بن سعيد الفتوي، بهامش جواهر المعاني، علي حرازم، ج ١ / ١٥٧.

^٦ الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، الشعراني ص ٨٦.

^٧ رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، عمر بن سعيد الفتوي بهامش جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني، علي حرازم بن العربي ج ١ / ١٠٦.

لو نطق لقال أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لاستهلاكه في بحار التوحيد وهذه المرتبة هي آخر مراتب الذكر صامت جامد لا يذكر ولا يتحرك .

(لأن الذكر) كان وسيلة للوصول إلى هذه المرتبة فإذا وصلها انقطع الذكر .. وفي هذا قيل :
بِذِكْرِ اللَّهِ تَزْدَادُ الذُّنُوبُ وَتَنْطَمِسُ السَّرَائِرُ وَالْقُلُوبُ
فَتَرِكَ الذِّكْرَ أَفْضَلَ كُلِّ شَيْءٍ وَشَمْسُ الذَّاتِ لَيْسَ لَهَا غُرُوبٌ

وهذه هي نهاية مراتب الذكر). .

ولا يخفى ما في هذه الأقوال من الباطل الصريح المفضي إلى الكفر بالله عز وجل، المتمثل في وصول العبد مرتبة من المراتب ترفع فيها العبادة عنه، وتصير في حقه ذنباً من الذنوب .

ومن آداب الذكر لدى الصوفية استحضار صورة الشيخ أثناءه، قال الفوتوي: ((الرابع أن يستمد بقلبه عند شروعه في الذكر همة شيخه ويستحضره ويراقبه ليكون رفيقه في السير إلى الله تعالى وهذا من أهم الآداب ولو نادى بلسانه بالاستغاثة جاز قال الشيخ جبريل الخرمابادي قدس الله سره العزيز فإذا ابتدأ بالذكر يحضر صورة شيخه في قلبه ويستمد منه إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية وقلب النبي صلى الله عليه وسلم دائم التوجه إلى الحضرة الإلهية))^٢ .

الغاية من العبادة الصوفية :

تقدم طرف من الحديث عن الغاية من العبادة الصوفية المتمثلة في الذكر باعتباره من أهم العبادات لدى الصوفية، ويذهب الصوفية إلى أن عبادتهم لله تعالى ليست رجاءً لرحمته ولا طمعاً في دخول جنته، ولا خوفاً من ناره وعقابه، وإنما هي لذات الله ومحبته، يقول الكلابادي في بيان معنى العبادة، وأنها لا تجوز في حق الصوفي أن تكون عن عوض : ((العوض ما لله عليك في العمل في قوله : ((إِنْ أَلَلَّةَ أَشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ))^٢، [ولم يكمل الآية] ثم قال : لتعبده بالرق لا بالطمع))^٣، فرؤية الجنة عندهم معصية، وطلبها نقص في حق العابد.

ويقول الدكتور طه عبد الباقي سرور: ((إن المؤمنين في كل دين يعبدون الله سبحانه طمعاً في دخول جنة الخلد، ويخشون عذابه في ناره المتقدة الغضوب .. أما الصوفية وهم أحباب الله أو - أهل الله - كما يقولون، فقد وجدوا في تلك العبادة تجارة لا تليق بهم ، لقد صعّدوا إلى

^١ المصدر السابق ج ١ / ١٦١

^٢ رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم ، عمر بن سعيد الفوتوي، بهامش جواهر المعاني ، علي حرازم، ج ٢ / ٢ .

^٣ سورة التوبة (١١١) .

الأفق الأعلى، إنهم يعبدون ربهم لذاته جل جلاله، يعبدونه ويقدسونه، ويحترفون وجداً وگراماً وهياماً في جلاله وجماله وعظمته وأنواره لذات الحب لا لشيء سواه .

تقول رابعة العدوية^١ في تساؤل ودهشة، أو لم تكن جنة ولا نار لم يعبد الله أحد؟ ولم يخشه أحد؟ ويقول سفيان الثوري لرابعة: ما حقيقة إيمانك فقالت: ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته فأكون كالأجير السوء عبدته شوقاً إليه. وكل المتصوفة رابعة يقول ابن الفارض :

وَعَنْ مَذْهَبِي فِي الْحُبِّ مَالِي مَذْهَبٌ
وَإِنْ مِلْتُ عَنْهُ يَوْمًا فَارَقْتُ مِلَّتِي
وَلَوْ خَطَرَ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةٌ
عَلَى خَاطِرِي سَهْوًا قَضَيْتُ بِرِدَّتِي^٢ .

ومما لا شك فيه أن هذه العقيدة مخالفة للعقيدة الإسلامية الصحيحة التي دل عليها الكتاب والسنة من أن العبادة مبناهما على الخوف والرجاء، فقد قال سبحانه في وصف صفوة خلقه رسله وأنبيائه : ((إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ))^٣. ويقول سبحانه في وصف عباده المؤمنين: ((تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ))^٤. ويقول سبحانه: ((أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخْفُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا))^٥.

العزلة والخلوة والجوع والسهر :

تعتبر الخلوة والعزلة والجوع والسهر من أهم مقومات السلوك الصوفي، وفي ذلك يقول السهروردي: ((وقد اتفق مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء، قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام والاعتزال عن الناس))^٦، ويقول ذو النون المصري^٧: ((لم أر شيئاً أبعث على الإخلاص من الخلوة، ومن أحب الخلوة فقد تمسك بعمود الإخلاص وركن بركن من أركان الصدق))^٨، ويقول الشبلي لرجل استوصاه: ((الزم الوحدة وامح اسمك من القوم

^١ هي رابعة العدوية البصرية الزاهدة ، أم عمرو رابعة بنت أسماعيل ، ولاؤها للعتكيين ، لها أقوال في الزهد والخوف من الله ، يظهر من بعضها دعوى الطول والاتحاد ، اعتمد عليها الصوفية في قولهم في محبة الله والعبادة من أجل تحصيلها لا خوفاً من النار ولا طمعاً في الجنة ، عاشت ثمانين سنة ، وتوفيت سنة ١٨٠هـ/٧٥٨م . (سير أعلام النبلاء ، الذهبي ج ٨ / ٢٤١ - ٢٤٢) و (وفيات الأعيان ، ابن خلكان ج ٣ / ٢١٥) .

^٢ من أعلام التصوف الإسلامي ، الدكتور طه عبد الباقي سرور ، طبع مطبعة نهضة مصر ومكتبتها بدون تاريخ طبع ، ص ٨٧ .

^٣ سورة الأنبياء (٩٠) .

^٤ سورة السجدة (١٦) .

^٥ سورة الإسراء (٥٧) .

^٦ عوارف المعارف بهامش الإحياء ، محمد بن عبد الكريم السهروردي ، ص ١٣٢ .

^٧ هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المشهور بذي النون المصري ، كان أبوه نوبياً ، وهو أول من تكلم بالمعرفة من الصوفية ، توفي سنة ٢٤٥ هـ ، أنظر لترجمته : ((طبقات الشعرائي الكبرى ج ١ / ٧٠ - ٧٢))

^٨ ...

واستقبل الجدار حتى تموت))^١، ويقرر السهرودي أن القوم اختاروا الوحدة والعزلة لتزكية النفس بقوله: ((وإنما القوم اختاروا الخلوة والوحدة لسلامة الدين وتفقد أحوال النفس وإخلاص العمل لله تعالى))^٢، ويقول: ((وقد تقرر أن الوحدة والعزلة ملاك الأمر ومستمسك أرباب الصدق فمن استمرت أوقاته على ذلك فجميع أوقاته خلوة وهو الأسلم لدينه ومن لم يتيسر له ذلك وكان متبئلي بنفسه أولاً ثم بالأهل والأولاد ثانياً فليجعل لنفسه من ذلك نصيباً))^٣.

وبالنظر إلى ما سبق من أصول فكرية وتعبدية وسلوكية للتصوف يمكن أن يقال أن المرجح - والله أعلم - أن القول بأن التصوف ليس إسلامي النشأة، وإنما وفد على المسلمين من ثقافات وديانات أخرى، والقول السامع، وهو متأثر التصوف الإسلامي بأفكار وفلسفات خارجية، كما سيأتي مزيد لبيان ذلك في المطلب الآتي بعد هذا المطلب.

^١ المصدر السابق نفس الصفحة السابقة.

^٢ المصدر السابق نفس الصفحة السابقة.

المطلب السادس

المؤثرات الخارجية في التصوف

الأصول الفكرية للتصوف :

تباينت آراء العلماء والباحثين حول حقيقة التصوف ومصادره، فمنهم من يرى أن التصوف على الإطلاق أساسه الإسلام، وأن أصوله مستمدة من نصوص القرآن والسنة، وما أدى إليه الاجتهاد في فهمهما، وهذا القول لعلماء التصوف، فيقول الإمام الجنيد رحمه الله تعالى: ((مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة))^١، ويعني به مذهب التصوف . ويقول : ((علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم))^٢ . ويقول أبو الفيض المنوفي^٣ : ((التصوف الإسلامي نبعة من القرآن أولاً وسنة الرسول الله صلى الله عليه وسلم ثانياً والفقهاء في الدين فروعاً وأصولاً ولهم (أي المتصوفة) فوق ذلك قواعد وقوانين صوفية استمدوها من حقائق اليقين وخفي معاني القرآن ومن دقائق السنة علمية وعملية ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله وهذا في الواقع مستمد علم التصوف الإسلامي))^٤ . ويقول الشعراني: ((طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة وأنها مبنية على سلوك الأخلاق الأنبياء والأصفياء))^٥ .

القول الثاني: أن التصوف ليس إسلامي النشأة، وإنما وفد على البيئة الإسلامية مع ما وفد من عادات وأفكار وتقاليد وديانات الأمم والأجناس الأخرى، بعد أن امتزجت واختلطت بعد الفتح الإسلامي.

القول الثالث : إن التصوف إسلامي النشأة إلا أنه امتزجت به ثقافات خارجية انحرفت به عن الجادة^٦.

والمطلع على ما كتب في التصوف مدحاً أو قدحاً ، يظهر له استدلال كل صاحب قول بما يراه أدلة على صحة قوله وصوابه، فالصوفية يقولون أن التصوف معناه : الزهد والإخلاص،

^١ الرسالة القشيرية ، أبو القاسم القشيري ج ١ / ١٠٧ .

^٢ المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

^٣ هو محمود بن علي بن عمر ، ولد بمدينة منوف بمصر، سنة ((١٣١٢ هـ - ١٨٩٢ م))، وكان والده من قضاة الأزهر، فدفع بابنه إلى أحد مشايخ الطرق، فرباه تربية صوفية، و أبو الفيض هو صاحب الطريقة الفيضية في مصر، ومؤسس مجلة ((لواء الإسلام)) ١٩٢٢ م، ثم ((الكلية الصوفية)) ١٩٢٧ م، بالقاهرة، له عدة مؤلفات منها: ((شرح الحكم)) و ((المدخل إلى التصوف الإسلامي)) و ((معالم الطريق إلى الله)) محمود أبو الفيض المنوفي، القاهرة، دار نهضة مصر، بدون تاريخ نشر ورقم طبع ((انظر لترجمته: ((مآثر مولانا أبي الفيض، جمع وتأليف جماعة من رجال الطريقة الفيضية ، عنهم حسن الراعي يوسف ، القاهرة دار نهضة مصر في آخر معالم الطريق ، بدون رقم طبع وتاريخ نشر)) ص ٤٣١ - ٤٤٥ .

^٤ جهمرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ، محمود أبو الفيض المنوفي ، طبع مطبعة المدني ، ومؤسسة الحلبي وشركاء للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ، ج ١ / ١٥٤ .

^٥ الطبقات الكبرى ، عبد الوهاب الشعراني ج ١ / ٤ .

^٦ الصوفية معتقداً ومسلكاً ، الدكتور صابر طعيمة ، طبعة دار عالم الكتب للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ٤٧ - ٤٨ .

وتصفية النفوس وحملها على مكارم الأخلاق، والبعد بها عما يشينها من الرذائل، وهذا موجود على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، وعليه فإن ما جاء به الصوفية ليس بجديد في الدين، فمصدرهم الكتاب والسنة كما في قول الجنيد، والمنوفي، والشعراني .

والذي يبدو أن أصحاب القول الثاني نظروا إلى ما يوجد من مخالقات شرعية في التصوف لا تتفق والشريعة الإسلامية، في مجال الاعتقاد والتعبد والسلوك، مثل عقيدة الحلول ووحدة الوجود، وعقيدة الفيض والعقول العشرة، ومثل ترك الزواج تعبدًا، وترك التكسب ، وترك طلب العلم النافع، وتعذيب النفس بالجوع والسهر والصمت والعزلة عن الناس، وغيرها مما سيأتي ذكره إن شاء الله، وأن هذه المخالقات هي عين ما يوجد في بعض الديانات والفلسفات الموجودة ، والسابقة للإسلام، فالتصوف منهج موجود في كل الديانات السابقة النصرانية واليهودية والبوذية وغيرها من الديانات، وأن ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم من الزهد والإخلاص، لم يكن مشوباً بما هو موجود لدى الصوفية من مخالقات شرعية، ولم تختص طائفة من الصحابة رضي الله عنهم بمنهج يعرف باسم الصوفية ، بل كان الجميع متصفون بالأخلاق الفاضلة ، من الزهد ، والإخلاص، والصدق، والتواضع، وأن أغلب ما عليه الصوفية من فكر لا يمت إلى الشريعة الإسلامية بصلة، وإنما هي جملة من الفلسفات المقتبسة من ديانات وفلسفات مخالفة لما عليه الإسلام من تعاليم في الاعتقاد و العبادة السلوك ، لذا كان حكمهم على التصوف بأنه دخيل على الإسلام .

وأما أصحاب القول الثالث ، فقد نظروا إلى أن ما عليه أوائل الصوفية من زهد وإخلاص يوافق ما عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، مع ما معهم من انحراف يسير في جانب السلوك والعبادة ، ثم تطور هذا الانحراف حتى صار في الجوانب العقيدية والفكرية والسلوكية ، وذلك بتأثر الصوفية بأفكار الديانات والفلسفات الوافدة، إثر الفتح الإسلامي، وبعد ترجمة العلوم التي ساعدت في انتقال الثقافات الأخرى إلى الدين الإسلامي، وفي ذلك يقول أحد الصوفية وهو أبو الفيز المنوفي¹ : ((وإن تعرجت تعاليم التصوف، وتلونت بعض فروعها ألواناً عدّة، واتجهت تلك الفروع اتجاهات مختلفة، بسبب المذاهب الموروثة للداخلين المحدثين في الإسلام، من هنود، و فرس، وإسرائيليين، ومسيحيين؛ لاسيما في عصر الترجمة، الذي شجّع عليه المأمون ومن بعده من العلماء العباسيين؛ فترجم المسلمون كتباً كثيرة من التصوف الهندي، واليوناني، والفارسي؛ وطعمت بعض فروع التصوف الإسلامي الخالص، بما دخل عليها من النزعات الأفلاطونية

الحديثة، أو القديمة، وبعض المذاهب الهندية، والفارسية في التصوف، كنظرية الحلول والاتحاد، والتقمُّص، والتناسخ^١، وما إلى ذلك^٢ .

وقد **تفصيل** **كلام** **القائلين** **بإستمداد** **التصوف** **مصادره** **وأصوله** **من** **ديانات** **وفلسفات**

أخرى على النحو التالي :

أولاً : المصدر النصراني :

وقد استمد التصوف منه في جوانب كثيرة منها ما يلي:

(أ) ما يوجد عند النصارى من الرهبة ، فمن ذلك ما نسبوه إلى المسيح عليه السلام أنه قال

: ((وهكذا لا يقدر أحد منكم أن يكون تلميذاً لي إلا إذا تخطى عن كل شيء له))^٣.

(ب) أورد ول ديورانت عن رهبان النصارى صوراً عن تنافسهم في مجاهدة النفس، فمن ذلك

الامتناع عن أكل الطعام المطبوخ سنوات عديدة ، والامتناع عن النوم أياماً

متوالية ، وتعريض البدن لألوان من التعذيب ، والأمور المخوفة^٤ .

وما يوجد عند الصوفية من صور المجاهدات ، يشبه ما يوجد عند قساوسة النصارى

ورهبانهم . فقد أورد الشبلي^٥ أنه اكتحل بكذا وكذا من الملح حتى يعتاد السهر، ولا يأخذه

النوم^٦ . وجاء في ترجمة أحمد البدوي ، أنه طول ليله ونهاره شاخصاً يبصره إلى السماء ،

وكان يمكث الأربعين يوماً وأكثر ، لا يأكل ولا يشرب ولا ينام^٧ . ونحو ذلك يوجد في

تراجم كثير من زهاد المتصوفة .

^١ التناسخ هو أن تتكرر الأدوار إلى ما لا نهاية ، ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الأول ، والثواب والعقاب في هذه الدار ، لا في دار أخرى لا عمل فيها ، ونشأ أصل التناسخ والحلول من جماعة من الصابئة يقال لهم : الحرثانية . ((الملل والنحل)) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ج ٢ / ٥٥ وقد قالت التناسخية من الكينونة والصيامية : بتناسخ الأرواح في الأجساد ، والانتقال من شخص إلى شخص ((الملل والنحل)) ج ١ / ٢٥٣ . وقال الشهرستاني : ((وما من ملة من الملل إلا وللتناسخ فيها قدم راسخ ، وإنما تختلف طرقهم في تقرير ذلك . فأما تناسخية الهند فأشد اعتقاداً لذلك)) . ((الملل والنحل)) ج ٢ / ١٥٥ .

^٢ جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ، محمود أبو الفيض المنوفي ج ١ / ٢٦٦ .

^٣ الكتاب المقدس ، طبع جمعية الكتاب المقدس لبنان ، المعهد الجديد ، الطبعة الرابعة ١٩٩٣م ، إنجيل لوقا ، الفصل الرابع عشر ، الآية ٣٣ ، ص ١٢٠ .

^٤ قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ترجمة محمد بدران ، طبعسة الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤ م ، ج ١٢ / ١٩٩ - ١٢٣ .

^٥ هو أبو بكر الشبلي ، واسمه دلف يقال ابن جحدر ويقال ابن جعفر ، ويقال اسمه جعفر ابن يونس ، وهو خراساني الأصل ، بغدادى المنشأ والمولد ، وأصله من ((أشروسنة)) ومولده كما قيل - سامرا - صحب الجنيد ، وكان فقيهاً على مذهب الإمام مالك ، عاش ٨٧ سنة ، ومات سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م . أنظر لترجمته : ((وفيات الأعيان ج ٢ / ٢٧٣ - ٢٧٦)) .

^٦ الرسالة القشيرية ص ٢٦ و الطبقات الكبرى ، الشعراني ج ١ / ١٠٤ .

ومن مظاهر الشبه ما جاء عن المسيح عليه السلام أنه قال : ((ففي الناس من ولدتهم أمهاتهم عاجزين عن الزواج ، وفيهم من جعلهم الناس هكذا ، وفيهم من لا يتزوجون من أجل ملكوت السموات والأرض ، فمن قدر أن يقبل فليقبل))^١ ، وجاء في العهد الجديد : ((فحسن للرجل أن لا يمس امرأة))^٢.

^١ الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، إنجيل متى ، الآية رقم ١٢ الفصل التاسع عشر ص ٣٤ .

^٢ الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، رسالة بولس الأولى إلى أهل ((كورنتوس)) ، الفصل السابع الآية رقم ١ ص ٢٥٦ .

ويقابله عند الصوفية ما ورد عن أبي سليمان الداراني أنه قال : ((ثلاثة من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا: من طلب معاشاً، أو تزوج امرأة، أو كتب الحديث))^١.

(ج) وجود بعض الألفاظ النصرانية التي استخدمها الصوفية، مثل لفظي (الناسوت) و(اللاهوت)، فالقول بحلول اللاهوت أي - الخصائص الإلهية - في الناسوت - قالت به النصراني في المسيح عليه السلام، وقال بهذا القول بعض المنتسبين إلى التصوف، كالحلاج وغيره^٢.

(د) القول بالكلمة عند النصراني، والتي هي واسطة بين الله والخلق، فقد اصطنع بعض الصوفية هذا المفهوم في التعبير عما يسمى عندهم ((بالحقيقة المحمدية))، التي يعنون بها أول مخلوق خلقه الله، أو أنه أول تعين للذات الإلهية، ومنه تعينت سائر المخلوقات^٣.

(هـ) ما يوجد في مراجع التصوف من قصص لبعض الصوفية من قصدهم الرهبان، لتلقي المعرفة^٤، وما يوجد في هذه الكتب من تعظيم ما عند النصراني من رهبانيات، واعتزال الخلق في الصوامع وقمم الجبال، طلباً للأنس بالخالق، كما تستشهد هذه الكتب بأقوال ومأثورات منقولة عن المسيح عليه السلام.

٠٠٧٩٢٨

ثانياً : المصدر الهندي :

يعتبر أبو الريحان البيروني^٥ أول من كشف عن الصلة بين التصوف والديانات الهندية، فقد قال بعد أن حكى مذهب ((بانتجل)) : ((وإلى طريق بانتجل ذهب الصوفية في الاشتغال بالحق، فقالوا ما دمت تشير فلست بموحد حتى يستولي الحق على إشارتك بإفنائها عنك، فلا يبقى مشير ولا إشارة، ويوجد في كلامهم ما يدل على القول بالاتحاد، كجواب أحدهم عن الحق : كيف أتحقق من هو ((أنا)) بالأنيية و ((لا أنا)) بالأنيية، إن عدت فبالعودة فرقت، وإن أهملت فبالإهمال حققت، وبالاتحاد ألفت (...)). كما أنه قارن بين ما ذهب صاحب كتاب ((بانتجل))، من بلوغ المرء حالة تغلب فيها القوة النفسية على القوة البدنية، فيمنح القدرة على ثمانية أشياء، هي بعينها ما تدعيه الصوفية في الأولياء، إذا بلغوا مقام المعرفة^٦.

^١ قوت القلوب، أبو طالب المكي ج ١ / ٢٧٤

^٢ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، ج ١ / ٨١ - ٨٢، والفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ص ٢٤٦ - ٢٤٧، و مدخل إلى التصوف الإسلامي، أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، طبع دار الثقافة للنشر القاهرة ١٩٨٣ م، ص ٣٤ - ٣٥.

^٣ إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ج ٣ / ٣٤٣ وطبقات الشعرائي ج ١ / ٩٩، وج ٢ / ١٤٠.

^٤ إحياء علوم الدين ج ١ / ٢٢٦.

^٥ تقدمت ترجمته.

^٦ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، أبو الريحان البيروني ص ٦٢.

وقد برهن على استمداد التصوف أصوله الفكرية من الديانات الهندية كبار المستشرقين المعتين بدراسة التصوف ، فمنهم على سبيل المثال ، نيكلسون^١ إذ يقول : ((ويدل تعريف الصوفية الفناء من الناحية الخلقية بأنه : محو الصفات الذميمة ، والتخلق بكل خلق حميد ، ووصفهم لوسائل قمع الهوى والشهوات ، على وجود أثر الفلسفة البوذية^٢ فيهم مما لا يدع مجالاً للشك ، لأن تعريفهم هذا يتفق تماماً مع تعريف النرفانا^٣ ، أما الفناء في عرف أصحاب وحدة الوجود ، فربما كان اتصالاً بفكرة الفيدانتا^٤ ، وما مثلها من الأفكار الهندية ...))^٥.

وذكر الدكتور علي زيعور بعض نقاط الالتقاء والشبه بين الأفكار الهندية والتصوف ، وأهم هذه النقاط في رأيه ما يلي :

^١ هو رينولد أن نيكلسون ، مستشرق إنجليزي ، نصراني ، تعلم العربية والفارسية في إنجلترا وألمانيا ، وتخصص في اللغات الشرقية وأدبها ، ركز جل اهتمامه بالتصوف ، حتى شغل منصب كبير محاضري التصوف الإسلامي بجامعة كمبردج ، له مؤلفات منها : ((الصوفية في الإسلام)) و ((في التصوف الإسلامي وتاريخه)) مات سنة ١٩٤٥ م . أنظر لترجمته : ((الأعلام ج ٣ / ٣٩)) ،
^٢ البوذية : ديانة منتشرة بين عدد كبير من الشعوب الآسيوية ، وهي مذهبان كبيران : (أ) المذهب الشمالي ، وكتبه المقدسة مكتوبة باللغة السنسكريتية ، وهو سائد في الصين ، واليابان ، والتبت ، ونيبال ، وجاوة ، وسومطرة . (ب) المذهب الجنوبي : وكتبه المقدسة مكتوبة باللغة البالية ، وهو سائد في بورما وسيلان وسيام . ومنشئ هذه الديانة الوثنية اسمه ((بوذا)) أي المستنير ، واسمه الحقيقي ((سدهارثا)) وقيل ((سيزاراسا)) ، ولقب ب((ساكياموني)) ، أي المتبذل من عائلة ساكيا ، ولد بوذا في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد ، وتزوج في التاسعة عشرة من ابنة أحد الأمراء وفي التاسعة والعشرين غادر قصر والده ، وهدر حياة الترف ، ولجأ إلى إحدى الغابات متأملاً متفكراً ، وفي فجر يوم من الأيام بينما كان تحت شجرة ، أشرق عليه نور الحق ، ينبئه أن شقاء الحياة وعناءها وضجرها منبعث من رغبات النفس وأن الإنسان قادر على أن يكون سيد رغباته ، بقوة الثقافة الروحية الداخلية ، ومحبة الآخرين ، وقد أصبحت هذه الشجرة مقدسة — فيما بعد — عند أتباعه ، وحينئذ غادر الغابة ، وأخذ ينشر رسالته ، يتجول في البلاد ، معلماً كل من أقبل عليه ، متتولاً طعامه مما يوجد به عليه الناس ، وكان يدعو إلى (سلوك الممر الأوسط) بين التلذذ والزهد الخالص في الدنيا ، ولهذا الممر ثمانية شعب ، ولهذه الطريقة أربعة أطوار ، يبلغ بعدها الإنسان إلى عدم الرغبة في البقاء المادي ، وهو الهدف الذي يسعى إليه (النرفانا) .
أنظر : ((الفلاسفات الهندية قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والإصلاحية)) الدكتور علي زيعور ، دار الأندلس ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٣ م ، ص ١٧٨ — ٢٩٢ .

^٣ النرفانا مفهوم متعدد المعاني في الفكر الهندي ، حيث تكمن الغبطة الكبرى في انفصال المادة عن النفس ، (والبرهمانية) تراها : قائمة في اتحاد النفس الفردية مع النفس الشاملة الكلية ، أو رجوع الأولى إلى الثانية ، والبوذية ترى أن ذلك الدخول في الغبطة ، أو الراحة دخولاً أديماً مع المحافظة على فردية النفس ، أي دون اتحاد مع (البرهمن) سيد الكائنات المخلوقة ، والدخول في الراحة مفهوم يصعب تحديده ، وهي حالة تفقد فيها النفس وعيها بذاتها وتفقد كل إحساس . ((الفلاسفات الهندية)) الدكتور علي زيعور ص ٢٧٤ وما بعدها .

^٤ الفيدانتا سارا : مدرسة هندية قديمة اشتق اسمها من الفيدا ، والفيدا كتاب أري مقدس مكتوب باللغة السنسكريتية ، ومعنى الفيدا هو : معرفة المجهول عن طريق الدين ، ومعنى الفيدانتا هو تكميل الفيدا ، ويشتمل كتاب ((الفيدا)) على أوراد تعبدية ، وأناشيد دينية ، ورفى سحرية ، ويرجع تاريخ هذه المدرسة إلى القرن الخامس بعد الميلاد ، ويعد مذهبها أكثر المذاهب تصوراً للديانة البرهمية ، وما لبث أن استحلت مذهب هذه المدرسة إلى فلسفة نظرية في وحدة الوجود : بحيث يقرر أن ((براهما)) في كل شيء وكل شيء في ((براهما)) .
أنظر الحياة الروحية في الإسلام)) د . محمد مصطفى حلمي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م ، بدون تاريخ النشر ، ص ٣٥ هامش رقم ١ ، والفلاسفات الهندية ، الدكتور علي زيعور ص ٣٢٩ — ٣٣٣ .

^٥ في التصوف الإسلامي وتاريخه : طائفة من الدراسات التي قام بها رينولد أن نيكولسون ، ترجمة د . أبو العلا عفيفي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ طبع ، ص ٧٥ .

(أ) الصوفي شديد الشبه بما يسميه الهنود ، مرحلة التلميذ ثم البادئ المتميز ((انيفاشين)) ثم ((ادهيكارين)) الصوفي الفاني عن ذاته هو ال((غورو)) كلاهما فقد الشعور بالحس ((البهشكو)) — هنا أيضاً — شكل آخر للصوفي في حالة الوجد .

(ب) المسبحة مأخوذة من الهند ، وأما الخرقة ، والركوة ، والعصا ، فهي أدوات لها نفس الدلالة عند الجانبين .

(ج) (النرفانا) والفناء في الله تعالى مفهومان يتحققان بنفس الطرائق ، ولهما نفس الغاية ، مع نفس الفروقات بين (تات تفام أشي) أنت هو ذلك — وبين ((أنا الحق سبحانه ما اعظم شأنني))^١ ، ثم إن المراقبة والتأمل ، وضرب الإنسان نفسه (تاباس) هي طرائق ومكابدات متماثلة .

(د) مبدأ ال (أهمسا)^٢ انتقل إلى التصوف ، فهذا البسطامي^٣ مثلاً ، يعود مسافات طويلة ليرجع نملة — دخلت زاده تحت شجرة — إلى مكانها الأصلي .

(هـ) التناسخ ، الحلول ، وحدة الوجود ، تشبه ألواناً هندية ، وكذلك الأساطير المحدثة عن قوة الصوفي الخارقة ، نجد لها جذوراً في الهند ، وكذلك حلقة الذكر وما يصاب به ((الوجداوي)) في حالة النشوة أو الانجذاب^٤ .

(و) الأقوال المكتفة ، أو أساليب التعبير الصوفية بجمل قصيرة ومثقلة ، نجد في الهند نظيرها .

(ز) بعض أشكال السحر والشعوذة ، وما يسمى بالطب الروحاني ، وكتابة التعاويذ ، وما إلى ذلك من الطقوس الهندية ، تأصلت في الذات العربية عن طريق بعض المتصوفين بشكل خاص^٥ .

ومن أشار إلى بعض أوجه التشابه بين التصوف والديانات الهندية الدكتور قاسم غني^٦ ، والأستاذ الباحث إحسان إلهي ظهير^٧ رحمه الله تعالى وغيرهما من العلماء والباحثين .

^١ تنسب هذه العبارات إلى أبي يزيد البسطامي ، رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم بهامش جواهر المعاني ، عمر الفتوي ، ج ١ / ٦٤ .

^٢ ((الأهمسا)) معناها مبدأ اللا عنف واحترام كل حي . أنظر الفلسفات الهندية ، زيعور ص ٤٦٢ .

^٣ هو أبو يزيد البسطامي طيفور ابن عيسى بن سروشان ، كان جده مجوسياً فأسلم ، تنسب إلى أبي يزيد أقوال ظاهرها كفر مخرج من الملثة ، نحو قوله : سبحانه سبحانه أنا ربي الأعلى ، وقوله أوفى صفات العارف أن تجرى فيه صفات الحق ، ويجري فيه جنس الربوبية ، وقد كُفّر الحسن بن سالم لأقواله هذه . ((حلية الأولياء)) أحمد بن عبد الله ، أبو نعيم الأصفهاني ، طبع دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ، ج ١٠ / ٢٣ - ٤٠ . ((شذرات الذهب ج ٢ / ١٤٣ - ١٤٤)) ((وفيات الأعيان ج ٢ / ٥٣١)) .

^٤ الجذب عبارة عن جذب الله تعالى عبداً إلى حضرته ، والجذبة عبارة عن تقرب العبد بمقتضى عناية الله — التي أعدت له كل شيء — من جانب الله في لمس المراحل شطر السق ، بلا تعب وسعي منه ، وجذب الأرواح عبارة عن التوفيق والعناية . معجم مصطلحات الصوفية ص ٦٢ .

^٥ الفلسفات الهندية لزيور ص ٩٠ - ٩١ .

^٦ أنظر كتابه تاريخ التصوف في الإسلام ، ترجمه عن الفارسية صادق نشأت ، وراجعه أحمد ناجي القيسي ، و د . محمد مصطفى حلمي ، مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده بدون تاريخ طبع ، ص ٢٢١ - ٢٣٦ .

^٧ أنظر كتابه التصوف المنشأ والمصادر ، إحسان إلهي ظهير ، الناشر إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ص ٥٠ - ٥١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٣ - ١١٩ .

ثانياً : المصدر اليوناني :

أثر التصوف بالفكر اليوناني مما أقرّبه كثير من الكُتّاب و الباحثين ، واعتبروا الكلام في الإلهيات الذي نشأ في التصوف، مأخوذاً من الغنوصية^١، والأفلاطونية المحدثة^٢، فيقرر الدكتور النشار ، أن الغنوص قد سيطر على فلسفة الصوفية ، ودخلت فكرة الثنائية الغنوصية بين الله

^١ الغنوصية : فلسفة دينية متعددة المعاني ويدل اسمها على مبدئها وغايتها فلفظ (غنوسين) اليوناني معناه : معرفة ، ومبدأ هذه الفلسفة : أن العرفان الحق ، ليس بواسطة المعاني المجردة والاستدلال كالفلسفة ، وإنما هو العرفان الحدّي التجريبي الحاصل عن اتحاد المعارف بالمعروف ، فالتوصل إلى المعارف العليا يتم بنوع من الكشف ، أو تلقي هذه المعارف في النفس بلا برهنة عقلية ولا استدلال ، وهي ترجع بأصلها إلى وحي أنزله الله ، وتعد مريديها بكشف الأسرار الإلهية ، وتحقيق النجاة ، وقد قامت الغنوصية بتخطيط عام للوجود، وضعت على قمته الله ، وجوداً معقولاً مفارقاً للمادة ، غير مدرك على الإطلاق ، ومن هذا الوجود صدرت (الأيونات) متتابعة الواحدة بعد الأخرى ، في نسق زوجي ، كل زوج مكون من ذكر وأنثى ، وكلما ابتعدت (الأيونات) عن الوجود الأول ، ازدادت كثافة ، وقلت مفارقتها للمادة ، وأراد أيون من تلك الأيونات^١ أن يطهر نفسه بالغنوص ، فطرد من مكانه فصدرت عنه (أيونات) شريرة مثله . ومن هذه (الأيونات) الشريرة صدر العالم المادي وما فيه من أجسام – وليست النفوس وهي مادة في هذا العالم المادي – الأجسام ، فسجنها هذا (الأيون) الخاطيء وبقيت في الأجسام ، في الإنسان . لكن النفوس البشرية تحاول مرة أخرى الخلاص والصعود إلى عالمها الأول ، وهنا يحدث الصراع العارم في الإنسان بين قوى الخير وقوى الشر ، فمن كانت فيه طبيعة الغنوص عاد إليها ربانياً ، ومن تغلبت عليه طبيعة المادة ، لم يرتفع عن عالمه الأدنى ، ومن تساوت فيه الطبيعتان حدث الصراع ، وقد يتغلب الخير وقد يتغلب الشر . (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام)) الدكتور علي سامي النشار ، ج ١ / ١٨٦ _ ١٨٧ وما بعدها .

^٢ الأفلاطونية المحدثة : هي مذهب قام على أصول أفلاطونية ، وتمثل عناصر من جميع المذاهب ، فلسفية ودينية ، ويونانية وشرقية ، بما في ذلك السحر والتنجيم ، والعرافة إلا أن رجاله حرصوا على الاحتفاظ بالروح اليوناني خالصاً أي بالعقلية التي تنظر إلى الوجود كأنه هندسة ، فتستبعد منه – بقدر المستطاع – الممكن والحادث ، وتخضعه للضرورة ، وبذا يعارضون الديانات جميعاً ، ومنها اليهودية والنصرانية ، مع تأثرهم بها ، ويعارضون أفلاطون نفسه في تصويره الصانع يتدخل بتدخل شخصياً طوعاً لخيريته ، وينظم العالم وفقاً للمثل ، فيتوخى غايات ، ويخلق الزمان ، وقد قالت الأفلوطينية الجديدة : بوجود تأويل القصص الأفلاطونية إلى ما ترمز إليه من المعاني الفلسفية ، وقد عمل أفلوطين على تكوين ((لاهوتاً)) على مذهبه حتى نضج ونمى في القرنين الثاني والثالث للميلاد فكانت هي الأفلوطينية الجديدة ولهذا المذهب رواد منهم : ((تومنيوس)) من أهل القرن الثاني للميلاد ، من أهل سوريا ، و((أفلوطين)) الذي يعد أول شخصية أسست هذا المذهب فعلاً ، و أفلوطين ولد في ((ليغو بوليس)) من أعمال مصر الوسطى ، وفي الثامنة والعشرين من عمره قصد الإسكندرية، ولزم ((أمنيوس)) إحدى عشرة سنة ، ثم أراد أن يقف على الأفكار الفارسية والهندية ، فالتحق بالجيش الروماني المجرد على فارس ، ولكن هذا الجيش بعد أن طرده الفرس من سوريا ، انهزم في العراق فلجأ أفلوطين إلى ((إنطاكية)) ، ثم رحل إلى روما وهو في الأربعين ، وأقام بها حتى وفاته ، لم يشرع في الكتابة إلا بعد الخمسين ، لما ألح عليه تلاميذه ، ورأى هو بعض تلاميذ ((أمنيوس)) قد تحلوا من عهدهم ونشروا آراءهم ، فكان يكتب على عجل رسائل متفاوتة الطول ، وهي صورة لتعليمه الشفهي ، وكان تعليمه شرحاً على نص لأفلاطون ، ، أو لأرسطو أو لواحد من شراحهما ، أو قضية رواقية ، أو على دعوى شكلية ، أو إجابة على سؤال ، أو رداً على سؤال ، أو رداً على اعتراض ، فليست رسائله عرضاً منظماً لمذهبه ، ولكنها سلسلة محاضرات ، لتوضيح نقطة خاصة بالرجوع إلى مذهب أفلاطون ، وبعد وفاته جمع ((فورفوريوس)) الرسائل وكانت أربعاً وخمسين ، وقدم لها بترجمة لحياة أفلوطين ، ووزعها على ستة أقسام ، في كل قسم تسع رسائل ، سميت بالتاسوعات ، الأولى خاصة بالإنسان ، والثانية والثالثة بالعالم المحسوس ، والرابعة بالنفس ، والخامسة بالعقل ، والسادسة بالوجود الدائم ، أو العالم العلوي ، وقد عاش أفلوطين ما بين ٢٠٥ – ٢٧٠ م ، وهو أول شخصية أسست المدرسة الأفلاطونية الحديثة فعلاً. أنظر لترجمته : ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) يوسف كرم ، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ طبع ، ص ٢٨٦ – ٢٩٧ و ((موسوعة الفلسفة)) عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٤ م ج ١ / ١٩٦ – ٢٠٩ ، و ((أبروقلوس)) ، وهو الذي وضع الصورة التنظيمية العليا لهذه الفلسفة ، لأن أفلوطين لم يترك في الواقع نظاماً مذهبياً فلسفياً ، متناسق الأجزاء بل ترك في الغالب آراء حول موضوعات مختلفة ، لم ترتبط بعد ارتباطاً عضوياً واضحاً . أنظر : ((موسوعة الفلسفة)) عبد الرحمن بدوي ، ج ١ / ١٩٠ _ ٢٠٩ . و ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) يوسف كرم ، ص ٢٨٥ – ٣٠١ .

والمادة في عقائدهم ، فأصبح محمد صلى الله عليه وسلم هو أول الصادات عن الله تعالى ،
ومنه صدرت المخلوقات ، وهذه العقيدة تعرف عند الصوفية
بالإنسان الكامل^١ ، أو الحقيقة المحمدية^٢ ، وبمقدور كل إنسان أن يصل إلى تحقيق هذه
المرتبة – الجامعة للكمالات الإلهية – عن طريق الغنوص أي العرفان^٣ .

ثم يقول النشار : ((ومما لا شك فيه أن التصوف الفلسفي في الإسلام ، قد تأثر بالغنوص :
وسقط عدد من مفكري الإسلام ضحية له ..))^٤ .

وذكر عدداً من الشخصيات الغنوصية ، كالحلاج ، والسهورودي^٥ المقتول ، وابن سبعين ،
وابن عربي ، وأن بعض فرق الصوفية الحلوية ((كالطمانية))^٦ كانت نموذجاً لهذا الغنوص^٧ .

وفي بيان أثر الأفلاطونية المحدثة على التصوف يقول الدكتور قاسم غنبي : ((إن
طريق الوصول إلى المبدأ ، أو الحصول على التمتع الأبدي عند الأفلاطونية المحدثة ، هو بتطهير
النفس السفلية ، عن طريق التجرد عن الشهوات الجسمانية ، والميول الحسية ، وممارسة الفضائل
الأربع ، وهي العفة ، والعدل ، والشجاعة ، والحكمة . ثم يقول : ((... هذه نماذج من آراء الفلسفة

^١ الإنسان الكامل ، هو : البرزخ بين الوجود والإمكان ، والمرآة الجامعة بين صفات القدم وأحكامه ، وبين صفات الحدثان ، والواسطة
بين الحق والخلق ، وبه وبمرتبته يصل فيض الحق والمدد – الذي سبب بقاء ما سوى الحق – إلى العالم كله : علواً وسفلاً ، ولولاه من
برزخه التي لاتغير الطرفين : لم يقبل شئ من العالم المدد الإلهي الوجداني لعدم المناسبة ، والارتباط ، ولم يصل إليه . الإنسان الكامل
أريد به النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية الكلية والجزئية ، وهو كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية
، فمن حيث روحه وعقله ، كتاب عقلي مسمى بأم الكتاب ، ومن حيث قلبه ، كتاب اللوح المحفوظ ، ومن حيث نفسه كتاب المحو ،
والإتبات ، فهو الصحف المكرمة ، المرفوعة المطهرة ، التي لا يمسه ، ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون ، من الحجب الظلمانية .
(معجم مصطلحات الصوفية) عبد المنعم الحفني ص ٧٩ .

^٢ الحقيقة المحمدية ، هي : الذات مع التعيين الأول ، فله الأسماء الحسنى كلها ، وهو الاسم الأعظم . ((اصطلاحات الصوفية)) ، تأليف
عبد الرزاق الكاشي ، طبع مجلس إشاعة العلوم ، المدرسة النظامية ، حيدر آباد ، الدكن ، ص ٢٢ . و ((معجم مصطلحات الصوفية))
ص ٧٩ .

^٣ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، الدكتور علي سامي النشار ص ٢١١ – ٢١٢ بتصرف ، و ((في التصوف الإسلامي وتاريخه))
ريينولد أن نيكولسون ص ١٥٩ – ١٦٣ .

^٤ المصدر السابق ص ٢١٢ ، و ((في التصوف الإسلامي وتاريخه)) ص ١٨ .

^٥ هو شهاب الدين أبو الفتوح محي الدين بن حبش بن أميرك السهورودي ، ولد بسهرورد ، سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م ، وقد اتهم بالزندقة
والتعطيل ، وكتب العلماء محضراً بكفره ، وسيره إلى صلاح الدين ، وخوفوه من إفساد عقيدة ولده ، فبعث صلاح الدين إلى ولده بقتله
بلا مراجعة ، فقتله بطلب سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م ، وقيل غير ذلك ، وعرف السهورودي المقتول بفلسفته الأشراقية ، التي بثها
في كتبها : ((التلويحات)) و ((الهياكل)) و ((حكمة الإشراق)) أنظر لترجمته : ((وفيات الأعيان ج ٦ / ٢٦٨ – ٢٧٤))
(شذرات الذهب ج ٤ / ٢٩٠ – ٢٩٢) ((الأعلام ج ٨ / ١٤٠)) .

^٦ الحلمانية من طوائف الحلوية ، وهم منسوبون إلى أبي حلمان الدمشقي ، وأصله من فارس ومنتشأه حلب ، وأظهر بدعته في دمشق ،
كان يقول بحلول الإله في الأشخاص الحسنة ، وكان أصحابه يسجدون إذا رأوا صورة حسنة ، وكان يقول بالإباحية ، وأدعى أن من
عرف الإله على الوجه الذي يعتقدده هو ، زال عنه الحظر والتحريم ، واستباح كل ما يستلذه ويشتهي . ((الفرق بين الفرق ، عبد القاهر
بن طاهر البغدادي ص ٢٤٥)) .

^٧ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ١ / ٢١٢ .

الأفلاطونية الحديثة، التي وفق المسلمون بينها وبين الشرع الإسلامي . ولهذا الغرض حذفوا منها أشياء وزادوا عليها أشياء، وسموها حكمة الإشراف^١ .

((وقد أثر في التصوف والعرفان ذبوع آراء أفلاطون^٢، وظهور الفلسفة الأفلاطونية الحديثة بين المسلمين، فالصوفي الزاهد الذي غض الطرف عن الدنيا وما فيها، بحكم أنها فانية، وتعلق خاطره بما هو خالد، يشعر بلذة الرضا في فلسفة أفلوطين، بل يحصل على منتهى غايته في تلك الآراء .

وموضوع وحدة الوجود في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، أخذ به الصوفية، لأن الذين يؤمنون بهذه العقيدة يرون أن العالم كله مرآة لقدرة الحق تعالى، وكل موجود بمثابة مرآة تتجلى ذات الله فيها، إلا أن المرايا كلها ظاهرة، والوجود المطلق والموجود الحقيقي هو الله، وينبغي على الإنسان أن يسعى حتى يخرق الحجب، ويجعل نفسه محلاً لتجلي الحق الكامل، وبذا يبلغ السعادة الأبدية .

وعلى السالك أن يطير بجناح العشق نحو الله تعالى، ويحرر نفسه من قيد وجوده الذي ليس إلا مظهرًا فحسب، وينمحي في ذات الله، أي في الموجود الحقيقي))^٣ .

ويقول أبو الوفا التفتازاني : ((ونحن لا ننكر الأثر اليوناني على التصوف الإسلامي، فقد وصلت الفلسفة اليونانية عامة، والأفلاطونية المحدثة خاصة، إلى صوفية الإسلام عن طريق الترجمة والنقل، أو الاختلاط مع رهبان النصارى في الرها^٤ وحران^٥ .

وقد خضع المسلمون لسلطان أرسطو^٦، وإن كانوا عرفوا فلسفة أرسطو على أنها

^١ تاريخ التصوف في الإسلام للدكتور قاسم غني ص ١٤٢ .

^٢ أفلاطون فيلسوف يوناني، ولد في أثينا، تتلمذ على سقراط ولزمه، ولما قتل معلمه سقراط غادر أثينا، فقصده ميغادي حيث كان بعض إخوانه قد سبقه، والتفوا حول أفليدس، أكبرهم سنًا، ومكث هناك ثلاث سنين، ثم سافر إلى مصر، وذهب إلى غورينا، لزيارة عالمها الرياضي ((تيودورس)) ومدرسته، ثم عاد إلى مصر، ففضى زمانًا في عين شمس، واتصل بمدرستها الكهنوتية، وأخذ بنصيب من علم الفلك، ثم غادر مصر وأقام ببلده متوافراً على الدرس، ناشراً من المحاورات ما أثار إعجاب الأثينيين، ثم رحل إلى إيطاليا للتعرف على المذهب الفيثاغورسي، ثم استقدمه ملك سراقوسة، واحتفى به ثم اعتقله، وذهب به إلى جزيرة أجيئا، وعرض في سوق الرقيق، فافتداه رجل من قورينا، ثم رجع إلى أثينا، وأنشأ مدرسة على أبواب المدينة، في أبنية تطل على بستان أكاديموس، فسميت لذلك بالأكاديمية، وأنشأ جمعية علمية دينية، كرّسها لإلهات الشعر، وأقام فيها معبداً، وظل يعلم فيها ويكتب أربعين سنة، وأفلاطون هو صاحب نظرية ((المثل))، وله نظريات في الوجود، والطبيعة، والنفس، الإنسانية، والأخلاق، والسياسة، وقد جمع نظرياته الدينية في كتاب الجمهورية، ووضع تصوراً لما سماه بالمدينة الفاضلة، وقد عاش ما بين ٤٢٧ - ٣٤٧ قبل الميلاد . ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) ص ٦٢ - ١١١ . ((وموسوعة الفلسفة)) ج ١ / ١٥٤ - ١٩٠ .

^٣ تاريخ التصوف في الإسلام، قاسم غني، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

^٤ الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام، بينهما ستة فراسخ، سميت باسم الذي استحدثها وهو: ((الرها بن البلندي بن مالك بن دعز)) وقيل بنيت مدينة ((الرها)) في السنة السادسة من موت ((الاسكندر)) بناها الملك ((سلوتس))، انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي ج ٣ / ١٠٦ .

^٥ حران: مدينة عظيمة ومشهورة من جزيرة ((أقور))، وهي ديار مضر، بينها وبين الرها يوم، وهي على طريق الموصل والشام والزوم، وقيل سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام وهو أول من بناها، معجم البلدان ج ٢ / ٢٣٥، وما بعدها .

فلسفة إشراقية ، أن عبد المسيح بن ناعمة الحمصي^٦ ، حينما ترجم الكتاب المعروف ب ((أولوجيا أرسطو طاليس)) ، قدّمه للمسلمين على أنه لأرسطو على حين أنه مقتطفات من تاسوعات أفلوطين وليس من شك في أن فلسفة أفلوطين السكندري ، التي تعتبر أن المعرفة مدركة بالمشاهدة في حال الغيبة عن النفس، وعن العالم المحسوس : كان لها أثرها في التصوف الإسلامي، فيما نجده من كلام متفلسفي الصوفية عن المعرفة . وكذلك كان لنظرية أفلوطين السكندري في الفيض^٧ – وترتب الموجودات عن الواحد الأول – أثرها على الصوفية المتفلسفين ، من أصحاب الوحدة كالسهروردي المقتول ، ومحي الدين بن عربي، وابن الفارض، وعبد الحق بن سبعين، وعبد الكريم الجيلي^٨، وغيرهم . ونلاحظ بعد ذلك أن المتفلسفة من

^٦ أرسطو – أو أرسطو طاليس – فيلسوف يوناني ، وهو واضع علم المنطق ، ولذا لقب بالمعلم الأول ، وصاحب المنطق ، ولد سنة ٣٨٤ قبل الميلاد ، بمدينة ((أسطاغيرا)) وكان والده ((نيقو ماخوس)) من جماعة ((الإسقلايين)) ، وهي نقابة الأطباء في اليونان ، وفي سنة ٣٦٦ قبل الميلاد جاء أرسطو إلى أثينا ، دخل الأكاديمية فدرس على أفلاطون حتى توفي أستاذه ، وكان يشارك في التعليم ، ويؤلف بعض المؤلفات الصغيرة في شكل محاورات ، رحل بعد وفاة أفلاطون إلى ((طراود)) ، عند ((هرمياس)) ، حاكم ((أرتسيوس)) ، وقام بالتدريس فيها عامين ، حتى دعاه ((فيليب المقدوني)) إلى بلاطه في مقدونيا ليكون مربياً لابنه الاسكندر الذي ملك خلفاً لوالده – ، وفي سنة ٣٣٥ قبل الميلاد فارق أرسطو الاسكندر وجاء إلى أثينا في هذه السنة نفسها وفتح مدرسة بالقرب من معبد ((أبولوه)) اللوقيوني ، لهذا سميت هذه المدرسة باسم ((اللوقيون))، ولما توفي الاسكندر الأكبر سنة ٣٢٢ قبل الميلاد ، أصبحت اللوقيون مهددة من جانب الحزب المعادي ، للمقدونيين ، فلجأ إلى مدينة ((خليقيس)) ، وطن أمه وبها توفي سنة ٣٢٢ قبل الميلاد ، أما مؤلفاته فتقسم من حيث الموضوع إلى خمسة أقسام : الكتب المنطقية ، والكتب الطبيعية ، والكتب الميتافيزيقية ، الكتب الأخلاقية ، الكتب الشعرية ، رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج ٩ / ١٣٤ – ١٣٥ وقال : ((... وأما أرسطو وقومه ، كانوا مشركين يعبدون الأصنام)) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ج ٩ / ١٧٥ . أنظر لترجمة أرسطو : ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) ص ١١٢ – ٣٠٩ ، ((موسوعة الفلسفة)) ج ١ / ٩٨ – ١٣٢ .

^٧ هو عبد المسيح بن عبد الله بن ناعمة الحمصي ، ولد بمدينة حمص ، ثم تنقّل بالثقافة الإسلامية ، ولما زاع صيته انخرط في سلك المترجمين ، فنقل إلى اللغة العربية شرح يحي النحوي على الكتب الأربعة الأخيرة من الطبيعة لأرسطو ، وكتاب ((سوفسطيقا)) وإلهيات أرسطو كما أثبتتها ((فرفريروس)) ، أنظر : ((المعرفة عند مفكري المسلمين)) الدكتور محمد غلاب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، دار الجيل للطباعة مصر بدون تاريخ طبع ، ص ١٥٩ وكتاب الفهرست ، ابن النديم أبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بالوراق ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ، ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م ، ص ٣٠٤ ، ٣١١ .

^٨ نظرية الفيض عند أفلوطين تقوم على أن إحداث الأشياء ما هو في الحقيقة إلا انتشار ما في العلة الأولى من القدرة على التعقل والتفكير ، مع بقاء ذاتها على ما كانت عليه من السكون ، والكمال المتعالي عن كل نوع من التغيير والحركة ، فإذا قيل وما الباعث – حينئذ – الذي حمل تلك العلة على إحداث العالم ؟ فقد يكون الجواب : إنها لم تكن محتاجة إلى العالم ، بل كان ذلك لما فيها من الجود ، وإفراط القدرة .

قال أفلوطين – في المقالة الخامسة – : لو لم يكن للعالم وجود : لما وجد في ذات المبدأ فرق . فهو – إذا – غير محتاج إلى العالم مع شدة احتياج العالم إليه ، غير أنه لا يتصور في القدرة إذا بلغت أشدها وأدركت من الكمال غايته ، أن تبقى في نفسها منحازة معطلة ، بل لا تأثير لها ولا فعل ، وهذا هو حال العلة الأولى – يعني الله – فإنها لما لها من الكمال ، لا تبقى معطلة ، بل لا بد أن تفيض قوتها ، فيضان الماء من العين الغزيرة ، وانتشار النور من الشمس ، وما هذه إلا أمثال ، والحقيقة أرفع من ذلك وأفضل ، فإن القوة الإلهية لما لها من كمال العقل ، لا تقف على غاية ، ولا تبلغ إلى حد النهاية . أنظر : ((الوجود الإلهي بين انتصار العقل وتهافت المادة في تاريخ المذاهب الفلسفية)) سانتلانا ، تحقيق ، وتقديم ، وتعليق : الدكتور عصام الدين محمد علي ، ص ١٢٣ – ١١٤ .

^٩ هو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي ، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني ، ولد سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م ، رحل وزار الهند ، وفارس ، والعراق ، ومصر ، واليمن ، أخذ الطريق عن شيوخه شرف الدين إسماعيل الجبرتي ، الذي كان شياً لصوفية اليمن ،

الصوفية ، نتيجة إطلاعهم على الفلسفة اليونانية ، قد اصطنعوا كثيراً من مصطلحات هذه الفلسفة ...))^١ .

وتحت عنوان: ((التأثير اليوناني في التصوف)) يرى عبد الرحمن بدوي، أن الصوفية بدأ تأثرهم بكتاب ((أتولوجيا أرسطو طاليس)) منذ القرن الخامس الهجري ، وبالأخص ظهر تأثرهم بما في أتولوجيا من نظريات الفيض ، كما نجده عند السهروردي المقتول ، وعند ابن عربي .
ويتلو كتاب ((أتولوجيا)) في الأهمية ، الكتب المنسوبة إلى هرمس^٢ ، وما حوته من آراء كان لها تأثير بالغ على الإشرقيين من الصوفية ، ومن النصوص المهمة إلى هرمس ((رسالة في معادلة النفس))^٣ ، وهي مناجيات للنفس ، وتحليل لها ، وتأنيب للنفس الأمانة ، ودعوة لها من أجل التطهير والتقدس ، فمن السهل أن نجد أصداء لها مشابهة في مناجيات صوفية . كما أن هناك فصلاً منحولة لأفلاطون وغيره من الفلاسفة ، معظمها آداب وأقوال ، لها شبه في بعض آرائها مع الأقوال المنسوبة إلى كبار الصوفية ، في كتب طبقات الصوفية المختلفة^٤ .

لعبد الكريم الجيلي مصنفات منها : ((الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر)) و ((مراتب الوجود)) ، توفي سنة ٨٣٢هـ / ١٣٢٩م . ((الأعلام ج ٤ / ٥٠ - ٥١)) ((معجم المؤلفين ج ٥١٥/٥)) .

^١ مدخل إلى التصوف الإسلامي ، د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، دار الثقافة للنشر القاهرة ، ١٩٨٣ م ، ص ٣٩ - ٤٠ .
^٢ هرمس يسمى عند العرب إدريس ، وعند اليونانيين ((أطرسمين)) وعند العبرانيين ((أخوخ)) وعند الفرس ((أبهجل)) أو ((اللهجد)) ومعناه ذو عدل ، وكان هرمس عند الإغريق ، اسماً لعطارد الذي سموه فيما بعد ب ((طوط)) المعروف بإله القمر عند المصريين ، المشهور بعلوم الرياضة ، والفلك ، والحكمة ، وقد لعب هرمس دوراً مهماً في تطوير الفكر الهليني المتأخر ، ونسب إليه عدد من الكتب ، في الحكمة ، والسحر ، والنجوم ، والكيمياء ، وغير ذلك وقد وجد عدد من المؤلفات الهرمسية ، أيام الفتح الإسلامي لمصر والشام ، وقد دخلها شيء من التفكير اليهودي ، سرعان ما اقتبس الكتاب منها ، وأضافوا لهذه الأفكار ، أو نقصوا ، وبعد أن كان هناك هرمس واحد أصبح الهرامسة ثلاثة :

(١) هرمس الأول : وهو المثلث بالنعم ، والحكمة ، والملك ، فإنه كان قبل الطوفان . ومعنى هرمس : لقب كما يقال قيصر ، وكسرى ، وهو أخنوخ أو إدريس ، ويزعمون أنه أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجمية ، وأول من بنى الهياكل ، ومجد الله فيها . وأول من نظر في الطب ، وغيرها من العلوم .

(٢) هرمس الثاني : من أهل بابل الكلدانيين ، وكان بعد الطوفان ، وكان بارعاً في علم الطب ، والفلسفة وعارفاً بطبائع الأعداد ، وكان تلميذاً لفيثاغورس .

(٣) هرمس الثالث : سكن مصر ، وكان بعد الطوفان ، وكان صاحب كتاب ((الحيوانات ذوات السموم)) ، وكان طبيباً فيلسوفاً عالماً بطبائع الأدوية ، القتالة والحيوانات المؤذية ، وكان جوالاً في البلاد ، وكان له تلميذ يعرف باسم ((أسقليبيدس)) وكان مسكنه بأرض الشام ، أنظر : ((إخبار العلماء بأخبار الحكماء)) ص ٢٢٧ - ٢٢٩ لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ، و ((الكامل في التاريخ)) ابن الأثير ج / ٣٤ و ((الملل والنحل)) ص ٤٥ - ٤٨ .

^٢ معادلة النفس المنسوبة لهرمس ، نشرها عبد الرحمن بدوي مع رسائل أخرى بعنوان : الأفلاطونية المحدثة عند العرب)) ، وهذه الرسالة فيها من ص ٥١ - ١١٦ .

^٤ تاريخ التصوف الإسلامي ص ٤١ - ٤٢ بتصرف . والفلسفة الصوفية في الإسلام ، الدكتور عبد القادر محمود ، دار الفكر العربي

المبحث الثاني نشأة الطريقة البرهانية

تمهيد

ظهور الطرق الصوفية:

عرفت الطرق الصوفية قديماً، منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً، مثل الطريقة الجنيدية نسبة إلى الجنيد بن محمد، والطريقة المحاسبية نسبة إلى الحارث المحاسبي، إلا أن ظهورها على أسس ونظم، يرجع إلى منتصف القرن الرابع الهجري، وينقل أن أول صوفي وضع نظام الطرق الصوفية هو الصوفي الإيراني أبو سعيد محمد أحمد المهيمي، المتوفى سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٩م، فقد أقام في بلده نظاماً للدراويش^١، وبنى خاناً بجوار منزله للصوفية، وجعل نظام تسلسل الطريق عن طريق الوراثة، ويبدو أنه من أوائل من كتب في طريقة التربية الصوفية، ثم انتشرت بعد ذلك في القرن الخامس والسادس الهجري الطرق الصوفية، وانتقلت من إيران إلى المشرق العربي، فظهرت الرفاعية^٢، والقادرية^٣ في العراق، والشاذلية^٤ والأحمدية^٥ في مصر، ثم ظهرت بعد ذلك الدسوقية^٦ في مصر أيضاً، ثم تتابع بعد ذلك ظهور الطرق المتفرعة، حتى أصبحت الطرق تعد بالآلاف^٧.

^١ الدرويش كلمة يونانية معناها المكتفي بالقليل. التصوف بين الحق والخلق لمحمد فهد شقفة، طبع الدار السلفية للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، هامش ص ٥٠.

^٢ الرفاعية تنسب إلى أحمد الرفاعي، وهو أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي شيخ الطائفة، مولده سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م على قول الأكثر، كان يسكن ((أم عبيد)) بأرض ((البطائح)) - بين واسط والبصرة -، له مصنفات منها: ((رحيق الكوثر)) و((البرهان المؤيد)) توفي سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م: ((سير أعلام النبلاء ج ٢١ / ٧٧ - ٨٠)) و((فيات الأعيان ج ١ / ١٧١ - ١٧٢)) و((شذرات الذهب ج ٤ / ٢٥)) تنسب إلى عبد القادر الجيلاني، وهو عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني، ولد في جيلان عام ٤٧٠هـ/١٠٧٨م ورحل إلى بغداد سنة ٤٨٧هـ، ودرس الفقه الحنبلي، وسلك التصوف، له العديد من المؤلفات منها ((الغنية لطائفي طريق الحق)) و((فتوح الغيب))، كان عالماً من الأعلام، وصاحب سنة، توفي ببغداد سنة ٥٦١هـ/١١٦٦م: ((سير أعلام النبلاء ج ٢٠ / ٤٣٩ - ٤٥)) و ((الأعلام ج ٤ / ٤٧)) .

^٤ تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي، أنظر ترجمته في هذا البحث ص ٥١ وما بعدها.

^٥ تنسب إلى أحمد البدوي، وهو أحمد بن علي بن إبراهيم البدوي، ولد بمدينة فاس بالمغرب، وانتقل إلى (طنطا) بأرض مصر، وبها توفي سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٩م، وضحيه فيها، تنسب إليه الطريقة الأحمدية، وهي غير الطريقة الأحمدية الإدريسية المنسوبة إلى أحمد بن إدريس من بلاد جيزان، والمتوفى فيها سنة ١٢٥٣هـ/١٨٥٧م أنظر لترجمة أحمد البدوي: ((شذرات الذهب ج ٥ / ٢٣٥ - ٢٤)) و ((الأعلام ج ١ / ١٧٥)) .

^٦ تنسب إلى إبراهيم الدسوقي، أنظر ترجمته في هذا البحث ص ٤٦ وما بعدها.

^٧ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن عبد الخالق، خرج أحاديثه محمد عيد عباسي، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص ٣٤٩.

تعريف بالطريقة الصوفية :

الطريقة هي: ((السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع الطريق ، والترقي في المقامات))^١ ، والطريقة تعني أولاً الانتساب إلى شيخ يزعم لنفسه الترقي في ميادين التصوف، والوصول إلى رتبة الشيخ المربي، ويدّعي لنفسه رتبة من مراتب الأولياء عند الصوفية كالقطب والغوث... الخ .

ويكون له ذكر خاص يدعي كل واحد منهم أنه تلقاه من الغيب ، إما من الله رأساً ، أو نزل منه تعالى مكتوباً ، أو من الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقظة أو مناماً، ولا بد أن يكون الشيخ من أهل الكرامات والمكاشفات ، ويكون له ذكر خاص له فضل خاص^٢ ، وهو من أهم ما يميز الطريقة من غيرها من الطرق ، ويزعم كل واحد منهم أنه تلقاه من الغيب ، ولكل طريقة مشاعر ومراسيم خاصة ، وببعضة وذكر معين يلقن للدخول فيها ، والطرق غالباً ما يتوارثها الأبناء عن الآباء ، ومن أهم ما تقوم عليه الطريقة علاقة المرید بالشيخ ، وما يلزمه من آداب تجاهه، والتي تقوم على الطاعة المطلقة للشيخ ، والتسليم له ظاهراً وباطناً، والاعتقاد بعصمته ، فالمرید لا يترقى في الطريق إلا على يد الشيخ ، وغالب الذين يؤسسون الطرق يصلون نسبهم بالرسول صلى الله عليه وسلم، ويجعلون أنفسهم من آل بيته ، وذلك إنعاماً في جلب المریدين^٣ .

وقد صور الأستاذ محمد قطب^٤ ما آل إليه التصوف في القرنين الأخيرين ، ومدى تعلق الناس بالمشايخ فقال: ((انتشرت في القرنين الأخيرين تلك القولة العجيبة: ((من لا شيخ له فشيخه الشيطان))^٥ وأصبحت الصوفية بالنسبة للعامة، بصورة خاصة — هي مدخلهم إلى الدين، وهي مجال ممارستهم للدين . وحين أصبحت هكذا ، فقد أصبحت مجموعة من الخرافات ، والأوهام ، تتعلق (بالمشايخ) ، الأحياء منهم والأموات ، وصار التدين هو الإيمان بالشيخ ، وبكراماته ، وبأحواله ، وقدرته على استشفاف الغيب ، وقدرته على شفاء المرضى بغير دواء ، وقدرته على فك (السحر) ، واستخراج الشياطين من أرواح من تسلطت عليهم، .. كما أصبح هو التعلق بالأضرحة ، والأولياء ونذر النذور لهم ، والتقرب بالقرابين ، دون عمل بمقتضى الدين ، فقد

^١ التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ص ١٨٣ .

^٢ أنظر على سبيل المثال : العهود الوافية الجلية في كيفية صفة الطريقة الإسماعيلية ، إسماعيل بن عبد الله بدون اسم مطبعة ولا تاريخ نشر ، ص ١٢ _ ١٣ .

^٣ الفكر الصوفي في ضوء القرآن والسنة ، عبد الرحمن عبد الخالق ، ص ٣٥٠ .

^٤ محمد قطب مفكر وكاتب مصري الجنسية، معاصر ، وهو شقيق سيد قطب صاحب كتاب : ((في ظلال القرآن)) درّس في جامعات المملكة العربية السعودية ، له عدة مؤلفات منها : ((واقعا المعاصر)) و ((مذاهب فكرية معاصرة)) وغيرها.

^٥ تنسب هذه المقولة لأبي يزيد البسطامي ، أنظر رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم ، عمر بن سعيد الفوتي بهامش جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني ، علي حرازم بن العربي براءة المغربي الفاسي الطبعة الأخيرة ١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ م ، طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ج ١ / ٩٤ .

أصبح في حس العامة هو الدين، وليس الدين ما أنزله الله في كتابه المنزل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم^١.

وما ذكره الأستاذ محمد قطب هو الواقع في زماننا هذا ، ولا يخفى ما في هذه الممارسات من مخالفات شرعية منافية للعقيدة الإسلامية الصحيحة ، التي جاءت بالتوحيد الخالص ، المتمثل في عبادة الله وحده ، وإفراده بالتوحيد ، وإخلاص العبادة له (محبة وتعظيماً ورجاءً وخوفاً) ، ونفي الشرك عنه سبحانه ، المتمثل في اتخاذ معبود آخر مع الله تعالى ، وسد جميع ذرائع الشرك وأبوابه المفضية إليه ، وقد وردت في ذلك العديد من النصوص الشرعية ، منها على سبيل المثال : قوله سبحانه : ((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ))^٢ ، وقوله : ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا))^٣ . وقوله تعالى : ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ))^٤ . وقوله سبحانه : ((إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ))^٥ . وقوله صلى الله عليه وسلم ((لَنْ يُؤْفِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَّبِعِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا حُرِّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارُ))^٦ وقوله صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ نِدَاءً دَخَلَ النَّارَ))^٧.

دخول الطرق الصوفية السودان :

دخلت الطرق الصوفية السودان في عهد دولة الفونج، وأول طريقة دخلت السودان حسب المصادر التاريخية، هي الطريقة القادرية، على يد تاج الدين البهاري البغدادي القادري الذي قدم في عام (٩٨٥ هـ - ١٥٧٧ م) من بغداد عن طريق الحجاز وقد حضر مع تاجر سوداني اسمه داود عبد الجليل ، ومكث تاج الدين البهاري في السودان سبعة أعوام ، وأعطى خلالها الطريقة لعدد من المريدين ، وتفرعت من طريقته الطريقة السمانية التي أسسها محمد عبد الكريم السمان (١١١٩ - ١١٦٧ هـ / ١٧١٨ - ١٧٥٥ م) الذي من تلاميذه أحمد بن الطيب بن البشير^٨

^١ واقعا المعاصر ، محمد قطب ، الناشر مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م ، ص ٥٥ .

^٢ سورة الإسراء (٢٣) .

^٣ سورة الكهف (١١٠) .

^٤ سورة الذاريات (٥٦) .

^٥ سورة المائدة (٧٢) .

^٦ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب رقم ٦ باب العمل الذي يتبعى به وجه الله حديث رقم ٦٤٢٣ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب ، راجعه قصي محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م ، ج ١١ / ٢٤٦ .

^٧ أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، سورة البقرة في تفسير قوله تعالى ((ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا)) ، طبعة دار الجيل بيروت بدون تاريخ ، المجلد الثاني ، الجزء السادس ص ٢٨ .

^٨ هو أحمد بن الطيب بن البشير ، ولد في قرية أم مرحي بمحافظة الكاملين بولاية الجزيرة ، سنة ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢ م ، أكمل حفظ القرآن الكريم في صغره في قرية أم طلحة من قرى الجزيرة ، سافر إلى المدينة المنورة ، وفيها تلقى الطريقة على يد عبد الكريم بن محمد

(١٥٥ - ١٢٣٩ هـ - ١٧٤٢ - ١٨٢٣ م) والسذي نشر الطريقة في عهد دولة الفونج بين قبائل الحلاوين والكواهلة وبعض اليعقوباب .

أما الطريقة الثانية فهي الطريقة الشاذلية التي تنتسب إلى أبي الحسن الشاذلي (٥٩٣ - ٦٥٦ هـ / ١١٩٦ - ١٢٥٨ م) وقد انتشرت طريقته بالمغرب، ثم دخلت السودان على الشيخ خوجلي بن عبد الرحمن المحسي ، ثم تحولت من بعده إلى حمد بن محمد المجذوب (١١٠٤ - ١١٨٩ هـ / ١٦٩٣ - ١٧٧٦ م) الذي أسس فرعاً للطريقة بالدامر، وسميت طريقته بالمجازيب ، كما عرف السودان طرقاً آخر منها الختمية والتيجانية والبرهانية وغيرها من الطرق^١ .

وقد سيطرت الطرق الصوفية على المجتمع السوداني بطقوسها وأورادها ، وطرقها في العبادة والذكر والسلوك، وشعائهم والتي منها أحياء المناسبات، كالموالد والحواليات بما فيها من بدع ومنكرات، حتى جاءت الثورة المهدية في (١٢٩٩ هـ / مارس ١٨٨٣ م) فحظرت الطرق الصوفية ومنعت نشاطها الديني، وبزوال دولة المهدية في (١٣١٥ هـ / سبتمبر ١٨٩٩ م) ومجيء الحكم الثنائي، عادت الطرق مرة أخرى وسيطرت على المجتمع^٢ ونسبة لعدم وجود الفقهاء العاملين على نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة على أساس سليم ، ولانعدام المرتكز الفكري والثقافي ، انتقلت التعاليم الإسلامية بكل ما فيها من شعوذة وعادات وثنية فامتصتها الطرق الصوفية المحلية دون تمحيص^٣ .

وقد تضافرت عدة عوامل ساعدت على انتشار الطرق الصوفية في السودان منها ما يلي:

(١) انتشار التصوف انتشاراً واسعاً مما جعله نهياً مشاعاً لكثير من الجهلة وطلاب الدنيا الذين جعلوا يسيغون الكرامات ، وخوارق العادات على مشايخ الطرق ويتخذونهم عوناً لهم ضد قسوة الحياة وظلم الولاة^٤ .

(٢) إعتناق السلاطين والكبراء (زعماء القبائل) للفكر الصوفي^٥ .

السمان ، وأدخلها في السودان في مدينة سنار في آخر سلطنة الفونج ، وطريقته تعرف بالطريقة السمانية ، توفي سنة ١٢٣٩ هـ / ١٨٢٣ م ودفن في سفح جبل أم مرعي . انظر لترجمته : (أزاهير الرياض ، الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم)^١ .

^١ مقدمة كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان ، محمد النور بن ضيف الله ، حققه وعلق عليه وقدم له الدكتور يوسف فضل حسن ، طبع دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم ، الطبعة الرابعة ١٩٩٢ م ، ص ٨ . وطائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها ، الدكتور أحمد محمد علي ، طبع دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ص ١٠ .

^٢ بحوث في تاريخ السودان ، الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم، طبعة دار الجيل بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ص ١٠٥ - ١٠٦ . وطائفة الختمية ص ١٢ .

^٣ الطبقات، ابن ضيف الله ص ٧ - ٨ . ومقدمة تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ١٤٥٠ - ١٨٢١ م الدكتور يوسف فضل ، طبع ونشر الدار السودانية للكتب ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، ص ١٣٠ .

^٤ مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) إستخدام بعض الوسائل – بغض النظر عن شرعيتها أو عدم شرعيتها _ في نشر التصوف ، والتي تميل إليها النفوس كاستخدام الترانيم والمدائح والطبول في الأذكار^١ .

(٤) التقديس الذي يتمتع به مشايخ الطرق، حيث يعتقد المريدون أن اللعنة تلاحق كل من يخالف، وأن في مقدور الشيخ لما يتمتع به من بركة أن يساعد المرید في دنياه وآخرته، ومثل هذا الفهم قاد إلى تأييد طقوس الأولياء والطرق الصوفية^٢ .

(٥) إضفاء بعض خوارق الأعمال على المشايخ كإحياء الموتى ، وإبراء المرضى والتحدث عن المغيبات^٣ .

الدعم المادي الذي يتلقاه المشايخ من الحكام ، والنذور والهدايا المقدمة من المريدين^٤ .

^١ مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية ص ١٣٣ ، وطائفة الختمية ص ١١ .

^٢ مقدمة كتاب الطبقات ابن ضيف الله ص ٧ ، ٨ ، ومقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية ص ١٣٣ .

^٣ كتاب الطبقات ص ١١ ، ١٠٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

^٤ كتاب الطبقات ص ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ومقدمة في تاريخ الممالك ص ١٣٤ .

المبحث الثاني نشأة الطريقة البرهمانية المطلب الأول

ظهور الطريقة البرهانية ومؤسسها :

تتفق أغلب المراجع على أن الطرق الصوفية تنتسب في مجموعها إلى أربع طرق أساسية هي القادرية (نسبة إلى عبد القادر الجيلاني ت سنة ٥٦١هـ/١١٦٦م) والرفاعية (نسبة إلى أحمد الرفاعي ت سنة ٥٨٠هـ/١١٨٢م) والأحمدية (نسبة إلى أحمد البدوي ت سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م) والبرهامية أو الدسوقية (نسبة إلى إبراهيم الدسوقي ت سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) وأن أغلب الطرق تنفرع عنها ويضيف إليها البعض الطريقة الشاذلية (نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي ت سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) (١).

وقد ظهرت الطريقة البرهامية على يد مؤسسها إبراهيم الدسوقي الذي تنسك وسلك السلوك الصوفي في مجاهدة النفس، والذي يقال أنه أخذ الطريق الصوفي في صغره على يد الشيخ أبي الحسن الشاذلي، على خلاف في ذلك حيث يرى البعض أنه لم يأخذ منه، وأنه لا علاقة بينهما، ويذهب القائلون بأنه أخذها منه إلى أن والده إبراهيم الدسوقي هي تسمى فاطمة الشاذلية وهي أخت أبي الحسن الشاذلي، وقد ذهبت بابنها إبراهيم إلى خاله أبي الحسن الشاذلي، وذلك بعد عام من مولده، فبات معه ليلة واحدة فأطلعه على كل العلوم، وسلكه في الطريقة ثم رده إلى أمه، فعرفت طريقته فيما بعد بالبرهامية الدسوقية الشاذلية، فبرهامية نسبة إلى إبراهيم، ودسوقية نسبة إلى موطنه دسوق، وشاذلية نسبة إلى خاله أبي الحسن الشاذلي الذي أخذ عليه الطريقة، وأما الذين ذهبوا إلى أن إبراهيم الدسوقي لم يأخذ الطريقة من أبي الحسن الشاذلي، وأن طريقته مستقلة، فهم يقولون بأن والده إبراهيم الدسوقي هي فاطمة بنت أبي الفتح الواسطي، وليست فاطمة الشاذلية^٢، كما أن التاريخ والمكان لا يؤيدان أخذ إبراهيم الدسوقي من أبي الحسن الشاذلي فقد ولد الأخير سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م بمرسية بالمغرب الأقصى، وقدم الإسكندرية واستوطن بها سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م، وتوفي بصحراء عيذاب بصعيد مصر سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وأما إبراهيم الدسوقي فمولود

(١) الطرق الصوفية بين الساسة والسياسة في مصر المعاصرة دراسة تاريخية وثائقية ١٩٠٣ - ١٩٨٣ م، للدكتور زكريا سليمان بيومي

الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م، رابطة الجامعات الإسلامية، بدون تاريخ طبع، ص ١٤٣.

^٢ السيد إبراهيم الدسوقي، أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة التعريف بالإسلام، يشرف على إصدارها محمود توفيق عويضة، بدون تاريخ نشر أو رقم طبع، ص ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥.

بدسوق بجمهورية مصر العربية سنة ٦٥٣هـ في رواية وفي أخرى أنه ولد سنة ٥٣٣هـ/١٢٥٥م وفي أخرى ٦٣٥هـ/١٢٣٧م^(١) .

ويمكن أن يُستدل لأصحاب هذا الرأي بما أورده مخالفوهم في سيرة شيخهم إبراهيم الدسوقي بأنه: ((على الرغم من غزارة علمه لا توجد رواية واحدة تدل على أنه سلك الطريق على يد شيخ للتربية ولازمه حتى وصل على يديه وأذن بتربية المريدين ولو كان والده رضي الله عنه ولو حدث ذلك لاشتهر واستفاض نسب القطب لأستاذ معين بل لأعلن هو في مجالسه العلمية وما أكثرها كما لم يروا أنه سافر في رحلات علمية للتربية ومما قاله في ذلك شعراً :

لَيْسَ لِي شَيْخٌ وَلَا لِي قُدْوَةٌ غَيْرَ طَهَ مَنْ أَنَانِي أَوْلَا^(٢)

والجميع متفقون على أن طريقة إبراهيم الدسوقي لم تنتشر في حياته، وقد خلفه في الطريقة أخوه شرف الدين موسى أبو العمران الذي عاش متنقلاً ما بين دسوق والنغر بالإسكندرية مجتهداً في نشر العلم وتربية المريدين حتى أدرسته الوفاة بالإسكندرية سنة سبعمائة وتسع وثلاثون للهجرة. ثم استخلف شرف الدين موسى أبو العمران من بعده ولده لصلبه شمس الدين محمد الذي استخلف ابنه جمال الدين محمد الذي استخلف ابنه جمال الدين عبد الله الذي استخلف عبد الله شمس الدين محمد بن الشيخ ناصر الدين محمد بن محمد بن أيوب بن أبي المجد^(٣) .

وممن اشتهر بأنه وزير لإبراهيم الدسوقي وإن لم يجتمع به ممن هو في مقام أخيه موسى أبي العمران أحمد عربي الشرنوبى، وشرنوب قرية بأرض البحيرة من أعمال مصر ، وقد أخذ الطريقة عن محمد العنتريس الذي أخذ عن جلال الدين السيوطي عن محمد بن عبد السلام الشاذلي ، وعبد السلام ومحمد العنتريس أخذاً عن محمد بن موسى بن أبي العمران ، وهو وأبوه ومرزوق الكفافي أخذوا عن إبراهيم الدسوقي .

وقد أخذ عن أحمد عربي الشرنوبى جملة من الناس، منهم سليمان بن صالح الدمنهوري وإبراهيم اللقاني صاحب الجوهرة وعلى المنير اللقاني وشهاب الدين الدمياطي وأبو البركات الحساوي وإبراهيم الشربخيتي وحجازي السكندري وغيرهم.

وسلك أحمد عربي الشرنوبى الطريقة الشاذلية عن الشيخ عبد الرحمن التاجوري، والشيخ عبد السلام بن عبد الرحمن المغربي وعلي السكري وعلى المنقي الهندي بمكة المشرفة وعبد الرحيم البيروتي وأبو الحسن البكري وسليمان الحضييري وإبراهيم الذاكر وغيرهم^(٤) .

(١) المصدر السابق ص ٢٩٩ ، وقيس من نور محمد عثمان عبده البرهاني، من منشورات مكتبة الدار الرئيسية للطريقة البرهانية بالخرطوم بدون تاريخ نشر ص ٢٠٥ . وضمن مکتوب في ترجمة إبراهيم الدسوقي صادر من لجنة الدعوة والإرشاد بالطريقة البرهانية . ومقابلة شخصية مسجلة مع المريد محمد حامد حسنين بمنزله بالخرطوم الصحافة شرق بتاريخ ١٤/٤/١٤٢٢ هـ الموافق ٢٠٠١/٧/٤ م .

(٢) مجلة البرهان الدولية، تصدر عن اللجنة العليا للإعلام بالطريقة البرهانية العدد الأول محرم ١٤٢٢ هـ _ أبريل ٢٠٠١م، ص ٢٦

(٣) الجوهرة المضئية ، إبراهيم القرشي الدسوقي، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه إبراهيم الرفاعي ، مكتبة الرفاعي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ _ ١٩٩٨م ، ص ٢٧٣ - ٢٧٨ .

مؤسس الطريقة مولده ونشأته :

هو إبراهيم بن أبي المجد بن محمد بن أبي النجاء بن زين العابدين بن عبد الخالق بن محمد بن أبي الطيب بن عبد الله الكاتم بن عبد الخالق بن أبي القاسم بن جعفر الزكي بن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي^(١) .

مولده :

ولد إبراهيم بن أبي المجد بدسوق وهي مدينة بمحافظة كفر الشيخ بالوجه البحري من جمهورية مصر العربية في أول يوم من شهر رمضان من سنة ٦٥٣هـ وقيل سنة ٦٣٣هـ . نشأ وترى في أحضان والده عبد العزيز المكنى بأبي المجد الذي اعتنى به فأدخله في صغره الكتاب (الخلوة) لحفظ القرآن الكريم .

ويعتقد أتباعه فيه تحقق ولايته لله عز وجل، ويحكون عنه الكثير من الكرامات التي يعتبرونها من أدلة ولايته فمنها على سبيل المثال :صيامه في المهد وهو رضيع في أول يوم من أيام ولادته ، وأخذه للطريقة من خاله أبي الحسن الشاذلي وعمره عام واحد ، ودخوله الكتاب (خلوة تحفيظ القرآن) وهو ابن ثلاث سنوات وعلمه لمعاني الحروف وهو في نفس العمر ، إلى غير ذلك مما يحكى عنه^٢ .

درس الفقه على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ، وتصوف وكثر مرديه وأتباعه^٤ .

وفاته :

توفي إبراهيم الدسوقي سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م ° .

حكيمه ووصاياه :

له العديد من الحكم والوصايا لمريديه وأتباعه في بيان ما اشتمل عليه طريق القوم من المزايا التي اختص الله سبحانه بها مشايخ وسالكي طريق التصوف، منها قوله : ((رأس مال المرید المحبة والتسليم وإلقاء عصا المعاندة والمخالفة والسكون تحت مراد شيخه وأمره))^١ وكان يقول : ((فيض

(١) الأربعة أهل السلسلة، وهو كتاب من منشورات الطريقة البرهانية بدون اسم مؤلف ولا اسم مطبعة أو تاريخ نشر ، ص ٥

(٢) الجوهرة المضيئة ، إبراهيم الدسوقي القرشي ، ص ٥ . وكتاب انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان، محمد عثمان عبد البرهاني بدون اسم مطبعة أو تاريخ نشر، ص ١٨٩ ، وكتاب جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ، محمود أبو الفيض المنوفي، ج ٢ / ٢٣٨ .

٢ السيد إبراهيم الدسوقي، أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، ص ١٨، وفتيس من نور، محمد عثمان عبده البرهاني ، ص ٢٠٥ ، و أجوبة مكتوبة صادرة من لجنة الدعوة والإرشاد بالطريقة البرهانية عن حياة إبراهيم الدسوقي .

٤ جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ، أبو الفيض المنوفي ج ٢ / ٢٣٨ . وانتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ص ١٨٩

٥ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده البرهاني ، ص ١٨٩ .

٦ جمهرة الأولياء أبو الفيض المنوفي ج ٢ / ٢٤٠ ، وانتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان محمد عثمان عبده ، ص

الربوبية إذا فاض أغنى عن الاجتهاد ، فإن صاحب الجهد قاصر ما لم يقرأ في لوح المعاني سر عطاء القسائر ، فقد يعطي المولى من يكون قاصراً ما لم يعط أصحاب المحابر ، وليس مطلوب القوم إلا هو ، فإذا حصلوا على معرفته عرفوا بتعريفه كل شئ من غير تعب ولا نصب ، ثم إذا صحت لهم المعرفة فلا حجاب له بعد ذلك إلا أن خذل نسال الله السلامة^١ ويقول : ((إذا كمل العارف في مقام العرفان أورثه الله علماً بلا واسطة وأخذ العلوم في ألواح المعاني ففهم رموزها وعرف كنوزها وفك طلسماتها وعلم اسمها ورسمها وأطلع الله على العلوم المودعة في النقط . ولولا خوف الإنكار لنطقوا بما يبهر العقول ، وكذلك لهم من إشارات العبادات عبارات معجزة ، وألسن مختلفة وكذلك لهم في معاني الحروف القطع والوصل والهمز والشكل والنصب والرفع ما لا يحصر ولا يطلع عليه إلا هُم ، وكذلك لهم الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء وما في البر والبحر وما هو مكتوب على قبة خيمة السماء وما في جباه الإنس والجان مما يقع لهم في الدنيا والآخرة ، ولا عجب من حكيم يتلقى علماً من حكيم عليم فإن مواهب السر لله قد ظهر بعضها في قصة موسى والخضر عليهما السلام^٢ . وكان يقول : ((اعلم يا ولدي إن ألسن القوم إذا دخلوا الحضرات مختلفة وفي إشاراتهم وكلماتهم ما يفهم ومنها ما لا يفهم . وكذلك من أحوالهم ما يعبر عنه ومنها ما لا يعبر عنه ، وكذلك في أسرارهم ما لا يصل إليه مؤول ولا معبر ولا مطلع ولا مفسر لأن أسرارهم موضع سر الله تعالى ، وقد عجز القوم عن معرفة أسرار الله تعالى في أنفسهم فكيف في غيرهم فيجب التسليم لله في أمر القوم وحسن الظن بهم))^٣ . وله قصائد اشتملت على إيمانه بوحدة الوجود فمنها على سبيل المثال ما يلي :

تَجَلَّى لِي الْمَحْبُوبُ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ	فَشَاهَدْتُهُ فِي كُلِّ مَعْنَى وَصُورَةٍ
وَمَا شَهِدْتُ عَيْنِي سِوَى عَيْنِ ذَاتِهَا	وَإِنْ سِوَاهَا لَا يَلِمُ بِفِكْرَتِي
بِذَاتِي تَقُومُ الذَّاتُ فِي كُلِّ ذَرْوَةٍ	أَجْدَدُ فِيهَا حُلَّةٌ بَعْدَ حُلَّةٍ
فَلَيْلَى وَهِنْدُ وَالرَّبَابُ وَزَيْنَبُ	وَعَلَوَى وَسَلْمَى بَعْدَهَا وَبَيْتِيَّةُ
عِبَارَاتِ أَسْمَاءٍ بَغَيْرِ حَقِيقَةٍ	وَمَا لَوْحُوا بِالْقَصْدِ إِلَّا لُصُورَتِي
أَنَا الْوَاحِدُ الْفَرْدُ الْكَبِيرُ بِذَاتِهِ	أَنَا الْوَاصِفُ الْمَوْصُوفُ بِالْعَهْدِيَّةِ ^٤

^١ جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ، أبو الفيض المنوفي ج ٢ / ٢٤١ ، وانتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ١٧٠ . والجوهرة المضيئة ، إبراهيم الدسوقي (بالفاظ قريبة من الألفاظ المذكورة) ص ٢٠٢ .

^٢ جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ج ٢ / ٢٤٢ ، وانتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ص ١٥٧ - ١٥٨ . والجوهرة المضيئة ص ١٠٦ - ١٠٧ (بالفاظ قريبة من الألفاظ المذكورة) .

^٣ جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ، أبو الفيض المنوفي ج ٢ / ٢٤٢ وانتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ١٥٩ . والجوهرة المضيئة ، إبراهيم الدسوقي ص ١١٦ (بالفاظ قريبة من الألفاظ المذكورة) .

^٤ الجوهرة المضيئة ، إبراهيم الدسوقي ص ٣٨٨ - ٣٨٩ .

ويقول : ((أنا في السماء شاهدت ربي وعلى الكرسي خاطبته أنا بيدي أبواب النار غلقتها ، وبيدي جنة الفردوس فتحتها من زارني أسكنته جنة الفردوس))¹ .

وتعليقاً على ما سبق من أقوال ووصايا فإنه يقال :

لا يخفي فيما ذكر من مخالفات شرعية تمس جوهر العقيدة الإسلامية، والتي منها دعوى علم الغيب الذي اختص الله تبارك وتعالى به، ودعوى الربوبية ، واعتقاد عقيدة وحدة الوجود الباطلة ، التي لا تفرق بين المخلوق والخالق ، فالوجود كله رب واحد مألوه، وأما الموجودات فما هي إلا مظاهر لذاته، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

¹ الجوهرة المضينة ، إبراهيم الدسوقي ص ٣٧٧ ، وانتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان، محمد عثمان عبده ص ١٨٨ .

المطلب الثاني

التعريف ببعض مشايخ الطريقة البرهانية

أبو الحسن الشاذلي:

يعتبر البرهانية أن أبا الحسن الشاذلي من مشايخ طريقتهم ، وأنه شيخ مؤسس الطريقة إبراهيم الدسوقي، وأن طريقتهم ممزوجة بالطريقة الشاذلية ، وفيما يلي تعريف به ، نسبه ومولده ونشأته.

نسبه :

هو أبو الحسن الشاذلي الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار بن تيم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن وزد بن أبي بطلال، علي بن أحمد بن محمد بن عيسى بن إدريس بن عمر بن إدريس ، المبايع له ببلاد المغرب بن عبد الله بن الحسن المثنى بن سيد شباب أهل الجنة أبي علي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال بن عياد : ((وهذا هو النسب الصحيح لسيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه))^١

وأما نسبه على ما ذكره ابن عطاء الله السكندري فهو : ((أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن وزد بن بطلال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه))^٢.

مولده ونشأته :

ولد أبو الحسن الشاذلي سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م بقرية عمارة قرب مرسية بالمغرب الأقصى ، وسكن شاذلة بشمال أفريقيا وإليها نسب ، وبها نشأ واشتغل بالعلوم الشرعية ، ثم تصوف ، وساح ورحل تونس ، وقدم إلى مصر واستوطن الإسكندرية سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م ودرّس بها واشتهر من تلاميذه أبو العباس المرسي المتوفى سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م ، ثم توجه أبو الحسن إلى المشرق وحجّ عدة مرات ودخل العراق^٣.

مشايخه :

لبس خرقة التصوف على يد الشيخ محمد بن الشيخ أبي الحسن بن علي المعروف بابن حرازم ، ومن الشيخ عبد السلام بن بشيش وهو من أجل مشايخه وإليه كان ينتسب إذا سئل عن شيخه ، ومقامه بالمغرب كالشافعي بمصر ، وممن صحبه من المشايخ نجم الدين الأصفهاني ، واجتمع بالعراق بأبي الفتح الواسطي ، وقال عنه ما رأيت بالعراق مثله^٤.

^١ المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، أحمد بن محمد بن عياد الشافعي الطبعة الثانية ١٤١٦هـ _ ١٩٩٥ م ، الناشر مكتبة القاهرة لصاحبها

على يوسف سليمان ص ١٢ . والأربعة أهل السلسلة ص ١٦

^٢ الأربعة أهل السلسلة ص ١٦ .

^٣ المصدر السابق ص ١٩ والمفاخر العلية في مآثر الشاذلية، أحمد بن محمد بن عياد الشافعي ص ١٥ .

^٤ الأربعة أهل السلسلة ص ١٩ ، والمفاخر العلية في مآثر الشاذلية ص ١٥ .

من أقواله ووصاياه :

له الكثير من الأقوال والوصايا منها قوله: ((إذا أردت الوصول إلى الطريق التي لا لوم فيها فليكن الفرق في لسانك موجوداً والجمع في شرك مشهوداً))^١. ويقول : ((إنا لننظر إلى الله تعالى بنور الإيمان والإيقان فأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان وصرنا نستدل به تعالى على الخلق فهل في الوجود شيء سوى الملك المعبود الحق))^٢. ويقول : ((أوصاني أستاذي (يعني عبد السلام بن بشيش) فقال : (.. وامحق الكل بوصفه الظاهر والباطن كان الله ولا شيء معه))^٣. ويقول : ((ذهب العمى وجاء البصر بمعنى فانظر إلى الله تعالى فإن تنظر ففيه أو تسمع فمعه وإن تنطق فعنه وإن تكن فعنده وإن لم تكن لا شيء غيره))^٤ ويقول : ((أبي المحققون أن يشهدوا غير الله تعالى لما حققهم به من شهود القويمية وإحاطة الديمومية))^٥. ويقول : ((من الأولياء من يسكر عند شهود الكأس ولم يذوق بعد شيئاً. فما ظنك بعد رزق الشراب وبعد الري واعلم أن الري لمن يفهم المراد به فإنه مزج الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق والأنوار بالأنوار والأسماء بالأسماء والنعوت بالنعوت و الأفعال بالأفعال))^٦. ويقول : ((لا تختار من الأمر شيئاً واختار أن لا تختار وفر من فعلك المختار فرارك من كل شيء إلى الله تعالى (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)^٧ وكل مختارات الشرع وترتيباته فهي مختار الله ليس لك منه شيء ولا تبركك منه واسمع وأطع وهذا وضع الفقه الرباني والعلم الإلهي))^٨. ويقول : ((الأولياء يغنون عن كل شيء بالله تعالى وليس لهم معه تدبير ولا اختيار والعلماء يدبرون ويختارون وينظرون [ويقتسبون]^٩)).^{١٠}

ولا يخفى ما في هذه الأقوال من مخالفات شرعية منها اعتقاد وحدة الوجود الباطلة وعقيدة القول بالجبر، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن نقل عبارة أبي الحسن الشاذلي السابقة : ((يكون الجمع في قلبك مشهوداً والفرق على لسانك موجوداً)) : ((ولهذا يوجد في كلامه (يعني الشاذلي) وكلام غيره أقوال وأدعية وأحزاب تستلزم تعطيل الأمر والنهي، مثل أن يدعو أن يعطيه الله إذا عصاه أعظم مما يعطيه إذا أطاعه ونحو هذا مما يوجب أنه يجوز عنده أن يجعل الذين

^١ الأربعة أهل السلسلة ص ٣٩ .

^٢ المصدر السابق ص ٤١ .

^٣ المصدر السابق ص ٥٩ .

^٤ المصدر السابق ص ٤١ .

^٥ المصدر السابق ص ٤٣ .

^٦ المصدر السابق ص ٤٠ .

^٧ سورة القصص (٦٨) .

^٨ الأربعة أهل السلسلة ص ٤٣ _ ٤٤ .

^٩ هكذا اللفظ ولعل الصواب يقتبسون فهو أصح ويدل عليه سياق الكلام .

^{١٠} المصدر السابق ص ٤٣ .

اجترحوا السيئات كالذين آمنوا و عملوا الصالحات ، بل أفضل منهم ، ويدعون بأدعية فيها اعتداء
كما يوجد في جواب الشاذلي))^١.

مؤلفاته :

ليس له مؤلف مفرد ولكن له عدة أوراد وأحزاب نقلت عنه من بعده منها الحزب الكبير الذي يقول
في فضله أنه : ((ما كتب منه حرفاً إلا بإذن من الله ورسوله ، وهو ورد بعد الصحيح ولا يتكلم
حال تلاوته ، وله سر عظيم في كل شئ لا يعلمه إلا الله))^٢. وقال عنه : ((من قرأ حزبنا فله ما لنا
وعليه ما علينا))^٣. وله من الأحزاب :حزب البحر ، وحزب النصر، وهذه الأحزاب الثلاثة من
أحزاب الطريقة البرهانية.

وفاته :

توفي أبو الحسن الشاذلي بصعيد مصر بصحراء عيذاب وذلك في سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨^٤.

محمد عثمان عبده البرهاني :

يعتبر محمد عثمان عبده المؤسس الثاني للطريقة ، وعلى عهده انتشرت الطريقة في كثير من
أقطار العالم الإسلامي^٥.

نسبه :

هو السيد محمد بن السيد عثمان بن السيدة آسيا بنت السيدة كلثومة بنت السيدة تكة بنت السيد
موسى بن السيد عالم بن السيد خضر بن السيد علي بن السيد نصر الله بن السيد موسى بن السيد
عيسى بن السيد شريف بن السيد يوسف بن السيد عرك الدين بن السيد نصر الدين بن السيد سراج
الدين بن السيد عون بن السيد هوبر بن السيد حسين بن السيد نصر الدين بن السيد قيس بن السيد
نافع بن السيد قاسم بن السيد عمر بن السيد عمران بن السيد نور الدين بن السيد مفرح بن السيد
الحسين بن السيد إبراهيم بن السيد محمد بن السيد أبو بكر بن السيد إسماعيل (ساكن فاس) بن
السيد عمر بن السيد علي بن السيد عثمان بن السيد حسين بن السيد محمد بن السيد موسى بن السيد
يحيى بن السيد عيسى بن السيد الإمام حسن الخالص الملقب بالحسن العسكري بن السيد الإمام علي
الهادي بن السيد الإمام محمد الجواد بن السيد الإمام علي الرضا بن السيد الإمام موسى الكاظم بن

^١ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه تصوير الطبعة ١٣٩٨ هـ
٢٨٥ / ١٤ .

^٢ المغاخر العلية في مآثر الشاذلية ، ابن عياد الشافعي ، ص ٢٠٩ .

^٣ المصدر السابق ص ٢٠٩ .

^٤ الأربعة أهل السلسلة ص ٥٣

^٥ مقدمة الجوهرية المضئنة، ابراهيم الدسوقي، ص ١١ .

السيد الإمام جعفر الصادق بن السيد الإمام محمد الباقر بن السيد الإمام علي زين العابدين بن سيدنا الإمام الحسين بن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم^١ .
وحيال هذا النسب عدة ملاحظات :

(أ) وجود نسبة للأممات دون الآباء مما يجعل النسب عرضة للشك في صحته . فمن المعروف شرعاً أن الرجل ينسب لأبيه لا لأمه ، وقد عقد الإمام أبو بكر شمس الدين بن قيم الجوزية رحمه الله فصلاً في بيان أن التسمية حق للأب دون الأم فقال : ((وهذا كما أنه يدعى لأبيه لا لأمه . فيقال ابن فلان . قال تعالى : ((أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ))^٢ . والولد يتبع أمه في الحرية والرق . ويتبع أباه في النسب . والتسمية تعريف النسب والمنسوب))^٣ .

(ب) حسن الخالص الملقب بالحسن العسكري المذكور في النسب هو الإمام الحادي عشر للشيعة الإمامية ليس له ابن يعرف بـ (عيسى) كما هو مذكور في النسب فابنه المشهور بين الشيعة هو محمد المهدي الذي يعتقد الشيعة أنه اختفى وهو غلام في الثالثة أو الخامسة من عمره بل بعض المؤرخين ينكرون وجود ابن للحسن العسكري أصلاً ، ويقولون أن الحسن العسكري لم يعقب^٤ . وهذا مما يؤدي إلى الشك في صحة النسب المذكور .

(ج) طول النسب المذكور فلو قُدر أن متوسط أعمار المذكورين في النسب وهم خمسين شخصاً ، ثلاثين عاماً ، وهو المتوسط من العمر لشخص تزوج وأنجب أولاداً لزيد التاريخ ما يقارب المائة عام على تاريخ زواج آخر شخص في النسب ، وهو النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يعقل أن تكون أعمار المذكورين جميعاً قصيرة إلى هذا الحد ، وهذا مما يؤدي إلى الشك في صحة النسب المذكور .

^١ مقدمة كتاب تبرئة الذمة في نصح الأمة وتذكرة أولي الأبواب للسير إلى الصواب، محمد عثمان عبده ، بدون اسم مطبعة ولا تاريخ نشر ص ٢ ، ومقدمة كتاب انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان، محمد عثمان عبده ص ٤ ، ومقدمة كتاب شراب الوصل ، (وهو عبارة عن ديوان شعر) ، محمد عثمان عبده ، بدون اسم مطبعة أو تاريخ طبع ، أو جهة نشر المقدمة بدون رقم طبعة ، الصفحة الأولى بدون رقم .

^٢ سورة الأحزاب (٥) .

^٣ تحفة المودود بأحكام المولود، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية تحقيق وتعليق عبد اللطيف آل محمد الفواعير ، طبع دار الفكر عمان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، ص ١٢٣ .

^٤ ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ونسبه إلى كل من عبد الباقي بن قانع ، ومحمد بن جرير الطبري في تاريخه في أحداث سنة ٣٠٢ هـ ، أنظر : المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام الرافض والاعتزال، وهو مختصر لكتاب منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية ، اختصره الإمام الذهبي ، بتحقيق وتعليق محي الدين الخطيب طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث بالمملكة العربية السعودية ، طبعة سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، ص ٢٣ ، وانظر تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية ، على نفقة السيد محمد عبد اللطيف وشركاه ، بدون تاريخ طبع ، ج ٦ / جزء ٢ / ٢٦ . بل ذلك بإقرار مؤرخي الشيعة أنفسهم ، أنظر : كتاب الحجة الكافي ص ٥٠٥ ، طبع طهران ، نقلاً عن التصوف المنتشأ والمصادر ، إحسان إلهي ظهير، ص ١٥٧ . ومسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، الدكتور ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ، دار طيبة للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية ، بدون تاريخ طبع ، القسم الأول ص ٢٦٢ ، نقلاً عن المقالات والفرق ، سعد القمي ، ص ١٠٢ ، وهو من مؤرخي الشيعة الذين

ومن المعروف عن مشايخ الصوفية عموماً حرصهم على الانتساب إلى آل بيت النبي صلى الله وسلم وذلك طلباً للشرف والصلاح^١، ومن المعلوم أن مجرد الانتساب لآل البيت لا يفيد شرفاً ولا صلاحاً، بل لا بد من الاستقامة على الدين ، واتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، قولاً وعملاً ، وأن النفاضل عند الله تعالى بالتقوى كما قال سبحانه : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))^٢. وقال صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))^٣. وأما مجرد دعوى الانتساب والمحبة لآل البيت فلا تنفع صاحبها ، فقد ادّعت ذلك طوائف من أهل البدع ، عرفت في تاريخ المسلمين بالكفر والزندقة ، منها الغلاة من طوائف الشيعة ، البيانية ، والخطابية ، والجناحية^٤، وكل الفرق الباطنية ، الإسماعيلية ، والقرامطة^٥، وإخوان الصفا، والدروز، والنصيرية^٦، فهي فرق حاربت الإسلام ، الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، مع دعوى انتسابها ومحبتها له ولآل بيته، وما كانت دعواهم تلك إلا للتخفي تحت ستارها لهدم الإسلام باسم الإسلام، ولاستمالة ضعاف العقول من المسلمين بالعواطف^٧.

والمشهور عن محمد عثمان عبده البرهاني أنه من أصل نوبي من أهل حلفا القديمة(وادي حلفا) بشمال السودان ، وهو من البرابرة ، فهو يقول عن نفسه وقد نقل قول بعض معارضيه : ((وتطاولوا عليّ وقالوا إنني بربري ولست خليفة))^٨. ويقول : ((عندما بدأنا الطريقة في عطيرة ، أكرمنا الله بدار صغيرة للطريقة ، وكان يقوم على نظافتها وخدمة أبناء الطريقة فيها رجل من أهل

^١ الطرق الصوفية بين الساسة والسياسة في مصر المعاصرة ، الدكتور زكريا سليمان بيومي ، ص ١٤٧ .

^٢ سورة الحجرات (١٣)

^٣ أخرجه مسلم في كتاب الذكر و الدعاء حديث رقم (٢٦٩٩) باب الحث على ذكر الله تعالى ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، الناشر دار إحياء الكتب العلمية ١٩٩١ م بدون رقم طبع ، ج ١٧ / ١٩ . وأبو داود ح رقم (٤٤٣٦) باب فضل العلم ، سنن أبي داود ، الناشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ نشر ورقم طبع ، والترمذي في الحدود ح رقم (٢٥٣٠) في سنن الترمذي المسمى بالجامع الصحيح ج ٨ / ٢٥٣ ، الناشر دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٤ م بدون رقم طبع ، وفي سنن الدارمي الناشر دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ نشر ورقم طبع ، باب ما كان عليه الناس قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم برقم (٣٥٠) وابن ماجه في سننه ، الناشر دار إحياء التراث العربي ، بدون تاريخ نشر ورقم طبع ، ج ١ / ٨٢ حديث رقم ٢٢٩ فضل أبي بكر الصديق، وابن حبان في صحيح ابن حبان ، الناشر دار الفكر بيروت بدون تاريخ نشر ورقم طبع ، ج ١ / ١٨٤ حديث رقم ٧٤٥ ، وأحمد في مسنده، الناشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ نشر، برقم (٧٣٩٩) .

^٤ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، الإمام عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، ص ١٤١ .

^٥ القرامطة فرقة من فرق الإسماعيلية ، وهي فرع لهم ، وهم ينتمون إلى حمدان قرمط زعيم الطائفة ، ((الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها)) الدكتور محمد أحمد الخطيب ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م ، ص ١٣٥ .

^٦ دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة، الدكتور أحمد محمد أحمد جلي ، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، ص ٢٦٥ ، ٣١١ ، ٣٣٥ .

^٧ المصدر السابق ص ١٦٢ .

بلدنا ، وفي يوم من الأيام أخذ هذا الرجل يحدث نفسه ويقول ساخراً : هؤلاء الناس الذين أخذهم برابرة مثلي وفقراء الأفضل لي أن أتركهم وأذهب لأخدم أحد الأثرياء))^١. وأفاد محمد عثمان بأن أحد أجداده من جمهورية مصر العربية في قوله : ((فأنا محمد عثمان عبده كان جدي الأكبر من مصر من خان الخليلي جاء إلى السودان ليكون قاضياً وليرشد الناس إلى طريق الخير))^٢.
مولده ونشأته :

ولد محمد عثمان عبده في مدينة وادي حلفا (حلفا القديمة) بشمال السودان، سنة ١٢١٦هـ / ١٩٠٢م ، وبها نشأ وترعرع حتى بلغ مبلغ الرجال^٣.

وقد كانت لأهل حلفا علاقات وثيقة تربطهم بجمهورية مصر العربية ، وكانت العلاقات التجارية مزدهرة بين حلفا ومصر ، وذلك نسبة للموقع الجغرافي ، وقرب حلفا من مصر ، وكان من نتاج هذه العلاقات وأثارها تبادل الثقافات ، وكان التصوف منتشرأ في مصر على نظام الطرق ، فانتقلت الطريقة البرهامية عن طريق بعض أهل حلفا إلى السودان ، ومن أوائل الذين نقلوها للسودان ، حسن حسين ، وفضل حامد ، ومحمد بتيك ، الذي انتظمت خلافة الطريقة في أسرته فترة من الزمان ، فمن هؤلاء الثلاثة أخذ محمد عثمان عبده ، وآلت إليه الخلافة بعد آل بتيك على ما سيأتي بيانه إن شاء الله .ثم انتقل محمد عثمان عبده من حلفا إلى عطبرة في الأربعينات، وكان يربطه بها عمل حيث كان لديه مخبز ، وبها أسس أول نواة لطريقته ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الخرطوم ، وسكن بالخرطوم ٣ وأقام زاوية للطريقة بالقرب من منزله ، تلتها فيما بعد زاوية أخرى بالقرب من السوق الشعبي بالخرطوم أصبحت فيما بعد مقراً ومركزاً للطريقة في السودان وكل أنحاء العالم^٤.

^١ المصدر السابق ص ٩٧ .

^٢ المصدر السابق ص ٢٢٣ .

^٣ مقدمة كتاب تبرئة الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢ ، ومكتوب صادر من لجنة الدعوة والإرشاد بالطريقة البرهانية.

^٤ مكتوب صادر من لجنة الدعوة والإرشاد بالطريقة البرهانية ، ولقاء ومقابلة شخصية مع المرید إبراهيم حامد حسنين بمنزله بحلفا الجديدة ، القرية ١٩ بتاريخ ١٠/٣/١٤٢٢ هـ الموافق ١/٦/٢٠٠١ م ومقابلة شخصية مسجلة مع مرشد الطريقة البرهانية بمنزله بمدينة عطبرة ، إدريس عمر بلول بتاريخ ٩/٤/١٤٢٢ هـ الموافق ٢٩/٦/٢٠٠١ م

شيوخه :

لم يذكر محمد عثمان عن نفسه أنه تلقى العلم عن شيخ معين ، لازمه وأخذ عنه ، غير أنه يذكر أنه طاف ، والتقى بالعديد من مشايخ الطرق الصوفية وتلقى عنهم ، في سياحة قام بها إلى جميع أنحاء السودان^١ ، ويذكر عنه بعض مريديه أنه درس الفقه على دفع الله النذير الذي كان يُدرّس الفقه في الجامع الكبير بالخرطوم . وقد ذكر عن نفسه بأنه تعلم الأوقاف والطلاسم والفلك والطب والصيدلة وغيرها من رجل اسمه أحمد بشير من سكان أم درمان^٢ .

تلاميذه :

ترك محمد عثمان عبده الكثير من الأتباع والمريدين ، كان لبعضهم دور بارز في نشر الطريقة في حياته ومن بعده ، منهم : جمال الدين السنهوري الذي نشرها بمصر ، وإبراهيم أحمد داود الذي كان نائباً للطريقة ، وقد نشرها بمدينة عطبرة ، ومحمود محمد سليمان الذي نشرها بأمريكا ، والخليل الطيب العربي الذي نشرها برفاعة ، وسيد عبد العاطي الذي نشرها ببورتسودان ، وأحمد الهندي الذي نشرها بكردفان ، ومحمد نجيب صالح ، وإبراهيم محمد عثمان عبده ، و محمد إسماعيل ، ومحمد أبو يزيد ، وحسين محمود مصطفى ، وأحمد محمد إسماعيل ، وممن كانوا من مستشاري محمد عثمان عبده : عبد الكريم خليل ، ومحمد أبو يزيد ، ومن كتّابه وخدمه : علي مصطفى عريفي^٣ ، الذي انفصل عن الطريقة فيما بعد وانضم إلى الطريقة القادرية .

مؤلفاته :

له مؤلفات محدودة منها ما يلي :

- (أ) تبرئة الذمة في نصح الأمة وتذكرة أولي الأبواب للسير إلى الصواب ، وهو من أول مؤلفاته ، جمعه من عدد من مؤلفات متقدمي الصوفية ذكرهم في مقدمة كتابه .
- (ب) انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، وهو مثل كتاب تبرئة الذمة .
- (ج) قبس من نور ، وقد ذكر فيه تاريخ حياته ، وفيه الكثير من القصص والتعاليم للمرشدين والمريدين ، كما فيه الرد على مخالفات الطريقة في الاعتقاد والسلوك .
- (د) شراب الوصل ، وهو عبارة عن قصائد مشتملة على تعاليم ، ويعتقد أتباعه أنه أُملى بعض قصائده من البرزخ بعد وفاته لأحد المريدين ، وقد كان يعرف باسم بطائن الأسرار ثم حذفت منه بعض القصائد وأضيفت إليه أخرى وسُمي بشراب الوصل .

^١ قبس من نور ، محمد عثمان عبده ، ص ٩ .

^٢ قبس من نور ، محمد عثمان عبده ، ص ٢٧ . دائرة المعارف ص ٤١٢ .

^٣ مقابلة شخصية مسجلة مع المرشد علي مصطفى عريفي بمنزله بالخرطوم بالرياض بتاريخ ٢٠٠١/٧/٩ م الموافق ١٤٢٢/٤/١٨ هـ

ومقابلة شخصية مسجلة مع مرشد الطريقة البرهانية إدريس عمر بلول بمدينة عطبرة بمنزله بتاريخ ١٤٢٢/٤/٩ هـ الموافق ٢٠٠١/٧/٢٩ م .

(هـ) علّموا عني، وهو عبارة عن دروس في التفسير وغيره، سجّلها عنه أتباعه في أشرطة كاسيت، ثم طبعت في كتب .

وقد ذكر محمد عثمان عبده أنّ شيخه إبراهيم الدسوقي أمر أتباعه ومريديه ، بعدم تأليف الكتب فقال محمد عثمان : ((وقديماً قمت بعمل صلوات على النبي صلى الله عليه وسلم وقصائد عالية المكانة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وفي مولده وإسرائه وقمت بعمل تفسير للقرآن وكل هذه الأعمال وأنا في سن الرابعة عشر من عمري .. فقال لي (يعني شيخه إبراهيم الدسوقي) هل قمت بعمل تفاسير وصلوات وقصائد في الإسراء والمولد ؟ فاستحييت منه ثم قلت له نعم .. ثم أمرني بتمزيق هذه التآليف ثم قمت بحرقها ، ولذلك أنصحكم أيها الأبناء (والناصح محمد عثمان عبده) بالألّا تشغلوا أنفسكم في تأليف كتب وقصائد أو عمل صلوات أو شيء من هذا القبيل))¹.

ومع هذا فإن للطريقة العديد من المؤلفات التي كُتبت بعد وفاة محمد عثمان عبده، وقد قامت بتأليفها اللجنة العلمية للطريقة البرهانية، منها ما يلي :

(أ) شرح أوراد الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية .

(ب) رشقات المدام من كلام سيد الأنام انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان

(ج) أنوار الأمين في شرح الأوراد عن سيدي فخر الدين والتحقيق والتدقيق في شرح أوراد الطريق .

(د) الأربعة أهل السلسلة .

(هـ) ديوان ابتسام المدام ، وهو عبارة عن عدة قصائد مختارة من عدد من دواوين متقدمي الصوفية ومتأخريهم .

(و) أسانيد العلم البرزخي من الكتاب والسنة .

(ز) الجنة من الجهل بالسنة .

(ح) سلسلة أولياء الله على أرض مصر ، وهي عبارة عن سلسلة من الرسائل الصغيرة من تأليف الدسوقي إبراهيم محمد عثمان عبده .

وللطريقة العديد من الدوريات منها ما أخذت فترة ثم انقطعت وهي: مجلة الجوهرة البرهانية وقد صدر العدد الأول منها في سنة ١٤٠٩هـ/ مارس ١٩٨٩ م . وصحيفة الانتشار ، وقد صدرت في التسعينات ، ومجلة البرهان الدولية وقد صدرت في التسعينات ، وأما الصحيفة التي استقرت ، وما زالت تصدر فهي صحيفة رايات العز ، وقد تأسست في التسعينات ، وهي تصدر شهرياً ، كما أنّ للطريقة موقع على الشبكة العالمية للاتصالات (الإنترنت)، مواد بثلاث لغات ، العربية والإنجليزية والألمانية .

والملاحظ في كتب الطريقة جميعها ، أنها لم يكتب عليها اسم المطبعة التي طبعت فيها الكتب ولا جهة النشر ، ولا تاريخ الطبع ، وقد طبعت بعض أو العديد من هذه الكتب عدة مرات ككتاب تبرئة الذمة ، وكتاب انتصار الرحمن على أولياء الشيطان ، لمحمد عثمان عبده البرهاني ، وكتاب الأربعة أهل السلسلة ، وغيرها من الكتب ، والذي يظهر في تفسير ذلك ، تجنب المساءلة القانونية ، متى ما وقعت ، وهو درس استفادته الطريقة عبر تاريخها ، وما وقع لها من قبل ، على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

وفاته :

توفي محمد عثمان عبده في الحادي والعشرين من جمادى الثاني سنة ١٤٠٣هـ الموافق الرابع من أبريل سنة ١٩٨٣م ، ودفن بمقر الطريقة بالخرطوم بالقرب من السوق الشعبي ، وبنيت على قبره قبة ويعرف قبره لدى أتباعه بالمقام ، وهم يعظمونه ، ويزار ويتمسح بأعتابه ، ويطاف حوله ، ويطلب من صاحبه قضاء الحوائج ، ونيل الرغبات ، وتفريج الكربات، وغير ذلك مما لا يطلب إلا من الله سبحانه وتعالى .

سبق القول بأن الطريقة نشأت وتأسست في جمهورية مصر العربية ، في القرن السادس ، بمدينة دسوق ، بمحافظة كفر الشيخ، وذلك على يد مؤسسها إبراهيم بن عبد العزيز بن أبي المجد ، الدسوقي، والذي يروى أنه أخذ الطريقة من خاله وشيخه أبي الحسن الشاذلي، الذي وفد من المغرب، واستقر بمدينة الإسكندرية سنة ٦٤٢هـ ، ثم استقل الدسوقي بطريقته التي عرفت بالطريقة البرهامية الدسوقية الشاذلية ، والتي انتشرت بعد وفاته على يد رجلين من أتباعه وهما : أخوه موسى أبو العمران ، وأحمد عربي الشرنوبلي ، ثم تعاقب على نشرها عدد من المشايخ ، حتى آلت رئاسة سجّادتها إلى آل عاشور ، حسب النظام المعمول به ، والمتبع لدى رئاسة الطرق الصوفية ، والمجلس الأعلى للتصوف في جمهورية مصر العربية ، وهي رئاسة عامة في مصر ، ولكل فروع الطرق الصوفية في جميع أنحاء العالم .

وعلى الرواية الثانية أن الطريقة البرهامية مستقلة تماماً عن الطريقة الشاذلية ، وهي الأقرب إلى الصواب ، وقد توارث آل عاشور رئاسة سجّادتها في مصر ، وهي رئاسة لبقية فروع الطريقة في مختلف أنحاء العالم ، والرئاسة فيهم إلى يومنا الحاضر^١ .

^١ مقابلة شخصية مسجلة مع المريد عبد الكريم خليل بمنزله بمدينة كوستي بتاريخ ٢٨/٣/١٤٢٢هـ ومقابلة شخصية مسجلة مع المريد محمد إبراهيم أحمد بمنزله بالخرطوم اللاماب بتاريخ ١٣ / ٤ / ١٤٢٢هـ الموافق ٣ / ٧ / ٢٠٠١ و مقابلة شخصية مسجلة مع المريد الأستاذ محمد حامد حسنين بمنزله بالخرطوم الصحافة شرق بتاريخ ١٤ / ٤ / ١٤٢٢هـ الموافق ٤ / ٧ / ٢٠٠١ م . وانظر الجوهرة المضيئة ، إبراهيم

المطلب الثالث

دخول الطريقة البرهانية السودان

تختلف الروايات حول نشأة الطريقة البرهانية ودخولها السودان، وذلك لاختلاف وجهة نظر أصحابها ، واطلاع البعض على أحداث لم يطلع عليها الآخر ، وللخلاف الذي وقع بين أتباع الطريقة ، ولعدم وجود مصادر تاريخية اهتم أصحابها بالكتابة عن الطريقة ، سواءً من أتباع الطريقة أو غيرهم ، مما يجعل البحث في هذا المجال صعباً ، لا يعثر فيه الباحث على المعلومات الدقيقة في نشأة الطريقة والمراحل التي مرت بها، كما أن هذه المعلومات لا توجد متفرقة في بطون الكتب إلا القليل الذي لا يفي بالمطلوب ، فكان الحل لهذه المشكلة التسديد والمقاربة ، من خلال اللقاءات الشخصية مع أوائل المريدين ممن عاصروا نشأة الطريقة في السودان ، وليس بالضرورة أن ما تم ترجيحه هو الراجح قطعاً خاصة في مجال التاريخ ولكنه الأقرب إلى الصواب ، والعهد على الرواة فيما ذكر ، ومن أحال فقد أسند ، وفيما يلي الروايات الواردة في بيان نشأة الطريقة ومراحل تطورها في السودان .

الرواية الأولى :

تذهب هذه الرواية إلى أن إبراهيم الدسوقي لم يستقل بطريقته ، بل مزجها بتعاليم الطريقة الشاذلية ، بأخذه من أبي الحسن الشاذلي ، فأصبحت طريقته تعرف بالطريقة البرهامية الدسوقية الشاذلية وكان لأبي الحسن الشاذلي حفيد يعرف بأبي المواهب الشاذلي^١ فسافر إلى المغرب ، وفي المغرب أعطى هذه الطريقة الممزوجة لرجل اسمه أحمد زروق المغربي^٢ ، الذي سافر إلى السودان ، وفي السودان أعطى الطريقة للشيخ حمد أبي دنانة^٣، الذي أعطاها لإدريس ود الأرباب^٤، الذي أعطاها لأحد أجداد محمد عثمان عبده واسمه فضل حامد ، بمدينة دنقلا، وبهذا تعتبر مدينة دنقلا أول مدينة تدخلها الطريقة في السودان ، ثم انتقلت الطريقة من فضل إلى محمد عثمان عبده عن طريق أجداده ، ويذهب أصحاب هذه الرواية إلى أن الطريقة دخلت السودان مبكراً مع أوائل

^١ هو محمد أبو المواهب ((الشاذلي)) ، متصوف مصري ، كان مقيماً بالقرب من الأزهر ، له عدة مؤلفات منها : ((قوانين حكم الإشراق إلى الصوفية بجميع الآفاق)) و ((شرح حكم ابن عطاء الله السكندري)) ، لم أشعراني تاريخ وفاته ، ((طبقات الشعراي الكبرى ج ٢ / ٦٧ - ٨١))

^٢ هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي المعروف بزروق ، من زهاد الصوفية بالمغرب ، ولد سنة ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م ، له عدة مؤلفات منها : (تفسير للقرآن الكريم) و (شرح رسالة أبي زيد القيرواني) و (شرح الحكم العطائية) و (شرح دلائل الخيرات) وغيرها ، شاذلي الطريقة ، سافر إلى مصر ثم إلى طرابلس الغرب ، توفي سنة ٨٩٩ هـ / ١٤٩٤ م (جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ، محمود أبو الفيض المنوفي صج ٢ / ٢٦٥ - ٢٦٦) .

^٣ لم يترجم له ابن ضيف الله في طبقاته .

^٤ هو إدريس بن محمد الأرباب بن علي، ولد بمدينة العيلفون سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٧ م وقيل مدينة شببات ثم رحل إلى العيلفون واستقر بها ، وهو من كبار الصوفية في السودان ، توفي سنة ١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠ م وله من العمر ١٤٧ سنة ، ودفن بالعيلفون وقبره بها عليه

الطرق التي دخلت السودان في عهد دولة الفونج، إلا أن تاريخها اندثر لمحاصرة الثورة المهديّة لأتباع الطريقة ، فتم دفن الأوراق التي تحتوي على تاريخ في الأرض فلم يعثر عليها إلا مؤخراً^١.
الرواية الثانية :

يرى أصحاب هذه الرواية أن دخول الطريقة السودان لم يكن قديماً بل كان حديثاً ، في أوائل القرن التاسع عشر ، في العقد الثاني أو الثالث منه ، على يد عدد من سكان وادي حلفا (حلفا القديمة) بشمال السودان ، ودخلت من جمهورية مصر العربية، باسم الطريقة البرهامية التي كان يرأسها آل عاشور في ذلك الوقت، ومن أوائل الذين أدخلوها فضل حامد من غرب جمي منطقة (عمكا)، وكان عاملاً مع الحاكم العام في السودان ، فاستقل نفوذه في نشر الطريقة ، وحسن حسين من منطقة (فرص) قرب الحدود المصرية ، ومحمد علي بتيك، من منطقة (عنقش)، وكان تاجراً ، وكثيراً ما يسافر إلى مصر، وكان لهؤلاء الذين أدخلوها مناشير توكيل من الرئاسة العامة للطريقة بمصر، وتعتبر الطريقة في السودان فرع منها، فأخذ محمد عثمان الطريقة عن فضل حامد، وصار خليفة له، كما أخذ من كل من حسن حسين ، ومحمد علي بتيك ، وكانت خلافة محمد بتيك من أعرق الخلافات ، ثم جرى خلاف في أمر الخلافة بين أتباع محمد علي بتيك ومحمد عثمان آلت بسببه الخلافة إلى محمد عثمان عبده على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى^٢.
الرواية الثالثة :

يقول أصحاب هذه الرواية أن الطريقة دخلت السودان من جمهورية مصر العربية ، سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٧م ، على يد رجلين من قبيلة الكنوز ، وهما : عبد الحليم محمد علي، وعبد القادر احمد موسى ، اللذين استقرا في مدينة الخرطوم بحري ، وكان من تلاميذ الأول محمود عبد الغفار الذي نشر الطريقة في غرب السودان ، في كل من الأبيض والفاشر، ومن تلاميذ محمود عبد الغفار، أحمد عرابي، ومحمد عثمان عبده ، فوقع خلاف بين محمد عثمان عبده وأحمد عرابي في أورداد الطريقة ، حيث أراد محمد عثمان عبده أن يزيد في أورداد الطريقة فرفض أحمد عرابي ذلك ، فاستقل محمد عثمان عبده بطريقته ، وصار لكل منهما مريرين ، وطريقة عبد الحليم محمد علي ، لها اليوم أتباع ومريدون ، وتعرف باسم الطريقة البرهامية الدسوقية ، وشيخها الحالي هو مصطفى يعقوب عوضون، ولهم زاوية بمدينة الخرطوم بحري ، وأتباعها قلة بالمقارنة مع أتباع الطريقة البرهانية، وهم يتفقون مع البرهانية في مؤسس الطريقة الأول إبراهيم الدسوقي، وتجمعهم العقيدة

^١ قبس من نور، محمد عثمان عبده، ص ١، ٢ ومقابلة شخصية مسجلة مع مرشد الطريقة البرهانية إدريس عمر بلول ، بمنزله بمدينة عطبرة بتاريخ ١٤٢٢/٤/٩هـ الموافق ٢٠٠١/٦/٢٩ م .

^٢ مقابلة شخصية مع المرشد إبراهيم حامد حسنين بمنزله بحلفا الجديدة ، بالقريبة ١٩ ، بتاريخ ١٤٢٢/٣/١٠م الموافق ٢٠٠١/٦/١ م ، ومقابلة شخصية مسجلة مع المرشد عبد الكريم خليل بمنزله بمدينة كوستي بتاريخ ١٤٢٢/٣/٢٨هـ الموافق ٢٠٠١/٦/١٩ م ، ومقابلة شخصية مسجلة مع المرشد الأستاذ محمد حامد حسنين بمنزله بالخرطوم بالصحافة شرق بتاريخ ١٤٢٢/٤/١٤هـ الموافق ٢٠٠١/٧/٤م .

المشتركة، مع الاختلاف اليسير في الأوراد وزيادة ونقصاناً مع الاتفاق في الأساس، وقد أعلنوا الخلاف بينهم وبين البرهانية، في صحيفة السودان الرياضي الصادرة بتاريخ الأحد ٩ جمادى الأولى ١٤١٧هـ الموافق ٢٢ سبتمبر ١٩٩٦م ، غير أنهم الآن لا يعلنون الخلاف مع الطريقة البرهانية مع وجوده^١.

الرواية الرابعة :

تتفق هذه الرواية مع الرواية الأولى في أن الطريقة دخلت السودان مبكراً إلا أنها تختلف معها في من أدخلها ؟ حيث يذهب أصحابها إلى أن الطريقة اشتهرت في السودان على يد الشيخ إريس بن الأرباب ، سنة ٩١٣ - ١٠٦٠ هـ / ١٥٠٧ - ١٦٥٠ م ، والذي أخذ عهد الطريقة على يد الشيخ أحمد زروق الذي نشر الطريقة في شمال أفريقيا .

ثم اختفت الطريقة في أواسط السودان تماماً على مدى زمن طويل ، إلى أن انتشرت مرة أخرى عقب الغزو الثنائي بواسطة عبد الحميد عبد الجليل سنة ١٩٠٢م ، والذي كان يعمل في كلية طب غردون بالسودان، وقد أنشأ أول زاوية للطريقة في مدينة السجانة بالخرطوم ، وهو أول من أقام احتفالاً بمولد إبراهيم الدسوقي، وكان من أوائل مريديه وأتباعه إبراهيم خطاب ، وتوفيق محمود، ومحمد بتيك، وعبد الجليل الطاهر، وهو ابن أخ عبد الحميد عبد الجليل، وكان من أصغر مريديه محمد عثمان عبده، ومحمد إسماعيل.

وفي سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٤م تم تعيين محمد إسماعيل خليفة للطريقة البرهانية في السودان ، وتم هذا التعيين على يد الصديق خليل المحسي، الذي كان في ذلك الوقت قطب الطريقة البرهانية من أسوان إلى أواسط السودان ، وتمت هذه الخلافة في زيارة له للسودان و بحضور عدد من كبار رجال الصوفية^٢.

الرواية الخامسة :

وهذه الرواية معضدة لجزء من الرواية الرابعة ، وهي رواية عبد المنعم إبراهيم خطاب، حيث يروي أن والده كان خليفة للشيخ عبد الحميد عبد الجليل ، وقد آلت إليه خلافة الطريقة بعد وفاة عبد الحميد ، وكان له صك بالخلافة من رئاسة الطريقة البرهانية بالمقر الرئيس لها في مصر بمدينة الزمالك .

ومن أوائل المريدين في الطريقة محمد عثمان عبده ، و يوسف مصطفى حسن، ابن عم إبراهيم خطاب، وسليم الدحاس، ومحمد أبو يزيد، ومحمود محمد سليمان ، وغيرهم.

^١ مقابلة شخصية مسجلة مع شيخ الطريقة البرهانية بمدينة بحرى مصطفى عوضون يعقوب ، بزواية الطريقة بمدينة بحرى بتاريخ ١٧/١٧/٢٠١١م .

^٢ مقابلة شخصية مع شيخ الطريقة البرهانية بأمدردان أحمد محمد إسماعيل بمنزله بالهاشميا بتاريخ ٢٩/٧/٢٠٠١م .

وكان محمد عثمان عبده منشداً للطريقة البرهامية ، وقد أقيمت أول زاوية للطريقة بمنزل إبراهيم خطاب ، وكان محمد عثمان عبده يرى أنه أحق بالخلافة من إبراهيم خطاب ، لأن إبراهيم كان أمياً ، ولكنه كان مجتهداً في الطريقة ، فسعى محمد عثمان في الحصول على الخلافة من رئاسة الطريقة بمصر فنالها وقام بتغيير اسم الطريقة من برهامية إلى برهانية ، وكان ذلك في الخمسينات ، فانشقت الطريقة إلى برهامية وبرهانية، فانفصل عن الطريقة البرهانية نائبها الأول إبراهيم أحمد داود ، فصار من أتباع البرهامية ، وأصبح ممثلاً لها، ووقع نزاع بين محمد عثمان عبده ، وإبراهيم أحمد داود حول زاوية إبراهيم خطاب ، فكان كل واحد منهما يريد أن تكون الزاوية تابعة لطريقته، فطلب إبراهيم أحمد داود من عبد المنعم إبراهيم خطاب أن يأذن له في إقامة نشاطه في زاوية والده فوافق على ذلك ، فهاجم إبراهيم أحمد داود محمد عثمان عبده وجماعته من خلال هذه الزاوية ، فجاء محمد عثمان ، وأراد الاستيلاء على الزاوية وكان عبد المنعم يحمل كل الود والاحترام لمحمد عثمان ، ولكن لم يعجبه أن تكون زاوية والده محلاً للنزاع ، ووصل النزاع حول الزاوية إلى الأوقاف حيث تقدم إبراهيم أحمد داود بشكوى لها ، فعادت الزاوية بسبب هذه الشكوى إلى صاحبها الأول إبراهيم خطاب ، وأعطيت لإبراهيم أحمد داود وأتباعه قطعة أرض بالخرطوم الصحافة شرق ، فأقاموا فيها زاوية خاصة بهم ، وهي موجودة اليوم .

وبالنظر إلى هذه الروايات في تاريخ دخول الطريقة السودان ، ومن أدخلها ؟ وكيفية دخولها ، يمكن أن يقال إن أرجحها ، وأقربها للصواب هي الرواية الثانية ، وهذا لا يعني خطأ الروايات الأخرى ، وعدم صحتها كلياً ، بل يمكن أن يكون فيها كثير من الصواب محتمل للخطأ ، وقليل من الخطأ محتمل للصواب ، وترجيح هذه الرواية على غيرها مبني على عدة أسباب منها ما يلي :

(أ) كثرة رواتها بحيث يكاد يبلغ حد التواتر ، فهم أكثر من رواة الروايات الأخرى .

(ب) الطريقة الشاذلية غير الطريقة البرهامية ، وتختلف كل طريقة عن الأخرى في نسبها وقد دخلت الأولى مبكراً ، في عهد دولة الفونج، أما الثانية فدخولها متأخر ، لذا لم يذكرها أحد ممن أرخ لدخول الطرق الصوفية في السودان ، كصاحب الطبقات ود ضيف الله مثلاً .

(ج) الذين ترجموا لإدريس ود الأرباب من المؤرخين لم يذكروا له علاقة بأي من الطريقتين الشاذلية أو البرهامية ، كما لم يذكروا أن الشيخ حمد أبو دنانة أخذ منه شيئاً ، والمروي عن إدريس ود الأرباب ، أنه نشر الطريقة القادرية ، وعن حمد أبي دنانة أنه صهر عبد الله بن محمد الجزولي الشاذلي المغربي، وأنه أول من نشر الطريقة الشاذلية في السودان في القرن الخامس عشر في رواية¹ .

(د) لم يعرف لمحمد عثمان عبده أجداد ينتمون إلى الطريقة البرهامية كما ذكر في نسب الطريقة .

¹ مقدمة كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان ، محمد النور بن ضيف الله ، ص ٣ ، ٨ .

وفي عام ١٣٧٠هـ / ١٩٥٢م، انفصل عن الطريقة أحد كبار مريديها ، وأتباعها ، وأحد معاوني الشيخ محمد عثمان ، وهو عبد المعروف حسين ، وتبعته قلة ، وسمي أتباعه بالبرهانية الأحرار ، وهو اليوم من سكان حلفا الجديدة القرية ٢٢ ، وأكثر أتباعه من القرية ٢٦ ، وقد كانت لانفصاله عدة أسباب منها ما يلي :

(أ) كان يرى أحقية جعفر محمد علي بتيك بالخلافة^٢.

(ب) كان يرى أنه أحق بنبابة الطريقة من النائب الأول الموجود آنذاك وهو إبراهيم أحمد داود^٣.

(ج) كان محمد عثمان عبده يريد أخذ (الغوثية) ، وهي مرتبة الخلافة الصوفية ، يريد أخذها من علي الميرغني^٤ شيخ الطريقة الختمية ، وعبد المعروف يرفض ذلك ، لئلا من ميول إلى الطريقة الختمية ، بل ربما كان ختمياً في نفس الوقت^٥.

(د) كانت له خلافات متعلقة بالمال مع محمد عثمان عبده^٦.

(هـ) أما عبد المعروف فيقول عن نفسه أنه أعطي خلافة لنفسه ، من جمهورية مصر العربية ، كما أعطي عشرة خلافات أخرى لتربية المريدين ، ولتوسيع الطريقة ، فوزعها في كل من القرية ٢٦ ، وفي سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٥م جاءت خلافة عامة للطريقة في كل السودان ، فرفضها . ويقول أنه كان يحب السيد علي الميرغني شيخ الطريقة الختمية ، وكان أتباع محمد عثمان عبده البرهاني يقرعون بعض الأوراد ، تسمى السيوف ، بقصد إيذاء علي الميرغني ، فاعترض عليهم عبد المعروف في ذلك^٧ .

^١ مقابلة شخصية مع المرید إبراهيم حامد حسنين ، بمنزله بمدينة حلفا الجديدة بالقرية ١٩ بتاريخ ١٠/٣/١٤٢٢ هـ الموافق ٦/١ / ٢٠٠١ م ومقابلة شخصية مسجلة مع المرید الأستاذ محمد حامد حسنين بمنزله بالخرطوم الصحافة شرق بتاريخ ١٤/٤/١٤٢٢ هـ الموافق ٤/٧/٢٠٠١ م .

^٢ مقابلة شخصية مع المرید إبراهيم حامد حسنين ، بمنزله بحلفا الجديدة بالقرية ١٩ بتاريخ ١٠/٣/١٤٢٢ هـ .

^٣ مقابلة شخصية مسجلة مع المرید محمد إبراهيم أحمد ، بمنزله بالخرطوم اللامساب بتاريخ ١٣/٤/١٤٢٢ هـ ، الموافق ٣/٧/٢٠٠١ م .

^٤ هو السيد علي بن السيد محمد عثمان الأقرب بن السيد الحسن بن السيد محمد عثمان الختم ولد بجزيرة مساوي مركز مروى ، بشمال السودان عام ١٢٩٦هـ / ١٨٨٠م، ثم انتقل مع والده إلى مدينة كسلا ، وحينما اضطر والده إلى الهجرة إلى مصر في عهد الثورة المهدية تركه والده مع عمه تاج السر الحسن في سواكن ثم لحق بأبيه وبقي في مصر حتى مجيء جيش الغزاة للقضاء على المهدية ، توفي في ٢٦/٥/١٣٨٧هـ / مايو ١٩٦٨م . (طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها ، د / أحمد محمد أحمد جلي ، هامش ص ٢٦) .

^٥ مقابلة شخصية مسجلة مع المرید إبراهيم حامد حسنين ، بمنزله بحلفا الجديدة القرية ١٩ بتاريخ ١٠/٣/١٤٢٢ هـ ، وقبس من نور محمد عثمان عبده ص ٧٧ .

^٦ مقابلة شخصية مسجلة مع المرید علي مصطفى عريفي ، بمنزله بالخرطوم الرياض بتاريخ ٩/٧/٢٠٠١ م .

^٧ مقابلة شخصية مع الشيخ عبد المعروف حسين ، بمنزله بحلفا الجديدة ، بالقرية ٢٢ بتاريخ ١٢/١٢/١٤٢٢ هـ الموافق ٢٤/٢/٢٠٠١ م .

(ز) وأما محمد عثمان فيقول عن عبد المعروف: ((الشيخ عبد المعروف هو أحد الإخوان القدامى الذين كانوا في طريقتنا، وكان يقرأ قسم النور الشعشعاني، وقد أعطيته هذا القسم مضبوطاً وعلمته كيفية قراءته ، ثم ترك الطريقة بعد ذلك وقام بطرده الشيخ عثمان والشيخ جعفر ، ولم أطرده أنا . وكان الشيخ عبد المعروف أحد الأبناء وكان عالماً شريراً ، ومع ذلك فقد كان خليفة ختمياً يكن لنا الحسد والبغضاء ، وفي يوم من الأيام قام بإحضار خمسين خليفة من خلفاء الختمية وعقد مجلساً من أجلي ثم دعاني ، فلبيت دعوته دون أن يكون لدي علم بما يضمره .

وقد وقف في هذا الاجتماع ثم قرأ القسم الشعشعاني ، ثم قال لي يا شيخ محمد قلت : نعم قال : إنكم تقرأون الحزب السيفي حتى تقتلوا به السيد علي ، فدهشت من قوله وقلت له: لست أدري لماذا جمعتنا. إلى أن قال (محمد عثمان): ثم اتجهت بعد ذلك إلى عبد المعروف وقلت له : يا عبد المعروف، ألا تذكر إنني أنا الذي أعطيتك هذه الأوراد ؟ إنما أعطيتك هذه الأوراد من أجل ترفيتك .أيكون جزاء معروف في هذا أن تفضحني بها ، ثم قطعت صلتي بيني وبينهم))^١، وقد حاول كبار المريدين في الطريقة آنذاك الصلح بين عبد المعروف ، ومحمد عثمان ، وإقناع عبد المعروف بالرجوع إلى الطريقة، ولكن كل الجهود باءت بالفشل^٢.

وفي سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٥م ، منح المجلس الأعلى للطرق الصوفية بجمهورية مصر العربية،توكيل المشيخة العامة للطرق الصوفية في السودان، لمحمد عثمان عبده^٣.

وكان محمد عثمان عبده قد بدأ دعوته في الثلاثينات في حلفا القديمة ، بشمال السودان ، ثم انتقل إلى مدينة عطبرة حيث كان يربطه بها عمل وله فيها مخبز ، وفيها أقام نواة لطريقته ، ومن أوائل المريدين بعطبرة، السر الفتوح، وإبراهيم أحمد داود ، وحسن محمد إبراهيم ، وعثمان عرابي ، وفي رجب من سنة ١٣٧٦هـ الموافق ١٩٥٦م، أقيمت أول زاوية للطريقة البرهامية في مدينة عطبرة ، على يد النائب الأول للطريقة إبراهيم أحمد داود ، ثم تتابع بناء الزوايا بعد ذلك في مختلف مدن السودان ، منها : أم جر بمدينة الدويم، وشندي، ومدني ، وكسلا ، وبورتسودان ، وغيرها من المدن.

وانتقل محمد عثمان عبده من حلفا القديمة إلى الخرطوم في سنة ١٣٦١هـ / ١٩٤٣م، وكان أول نزوله في الخرطوم بحري بحلة البورات (الميري)، ثم انتقل بعدها إلى الخرطوم^٣ وأنشأ زاوية بالقرب من منزله، تلتها زاوية أخرى بالخرطوم بالقرب من السوق الشعبي، أصبحت فيما بعد مقراً للطريقة في السودان وكل أنحاء العالم^٤.

^١ قيس من نور، محمد عثمان عبده، ص ٧٧ - ٧٨ .

^٢ مقابلة شخصية مع المريد عبد الكريم خليل ، بمنزله بمدينة كوستي ، بتاريخ ١٤٢٢/٣/٢٨ هـ الموافق ٢٠٠١/٦/١٩ م .

^٣ الملاحق وثيقة التوكيل ص ٣٩٥ .

^٤ مقابلة مسجلة مع المريد عبد الكريم خليل بمنزله بمدينة كوستي ، ومقابلة مسجلة مع المريد محمد إبراهيم أحمد ، بمنزله بالخرطوم اللاماب ، بتاريخ ١٤٢٢/٤/١٣ هـ الموافق ٢٠٠١/٣/١٧ م .

المطلب الرابع تطور الطريقة البرهانية في السودان

جمال السنهوري ودوره في نشر الطريقة :

هو جمال الدين عثمان السنهوري، سوداني الجنسية من مدينة دنقلا، تخرّج في كلية الحقوق بجمهورية مصر العربية، عمل محامياً ، وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين بمصر ، وكان من الشخصيات البارزة في حركة الإخوان المسلمين النواة الأولى للحركات الإسلامية السياسية ، بقيادة حسن البناء، وعيّن أميناً عاماً للإخوان المسلمين بالسودان، وعند مجيء الثورة المصرية سنة ١٩٥٢م، بقيادة جمال عبد الناصر ومحمد نجيب ، ترك الإخوان المسلمين ، وعمل مديراً لمكتب حسن إبراهيم أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة، شارك في انتخابات حزب الشعب الاتحادي ، كان أحد المرشحين في دوائر الحزب الاتحادي بالسودان، ولم يتحقق له الفوز، ثم تم عزله بأمر من راعي الحزب علي الميرغني ، وفي حدود سنة ١٣٨٣ - ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ - ١٩٦٥م ، دخل جمال الدين السنهوري الطريقة البرهانية، على يد المرشد عثمان عدنان، بمدينة شندي، وقدم الخرطوم وقابل شيخ الطريقة محمد عثمان عبده ، وأخبره بأنه مسافر إلى مصر، فعهد إليه محمد عثمان بنشر الطريقة، وأذن له بالإرشاد، وعند وصوله مصر بدأ بالعمل الجاد لنشر الطريقة ، واستطاع التفوق على المرشد الموجود من قبل ، فأقام زاوية للطريقة بالقرب من الحسين، وبدأ في دعوة واستقطاب الأعيان وأولادهم، فدخل على يديه عدد كبير من المريدين ، وقد تهيأت له عدة أسباب ساعدته على نشر الطريقة منها ما يلي :

(أ) كان خطيباً بارعاً جهوري الصوت ، مؤثراً في النفوس، محبوباً لدى الناس .

(ب) درجته العلمية، ووظيفته المحاماة .

(ج) عمله سكرتيراً لأحد أعضاء مجلس قيادة الثورة المصرية وهو صلاح سالم وزير الإرشاد .

(د) دخول بعض كبار رجال الدولة في الطريقة ، منهم على سبيل المثال عقيل مظهر الذي كان محافظاً .

(هـ) دخول عدد من الأثرياء في الطريقة ودعمهم لها مالياً^١ .

فانتشرت الطريقة ودخل فيها ما يقارب الأربعة ملايين مريد ، وصرحت لها الحكومة بفتح وبناء العديد من الزوايا ، وأصبح لها العديد من الممتلكات الخاصة بها ، المزارع والمصانع ، والمحال التجارية فأصبح جمال مديراً لهذه الممتلكات الخاصة بالطريقة ، فتأقت نفسه إلى نيل خلافة

^١ الطرق الصوفية بين الساسة والسياسة في مصر المعاصرة، الدكتور زكريا سليمان بيومي، ص ٦٥ ، ومقابلة شخصية مسجلة مع المريد علي مصطفى عريفي ، بمنزله بالخرطوم الرياض ، بتاريخ ١٩/٧/٢٠٠١ م . ومقابلة شخصية مسجلة مع المريد محمد حامد حسنين ، بمنزله بالخرطوم الصحافة شرق بتاريخ ١٤/٤/١٤٢٢هـ ، ومقابلة شخصية مسجلة مع المريد محمد إبراهيم أحمد ، بمنزله بالخرطوم اللاماب ، بتاريخ ١٣/٤/١٤٢٢هـ الموافق ٣/٧/٢٠٠١ م .

الطريقة ، بل وخلافة الطرق الصوفية بمصر والعالم الإسلامي، وذلك عندما رأى أن الخلافة يتوارثها الأبناء الصغار عن الآباء الكبار لدى السادة البكرية، الذين كانت لديهم رئاسة ومشيخة الطرق الصوفية، واستقل جمال مكانته في نفوس المريدين ، بل وفي نفس الشيخ نفسه، حيث كان ذراعه الأيمن في مصر منشأ الطريقة، فبدأ بالتفكير في الحصول على نيابة الطريقة ، ثم التدرج بعدها ، فبدأ بمنافسة النائب الأول الرجل المشهود له بالفضل والصدق والإخلاص في نشر الطريقة، ومحبة المريدين له، وله من الأعمال الجليلة ما يشهد على فضله ، منها بناء أول زاوية للطريقة في مدينة عطبرة ، وبناء مسجد وزاوية بمدينة شندي، وزاوية جوبا، وبذل سيارته الخاصة لخدمة الطريقة إلى غير ذلك مما قام به من أعمال جليلة في خدمة الطريقة إلى غير ذلك مما قام به.

وفي سبيل الوصول إلى أهدافه قام جمال السنهوري بعدة محاولات وهي :

(أ) السعي في تغيير اسم الطريقة ، وذلك للتخلص من رئاسة آل عاشور لتكون الطريقة البرهانية بدلاً عن الطريقة البرهامية ، ويكون هو شيخها ، ولكن رئاسة الطرق الصوفية في مصر فطنت لذلك ، ورفضت الفصل الكلي ، وسمحت أن تكون البرهانية فرع من الطريقة البرهامية ، وبيت من بيوتها .

(ب) المحاولة الثانية يرويها كاتب وخادم محمد عثمان عبده المرید علي مصطفى عريفي فيما ملخصه: ((قال: كنت من المقربين إلى الشيخ محمد عثمان عبده ، أعرف السرور والحزن، والغضب في وجهه وذات يوم رأيت وجهه قد تغيرَ وذلك بعد قراءته لخطاب وصله من جمهورية مصر العربية، فعرفت أن في الخطاب شيء قد أغضب الشيخ، فتركته حتى دخل الحمام ففتحت الخطاب وقرأته، فوجدت أن الخطاب مرسل من مرشد الطريقة في مصر جمال السنهوري ، يخبر فيه بأن أحد المريدين قد فتح الله عز وجل عليه وأعطاه مرتبة الغوثية ، فأصبحت له أنا وزير شمال ، وسليمان عوض(المرشد السابق) وزير يمين ، وكان مضمون هذا الخطاب أن هذا المرید الغوث أكبر في المرتبة من الشيخ محمد عثمان نفسه ، فكان ذلك سبب غضب الشيخ . فأرسل محمد عثمان عبده ، نائبه الأول للطريقة إبراهيم أحمد داود ، ومعه شخص آخر اسمه الشفيق ، للتحري في الأمر ومعرفة ملبساته ، فلما وصلا إلى مصر، علما أن الرجل مدَّعي الغوثية رجل نصراني من الأقباط ، وأن في الأمر احتيال من جمال ، ومن القبطي النصراني ، وأن المسألة مفتعلة ، فوبخ إبراهيم أحمد داود جمال السنهوري على ما بدر منه من تصرف ، فكانت تلك بداية سوء العلاقة بين جمال وإبراهيم، فأصبح الأول يسعى للحط من مرتبة الثاني ومنزلته في الطريقة ، وكانت صورة إبراهيم مع صورة محمد عثمان عبده، للدلالة على أنه الخليفة بعده ، فنزلها جمال ، ثم حذف اسم إبراهيم من جملة المشايخ الذين كانت تقرأ لهم الفواتح، وقد كان معهم من قبل ،

وكانت هذه من بوادر الخلاف التي أدت فيما بعد إلى انفصال النائب الأول للطريقة إبراهيم أحمد داود، ومعه عدد من كبار أوائل المريدين^١.

وفي سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م انفصل عن الطريقة البرهامية أحد كبار وأوائل المريدين بمدينة عطبرة، وهو السر الفتوح جيب الله، وقد كان دخوله في الطريقة سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٢م، وسبب انفصاله أنه طالب بإقامة درس في العلوم الشرعية بعد صلاة المغرب في الزاوية بدلاً عن ذكر المراقبة، فمنعه محمد عثمان من ذلك ورفض طلبه، وقال له الطريقة طريقتي أفعل فيها ما أشاء، فانفصل عن الطريقة وتبعه بعض المريدين، وأقام درساً في بيته ودعا له شيخاً اسمه الطاشابي، وكان السر الفتوح يقول أنه كان لا يفهم ما يقوله محمد عثمان عبده في دروسه، وذلك لما فيها من التعقيد، والفلسفة والغرائب التي لا توجد في كتب وأقوال أهل العلم السابقين، من سلف هذه الأمة، وأما محمد عثمان فكان يقول للمريدين، دعوه فإنه لا يفهم، وكان السر يقول لهم: وأنتم كذلك لا تفهمون كلام الشيخ ولكنكم تتظاهرون بالفهم، ونمى خبر الانفصال هذا إلى رئاسة الطريقة في مصر^٢.

تغيير اسم الطريقة البرهامية:

كانت الطريقة تعرف باسم الطريقة البرهامية الدسوقية، وذلك منذ دخولها السودان حتى سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م، وفي هذه السنة قام محمد عثمان عبده بتغيير اسم الطريقة، إلى البرهانية، بالنون بدلاً عن البرهامية بالميم، كما أضاف إليها لفظ الشاذلية، فأصبحت تعرف باسم الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية، ثم تقدم بطلب للرئاسة العامة للطرق الصوفية بمصر بخصوص إجازة هذا الاسم^٣.

وفي يوم الأربعاء ٢٢ شوال ١٣٩٤هـ الموافق ٦ نوفمبر ١٩٧٤م عقد المجلس الصوفي الأعلى بمصر برئاسة محمد محمود السطوحي وأعضاء المجلس، وبحضرة كل من علي محمد محمد عاشور، شيخ الطريقة البرهامية بمصر ومحمد عثمان عبده ونائبه الأول إبراهيم أحمد داود، وكان سبب الاجتماع النظر في الطلب المقدم من محمد عثمان عبده بخصوص تغيير اسم الطريقة، فقرر محمد عثمان في الاجتماع أنه هو وأتباعه يرتبطون بالطريقة البرهامية بمصر، ويستمدون منها إجازاتهم وتقاريرهم، وبعد المناقشة والبحث قرر محمد عثمان على أنه على استعداد لتغيير اللافتات باسم الطريقة البرهامية، لأنه هو أصلاً من الطريقة البرهامية، ولم ينشق عنها، ولكنه طلب أن يكون اسم الطريقة في السودان بالنون أي البرهانية، وقال أنه تابع للطريقة

^١ مقابلة شخصية مسجلة مع المرشد علي مصطفى عريفي، بمنزله بالخرطوم الريـاض، بتاريخ ١٨/٤/١٤٢٢هـ الموافق ٧/٩/٢٠٠١ م.

^٢ مقابلة شخصية مسجلة مع المرشد السر الفتوح جيب الله، بمنزله بمدينة عطبرة، بتاريخ ٨/٤/١٤٢٢هـ الموافق ٦/٢٨/٢٠٠١ م.

^٣ مقابلة شخصية مسجلة مع المرشد عبد الكريم خليل، بمنزله بمدينة كوستي، بتاريخ ٢٨/٣/١٤٢٢هـ.

البرهامية، وشيخها محمد محمد عاشور، وبعد رجوعه إلى السودان قام بتغيير اسم الطريقة في سجلاتها وزواياها إلى الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية^١.

وقد كان محمد عثمان عبده وأتباعه يرون أن الطريقة البرهامية لا تتفك عن الطريقة الشاذلية، فهي ذات صلة وثيقة بها فوالدة مؤسس الطريقة البرهامية إبراهيم الدسوقي، هي أخت أبي الحسن الشاذلي، وقد أخذ الدسوقي من خاله في الصغر، وأن أبا المواهب الشاذلي حفيد إبراهيم الدسوقي الذي نشر الطريقة من بعده، كان شاذلياً.

وكان هذا الذي حدث من تغيير لاسم الطريقة، لم يعجب بعض المريدين، وعلى رأسهم النائب الأول للطريقة إبراهيم أحمد داود، حيث كانوا يرون أن الطريقة يجب أن تبقى على اسمها الأول حرصاً على وحدة الطريقة، وأن الطريقة الشاذلية، طريقة منفصلة، ومستقلة عن الطريقة البرهامية، وأن هذا خلط في الطرق، وأنه لا علاقة بين إبراهيم الدسوقي وأبي الحسن الشاذلي، وأن والدة الدسوقي هي فاطمة بنت أبي الفتح الواسطي، وليست فاطمة الشاذلية، أخت أبي الحسن الشاذلي، كما إبراهيم الدسوقي لم يأخذ من أبي الحسن الشاذلي شيئاً^٢.

انفصال النائب الأول للطريقة إبراهيم أحمد داود :

في سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٩م انفصل عن الطريقة نائبها الأول إبراهيم أحمد داود وتبعه عدد من المريدين، وقد تضافرت على انفصاله عدة أسباب منها ما يلي:

- (١) تغيير اسم الطريقة، وإن كان بعض أتباعه يرون أن ذلك لم يكن سبباً أساسياً لانفصاله^٣.
- (٢) وجود بعض المخالفات الشرعية في الطريقة، والتي غضَّ محمد عثمان عبده شيخ الطريقة عنها طرفه مع النصائح الكثيرة المتكررة، فمن هذه المخالفات على سبيل المثال :
 - (أ) الذكر المختلط بين الرجال والنساء في مكان واحد، مع إطفاء الإضاءة، وجعل المكان مظلماً، في مرحلة معينة من مراحل الذكر، وقد جاء أحد المرشدين واسمه فتوح أحمد عبده، من مصر ليخبر محمد عثمان عبده بهذه المخالفة في الذكر، مستنكراً لها، فلم ينه محمد عثمان عن ذلك، وتمسك جمال السنهوري ومن معه من المريدين بمصر بهذه الصفة في الذكر وأخذوا يبحثون عن أدلة شرعية لها، ومن هذه المخالفات الشرعية، الاهتمام بالذكر الليلي المسمى بالحضرة وما فيه من إنشاد، والسهر عليه حتى آخر الليل مما يؤدي إلى تقويت صلاة الفجر في المساجد مع الجماعة^٤.

^١ صورة محضر الاجتماع في الملاحق ص ٣٩٦-٣٩٧.

^٢ مقابلة شخصية مسجلة مع المريد محمد حامد حسنين، بمنزله بالخرطوم الصحافة شرق، بتاريخ ١٤/٤/١٤٢٢هـ.

^٣ مقابلة شخصية مسجلة مع المريد محمد إبراهيم أحمد، بمنزله بالخرطوم اللاماب بتاريخ ١٣/٤/١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/٧/٣ م.

ومقابلة شخصية مسجلة مع المريد السر الفتوح، بمنزله بمدينة عطبرة بتاريخ ٨/٤/١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/٦/٢٨ م.

^٤ مقابلة مسجلة مع المريد محمد حامد حسنين، بمنزله بالخرطوم الصحافة شرق، بتاريخ ١٤/٤/١٤٢٢هـ.

(ب) شعور إبراهيم أحمد داود بفوات الخلافة منه وذلك إثر خلافه مع جمال السنهوري، مع ظهور من يدعو بالخلافة لإبراهيم ابن محمد عثمان عبده، مع أن أتباعه ينفون طمعه في الخلافة^١.

(ج) الاهتمام الزائد بالدنيا وظهور بعض مظاهر الترف غير المعهودة، لدى المريدين في المأكل والمشرب والملبس^٢.

ظلت جماعة إبراهيم أحمد داود تدين بالولاء التام للطريقة الأم في جمهورية مصر العربية، وقد وقعت بعض النزاعات، بين جماعة محمد عثمان عبده، وجماعة إبراهيم أحمد داود، حول بعض الممتلكات منها : زاوية إبراهيم خطاب، وزاوية ومسجد شندي، الذي قام إبراهيم أحمد داود ببنائه، بل وشارك في بنائه بماله الخاص، حتى وصل الأمر إلى المحكمة فقضت بتسليم المسجد والزاوية لجماعة محمد عثمان عبده، وقد أدت هذه النزاعات إلى حدوث جفوة بين أتباع الجماعتين، إلا أنها بدأت تزول شيئاً فشيئاً بمرور الزمن، ويرأس جماعة إبراهيم أحمد داود اليوم الأستاذ محمد حامد حسنين، الذي يعمل أستاذاً بكلية العلوم الإدارية، وطريقتهم تعرف بالطريقة البرهانية، وأتباعها قلة بالمقارنة مع جماعة محمد عثمان عبده، الذين تعرف طريقتهم بالطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية^٣.

صدر فتوى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف :

في سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٤م قام محمد عثمان عبده بجمع كتابيه تبرئة الذمة في نصح الأمة، وبطائن الأسرار، وقد تضمن كل من الكتابين العديد من المخالفات الشرعية، المخالفة للعقيدة الإسلامية الصحيحة، فأصدرت رئاسة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، بعد دراسة الكتابين، حكماً بحظر ومنع تداول الكتابين، وكفر مؤلفهما، وكفر وردة كل من انتمى إلى الطريقة البرهانية عن قناعة واختيار، وقد تناولت الصحف المصرية القرار ونشرته ومن أشهر الصحف التي نشرت الفتوى صحيفة اللواء الإسلامي في عديدها الصادرين بتاريخ الخميس ٢٠ من محرم سنة ١٤٠٩هـ والخميس ٢٧ من محرم سنة ١٤٠٩هـ، وأصدرت السلطات المصرية حكماً بحظر الطريقة البرهانية في مصر، إلا أن محمد عثمان استمر في الدعوة إلى^{طريقته}، وبالاعتماد على نفس الكتابين، وعزى صدور الفتوى إلى الحسد وإلى جهات تريد محاربة التصوف وبذلك اقتنع أتباعه^٤.

^١ مقابلة شخصية مسجلة مع المرشد السر الفتح، بمنزله بمدينة عطبرة، بتاريخ ١٤٢٢/٤/٨هـ الموافق ٢٠٠١/٦/٢٨ م .

^٢ مقابلة شخصية مسجلة مع المرشد محمد حامد حسنين، بمنزله بالخرطوم الصحافة شرق، بتاريخ ١٤٢٢/٤/١٤هـ.

^٣ المصدر السابق .

^٤ مقابلة شخصية مسجلة مع مرشد الطريقة البرهانية بمدينة عطبرة، إدريس عمر بلول بمنزله، بتاريخ ١٤٢٢/٤/٩هـ الموافق ٦/٢٩

٢٠٠١/ م ، ومقابلة شخصية مع المرشد إبراهيم حامد حسنين، بمنزله بمدينة حلفا الجديدة، القرية ١٩، بتاريخ ١٤٢٢/٣/١٠هـ الموافق ١/

وفي سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٩م قامت السلطات السودانية بواسطة وزارة الداخلية بإلقاء القبض على أتباع الطريقة البرهانية ، كما قامت بحرق جميع مؤلفات الطريقة البرهانية^١ .
وفي سنة ١٤٠٠هـ / سبتمبر ١٩٨٠م وبعد الاطلاع على أحكام المواد ٨ ، ١١ ، ١٤ ، ٢٦ من أحكام القانون ١١٨ لسنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٦م ، وعلى أحكام اللائحة التنفيذية الصادرة بقرار السيد رئيس الجمهورية رقم ٥٤ لسنة ١٩٧٨ أصدر المجلس الأعلى للطرق الصوفية بجمهورية مصر العربية ، برئاسة شيخ المشايخ محمد محمود السطوحي ، قراراً بالرقم ٥ لسنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ونص المادة الأولى منه : ((عزل السيد محمد عثمان عبده من وظيفته ومشيخته لمشيخة الطرق الصوفية بجمهورية السودان الديمغراطية والسابق صدوره من المشيخة العامة للطرق الصوفية وإعفائه من جميع اختصاصاته وما فُوض فيه منا بصفتنا .

المادة الثانية : ((تخطر الجهات المعنية الرسمية والدينية بكل من جمهورية مصر العربية وجمهورية السودان الديمغراطية للعمل على تنفيذ هذا القرار كل فيما يخصه))^٢ .

وبتاريخ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م / ٨ / ٣ كتبت مشيخة الطرق الصوفية بجمهورية مصر العربية خطاباً إلى كل من وزير الداخلية ووزير الحكم الشعبي بجمهورية السودان الديمغراطية تخبرهما فيه بأن محمد عثمان عبده البرهاني خرج على الأصول الصوفية والتقاليد والمصطلحات المعمول بها في جمهورية مصر العربية وأنه جعل أبناء الطريقة البرهانية شيعاً وفرقاً وأحزاباً ، وأنه تم تنبيهه ولكنه لم يلتزم بقرارات المجلس الأعلى للطرق الصوفية وقد تم إعفائه نهائياً من توكيل المشيخة الصوفية بالسودان ، فيرجى إعلانه بذلك وإخبار الجهات المسؤولة بهذا القرار ، وأن المشيخة سوف تقوم بالاتصال بعمداء الطرق الصوفية في السودان لاختيار أحد العلماء المتصوفين المشهود لهم بالصلاح لتعيينه وكياً للمشيخة العامة للطرق الصوفية بدلاً من السيد المذكور^٣ .

وقد تناولت وسائل الإعلام المصرية هذا القرار ، ونشرته الصحف والمجلات ، والدوريات ، ومن أشهر المجلات التي تناولت هذا الموضوع مجلة التصوف الإسلامي (شريعة وطريقة وحقيقة) والتي تصدر عن المجلس الأعلى للطرق الصوفية بمصر ، وقد نشرت القرار في أعدادها ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، لسنة ١٤٠٠هـ _ ١٩٨٠م ، كما تناولت قرار حظر الطريقة والأسباب التي دعت إلى ذلك ، ومحاولة الطريقة للاستمرار في نشاطها بالرغم من قرار الحظر الصادر^٤ .

^١ مقابلة شخصية مع المرید إبراهيم حامد حسنين ، بمنزله بمدينة حلفا الجديدة ، القرية ١٩ ، ومقابلة شخصية مسجلة مع المرید عبد الكريم خليل ، بمنزله بمدينة كوستي ، بتاريخ ١٤٢٢ / ٣ / ٢٨ هـ الموافق ٢٠٠١ / ٦ / ١٩ م

^٢ المنشور ضمن الملاحق ص ٣٩٩ .

^٣ المنشور ضمن الملاحق ص ٤٤٠ - ٤٤١ .

^٤ صور قرار الحظر ضمن الملاحق ص ٤٠٤ - ٤٠٦ .

واستمر أتباع الطريقة البرهانية في نشاطهم بالوسائل المتاحة لهم ، والمتمثلة في إلقاء الدروس والذكر في الزوايا الخاصة بالطريقة ، وهي عديدة ، وقد مُنعوا من إقامة المواكب العامة التي كانت تسيّرُها الطرق الصوفية بمصر^١ .

إبراهيم محمد عثمان عبده شيخاً للطريقة البرهانية :

في الثمانينات وقبل وفاته قام محمد عثمان عبده بتعيين ابنه إبراهيم خليفة له وشيخاً للطريقة من بعده، وقد أشار إليه بعض كبار المريدين بذلك ، فاستمر في نشر الطريقة خلفاً لأبيه، ولكن في بداية عهده حصلت فرقة وشتات بين المريدين ، من أتباع الطريقة، فسعى في جمع الكلمة ووحدة الصف والتآلف، وفي سبيل ذلك قام بكتابة منشور، وجّه فيه النصائح والإرشادات للمريدين، ودعاهم إلى الاتفاق ونبذ الفرقة والخلاف، ومع حرصه على وحدة الكلمة، ظلت بوادر الفرقة تهدد وحدة الطريقة، فكان أول خلاف له مع أربعة من كبار المريدين، ممن كانوا من أعوان والده، وبلغ بعضهم درجة الإرشاد، وهم : محمد أبو يزيد، ومحمود محمد سليمان ، ومحمد نجيب صالح، وأحمد محمد إسماعيل. وقد قام إبراهيم محمد عثمان عبده بفصل هؤلاء الأربعة من الطريقة، وأعلن ذلك في صحيفة السودان الحديث الصادرة بتاريخ ١٥/ربيع أول سنة ١٤١٦هـ الموافق ١١ أغسطس ١٩٩٥م، العدد ٢٠٢٨ ، و أوضح في بيانه أن هؤلاء الأربعة لا يمتنون إلى الطريقة البرهانية بصلة، ولا يمثلون إلا أنفسهم، وهم مفصولون عن الطريقة البرهانية، وتكرر بيان فصلهم في نفس الصحيفة في العدد ٢٠٣٠ من نفس السنة^٢ .

الطريقة الفخرية البرهانية الدسوقية الشاذلية :

قام أولئك الأربعة بعد فصلهم عن الطريقة بإصدار بيان في ذات الصحيفة، رداً على بيان إبراهيم محمد عثمان عبده بتاريخ ١٥ ربيع ثاني ١٤١٦هـ الموافق ٣١ أغسطس ١٩٩٥م، العدد ٢٠٤٨ ، وأوضحوا في بيانهم خطأ نهج إبراهيم محمد عثمان عبده في اتخاذه منهج العزل في الطريقة، وهو منهج دخيل، وقد حاد عن نهج والده الروحي، واستقل الطريقة لأغراض دنوبية، وبيّنوا في بيانهم مكانتهم في الطريقة البرهانية، فأما محمد أبو يزيد فقد أسلم محمد عثمان عبده روحه بين يديه ، وأما محمود محمد سليمان، فقد كلفه محمد عثمان عبده بالإرشاد في حياته، وهو مكلف بإنشاء الزوايا داخل وخارج السودان، وله شهادة إجازة بذلك من محمد عثمان عبده ، وأما محمد نجيب صالح فقد كلفه محمد عثمان عبده بالإرشاد في حياته ، وأما أحمد محمد إسماعيل فقد عيّن شيخاً للطريقة البرهانية من المجلس الأعلى للتصوف بمصر، وقد ذُبل هذا البيان بعبارة :

^١ مقابلة شخصية مسجلة مع مرشد الطريقة البرهانية ، إدريس عمر بلول ، بمنزله بمدينة عطبرة ، بتاريخ ٩/٤/٢٠٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/٦/٢٩ م .

^٢ صور المنشور ضمن الملاحق ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

((اللجنة العليا للطريقة البرهانية الفخرية)) والفخرية نسبة إلى فخر الدين وهو لقب محمد عثمان عبده البرهاني، وأعلن الأربعة انفصالهم عن إبراهيم محمد عثمان عبده^١.
حظر النشاط الصوفي لإبراهيم محمد عثمان عبده وأتباعه بمصر :

في سنة ١٤١٤هـ — التاسع من يوليو ١٩٩٤م أصدر المجلس الأعلى للطرق الصوفية بجمهورية مصر العربية ، قراراً بحظر النشاط الصوفي لإبراهيم محمد عثمان عبده وأتباعه بمصر ، ذلك بناءً على عدد من المواد الواردة في القانون الخاص بنظام الطرق الصوفية في مصر، وفي الرابع من فبراير من سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م عيّنت المشيخة العامة للطرق الصوفية بمصر ، أحمد محمد إسماعيل نائباً عن الطريقة البرهانية عن أبناء الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني، وقد كتبت له شهادة بذلك من مشيخة عموم الطرق الصوفية بمصر ، كما أعطيت له شهادة بذلك من المجلس الأعلى للذكر والذاكرين بجمهورية السودان ، وقد سمحت له الحكومة السودانية ببناء مجمع إسلامي باسم السيد إبراهيم الدسوقي، بمحافظة أم درمان، بمحلية أبي سعد، وقام أحمد محمد إسماعيل بشكوى إلى المحكمة الدستورية العليا في السودان ، لإثبات أحقيته في رئاسة الطريقة في السودان، فهو يرى أنه أحق برئاسة الطريقة من إبراهيم محمد عثمان عبده ، واستخرج أحمد محمد إسماعيل شهادة لمحمد نجيب من رئاسة الطريقة بمصر ليكون مرشداً للطريقة البرهانية في السودان، ولكن محمد نجيب رفض تغيير اسم الطريقة من برهانية فخرية إلى برهانية^٢.
وفاته :

توفي في شعبان من سنة ١٤٢٤هـ / أكتوبر ٢٠٠٣م ، وخلفه ابنه محمد إبراهيم محمد عثمان عبده البرهاني في رئاسة الطريقة ومشيختها .
محمد نجيب مرشداً للطريقة الفخرية :

هو محمد نجيب صالح من مواليد مدينة الدلنج بغرب السودان ، تلقى تعليمه في معهد الخرطوم العلمي الذي كان مديره في ذلك الوقت علي هاشم السراج، وممن درس عليهم من المعلمين في المعهد، عثمان الزبير، ويوسف عمر العسيلاتى، وسيف الدين أبو العزائم، وغيرهم . دخل الطريقة البرهانية على يد محمد عثمان عبده ، سنة ١٩٧٣ _ ١٩٧٤م، ثم تدرج في الطريقة حتى بلغ درجة مرشد، وأذن له محمد عثمان عبده في التدريس، في حياته، وله تلاميذ ، وكانت له في الأسبوع ثلاثة دروس ، يقيما في زاوية الطريقة بالقرب من السوق الشعبي الخرطوم .
سبب عزل محمد نجيب عن الطريقة البرهانية :

^١ صورة المنشور ضمن الملاحق ص ٤١٠ .

^٢ صورة المنشور ضمن الملاحق ص ٤١١ ومقابلة شخصية مسجلة مع السيد محمد أبى يزيد ، بمنزله بالخرطوم الرياض بتاريخ ١٣/١٢/٢٠٠١م . وانظر الملاحق ص ٤١٢ - ٤١٣ - ٤٤٠ .

بعد وفاة محمد عثمان عبده، اختلف ابنه إبراهيم مع محمد أبو يزيد، الذي كان من كبار أعوان والده، وكان سبب الاختلاف، أن أبا يزيد كان يرى أن إبراهيم محمد عثمان لم يرق بما يجب عليه أن يقوم به مما كان والده يقوم به في الطريقة من إرشاد الناس وتعليمهم، فنصح أبو يزيد إبراهيم أن يعين شيخاً لتدريس الناس إن لم يكن هو أهل لذلك، فغضب إبراهيم من هذه النصيحة واعتبرها تدخلاً في شؤونه الخاصة، وعزل محمد أبا يزيد من الطريقة، وكانت دروس محمد نجيب مستمرة في الزاوية، وكان ممن يحضرها من المريدين محمد أبو يزيد، فطلب إبراهيم من محمد نجيب أن يمنع محمد أبا يزيد من حضور الدرس، فرفض محمد نجيب ذلك، ولم ير مانعاً شرعياً يمنع به محمد أبا يزيد من حضور الدرس، فقال له إبراهيم : إن لم تمنعه فسوف أعزلك عن الطريقة كما عزلته ، فرفض محمد نجيب هذا التهديد، ولم يمنع محمد أبا يزيد من حضور الدرس، فعزله إبراهيم محمد عثمان، وبعد عزلهما قاما بتأسيس الطريقة الفخرية سنة ١٤١٤ - ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤ - ١٩٩٥م فصار محمد نجيب مرشداً لها ، ومحمد أبو يزيد نائباً له ، وقد حصل نزاع في أول الأمر بين أتباع الطريقتين، فتم حسمه بواسطة السلطات الحكومية، وأتباع الطريقة الفخرية يتولون محمد عثمان عبده، ويتبرعون من ابنه إبراهيم، ويعتبرون أنه غير في منهج والده في العلم، وأوراد الطريقة هي نفس أوراد الطريقة البرهانية، وللطريقة اليوم مجمع لتعليم القرآن الكريم وعلومه، بمحافظة أم درمان ، أم بدة الحارة ١٤ ، ويشرف عليه إشراف مباشر محمد نجيب ، و لها مسجد وزاوية في أنقولا بمحافظة أم درمان، والحاج يوسف بالخرطوم، وزوايا في كل من الدخينات، وفي بعض أقاليم السودان، في كوستي، وكتم، ونيالا ، و واو .

أما محمود محمد سليمان فقد كانت له إجازة، وإذن بالإرشاد، وبناء الزوايا، والإشراف عليها من محمد عثمان عبده البرهاني، فسافر محمود إلى أمريكا، وقام بنشر الطريقة فيها، وبنى العديد من الزوايا، تزيد على العشرين زاوية، وسجلها باسمه، وبعد وفاة محمد عثمان عبده ، اختلف محمود مع ابنه إبراهيم، وكان سبب اختلافه، أن إبراهيم طلب منه زيادة الدعم والمشاركة المالية الواردة للطريقة في السودان، من أتباع الطريقة ومريديها بأمريكا، فرفض محمود ذلك، فعزله إبراهيم وأراد الاستيلاء على ممتلكات الطريقة هناك ومنها الزوايا، فوجدها مسجلة باسم محمود فلم يستطع أخذها^١.

^١ مقابلة شخصية مع شيخ الطريقة البرهانية الفخرية ، بأمدرمان أمبدة محمد نجيب صالح ، بمجمع الطريقة بأمبدة بتاريخ ٦/١٠/٢٠٠٢ م .

المطلب الخامس

الهيكل التنظيمي للطريقة البرهانية

تمتاز الطريقة البرهانية على غيرها من الطرق الصوفية بتنظيم محكم ساعد على نشر الطريقة ، وربط أتباعها بعضهم ببعض، ومن دواعي هذا التنظيم انتشار الطريقة في العديد من أقطار العالم ، فضلاً عن انتشارها في الكثير من الأقاليم والمدن والقرى في مختلف أنحاء السودان .

بدأ التنظيم تقليدياً في أول الأمر ثم تطور بعد ذلك حتى بلغ ما هو عليه اليوم ، فقد كان السرايط بين الشيخ والمرشدين هم المرشدون، وكان لكل منطقة مرشدها، ثم جعل لكل منطقة نواب، وهم أعلى من المرشدين في الدرجة ، ويقومون بالإشراف عليهم، وعددهم أقل من عدد المرشدين . وفي المرحلة الأخيرة من تطور التنظيم أُتبع فيه نظام اللجان ، وهي كالاتي :

لجان دولية ، ولجان قطرية ، ولجان مدنية ، وتحتوي كل لجنة من هذه اللجان على ست لجان فرعية مع رئيس لكل لجنة وهي : لجنة الدعوة والإرشاد ، ولجنة المال ، ولجنة الشباب ، ولجنة المرأة ، ولجنة الإنشاد ، ولجنة الإعلام ؛ وكل هذه اللجان ترأسها لجنة واحدة ، وهي اللجنة العليا للطريقة ، مقرها المركز الرئيسي للطريقة بالخرطوم بالقرب من السوق الشعبي الخرطوم، ويشرف عليها شيخ الطريقة إبراهيم محمد عثمان عبده، وتقوم هذه اللجان الفرعية بكتابة تقارير شهرية ترسلها للجنة العليا توضح فيها سير العمل في الطريقة، كما تنظم هذه اللجان اجتماعات دورية تناقش فيها نشاطات الطريقة والعوائق والتي تعترضها، والمطلوب فعله في المرحلة المقبلة ، وما تم إنجازه في المرحلة السابقة والاحتياجات، وغير ذلك من أمور تتعلق بأمر الطريقة تحتاج إلى المناقشة وإبداء الرأي والشورى، ولكل لجنة أن تقوم بتكوين لجان فرعية تابعة لها، فمثلاً لجنة التأليف والترجمة والطباعة تتبع للجنة الدعوة والإرشاد، وتقوم هذه اللجان بنشاطات مختلفة حسب طبيعة عملها، فلجنة الدعوة والإرشاد مثلاً تقوم بإقامة دورات لتأهيل الدعاة والمرشدين، ولجنة التأليف تقوم بطباعة الكتب بعد مراجعتها¹ .

أماكن انتشار الطريقة البرهانية في السودان :

انتشرت الطريقة في الكثير من مدن وقرى السودان ، وكانت أولى المدن التي بدأت منها الطريقة وانتشرت فيها مدينة وادي حلفا (حلفا القديمة) بشمال السودان ، ثم انتشرت فيما بعد في كل من عطبرة و الخرطوم وشندي والدامر وكريمة ودنقلا وأبو حمد وبربر والحصاحيصا ورفاعة ومدني وسنار والروصيرص والدمازين والقضارف وحلفا الجديدة وكسلا وبورتسودان وسواكن وربك وكوستي والدويم والجزيرة أبا وأم روابة والرهد والنهود والأبيض والدننج و الفاشر ونيالا

¹ مقابلة شخصية مع مرشد الطريقة البرهانية بمدينة رفاعة ، الطاهر الطيب محمد خير ، بمكان عمله بديوان الضرائب ، بمدينة الحصاحيصا بتاريخ ٢٠/٨/٢٠٠١ م .

وبابنوسة والجنينة وجوبا ومكال و واو ، وغيرها من مدن السودان . هذا فضلاً عن انتشارها في العديد من القرى . وتعتمد الطريقة في انتشارها على بناء الزوايا ، وإقامة شعائر الطريقة ومناسباتها الدينية فيها ، سواء كانت هذه المناسبات يومية أو أسبوعية أو شهرية أو سنوية ، من حلقات ذكر أو دروس أو موالد وحوليات . ثم اتجهت الطريقة أخيراً لبناء المساجد فحتى عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م كانت مساجد الطريقة المشيئة ثمانية مساجد فقط ، في كل من الدامر وعطبرة وشندي وبربر وكسلا وبورتسودان والأبيض والحصاحيصا . ثم اتجهت الفكرة إلى بناء مسجد كبير بالمركز الرئيسي للطريقة بالخرطوم ، فبدأ العمل فيه سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩ م ، وخطت له ليسع أربعة آلاف مصل^١ ، وتم افتتاحه في أبريل من عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م .

أماكن انتشار الطريقة البرهانية في العالم :

انتشرت الطريقة في كثير من دول وأقطار العالم ، في كل القارات أفريقيا وآسيا ، وأوروبا ، وأمريكا الشمالية والجنوبية ، وأصبح لها العديد من الزوايا والمريدين في معظم الدول ، فمن هذه الدول التي دخلتها الطريقة ، مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وأثيوبيا وتشاد والكويت والعراق واليمن والأمارات والأردن وسوريا والهند وباكستان وألمانيا واليابان وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وبنما وسويسرا والأرجنتين والنمسا وهولندا وكندا وأستراليا والدنمارك والنرويج والسويد ، وغيرها من دول العالم^٢ .

^١ مکتوب صادر عن لجنة الدعوة والإرشاد بالطريقة البرهانية .

^٢ المصدر السابق .

المطلب السادس

كيفية الدخول في الطريقة البرهانية

الدخول في الطريقة يتمثل في أمرين :

(أ) العهد

(ب) سلوك الأوراد

العهد :

العهد يشتمل على استقبال وفواتح وذكر للاسم المفرد (الله) والصلاة الذاتية . وأما الأوراد فيقرأها المرشد ما عدا الاسم المفرد فيلقن للمريد السالك بعد دخوله الطريقة . وصيغة الاستقبال هي : آمين آمين اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وأما الفواتح فتقرأ سورة الفاتحة ويهدى ثواب قراءتها للمشايخ ، وللمشايخ سلسلتين صغيرة وكبيرة ، وتبتدئ السلسلة الصغيرة من الشيخ المرشد الموجود إلى أن تبلغ مؤسسة الطريقة إلى الحسين بن علي رضي الله عنه ميناء الطريقة إلى النبي صلى عليه وسلم منبع الطريقة باطنياً . وأما الاسم المفرد فيلقن للمريد السالك الاسم المفرد (الله) فيقول في سرّه وهو ممسك بالمسبحة (الله) (الله)، ويستمر في الذكر به . وأما الصلاة الذاتية فصيغتها هي : ((اللهم صل على الذات المحمدية اللطيفة الأحذية شمس سماء الأسرار ومظهر الأنوار ومركز مدار الجلال وقطب فلك الجمال اللهم بسرّه لديك وبسيره إليك آمن خوفي وأقل عثرتي وأذهب حزني وحرصني وكن لي وخذني إليك مني وارزقني الفناء عني ولا تجعلني محجوباً بحسي واكشف لي عن كل سر مكتوم يا حي يا قيوم))^١ . وبعد إكمال الاستقبال والفواتح والذكر والصلاة الذاتية يكتمل العهد بين المرشد والمريد ، ويسكت المريد عن الذكر ، وبذا يكون قد اندرج في سلك الطريقة وأصبح شيخ الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية شيخاً ومرشداً له^٢ .

سلوك الأوراد :

يشرع المرشد في تسليك المريد الطريقة ، والمتمثلة في الفواتح والأساس وقراءة بقية الأحزاب التي تستعمل في التحصين ، ويعطى المريد في المرحلة الأولى الاستغفار وصيغته : ((أستغفر الله العظيم وهو التواب الرحيم))^٢ ، حتى يكمله إلى سبعين ألف مرة وهو مهم و ضروري للمريد عند الدخول في الطريقة ليكون له كالتطهارة للدخول على الذكر ، ثم ينتقل إلى الصلاة على الرسول

^١ مجموعة أوراد الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ص ٣٠ - ٣١ .

^٢ مقابلة شخصية مسجلة مع مرشد الطريقة البرهانية بمدينة عطبرة ، إدريس عمر بلول ، بمنزله ، بتاريخ ١٤٢٢/٤/٩ هـ الموافق ٦/٢٩

صلى الله عليه وسلم ثم ينتقل بعدها إلى التهليل (لا إله إلا الله) حتى يكمله إلى سبعين ألف مرة ، ثم ينتقل بعده إلى الاسم المفرد (الله) حتى يكمله إلى ستة آلاف وستمائة وستين مرة ، ثم ينتقل إلى الأوراد المربوطة وأحزاب التحصين¹ .

ويستدل البرهانية على شرعية الطريقة في الدين ، واشتراط اتخاذ الشيخ لتلقي الأوراد للمريد ، مع أهمية التلقين وأثره في نفس المرید ، بأن الطرق لم تكون وليدة اليوم وإنما كانت منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم ، وأن في ذلك نصوص منها: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : أتني يا رسول الله شيئاً أذكر الله به [وهي عبادة التلقين في الطريقة] فقال له : قل : (الله) قال : كل الناس يقولونها يا رسول الله فقال له : هذه ليست كتلك فذكر بها سيدنا أبو بكر وأعطى بعض الصحابة . فكانت هناك طريقة تسمى البكرية في زمن الصحابة ثم جاء علي رضي الله عنه وهو ابن أبي طالب وقال أتني يا رسول الله كما أتيت أبا بكر فقال له قل : لا إله إلا الله فقال كل الناس يقولونها فقال : هذه ليست كتلك (فصارت الطريقة بكرية وعلوية ولكن لظهور الإسلام كان لا بد من نشر الظاهر في علوم الإسلام ، وصار من أولئك أهل الصفة الذين كانوا يذكرون الله ، وفي رواية أخرى أن أبا بكر رضي الله عنه اختار أن يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذكر الخفي والذكر الجهرى فلقنه رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم الذات بالسر وهو (الله) واسم النفي والإثبات بالجهر وهو (لا إله إلا الله) فدأب عليهما رضي الله عنه ليكون جامعاً بين السر والجهر والظاهر والباطن والشرعية والحقيقة . وأصل الطرق يرجع إلى طريقتين وهما الصديقية الذين أصلهم سيدنا أبو بكر الصديق وعلوية الذين أصلهم سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله تعالى وجهه، وإن كان صلى الله عليه وسلم أعطى العهد لكثير من الصحابة كسيدنا أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه ، كما ينتهي إليه أحد سندي سيدي أبي الحسن الشاذلي، والآخر عن سيدنا علي رضي الله تعالى عنهم، وممن أخذ العهد على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا سلمان الفارسي وسيدنا أبو هريرة ...

ولكن لم يشتهر قديماً ولا حديثاً إلا ما كان لسيدنا الصديق وهم النقشبندية ، وما كان لسيدنا علي وهم الخلوتية ، وإن كان عن سيدنا علي كثرت الفروع بالنسبة لأولاده وكذا أخذ العهد عن سيدي زينب بنت سيدنا علي رضي الله عنه السيدة شعوانة² البصرية والسيدة ريحانة³ الحبشية ... ومرجعهم إلى علي رضي الله عنه ، وهذا هو سبب العهد الذي لا يكون إلا عن الأشياخ العارفين

¹ المصدر السابق .

² ترجم لها الشعرائي في طبقاته الكبرى ، ولم يذكر اسم والدها ولا اسم جدتها ، وذكر أن الفضيل بن عياض كان يتردد إليها ويسألها الدعاء ((الطبقات الكبرى ج ١ / ٦٧)) .

³ هي من موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ، عبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السادسة والعشرون ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ج ١ / ١١٦ .

ثم تعددت الطرق باشتهار الأفاضل البارزين في كل عصر كالقادرية والرفاعية والأحمدية ... ومرجع الجميع إلى سيدنا علي رضي الله عنه وهي المشتهرة الآن بالخلوتية^١ ، ومما يقال عند تلقين المريد العهد وهو أمر ضروري فيه الاستغفار ليكون له كالطهارة للدخول للذكر ، ثم الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم يوصي الشيخ المريد بالمحافظة على الطاعات والبعد من المحرمات^٢ ، وأما الدليل على شرعية الشيخ لإرشاد المريد ، وتلقينه الأوراد ، قوله تعالى: ((وَمَنْ يَضَلِّ فَلَنْ تُجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا))^٣ ، وتعتبر الأذكار المسماة بالأساس في الطريقة كأصل الدين وأساسه في أهميتها ، ويجب على كل مريد أن يحافظ عليها ، ولا تسقط بحال من الأحوال ، وإن تركها لعذر وجب عليه قضاؤها .

وبالنظر إلى ما سبق مما استدلوا به على مشروعية الطريقة والعهد والتلقين فإنه يقال : أولاً : العبادة في الدين توقيفية ، فلا يصح منها إلا ما ثبت ثبوتاً قطعياً بدليل شرعي ، بأمر من الله تعالى مع بيان الرسول صلى الله عليه وسلم لها .

ثانياً : الآثار التي استدلت بها البرهانية على مشروعية الطرق في الدين لم تثبت سنداً ولا متناً ، حتى يؤخذ بها في إثبات عبادة من العبادات ، بل هي آثار موضوعة مكذوبة على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، بل فيها ما هو ليس بحديث لا صحيح ولا ضعيف ولا موضوع ومما يدل على ذلك ما يلي :

(أ) من المستحيل أن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأمر في الدين لا يفيد طاعة ولا إيماناً ، وهو الذكر بالاسم المفرد (الله) ، وقد قال الله سبحانه عنه: ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ))^٤ ، وهو أبلغ العرب ، وأفصحهم ، ومؤيد بالوحي ، فلا يمكن أن يصدر منه ما لا يفيد معنى وما يُعد لغواً ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ((الذكر بالاسم المفرد مظهراً ومضمراً ، بدعة في الشرع وخطأ في القول واللغة ، فإن الاسم المجرد ليس هو كلاماً لا إيماناً ولا كفوياً))^٥ ، ويقول : ((وأما ذكر الاسم المفرد فبدعة لم يشرع وليس بكلام يعقل ولا فيه إيمان ، لهذا صار بعض من يأمر به من المتأخرين يبين أنه ليس قصدنا ذكر الله تعالى ولكن جمع القلب على شيء معين حتى تستعد النفس لما يرد عليها))^٦ .

^١ مقابلة شخصية مسجلة مع مرشد الطريقة البرهانية بمدينة عطبرة ، إدريس عمر بلول ، بمنزله ، بتاريخ ١٤٢٢/٤/٩ هـ الموافق ٦/٢٩/٢٠٠١ م . وانتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبيد ص ١٩٤ - ١٩٧ .

^٢ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ص ١٩٨ .

^٣ سورة الكهف (١٧) .

^٤ سورة النجم (٣ - ٤) .

^٥ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١٠ / ٣٩٦ .

^٦ المصدر السابق ج ١٠ / ٣٩٦ - ٣٩٧ .

(ب) أمر البلاغ في الدين من الأمور والمهمة، والعامّة لكل الأمة، وكذلك أمر العبادة، قال الله سبحانه: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ))^١، فتخصيصه صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة بعبادة دون البعض الآخر مما ينافي عموم رسالته ودعوته، ويلزم منه الكتمان في حق بقية الأمة، وهو مما لا يقول به مسلم .

(ج) من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بالتوحيد وجمع الكلمة، فكيف يفرّق بين الصحابة فيخص هذا بعبادة وآخر بعبادة أخرى ، مما يجعلهم مختلفين فرقاً و أحزاباً لكل واحد جماعته وطريقته في العبادة ، وهو ما ينافي ما جاء به صلى الله عليه وسلم من التوحيد ، يقول الله تعالى : ((وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا))^٢ . ويقول سبحانه: ((مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ))^٣.

(د) الطرق وما اشتملت عليه لو كانت من الدين المأمور به شرعاً لكانت مما تتوافر الدواعي و الهمم على نقله ، وقد نقل ما هو دونها من مسائل الدين ، ولاشتهرت كسائر أمور الدين المأمور بها الصلاة والصوم وغيرها ، فلما لم يستفرض أمرها ويشتهر ، علم أنها ليست من الدين المأمور به شرعاً .

(هـ) لا توجد علاقة من ناحية تاريخية ولا لغوية بين أهل الصفة وأصحاب الطرق الصوفية ، فنسبة الصوفية إلى الصوف الذي اشتهر بعضهم بلبسه كما تقدم ، ولو كانت نسبتهم إلى الصفة لقليل صفة ، وأهل الصفة كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما الطرق الصوفية فقد نشأت في القرن السادس الهجري .

(و) ليس في لبس خرقة الصوفية حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه يقول العلامة عبد الرحمن بن علي المشهور بابن الدبيع الشيباني : ((حديث لبس خرقة الصوفية وكون الحسن البصري لبسها من علي قال ابن دحية وابن الصلاح أنه باطل ولذا قال ابن حجر أنه ليس في شيء من طرقها ما يثبت ولم يرد حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه ولا أمر أحداً من أصحابه بفعل ذلك وكل ما يروى في ذلك صريحاً فباطل))^٤.

^١ سورة سبا (٢٨) .

^٢ سورة آل عمران (١٠٣) .

^٣ سورة الروم (٣١ - ٣٢) .

^٤ طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها ، د . أحمد محمد أحمد جلي ، ص ٩ .

^٥ تمييز الطبيب من الخبيث في ما يدور على السنة الناس من الحديث، العلامة عبد الرحمن بن علي بن محمد المشهور بابن الدبيع الشيباني ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، بدون تاريخ طبع ، ص ١٤٥ .

(ز) يقول عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى : ((حتى أنهم (أي الصوفية) لما أسندوا لباس خرقه التصوف ليجعلوه أصلاً لطريقتهم وتخليهم رفعوه إلى على رضي الله عنه وهو من هذا المعنى أيضاً وإلا فعلي رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة في لباس ولا حال بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم عبادة ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه الخصوص بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة)).¹

¹ المقدمة: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون - دار القلم - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ص ٤٧٣.

المطلب السابع علاقة الطريقة البرهانية بالطرق الصوفية الأخرى

تلتقي الطريقة البرهانية مع الطرق الصوفية الأخرى في التعاليم والعقائد ، ونمط السلوك الصوفي، والمصادر المشتركة في التلقي، والذي يبدو من هذه العلاقة الإلفة والمودة والتعاون ، بين المشايخ وأتباع الطرق ، لما سبق ذكره من عوامل الالتقاء، ولكن تتنافس هذه الطرق في إظهار كل طريقة بأنها الطريقة الأفضل ، والأولى بالإتباع من غيرها ، جعل هذا التنافس يؤدي إلى الحسد والغيرة ، بين مختلف مشايخ الطرق وأتباعهم، وكانت علاقة الطرق الصوفية بغيرها من الطرق تحكمها تلك المعطيات ، خاصة أن الطريقة البرهانية وجدت من الأتباع العدد الكبير الذي يجعل الطرق الأخرى تحسدها على ما هي فيه من انتشار وكثرة مریدين، وقد أوضح محمد عثمان عبده ذلك بقوله : ((وبعد أن بزغ نجمي بعض الشيء استحکم الخلاف بيني وبين أهل الطرق فكنت أرى عقم إرشادهم وسوء تصرفهم ، وحقدهم وكرهيتهم لي))^١ . ولعل من أسباب هذه الكراهية تقلد محمد عثمان عبده لتوكيل المشيخة العامة للطرق الصوفية من جمهورية مصر العربية مما يجعل الحسد يدب إلى مشايخ وأتباع الطرق الصوفية الأخرى ، ويقولون لم وقع الاختيار عليه من دون سائر مشايخ الطرق الصوفية الأخرى ؟ كما أن انتشار الطريقة البرهانية في عهده وعلى يديه انتشراً واسعاً لم تشهده من قبل ، أثار حفيظة القائمين على أمر الطريقة الأم في مصر ، وهي الطريقة البرهامية التي يرأسها آل عاشور ، ومن أبرز الطرق التي تنافس الطريقة البرهانية في السودان ، الطريقة الختمية ، وكثيراً ما يحكي محمد عثمان عبده عن مواقف له مع مشايخ ومريدي الطريقة الختمية^٢ ، وغيرها من الطرق ، فمن ذلك قوله : ((كان الشيخ عبد المعروف أحد الأبناء وكان عالماً شريراً ومع ذلك فقد كان خليفة ختمياً يكن لنا الحسد والبغضاء))^٣ . وذكر محمد عثمان أنه وقعت بينه وبين السيد علي الميرغني شيخ الختمية مناقشة وصلت إلى المشاجرة^٤ ، وكثيراً ما يخبر عن نفسه بأنه كان يرشد كل الطرق^٥ ، وقد سبق بيان أنه أعطي منصب وكيل الطرق الصوفية في السودان .

^١ قيس من نور، محمد عثمان عبده ص ٩ .

^٢ المصدر السابق ص ٥٥ .

^٣ المصدر السابق ص ٧٧ - ٧٨ .

^٤ المصدر السابق ص ٥٦ .

^٥ المصدر السابق ص ٢٣ وص ٥٨ .

ويعزو البرهانية صدور فتوى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في شأن الطريقة البرهانية وأتباعها، إلى الحسد الصادر من مشايخ بعض الطرق ، وخاصة الطريقة البرهامية بمصر، والتي كانت الطريقة البرهانية فرع منها في أول الأمر^١.

وكثيراً ما يهاجم محمد عثمان عبده من أسماهم بالوهابية ، وأنصار السنة ، والإخوان المسلمين ، ويصفهم بأصحاب العقائد الفاسدة ، لما يظن في اعتقاده أنهم خالفوا فيه العقيدة الإسلامية من مسائل ، أصاب فيها وأخطأوا هم خطأ فاحشاً ، بل وأحياناً يسبهم ويدعو عليهم ، ولعل ذلك لما لهم من معارضة لمنهجه واعتقاده الذي عليه هو وأتباعه^٢.

وأما في الآونة الأخيرة فقد نشط المعاصرون من أتباع الطريقة البرهانية في توثيق صلتهم بالطرق الصوفية الأخرى وذلك من خلال الزيارات المختلفة للعديد من مشايخ الطرق الصوفية في مدنهم وقراهم ، والتفاكر معهم حول سبل نشر التصوف ، وتوثيق الصلات بين مختلف الطرق الصوفية ، ونشر حيثيات الزيارة في منبر الطريقة الإعلامي جريدة رايات العز التي كانت تصدر شهرياً .

^١ مقابلة شخصية مع مرشد الطريقة البرهانية ، إدريس عمر بلول ، بمنزله بمدينة عطبرة ، بتاريخ ١٤٢٢/٤/٩ هـ الموافق ٦/٢٩ /٢٠٠١ م . ومقابلة شخصية مع مرشد الطريقة البرهانية الأستاذ عمر حسين محمد أحمد بمنزله بمدينة كوستي ، بتاريخ ٦/١٩ /٢٠٠١ م .

^٢ أنظر مقدمة كتابه تبرئة الذمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٣ ، ومقدمة كتابه انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ، ص ٩ ، وكتابه قيس من نور ، محمد عثمان عبده ، ص ٩٨ ، ١٠٥ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٠ .

الحمد لله

رضاؤنا لتزكية النفس .. وصحاح المسند

www.E7saan.com

الفصل الثاني

مصادر التلقي عند الطريقة البرهانية

المبحث الأول

المصادر المشتركة

المطلب الأول : القرءان الكريم

المطلب الثاني : السنة النبوية

المبحث الثاني

المصادر الخاصة

المطلب الأول : المصدر الأول الكشاف

المطلب الثاني : المصدر الثاني الوجوه

المطلب الثالث : المصدر الثالث الذوق

المطلب الرابع : المصدر الرابع التلقي من الموتى

الفصل الثاني

مصادر التلقّي عند الطريقة البرهانية

سلكت الطريقة البرهانية باعتبارها رافداً من روافد التصوف ، ما سلكه المتصوفة واعتمدوه من مصادر للتلقّي ، ومن المتفق عليه بين سائر علماء المسلمين اعتماد الكتاب والسنة مصدرين أساسيين للتلقّي^١ ، غير أن الصوفية انفردوا بمصادر أخرى للتلقّي ، مخالفة ما عليه جمهور المسلمين ، لا يوافقون عليها ، ولم تثبت حجيتها ، مع أن الصوفية يقولون : إن مصادرهم هذه مقيدة بالكتاب والسنة^٢ ، إلا أن ذلك يظهر صعباً ، عند التطبيق العملي ، ومع استقلال هذه المصادر عن الكتاب والسنة^٣.

ومن المصادر الرئيسة للتلقّي عند الصوفية ، والتي انفردوا بها عن بقية المسلمين ، الكشف ، والذوق ، والوجد ، والبرهانية مصدر رابع ، وهو التلقّي عن الموتى ، ويعد هذا المصدر ثانوياً عند بقية الصوفية.

وقبل الشروع في التعريف بهذه المصادر وكيفية أخذهم عنها ، يجدر الوقوف مع البرهانية في استدلالهم بالقرآن والسنة ، وموقفهم من فهم جمهور المفسرين من المسلمين ، وأما الإجماع والقياس فسيأتي الحديث عنهما إن شاء الله في مبحث الأفكار الأصولية .

^١ أفدت في هذا الفصل من كتاب المصادر العامة للتلقّي عند الصوفية عرضاً ونقداً ، صادق سليم صادق ، مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ _ ١٩٩٤ م .

^٢ يقول أبو الحسن الشاذلي : ((إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك إن الله قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام ولا المشاهدة مع أنهم أجمعوا على أنه لا ينبغي العمل بالكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة)) ، الأربعة أهل السلسلة ص ٣٢ .

^٣ منهجية لدراسة التصوف ، أصول التصوف ، الدكتور عبد الله حسن زروق ، الناشر ، المركز القومي للإنتاج الإعلامي ، الخرطوم ، أبريل ١٩٩٥ - ذو القعدة ١٤١٥ هـ ، ص ٢٩ ، ٣٩ .

المبحث الأول

المصادر المشتركة

المطلب الأول: القرآن الكريم

اعتقادهم أن للقرآن ظاهر وباطن وأنهم أهل العلم بالباطن :

يقول محمد عثمان عبده البرهاني: ((فاللقرآن الكريم ولحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر وباطن وحد ومطلع ولا يستطيع الخوض في علوم الباطن إلا السادة الصوفية))^١، وينسب محمد عثمان هذا العلم الباطني لأمير المسلمين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث يقول: ((وقد روي عن سيدنا ومولانا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه أنه كثيراً ما كان يقول اسألوني قبل أن تفقدوني عن علم لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل والله إني لأعلم بدروب السماء أكثر من أحدكم بدروب الأرض ، ويشير إلى صدره ويقول إن هاهنا لعلوماً جمة لو وجدت لها وعاء، وخطبته الشهيرة بخطبة الكوفة وتفسيره لفاتحة الكتاب خير شاهد لما أردنا))^٢ .

وقد سبق إبراهيم الدسوقي تلميذه محمد عثمان عبده بهذه الأقوال ، والكلام في علم الباطن، فمن أقواله في ذلك: ((جميع المعبرين والمؤولين والمتكلمين في التوحيد والتفسير لم يصلوا إلى عشر معشار معرفة كنه إدراك معرفة حرف واحد من حروف القرآن))^٣، ويقول : ((لو فتح الحق تعالى عن قلوبكم أقفال السدد لاطلعت على ما في القرآن من العجائب والحكم والمعاني .. ومن فهمه الله تعالى في كتابه أعطاه تأويل كل حرف منه وما هو، وما معناه، وما سبب كل حرف، وما صفة كل حرف وعلم المكتوب من الحروف في العلوي والسفلي والعرش والكرسي والسماء والماء والفلك والهواء والأرض والثرى))^٤، ويقول: ((أسلم التفسير ما كان مروياً، فإذا حرك قلوبنا وارد استفتحنا باب ربنا واستأذناه وسألناه الفهم في كلامه فنتكلم في ذلك الوقت بقدر ما يفتح على قلوبنا فسلموا لنا فإننا فخارة فارغة والعلم علم الله تعالى))^٥، ويقول: ((يا أولاد قلبي إن أردتم أن تتادوا يوم المنة ((يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ))^٦ فليكن طعامكم الذكر ..، ولا بد لكل من معلم ونحن ننتظر من فيض ما أفاض الله علينا ، ولا نعرف غير طريق ربنا، ثم علم مكسوب من الكتب وعلم موهوب من قبل ربنا))^٧، ويقول: ((إذا أردت يا ولدي أن تفهم أسرار

^١ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٢٥٦ .

^٢ المصدر السابق ص ٢٥٦ .

^٣ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ، ص ١٥١ .

^٤ المصدر السابق ص ١٦٤ .

^٥ المصدر السابق ص ١٧٠ .

^٦ سورة الفجر (٢٧) .

^٧ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ص ١٨١ .

القرءان العظيم فاقتل نفس دعواك واذبح شبح قولك .. فإذا كنت على هذا الوصف فيرجى لك أن تشم رائحة من كلام ربك، وإلا فباب الفهم عنك مغلق وعزة ربي إن كل حرف من القرءان العظيم يعجز عن تفسيره الثقلان ولو اجتمعوا الخلق كلهم أن يعلموا معنى (ب) بعقولهم لعجزوا وما لأحد من ذات نفسه شيء قل ولا جل .. و أما إذا أعطى عبده علم ذلك فلا مانع))^١ . ويقول أحمد عربي الشرنوبى : ((عرفت العلم اللدني وأنا ابن ثمان سنين))^٢ ، ويقول: ((علمني الله علوماً لم يعلمها لأحد في عصري حتى اطلعت على اللوح المحفوظ وعرفت طراسمه))^٣ .

أخذهم القرءان ومعانيه من الموطن الأصلي الذي أخذه منه جبريل عليه السلام :

يذهب البرهانية إلى أنهم يأخذون القرءان ومعانيه من الله سبحانه مباشرة، من دون واسطة الملك جبريل عليه السلام، فمما ورد عنهم في ذلك، قول محمد عثمان عبده: ((أما الأولياء رضوان الله تعالى عليهم فيجمعون كل العلوم ظاهرها وباطنها علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين .. إذ أنهم يأخذون علومهم أولاً من مشايخهم رضوان الله تعالى عليهم، وأعلى من ذلك أخذهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعلى من ذلك من الله وحده جل جلاله كما يقولون

أَخَذْتُ الْعِلْمَ عَنْ دَاتِي وَبِالْإِسْنَادِ عَنْ رَبِّي
وَأَشْيَاخِي إِشَارَاتِي بَدُّوا مِنْ دَاخِلِ الْحُجُبِ

ويقول: ((الأولياء رضوان الله عليهم يأخذون العلوم الغيبية تارة من مشائخهم رضوان الله تعالى عليهم وتارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتارة يتلقون معاني التنزيل من الرحمن))^٤ ، وفي شرح الأوراد، تحت عنوان: المنبع الأصلي لتلقي الأوراد: ((وأقطاب الصوفية هم الذين انفردوا بمعرفة أسرار القرءان ومكنوناته لأنهم أخذوه من منبعه الأصلي وهو العرش حيث تجليات الاسم الرحمن ((أَلرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ))^٥ ومن تعلم القرءان من

الرحمن صار نوراً مبيناً والصوفية هم أهل الاختصاص، يقول أحدهم :
أَنَا النُّورُ الْمُبِينُ وَلَا أَكُنِّي أَنَا التَّنْزِيلُ يُعْرِفُنِي ابْنُ فَنِّي
يُضِلُّ اللَّهُ بِي خُلُقًا كَثِيرًا وَيَهْدِي بِي كَثِيرًا فَاسْتَبْنِي

^١ المصدر السابق ص ١٨٤ .

^٢ الأربعة أهل السلسلة ص ٨ .

^٣ المصدر السابق ص ٨ - ٩ .

^٤ تبرئة الذمة في نصيح الأمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٢٢٧ .

^٥ المصدر السابق ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

^٦ سورة الرحمن (١) .

والولي الذي تعلم القرآن من الرحمن يصبح عارفاً بالإشارات القرآنية ومدلولات الآيات ومعاني تأويلها، فيجمع منها ما يشاء لقضاء الأغراض^١، وفي شرح آخر للأوراد: ((والرؤساء من الأولياء يتعلمون القرآن من الرحمن فيعرف الآية مفهومها مدلولها سبب نزولها غرضها خواصها نفعها ضررها نصفها ثلثها ربعها فيعرف بالتفصيل لأنه أخذها من محلها الأصلي)) وفيه أيضاً: ((إن أكابر الأولياء يتعلمون القرآن من موطن الرحمن لا كما يتعلمه آحاد الناس، فهم يتعلمون دقائق السور والآيات بل والأحرف ، وآيتهم في ذلك قول رسول صلى الله عليه وسلم: ((لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ وَإِكْنَ أَيْ حَرْفٌ وَلَا م حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ))^٢ فالألف حرف في طيه علوم وكذلك اللام وكذلك الميم وكذلك باقي حروف الهجاء ، أو إن شئت فقل جوامع الكلم التي أوتيتها النبي صلى الله عليه وسلم))^٣ .
وتعليقاً على ما سبق من كلام فإنه يقال:

أولاً : القول بأن للقرآن معنى باطنياً ، مخالفاً للظاهر الذي تدل عليه آياته ، من دسائس الشيعة الباطنية ، التي أرادوا بها هدم الإسلام ، بصرف الآيات القرآنية عن معانيها الحقيقية ، إلى معانٍ آخر غير مرادة، وقد آمن خلال ذلك إلى القول بإسقاط التكاليف الشرعية ، عندما حرقوا معانيها ، إلى غير المراد بها، وإنما سُموا باطنية لدعواهم أن لظواهر القرآن معانٍ باطنية ، وأن الباطن هو المراد^٤ .

ثانياً : القول بأن علم الباطن، علم خُصَّ به علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهو من الباطل الذي، يراد به أن يأخذ قولهم صبغة شرعية وقبولاً، وذلك بنسبته إلى موثوق به، ولم تثبت النسبة إليه رضي الله عنه بخبر صحيح، بل والمسلم العاقل يدرك بأدنى نظر، أن كل ذلك منسوب ومكذوب عليه، ومفتري عليه، من قبل الشيعة الذين نسبوا إلى إثمهم علوماً

^١ شرح أوراد الطريقة البرهانية ، من منشورات الطريقة البرهانية ، بدون أي بيانات أخرى ، ص ٤ .

^٢ أنوار الأيمن في شرح الأوراد عن سيدي فخر الدين والتحقيق والتدقيق في شرح أوراد الطريق ، من مؤلفات الطريقة البرهانية ، بدون أي بيانات أخرى، ص ٨٣ .

^٣ أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي المسمى الجامع الصحيح ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ، مطبعة الحلبي القاهرة، في فضائل القرآن ، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر ، حديث رقم ٢٩١٠ ، والدارمي في سننه ، سنن الدارمي بعناية عبد الله هاشم يماني، الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ ، القاهرة (٢ / ٣٨٠) ، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین ومعہ التلخیص للحافظ الذهبی، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ نشر ورقم طبع، ج ١ / ٥٥٥ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ، تخريج وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ طبع المكتب الإسلامي بيروت، ج ٥ / ٣٤٠ ، حديث رقم ٦٣٤٥ ، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ ، المكتب الإسلامي بيروت ، حديث رقم ٦٦٠ .

^٤ أنوار الأيمن في شرح الأوراد عن سيدي فخر الدين والتحقيق والتدقيق في شرح أوراد الطريق ، من مؤلفات الطريقة البرهانية ، بدون أي بيانات أخرى ، ص ٨٨ .

^٥ فضائح الباطنية ، أبو حامد الغزالي ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ، ص ٩ .

وأسراراً لا يعلمها غيرهم، وأولهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وخطبة الكوفة^١ ، وتفسير سورة الفاتحة^٢ المذكورتين كمثال لهذا العلم الباطن، تضمنتا أقوالاً كفرية لا يمكن نسبتها لمسلم فضلاً عن علي رضي الله عنه ، وهي مما تدل على كذب نسبتها إليه رضي الله عنه، فمن هذه الأقوال: ما نسبوه إليه أنه قال: ((أنا الرحمن))^٣ في خطبة الكوفة، وقال في تفسير سورة الفاتحة، إن العبد يمكن أن يتصف بصفات الله سبحانه، وإن الله سبحانه يتصف بصفات العبد من المرض والجوع والعطش^٤، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

والثابت عن علي رضي الله عنه ينفي ما نسبوه إليه من أقوال باطلة، لا يمكن أن يقولها، وأنه مختص بعلم باطني، فعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: ((سألنا علياً رضي الله عنه، هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء بعد القرآن، قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهم يؤثيه الله عز وجل رجلاً في القرآن، أو ما في هذه الصحيفة قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر))^٥، وفي رواية أن علياً رضي الله عنه قام خطيباً فقال: ((من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة، صحيفة فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات فقد كذب))^٦ .

ولا شك أن هذه الدعوى باطلة مخالفة لدين الإسلام، ((لأنه دين ظاهر لا باطن فيه، وجهر لا سر تحته ، وكل من ادعى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خص أحداً من الناس بعلم كتمه عن جمهور صحابته فقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه عليه الصلاة والسلام لم يكتف من الشريعة كلمة ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة أو عم أو ابن عم أو صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم ، ولا كان عنده عليه الصلاة والسلام سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه ولو كتمهم شيئاً لما بلغ كما أمر))^٧ .

^١ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٢٩٤ .

^٢ المصدر السابق ص ٢٨٦ .

^٣ المصدر السابق ، ص ٢٩٦ .

^٤ المصدر السابق ص ٢٩١ .

^٥ أخرجه البخاري الجامع الصحيح المسمى صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون رقم طبع ونشر، عن أبي جحيفة في باب قوله تعالى : ((ومن يقتل مؤمناً متعمداً)) برقم (٦٧٥٠) أخرجه أحمد في المسند ج ١ / ٧١ برقم ٦٠٠ والدارمي برقم ٢٣٥٨ والنسائي برقم ٤٧٢٧ .

^٦ أخرجه أحمد في المسند ج ١ / ٨١ برقم ٦١٦ والترمذي ج ٦ / ٣٠٠ برقم ٢١٤٧ .

^٧ الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم ، مكتبة السلام العالمية ، بدون أي بيانات أخرى، ج ٢ / ٩١ - ٩٢ .

ثالثاً: من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم فسّر القرآن للصحابة رضي الله عنهم، قال تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))^١، ونقل التابعون عن الصحابة رضي الله عنهم التفسير، فنقل قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما، حبر الأمة وترجمان القرآن، ونقل غيره عن غيرهم من الصحابة، ونقله عن التابعين تابعوهم، وهكذا إلى أن وصل إلينا، ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه رضي الله عنهم ولا التابعين، أنهم تكلموا في معاني حروف القرآن الكريم.

رابعاً: من المعلوم أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، والعرب لا تسمى الحروف كلاماً، ولا تعرف له معنى، فضلاً عن أن تكون الحروف تفسيراً للقرآن، ((والكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع))^٢. وعليه فإن جعل تفسير القرآن الكريم تفسير معاني الحروف مردود شرعاً ولغة وعقلاً، وهو ضرب من ضروب تلبيس الشيطان على الناس لصرفهم عن الانتفاع بالقرآن الكريم وعن المعاني الصحيحة له، وبدعة من البدع المردودة شرعاً، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)) وفي رواية: ((مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ))^٣، أي مردود، ولقوله صلى الله عليه: ((كُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))^٤.

خامساً: دعوى العلم اللدني دعوى باطلة، فإن علوم الأنبياء عن طريق الوحي، وعلوم من سواهم من الناس عن طريق التعلم، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَالحِلْمِ بِالتَّحَلُّمِ))^٥، ولا بد من بذل الأسباب الموصلة إلى التعلم، وقد دل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))^٦. وأما أن يوفق الله سبحانه طالب العلم، بإعانتة على الفهم والحفظ، فهو من لدنه سبحانه بهذا المعنى، ولو كان العلم يحصل من غير أسباب، أو بالرياضة والسياسة والجوع والعزلة، لدل صلى الله عليه وسلم أمته على ذلك، وقد قال الله سبحانه عنه:

^١ سورة النحل (٤٤).

^٢ السحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية أبو عبد الله بن محمد بن داود الصنهاجي، محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ص ٩.

^٣ أخرجه البخاري في كتاب الصلح ج ٥ / ٣٠١، ومسلم عن عائشة في كتاب الأفضية ج ٣، حديث رقم ١٣٤٤. والرواية الثانية لمسلم.

^٤ أخرجه مسلم ج ٢ / ٥٩٢ حديث رقم ٨٦٧، وأبو داود ج ٥ / ١٤، حديث رقم ٤٦٠٧، والترمذي ج ٥ / ٤٤، حديث رقم ٢٦٧٦، وابن ماجه ج ١ / حديث رقم ٤٢، والدارمي ج ١ / ٦٧، حديث رقم ٢١٢، وابن أبي عاصم ج ١ / ١٦ حديث رقم ٢٤، والحاكم ج ١ / ٩٥ - ٩٦.

^٥ سبق تخريجه من ٤٠٠.

^٦ سبق تخريجه من ٢١٠.

((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ))^١ .

سادساً : القول بأن للقرءان أسراراً لا يعلمها إلا الصوفية ، قول ظاهر البطلان، ويلزم منه عدم بيان النبي صلى الله عليه وسلم لعموم أمته ما ينفعهم في دينهم ، وهو من الكتمان المنزه عنه صلى الله عليه وسلم، وقد قال الله تعالى له: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ))^٢ ، كما أن ذلك مناف لما وصف الله سبحانه به كلامه من البيان والوضوح ، والذي أخبر عنه في غير ما آية حيث قال : ((الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ))^٣ ، أي البين ، الواضح المعنى ، وقال سبحانه : ((الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ))^٤ ، وقال سبحانه : ((تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ))^٥ ، إلى غير ذلك من الآيات .

سابعاً : القول بتلقي القرءان ومعانيه من الله تعالى ، بغير واسطة قول باطل، بل فيه من الجرأة على تفضيل مشائخ الصوفية على الأنبياء والمرسلين، لأخذهم بواسطة جبريل عليه السلام، وأما الصوفية فيأخذون بغير واسطة، ومن قال بوحى بنبوة أو رسالة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أعظم على الفرية، وكفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، لقوله تعالى : ((مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا))^٦ ، وقوله تعالى: ((وَوَخَّاتَمَ النَّبِيِّينَ)) أبلغ في الدلالة على انقطاع الوحي بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، لأن النبوة أدنى من الرسالة ، فانقطاعها انقطاع للرسالة من باب أولي . ومما لا شك فيه أن ما يتلقاه مشائخ الصوفية من وحي يزعمون أنه من الله تعالى ، إنما هو من الشيطان، ليضلهم عن سبيل الله، إذ ليس للقرءان معانٍ آخر غير التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذها عنه المسلمون من الصحابة والتابعين .

وبناءً على ما سبق مما أصله البرهانية من أصول باطلة في تفسير القرءان الكريم ، فقد قاموا بتحريف معاني الكثير من آيات القرءان الكريم ، عن معانيها الصحيحة ، إلى معانٍ باطلة غير مرادة قطعاً، وقد أساءوا فهمها، فمن هذه الآيات ما هو في مجال العقيدة، وجميع المفسرين من المسلمين على غير ما ذهبوا إليه في تفسيرها، وفيما يلي أمثلة هذه الآيات التي تم تحريف

^١ سورة التوبة (١٢٨) .

^٢ سورة المائدة (٦٧) .

^٣ سورة يوسف (١) .

^٤ سورة الحجر (١) .

^٥ سورة النمل (١) .

^٦ سورة الأحزاب (٤٠) .

معانيها الصحيحة، وقد فسرها البرهانية تفسير باطني لا يستقيم مع تفسيرها الصحيح الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم: قوله تعالى: ((وَأَفْجِرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ))^١، فقد ذهب محمد عثمان عبده إلى أن المقصود بالفجر حالة قبضة نور النبي صلى الله عليه وسلم، والليالي العشر هي الحجب التي انتقل فيها ذلك النور المحمدي، والليل إذا يسر كتم معرفة النبي صلى الله عليه وسلم^٢، والاستدلال بقوله تعالى: ((قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ))^٣، على تجزؤ النبي صلى الله عليه وسلم جسدياً^٤، وأن المقصود بالجنود في قوله تعالى: ((وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ))^٥، أسماء الله الحسنى^٦، والاستدلال بقوله تعالى: ((وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ))^٧، وقوله تعالى: ((وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَؤْا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمَهُ))^٨، على حلول الله تبارك في كل شيء من المخلوقات^٩، وأن المقصود بالأعين في قوله تعالى: ((تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا))^{١٠}، خمسة أسماء وهي (أملح مهد)، وهو امتزاج اسم الجلالة (الله)، مع اسم الرسول الكامل صلى الله عليه وسلم (محمد) وأسماء الخلفاء الراشدين الأربعة بالسريانية وهي (رميز) و (خسرنور) و (يوحانز) و (عبد الناصر)^{١١}، والاستدلال بقوله تعالى: ((وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا))^{١٢}، على أن القرءان كان عند النبي صلى الله عليه وسلم، قبل جبريل عليه السلام^{١٣}، وفي قوله تعالى: ((عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا))^{١٤}، الضمير هاء في قوله تعالى (غيبه) راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم^{١٥}، والمعنى على ذلك أن الله سبحانه لم يظهر، ولم يطلع على غيب النبي صلى الله عليه وسلم أحداً، وفي قوله تعالى: ((وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْتَرْتُمْ مِنَ الْخَيْرِ))^{١٦}، أن المقصود بذلك علم الساعة فقط، وأما غير ذلك من الغيب

^١ سورة الفجر (٢ - ٣) .

^٢ تبرئة الذمة في نصح الأمة، محمد عثمان عبده، ص ٨ .

^٣ سورة البقرة (١٤٤) .

^٤ تبرئة الذمة ص ٢٨٣ .

^٥ سورة الفتح (٧) .

^٦ تبرئة الذمة في نصح الأمة، محمد عثمان عبده، ص ٢٧٤ .

^٧ سورة الحديد (٤) .

^٨ سورة البقرة (١١٥) .

^٩ تبرئة الذمة في نصح الأمة، محمد عثمان عبده، ص ٢٧٦، وص ٦٩، وقبس من نور، محمد عثمان عبده، ص ١١٣ .

^{١٠} سورة القمر (١٤) .

^{١١} تبرئة الذمة، ص ٢٧٦ .

^{١٢} سورة طه (١١٤) .

^{١٣} تبرئة الذمة، ص ٢٨٢ .

^{١٤} سورة الجن (٢٦) .

^{١٥} تبرئة الذمة، ص ٢٨١ .

^{١٦} سورة الأعراف (١٨٨) .

فيعلمه النبي صلى الله عليه وسلم^١، وفي تفسير قوله تعالى: ((لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ))^٢، ويقول محمد عثمان عبده: ((فلا هنا نافية والمعنى لا أقسم بالبلد الحرام ولا بالبيت الحرام ولا بالمشعر الحرام ما دمت موجوداً في البلد الحرام، بل المقصود بالقسم أنت، ووالد وما ولد يعني أبانا آدم والأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وكل أولادهم))^٣، وأن المقصود بالأمي في قوله تعالى: ((الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ))^٤، الأصل، أي نورهم من نوره، وهديهم من هديه صلى الله عليه وسلم. ويقول محمد عثمان عبده في تفسير سورة الضحى: ((وإذا كان الضحى يعني وقت القائلة عند عامة المسلمين، ولكنه يعني عند أهل الله الصالحين التجليات الذاتية في أعلى مراتبها، ((وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى)) إذا كان المقصود به عند عامة المسلمين أنه آية من آيات الله سبحانه وتعالى، ولكنه يعني عند أهل الصالحين مراتب كتم العماء .. ، ومعنى قوله تعالى: ((وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى))^٥ عند الصوفية أن النبي صلى الله عليه وسلم في ترق دائم في المعارف الإلهية، والدليل على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِائَةَ مَرَّةٍ))^٦ فظن سيدنا أنس أن هذا الغين على قلب النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما في قلوب العامة فقال الرسول صلى الله عليه وسلم له، لا يا أنس غين أنوار لا غين أغيار، ومعنى ذلك أن المعرفة التي تكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في لحظة من اللحظات تكون أقل في المرتبة من المعرفة التي تكون عند النبي صلى الله عليه وسلم في لحظة تالية لها ولذلك فاستغفاره كما ورد في الحديث من المعرفة الأقل للمعرفة الأكبر في مدارج الترقى^٧. وفي قوله تعالى:

^١ تبرئة الذمة ص ٢٨٥ .

^٢ سورة البلد (١ - ٤) .

^٣ تبرئة الذمة ص ١٧ .

^٤ سورة الأعراف (١٥٧) .

^٥ سورة الضحى (٢) .

^٦ سورة الضحى (٤) .

^٧ أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب استحباب الاستغفار، مسلم بشرح النووي، ج ١٧ / ٢٢، وفي سنن أبي داود ومعه معالم السنن للإمام الخطابي، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد دار الحديث، بيروت، بدون تاريخ نشر ولا رقم طبع، (٢ / ١٧٧ - ١٧٨) كتاب الصلاة باب في الاستغفار، حديث رقم (١٥١٥)، وأحمد (٤ / ١٢٢، ٢٦٠) والبيهقي (٧ / ٥٢)، كتاب النكاح، باب كان يغان على قلبه فيستغفر الله ويتوب إليه في اليوم مرة، وأخرجه الطبراني في الكبير (١ / ٢٨٠)، والبخاري في التاريخ (٢ / ٤٣)، والبيهقي في شرح السنة، الحسين بن مسعود البيهقي، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ - (٧ / ٥)

وقال النووي: قال أهل اللغة: الغين - بالغين المعجمة - والغيم، بمعنى والمراد هنا ما يتغشى القلب. قال القاضي عياض: قيل: المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه وغفل عد ذلك ذنباً واستغفر منه. قال: وقيل: هو وهمه بسبب أمته، وما اطلع عليه من أحوالها بعد^٨ (صحيح مسلم بشرح النووي دار الفكر بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، بدون رقم طبع، ج ١ / ٢٣ - ٢٤) .

^٨ قيس من نور، محمد عثمان عبده، ص ١٤٦ .

((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ))^١، المقصود بالقدر هو قدر المصطفى صلى الله عليه وسلم^٢، والمقصود بالفجر في قوله تعالى : ((سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ))^٣ هو قبضة النور النبوي^٤، وفي قوله تعالى : ((قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ))^٥، بأن المقصود بالضمير ياء في قوله (بعدي) الرسول صلى الله عليه وسلم^٦. وفي قوله تعالى : ((وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ))^٧. أن المقصود بالسبع المثاني : ((سبعة من الرباعيات مخلوقون من نور النبي صلى الله عليه وسلم لخدمة الدين الحنيف وهم أربعة من ملائكة الله المقربين، الأربعة الملائكة الفلكيين، أربعة أولو العزم من الرسل، أربعة رؤساء الصحابة ، أربعة عبادلة القرءان، أربعة أئمة الشريعة ، أربعة أئمة التصوف))^٨. وفي قولته تعالى : ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))^٩ بأن المعنى، ليس كمثل مثله شيء، والمعنى على ذلك أن الله سبحانه له مثل وهو النبي صلى الله عليه وسلم وليس للنبي صلى الله عليه وسلم مثل^{١٠}، وغيرها كثير .

ومن المعلوم أن التأويل منه ما هو مقبول ، وما هو مردود ، فالتأويل اصطلاحاً : ((هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله))^{١١} فإذا كان المعنى المصروف إليه معنى موافق للكتاب والسنة فهو مقبول، وإن لم يكن موافق فهو مردود .

وقد ذم أهل العلم منهج المبتدعة في الاستدلال بآيات القرءان الكريم ، فمن ذلك ما قاله الإمام الشاطبي^{١٢} رحمه الله تعالى : ((ومن نظر إلى طريق أهل البدع في الاستدلالات عرف أنها لا تنضبط، لأنها سيالة لا تقف عند حد وعلى وجه يصح لكل زائغ وكافر أن يستدل على زيغه وكفره حتى ينسب النحلة التي التزمها إلى الشريعة ...

^١ سورة القدر (١) .

^٢ أنوار الأمين في شرح الأوراد ص ١٨٦ .

^٣ سورة القدر (٥) .

^٤ أنوار الأمين في شرح الأوراد ص ١٨٦ - ١٨٧ .

^٥ سورة ص (٣٥) .

^٦ شرح أوراد الطريقة البرهانية ص ٥٨ .

^٧ سورة الحجر (٨٧) .

^٨ شرح أوراد الطريقة البرهانية ص ٦ ، وأنوار الأمين ص ١١٤ .

^٩ سورة الشورى (١١) .

^{١٠} قبس من نور ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

^{١١} كتاب التعريفات ، الجرجاني علي بن محمد بن علي ، حققه وقدم له ووضع فهرسه إبراهيم الأبياري ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ، ص ٧٢ .

^{١٢} هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي ، الفرناطي ، الشهير بالشاطبي ، أصولي ، حافظ ، من أهل غرناطة ، من أئمة المالكية ، له عدة مؤلفات منها : ((المواقفات في أصول الفقه)) و ((الاعتصام)) ، توفي سنة ٧٩٠ هـ ، ((الأعلام ج ١ / ٧٥)) و ((شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، محمد مخلوف ، بيروت دار الكتاب العربي عن طبعة السلفية (١٣٤٩ هـ) ص ٢٣١)) .

وكذلك كل من اتبع المتشابهات أو حرّف المناطات أو حمل الآيات ما لم تحتمله عند السلف الصالح، أو تمسك بالأحاديث الواهية أو أخذ الأدلة ببادي الرأي له أن يستدل على كل فعل أو قول أو اعتقاد وافق غرضه بآية أو حديث لا يفوز بذلك أصلاً، والدليل عليه استدلال كل فرقة شهرت بالبدعة بآية أو حديث من غير توقف^١. ويقول: ((منها (أي من أوجه استدلالهم) تخرصهم على كلام في القرآن والسنة العربيين مع العرو عن علم العربية الذي يفهم به عن الله ورسوله، فيفتاتون على الشريعة ما فهموا، ويدينون به ويخالفون الراسخين في العلم، وإنما دخلوا في ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط وليسوا كذلك. ثم قال بعد أن ذكر أمثلة لإستدلالاتهم: ((فمثل هذه الاستدلالات لا يُعبأ بها وتسقط مكالمة أهلها، ولا يُعد خلاف أمثالهم و ما استدلوا عليه من الأحكام الفرعية أو الأصولية فهو عين البدعة إذ هو خروج عن طريقة كلام العرب إلى إتباع الهوى))^٢.

وباب التأويل باب عريض دخل منه الزنادقة لهدم الإسلام، وفي ذلك يقول ابن أبي العز الحنفي^٣: ((وبهذا تسلط المحرفون على النصوص، وقالوا نحن نتأول ما خالف قولنا، فسموا التحريف تأويلاً، تزييناً له وزخرفة ليقبل، وقد ذم الله الذين زخرفوا الباطل، قال الله تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا))^٤، والعبرة للمعاني لا للألفاظ، فكم من باطل أُقيم عليه^٥ مزخرف عورض به دليل الحق))^٥.

وبين شيخ الإسلام^٦ رحمه الله تعالى، فساد منهج التحريف الباطل، الذي يقصد به صرف الكلام عن معناه الحقيقي، فيقول: ((التأويل المذموم الباطل هو تأويل أهل التحريف والبدع، الذين يتأولونه على غير تأويله، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك))^٦.

^١ الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، بدون رقم طبع، ج ٢ / ٢٨٥.

^٢ المصدر السابق ج ١ / ٢٣٧.

^٣ هو العلامة، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي، قاضي القضاة، بدمشق ثم الديار المصرية، ولد سنة ٧٣١ هـ - ١٣٤١ م، له عدة مؤلفات منها: ((شرح العقيدة الطحاوية))، توفي بدمشق، سنة ٧٩٢ هـ - ١٣٩٠ م ((الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الجيل بيروت، بدون تاريخ نشر ورقم طبع ج ٣ / ٨٧)) و ((شذرات الذهب ج ٦ / ٣٢٦)) .

^٤ سورة الأنعام (١١٢).

^٥ شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، حققها وراجعها جماعة من العلماء، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة التاسعة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ص ٢١٢.

^٦ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمية، مكتبة المعارف، الرباط المغرب، بدون رقم الطبعة وتاريخها، ج ٣ / ٦٧.

ومن مناهج المبتدعة في الاستدلال تحريف الأدلة عن مواضعها، وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى في تحريفهم الأدلة من أن الدليل: ((يرد على مناط فيصرف عن ذلك المناط إلى أمر آخر، موهماً أن المناطين واحد؛ وهو من خفيات تحريف الكلم عن مواضعه والعياذ بالله، ثم قال: ((وبيان ذلك أن الدليل الشرعي إذا اقتضى أمراً في الجملة فيما يتعلق بالعبادات - مثلاً - فأتى المكلف في الجملة كذكر الله والدعاء ، والنوافل المستحبات وما أشبهها مما من الشارع فيها التوسعة ، كان الدليل عاصداً لعلمه من جهتين : من جهة معناه ومن جهة عمل السلف الصالح به ، فإذا أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة أو زمان مخصوص ، أو مكان مخصوص ، أو مقارناً لعبادة مخصوصة ، والتزم ذلك بحيث صار متخيلاً أن الكيفية ، أو الزمان ، أو المكان ، مقصوداً شرعاً من غير أن يدل الدليل عليه كان الدليل بمعزل عن ذلك المعنى المستدل عليه))^١ .

ومن منهج أهل البدع في الاستدلال أنهم يوردون ويأخذون بالنصوص للاعتضاد لا للاعتماد ، فيأخذون من النصوص ما وافق هواهم، ولا يستدلون بها إلا إذا رأوا أنها موافقة لأهوائهم ، و لا يعظمونها ولا يحرصون على تتبعها لذاتها ، وفي بيان ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ((إن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان فلما حدثت في الأمة ما حدثت من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق شيعاً، وصار عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم، عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والإيمان بالرسول وغير ذلك، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به، وما خالفها تأولوه، ولهذا تجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دالاتها، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى، إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن ، ليس مراده أن يفهم مراد الرسول بل مراده أن يدفع منازعه عن الاحتجاج بها))^٢ . ومن مناهج المبتدعة في الاستدلال اتباع المتشابه وترك المحكم ، وقد ذم الله تعالى هذا المسلك وأتباعه ، في كتابه حيث قال : ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ

^١ الاعتصام ، الشاطبي ، ج ١ / ٢٤٦ .

^٢ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١٣ / ٥٨ - ٥٩ .

يَقُولُونَ ءَأَمِنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ))^١ ، وفي ذلك يقول ابن أبي العز الحنفي : ((كل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته وما ظنوه معقولاً ، فما وافقه قال إنه محكم وقبله واحتج به ، وما خالفه قال : إنه متشابه ، ثم رده وسمى رده تفويضاً ، أو حرفه وسمى تحريفه تأويلاً فلذلك اشتد إنكار أهل السنة عليهم))^٢ .

^١ سورة آل عمران (٧) .

^٢ شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ص ٣٩٩ .

المطلب الثاني السنة النبوية

منهج البرهانية في فهم السنة النبوية، والاستدلال بها، في الغالب الاعتماد على الأحاديث الضعيفة و الموضوعية، وما ليس بحديث وظنوه حديث، بل هو من كلام الناس، وإساءة فهم الأحاديث الصحيحة، وتحريف معانيها إلى معان غير مرادة قطعاً، وقد وقع لهم من ذلك الكثير، وفيما يلي أمثلة لما وقع لهم من الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعية وما ليس بحديث، فمنها حديث: ((يَا جَابِرُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ نُورَ نَبِيِّكَ مِنْ نُورِهِ))^١، حديث: ((تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ))^٢، وحديث: ((أَنَا مِنْ نُورِ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ رَشْحَاتِ نُورِي))^٣، وحديث توسل آدم عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم وفيه: ((وَنَظَرْتُ إِلَى سَاقِ الْعَرْشِ فَوَجَدْتُ مَكْتُوباً عَلَيْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ))^٤، وحديث: ((أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ))^٥،

^١ تبرئة الذمة في نصح الأمة، محمد عثمان عبده، ص ٩، وقيس من نور، محمد عثمان عبده، ص ١١١ ورد بلفظ: ((أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر))، كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، الناشر مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، توزيع مكتبة الغزالي، دمشق، بدون تاريخ طبع، ج ١ / ٢٦٥ - ٢٦٦ حديث رقم ٨٢٧، ولم يعلق عليه المصنف، و بلفظ: ((أول ما خلق الله نوري))، وهو موضوع، موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعية، علي حسن الحلبي، الدكتور إبراهيم طه القيسي، الدكتور حمدي محمد مراد، طبع مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد، بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ج ٣ / ١٩٤ - ١٩٥ حديث رقم ٧٠٠٧، وحديث رقم ٧٠٠٨.

^٢ تبرئة الذمة في نصح الأمة ص ٤٤، وهو ليس بحديث، وليس في شيء من كتب السنة المعتمدة، بل هو منتزع من كلام الفلاسفة. ((مختصر لوامع الأنوار البهية في شرح عقد الفرقة المرضية محمد بن علي بن سلوم، حققه وضبطه، ونسقه وصححه محمد زهري النجار، مطبعة المدني القاهرة، بدون رقم طبع وتاريخ نشر، ص ١٠٢ - ١٠٣)) .

^٣ تبرئة الذمة ص ١٥، ٤٠، ٥٠، ورد بلفظ: ((أنا من الله والمؤمنون مني))، قال ابن حجر: إنه كذب مخلوق، وقال بعض الحفاظ لا يعرف بهذا اللفظ محفوظاً، وقال ابن الديبع الشيباني: قال شيخنا عند الذيلمي بلا إسناد، عن عبد الله بن جراد مرفوعاً، ((تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث))، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشيباني، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ طبع، ص ٤١ .

^٤ تبرئة الذمة ص ٢٦٦ . والحديث أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٢ / ٦١٥، وابن عساکر (٢ / ٣٢٣ / ٢)، والبيهقي في باب ما تحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعمة ربه من دلائل النبوة، وقال الحاكم صحيح الإسناد وتعبه الذهبي بقوله: ((بل موضوع، وعبد الرحمن واه (يعني ابن زيد) وعبد الله بن مسلم الفهري لا أدري من هو، وقال الألباني: ((والفهري هذا أورده في ميزان الاعتدال لهذا الحديث وقال: ((خير باطل))، رواه البيهقي في دلائل النبوة، وقال البيهقي: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف، وأقره ابن كثير في تاريخه (٢ / ٣٢٣) ووافق الحفاظ ابن حجر في ((اللسان)) أصله ((الميزان)) على قوله ((خير باطل))، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعية وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ، ج ١ / ٣٨ - ٣٩ حديث رقم ٢٥ .

^٥ تبرئة الذمة في نصح الأمة، محمد عثمان عبده، ص ٥٨، والحديث، قال عنه الصاغانى، موضوع باتفاق، كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، الناشر مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، توزيع مكتبة الغزالي، دمشق، بدون تاريخ طبع، ج ١ / ٢٦٣، حديث رقم ٨٢٣. وقال ابن حبان: ليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير صحيح في العقل، وقال العقيلي لا يثبت في هذا الباب شيء وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعية، أبو الحسن علي بن عراق الكنتاني، حققه وراجع أصوله وعلق عليه عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق، طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ج ١ / ٢٠٣ - ٢٠٤ حديث رقم ٦٤ .

وحدِيث: ((كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيًّا))^١ وحدث: ((عَلَّمَنِي رَبِّي عِلْمًا أَمْرَنِي بِتَبْلِيغِهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ وَعِلْمًا خَيْرَنِي فِيهِ وَهُوَ الْإِيمَانُ وَعِلْمًا أَمْرَنِي بِكُتْمَانِهِ وَهُوَ الْإِحْسَانُ))^٢ وحدث: ((عَلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلِ))^٣، وحدث: ((لَوْ لَا الْوَأَسِطَةُ لَذَهَبَ الْمَوْسُوطُ))^٤، وحدث فيه أن القرآن كان عند النبي صلى الله عليه وسلم قبل جبريل عليه السلام، وهو: ((إِذَا كَانَ الْأَمْرُ مِنْكَ وَإِلَيْكَ فَلَمَّاذَا تَعَبِي))^٥، وحدث: ((مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ جَاهِلٍ وَلَوْ اتَّخَذَهُ لَعَلَّمَهُ))^٦، وحدث: ((لَوْ اعْتَقَدْتُ أَحَدَكُمْ فِي حَجَرٍ لَنَفَعَهُ))^٧، وحدث: ((كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ))^٨، وحدث:

^١ تبرئة الزمة ص ٥٠، قال عنه شيخ الإسلام بن تيمية ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللأئي والسيوطي وغيرهم ((كشف الخفا ومزيل الإلباس في ما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني ج ٢ / ١٣٢ حديث رقم ٢٠١٦، وتمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، ابن الديبع الشيباني ص ١٤٢ حديث رقم ١٠٤٥، وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، أبو الحسن علي بن عراق الكناني ج ١ / ١٤٨ حديث رقم ٤٤.

^٢ تبرئة الزمة ص ٢٨١، وهو ليس بحدث، وليس في شيء من كتب السنة، ومنته يدل على بطلانه.

^٣ تبرئة الزمة ص ١٧، والحديث قال فيه ابن الديبع الشيباني: قال الديميري والزركشي وابن حجر لا أصل له ((تمييز الطيب من الخبيث ص ١٢١، حديث رقم ٨٧١)) وقال الألباني: ((لا أصل له باتفاق العلماء وهو مما يستدل القاديانية الضالة على بقاء النبوة بعده صلى الله عليه وسلم))، ((سلسلة الأحاديث الضعيفة ج ١ / ٤٨٠، حديث رقم ٤٦٦)) . وقال السيوطي في الدرر لا أصل له، كشف الخفا ومزيل الإلباس ج ٢ / ٦٤ حديث رقم ١٧٤٤.

^٤ تبرئة الزمة ص ٢٨٢، وهو ليس بحدث وليس في شيء من كتب السنة.

^٥ تبرئة الزمة ص ١٠، ١١، وهو ليس بحدث وليس في شيء من كتب السنة، ومنته يدل على بطلانه.

^٦ تبرئة الزمة ص ١٥، والحديث قال فيه ابن الديبع الشيباني: ((ليس بثابت ولم أفق عليه مرفوعاً))، تمييز الطيب من الخبيث ص ١٦٠ حديث رقم ١١٨٢، وقال العجلوني في كشف الخفا: ((قال في المقاصد لم أفق عليه مرفوعاً، وقال الحافظ ابن حجر ليس بثابت)) ج ٢ / ١٨٠ حديث رقم ٢١٨٥.

^٧ قيس من نور ص ١٢٩، والحديث ورد بلفظ ((لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به)) قال ابن الديبع الشيباني في تمييز الطيب من الخبيث: ((قال ابن تيمية إنه موضوع، وقال ابن حجر لا أصل)) ص ١٤٩ حديث رقم ١٠٩٩، وفي كشف الخفا: ((وقال ابن القيم هو من كلام عباد الأصنام الذين يحسنون ظنهم بالأحجار)) ج ٢ / ١٥٢، حديث رقم ٢٠٨٧. وقال بوضعه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في كتابة سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج ١ / ٤٥٢، حديث رقم ٤٥٠.

^٨ أنوار الأمين ص ١١، والحديث أخرجه ابن المبارك في الزهد ص ١٠٦، وعبد الرزاق في المصنف ((ج ١١ / ١٢٩)) والطبراني في الكبير (ج ٣ / ٣٠٢) حديث رقم ٣٣٦٧، وابن أبي شيبه في المصنف (ج ١١ / ٤٣)، وأعله الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٧٥) بابن لهيعة، ونص العراقي في تخريج الإحياء (٢ / ٢٠٤) على ضعفه، وقال الألباني: معضل، فإن زييداً من الطبقة السادسة التي لم تلق أحداً من الصحابة عند الحافظ في التقريب، الإيمان لابن أبي شيبه ص ٣٨.

((إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكُونِ))^١ وحديث: ((نَصَرَ اللهُ وَجْهَ الرَّاحِلِ الْمُرَجَّلِ))^٢، وحديث: ((لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتَ الْأَفْلَاكَ))^٣ وغيرها من الأحاديث .
 قول محمد بن عبد
 ومما يدل على قلة علمهم بالسنة النبوية: ((هذا حديث اتفق على صحته الأولياء))^٤ وذلك تعليقا على حديث جابر الموضوع في بيان أسبقية خلق نور النبي صلى الله عليه وسلم ، وقوله : ((الصوفية هم أعلم الناس بالأحاديث لأنهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم في (الوارد) عن صحة الحديث أو عن عدم صحته فإذا روى الصوفية حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأكدوا أنه صحيح))^٥، وقوله : ((ويعتمد المنكرون للإسراء والمعراج بالروح والجسد على الأحاديث الواردة في صحيحي الإمامين الجليلين البخاري ومسلم رضوان الله عليهما والمنسوبة زوراً إلى أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها))^٦، وقوله : ((في صحيح البخاري ما يقرب من خمسة أحاديث مكنوبة على السيدة عائشة في قصة الإسراء والمعراج))^٧ ، وقوله في حديث فاطمة بنت أسد : ((وهذا حديث صحيح متفق عليه))^٨، وقد استدل محمد عثمان عبده به على جواز التوسل بالأنبياء، ولفظه: ((حينما توفيت السيدة فاطمة بنت أسد رضي الله تعالى عنها، أم سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فقد كان يحفر تربتها مع من كانوا يحفرونها وعندما شقوا اللحد نزل فيه صلى الله عليه وسلم واضطجع فيه برهة وذكرها بخير ودعا لها ثم قال اللهم إني أسألك بنبيك والأنبياء قبلي إلا ما غفرت لأمي فاطمة بنت أسد))^٩، ومن المجمع عليه عند جميع المحدثين ، من علماء الأمة ، أنه ليس في صحيح

^١ أنوار الأمين في شرح الأوراد ص ١٠ ، والحديث رواه أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين الصوفية ص (٨ / ٢) ، والديلمي في مسند الفردوس من طريق السلمي وأشار لضعفه المنذري في الترغيب ((ج ١ / ٦٢)) وصرح بتضعيفه العراقي في تخريج الإحياء ((ج ١ / ٣٥)) وقال عنه الألباني ضعيف جداً ((سلسلة الأحاديث الضعيفة ج ٢ / ٢٦٢ حديث رقم ٧٨٠)) ، وقد روي موصولاً ومرسلاً بطرق تخلو من ضعف وكلام ، وقد فصل القول فيه الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق الدكتور طه محمد الزيني ، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م . (١ / ٢ / ١٧٤) في ترجمة الحارث بن مالك تبرئة الذمة ص ٢٧٤ ، وهو ليس بحديث وليس في شيء من كتب السنة .

^٢ تبرئة الذمة في نصح الأمة ص ٥٠ ، والحديث موضوع كما قال الصغاني في ((الأحاديث الموضوعية)) ص ٧ و ص ٣٠٠ ورواه ابن عساكر وحكم ابن الجوزي على روايته بالوضع في كتابه الموضوعات حيث قال : ((إنه موضوع)) وأقره السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية (١ / ٢٧٢) (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعية ، محمد ناصر الدين الألباني ، قال الألباني موضوع ج ١ / ٢٩٩ حديث رقم ٢٨٢) .

^٤ قيس من نور ص ١١٢ .

^٥ المصدر السابق ص ١١١ .

^٦ تبرئة الذمة ص ٨٢ .

^٧ قيس من نور ، محمد عثمان ، عبده ، ص ١٠٧ .

^٨ تبرئة الذمة ص ٢٦٧ .

^٩ المصدر السابق ص ٢٦٧ .

البخاري أو مسلم حديث ضعيف^١ ، وليس لعائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري ، في الإسراء والمعراج إلا حديثاً واحداً ، وأما حديث فاطمة بنت أسد ، والذي قال عنه: ((هذا حديث صحيح متفق عليه)) ، فهو ليس في واحد من الصحيحين (البخاري ومسلم) ، ولفظ ((متفق عليه))^٢ من الألفاظ التي تطلق عند علماء مصطلح الحديث على ورود الحديث في الصحيحين ، ومع قوله: ((حديث صحيح)) فالحديث ليس بصحيح فضلاً عن أن يكون في الصحيحين ، بل هو ضعيف جداً ، فقد أخرجه الطبراني في معجميه الكبير^٣ والأوسط^٤ ، وأبو نعيم في الحلية^٥ ، وتفرد به روح بن صلاح ، وهو مختلف في توثيقه ، وتضعيفه أرجح ، لسببين: أحدهما: الذين ضعفوه الدارقطني وابن عدي وهما من المعتدلين ، وأما الذين وثقوه فهما ابن حبان والحاكم وهما من المعروفين بالتساهل ، وثانيهما: الجرح هنا مفسر وهو روايته للمناكير^٦ ، والجرح المفسر مقدم على التعديل والتوثيق .

ومن أمثلة تحريفهم ، وفهمهم الخاطئ للأحاديث النبوية ، ما ورد في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم: ((أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ))^٧ أن المراد بالقلم هو النبي صلى الله عليه وسلم ، أو نوره ، أو روحه^٨ ، وأن المراد في قوله صلى الله عليه وسلم: ((لَا أَقُولُ الْمَ حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلْفٌ

^١ الباحث الحديث شرح اختصار علوم الحديث ، الحافظ إسماعيل بن كثير ، أحمد شاكر ، عني به الدكتور بديع السيد للحم ، الناشر جمعية إحياء التراث الإسلامي الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، ص ٤٣ .

^٢ قال ابن الصلاح بعد أن ذكر مراتب الصحيح : ((وأعلما الأول وهو الذي يقول فيه أهل الحديث كثيراً)) (صحيح متفق عليه) يطلقون ذلك ويعنون به اتفاق البخاري ومسلم ، لا اتفاق الأمة عليه ، لكن اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك وحاصل معه ، باتفاق الأمة على تلقي ما اتفقا عليه بالقبول وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته ، والعلم اليقيني النظري واقع به)) ، مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح ، توثيق وتحقيق د . عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي ، طبع دار الكتب ، وزارة الثقافة المصرية العامة للكتاب مركز تحقيق التراث ، ١٩٧٤م ، ص ١٠٠ .

^٣ المعجم الكبير ، الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي ، تحقيق حمدي السلفي ، طبع وزارة الأوقاف بغداد (٨٧١ / ٣٥١ / ٢٤) .

^٤ المعجم الأوسط ، الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي ، تحقيق محمود الطحان ، نشر مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ (١ / ١٥٢ / ١٩١) .

^٥ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، ج ٣ / ١٢١ .

^٦ فتح المغيب بشرح ألفية الحديث ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ، ج ٣ / ٣٥٩ . وضعف الحديث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، في كتابه سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج ١ / ٣٢ حديث رقم ٢٣ ، والتوسل أحكامه وأنواعه ، ألف بينها ونسقتها ، محمد عبد العباسي ، بحوث كتبها وألقاها محمد ناصر الدين الألباني ، طبع المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ١١١ .

^٧ أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، عن أبي حفصة حبش بن شريح ج ٥ / ٧٦ ، والطيلالسي في مسنده ، ج ١ / ٣٠ ، والترمذي في كتاب التفسير ، ج ٥ / ٤٢٤ ، وفي كتاب القدر ج ٤ / ٤٥٧ ، وابن أبي عاصم في السنة ، أبو بكر بن أبي عاصم ، عمرو بن الضحالك بن مخلد ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ، برقم (١٠٥) .

^٨ تبرئة الذمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٤١ .

حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ))^١، أن الحروف لها معاني، فالألف لها معنى وفيها علم كثير^٢، وأن المقصود بجوامع الكلم في قوله صلى الله عليه وسلم: ((أَوْتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ))^٣، معاني الحروف الهجائية^٤.

وقد نقلوا الكثير من الأحاديث المكذوبة، في فضائل آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك حديث: ((كُنَّا نُورِزُ بَيْنَ يَدَيْ الْقَدِيمِ الْأَرْزَلِيِّ))^٥، وحديث: ((لِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيٌّ وَوَارِثٌ وَأَنَّ عَلِيًّا وَوَصِيِّيَّ وَوَارِثِي))^٦، وعن عبد الرحمن الباقر رضي الله عنهم قال في تفسير قوله تعالى: ((إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ))^٧: ((أَنَا الْمُنذِرُ وَعَلِيُّ الْهَادِي أَمَا وَاللَّهِ مَا زَالَتْ فِينَا إِلَى السَّاعَةِ))^٨. والمعروف عن الشيعة كذبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو القائل: ((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))^٩، والقائل: ((مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ))^{١٠}.

^١ أخرجه الترمذي في فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر، برقم (٢٩١٠)، الدرامي في سننه ج ٢ / ٢٨٠، والحاكم في المستدرک ج ١ / ٥٥١، وصححه الألباني، في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٦٦٠، وفي صحيح الجامع الصغير وزيدته ج ٥ / ٣٤٠، برقم ٦٣٤٥.

^٢ تيرنة الذمة محمد عثمان عبده، ص ١٠، وأنوار الأمين ص ٨٨.

^٣ أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ج ٢ / ٦٤، والبخاري برقم ٦٨٦١ باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي. والترمذي ج ٥ / ١٦٨ برقم (١٥٥٦) وأحمد برقم ٧٥٩٦، وابن حبان ج ٢ / ١٩٥ برقم ٢٢٨٨.

^٤ تيرنة الذمة ص ١٠، وأنوار الأمين ص ٨٨.

^٥ قيس من نور ص ١٩٣، والحديث من الأحاديث المشهورة عند الرافضة، وهو ليس في شيء من دواوين الإسلام المعتمدة، وهو حديث موضوع بإجماع أهل السنة، وفي إسناده محمد بن خلف المروزي، قال يحيى بن معين: هو كذاب وقال الدارقطني: متروك، ولم يختلف احد في كذبه، ويروى من طريق آخر وفيه جعفر بن أحمد وكان رافضياً غالباً كذاباً وضاعاً (مختصر التحفة الإثني عشرية، شاه عبد العزيز الإمام ولي الله أحمد عبد الرحيم الدهلوي، تعريب الشيخ غلام محمد بن محي الدين عمر الأسلمي، أختصره وهذبه السيد محمود شكري الأكوبي، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض المملكة العربية السعودية ١٤٠٤هـ - ص ١٦٨).

^٦ رشفات المدام من كلام سيد الأنام انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان، من منشورات الطريقة البرهانية، بدون أي بيانات أخرى، ص ١٤، والحديث أخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، في ترجمة شريك ابن عبد الله، (٤ / ١٤)، (٨ / ٨٨٨).

^٧ سورة الرعد (٧).

^٨ رشفات المدام ص ١٤، ولا يخفى بطلان هذا التفسير، والمفسرون على خلافه، ولم يقل به واحد منهم، بل هو من تفسير الرافضة للقرآن الكريم.

^٩ أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب إثم من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج ١ / ٢٠١، ومسلم في صحيحه، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج ١ / ١٠، وأبو داود، في كتاب العلم، باب في التشديد في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٣٦٥١، والترمذي في كتاب العلم، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج ٢ / ٣٧٣، وابن ماجة في المقدمة، باب التغليظ في تعدد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٣٢، وأحمد في المسند ج ١ / ١٧٦.

^{١٠} أخرجه مسلم في كتاب العلم، عن سمرة بن جندب ج ١ / ٧، والترمذي باب فيمن روى حديثاً وهو يرى أنه كذب ج ٧ / ٤٢٢ حديث رقم ٢٧٣١، وابن حبان باب ذكر إيجاب دخول النار لمن نسب إلى المصطفى الشيء وهو غير عالم بصحته، وابن ماجة باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ج ١ / ١٤ حديث رقم ٣٩، وأحمد في المسند برقم (٩٠٥) وبرقم (١٧٨٩٩).

وقد نقل الأئمة رحمهم الله تعالى اشتهاً الشيعية بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الإمام الشافعي^١ رحمه الله تعالى: ((لم أر من أهل الأهواء أشهد بالزور من الرافضة))^٢ ، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((واتفق أهل العلم بالنقل وبالرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف والكذب فيهم قديم، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب))^٣ .

ورواية الأحاديث المكذوبة مع العلم بها، أو جهلاً، وعدم العناية بالمنقول سمة عامة من سمات المبتدعة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((ومن المعلوم أن المعظمين للفلسفة والكلام المعتقدين لمضمونها هم أبعد عن معرفة الحديث، وأبعد عن اتباعه من هؤلاء، هذا أمر محسوس بل إذا كشفت أحوالهم وجدتهم من أجهل الناس بأقواله صلى الله عليه وسلم، وأحواله وبواطن أموره وظواهرها، حتى لتجد كثيراً من العامة أعلم بذلك منهم ، ولتجدهم لا يميزون بين ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وما لم يقله، بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه وحديث مكذوب موضوع عليه، وإنما يعتمدون في موافقته على ما يوافق قولهم سواء كان موضوعاً أو غير موضوع، فيعدلون إلى أحاديث يعلم خاصة (الرسول صلى الله عليه وسلم) بالضرورة اليقينية أنها مكذوبة، وهم لا يعلمون مراده، بل غالب هؤلاء لا يعلمون معاني القرآن فضلاً عن معاني الحديث، بل كثير منهم لا يحفظون القرآن أصلاً، فمن لا يحفظ القرآن ولا يعرف معانيه، فمن أين يكون عارفاً بالحقائق المأخوذة عن (الرسول صلى الله عليه وسلم))^٤ . ويقول الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: ((ومنها اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة المكذوب فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث))^٥ .

فالصوفية عامة، والبرهانية خاصة يقلدون في دينهم الرجال والمشايخ، من غير نظر في موافقة أقوالهم للكتاب والسنة أو عدم موافقتها ، وللشاطبي رحمه الله تعالى مقالة فاضلة في وصفهم إذ يقول: ((رأي نابتة متأخرة الزمان ممن يدعي التخلق بخلق أهل التصوف المتقدمين أو يروم الدخول فيهم، يعمدون إلى ما نقل عنهم في الكتب من الأحوال الجارية عليهم، أو الأقوال الصادرة عنهم ، فيتخذونها ديناً لأهل الطريقة، وإن كانت مخالفة للنصوص الشرعية،

^١ هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس ، الشافعي ، ينتهي نسبه إلى هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي ، فهو قرشي ، ولد في غزة من بلاد فلسطين ، سنة ١٥٠ هـ ، وهو إمام المذهب المعروف بالمذهب الشافعي ، أحد المذاهب الفقهية الأربعة المنتشرة في العالم الإسلامي، فقيه الإسلام ، وعالم الملة ، صنف التصانيف الكثيرة منها : ((الأم)) و ((الرسالة)) و ((إبطال الاستحسان)) وغيرها ، توفي سنة ٢٠٤ هـ ، ((سير أعلام النبلاء ج ١٠ / ٥)) .

^٢ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، شيخ الإسلام بن تيمية ، تحقيق : د . محمد رشاد سالم ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م ، ج ١ / ٥٩ .

^٣ المصدر السابق ، نفس الصفحة السابقة .

^٤ مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ج ٤ / ٩٥ ، ٩٦ .

^٥ الاعتصام ، إبراهيم بن موسى الشاطبي ج ١ / ٢٢٤ — ٢٢٥ .

من الكتاب والسنة، أو مخالفة لما جاء عن السلف الصالح ، لا يلتفتون معها إلى فتيا مفت ولا نظر عالم، بل يقولون إن صاحب هذا الكلام ثبتت ولايته، فكل ما يفعله أو يقوله حق^١ .

وقد نقل محمد عثمان عبده في كتابيه تبرئة الذمة في نصح الأمة، وانتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان، أقوالاً وأحياناً كتباً بأكملها، لمتقدميه من الصوفية، بما فيها من أباطيل، ومخالفات شرعية واضحة، تتنافى مع العقيدة الإسلامية الصحيحة، من غير تمحيص للمنقول ، بل بالتسليم والثناء على قائلها ، وتبعه على ذلك أتباعه ، في التأليف والأخذ عنه ، فهم لا يردون حرفاً من المنقول، مع وجود ما يجب رده، وعدم الأخذ به لمخالفته لصريح نصوص الكتاب والسنة، فمن ذلك ما تقدم ذكره ومما سيذكر، مما يدل على اعتقادهم أن المنقول عنهم من المعصومين الذين لا يجوز في حقهم الخطأ، فيجب التسليم لهم في جميع أقوالهم .

المبحث الثاني

المصادر الخاصة

المطلب الأول

المصدر الأول: الكَشْفُ

الكَشْفُ لُغَةً :

الكاف والشين والفاء أصل صحيح يدل على سُرُو الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ ، كالثُّوبِ يُسْرِي عَنِ الْبَدَنِ ، يُقَالُ كَشَفْتُ الثُّوبَ وَغَيْرَهُ وَأَكْشَفَهُ .

وَالْكَشْفُ رَفْعُكَ الشَّيْءَ عَنْ مَا يُوَارِيهِ وَيُعْطِيهِ ، وَكَشَفَ الْأَمْرَ يَكْشِفُهُ كَشْفًا : أَظْهَرَهُ ، وَالْكَشْفُ دَائِرَةٌ فِي قِصَاصِ النَّاصِيَةِ ، كَانَ ذَلِكَ الشَّعْرُ يَنْكَشِفُ عَنْ مَغْرَزِهِ وَمَنْبِتِهِ ، وَيَكُونُ فِي الْخَيْلِ الْتَوَاءَ فِي عَسِيبِ الذَّنْبِ .

وَالْأَكْشَفُ : الرَّجُلُ الَّذِي لَا تَرَسَ مَعَهُ فِي الْحَرْبِ .

وَيُقَالُ : تَكَشَّفَ الْبُرْقُ إِذَا مَلَأَ السَّمَاءَ ، وَالْمَعْنَى صَحِيحٌ لِأَنَّ الْمُتَكَشِّفَ بَارِزٌ .

والكشف نتاج في إثر نتاج ؛ والكشاف أن تبقى الأنثى سنتين أو ثلاثاً لا يحمل عليها^١.

الكشف اصطلاحاً :

هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً^٢.

وهذا الاطلاع يكون بإدراك حقائق الأشياء على ما هي عليه وذلك يكون بالقلب وبالبصر، ولا يقتصر على الأمور الكونية فقط، بل يشمل الأمور الشرعية، كعرفة الأحكام عن طريق الإلهام، أو لقيا النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك.

وقد أخذ البرهانية بهذا المصدر من مصادر التلقي لدى الصوفية، وهو بلا شك يقلل من قيمة العلم الشرعي المكتسب عن طريق التعلم، من القراءة والكتابة، وبذل الأسباب، وفي ذلك يقول أبو الحسن الشاذلي: ((علوم النظر أو هام إذا قرنت بعلوم الإلهام))^٣. ويقول إبراهيم الدسوقي: ((ومقصودي لجميع أولادي أن يكونوا ذائقين لا واصفين، وأن يأخذوا العلوم من معادنها الربانية، لا من الصدور والطروس، فإن القوم إنما تكلموا عما ذاقوا))^٤.

^١ لسان العرب، ابن منظور ج ٩ / ٢٠٠، مادة كَشَفَ . ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس ج ٥ / ١٨١ - ١٨٢

^٢ معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحفني ص ٢٢٥ .

^٣ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، عبد الوهاب الشعراني، طبع ونشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م، ص ٢٨ .

^٤ الطبقات الكبرى، الشعراني، ج ١ / ١٧٢، وانتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان، محمد عثمان عيده ص ١٦٤ - ١٦٥ .

أنواع الكشف :

للكشف عدة أنواع تدخل كلها تحت مسماه وهي كما يلي:

(أ) الرؤية اليقظية للأنبياء والأولياء بعد موتهم .

(ب) الرؤى المنامية .

(ج) رؤية الخضر عليه السلام .

(د) الإلهام .

(هـ) الفراسة .

(و) الهواتف .

(ز) الإسراءات والمعاريج .

(ح) الكشف الحسي أو الصوري بمعنى خرق الحجب الحسية، والاطلاع على المغيبات إما بعين البصيرة أو بعين البصر . قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فما كان من باب الخوارق من باب العلم ، فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره، وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره، يقظة أو مناماً، وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره، وحيّاً وإلهاماً، أو إنزال علم ضروري أو فراسة صادقة .

ويسمى كشفاً ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات، فالسماح مخاطبات، والرؤيا مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله: كشفاً ومكاشفة: أي كشف له عنه^١ .

وقد أخذ البرهانية بالكشف بجميع أنواعه السابقة كمصدر من مصادر التلقي والمعرفة ، وفيما يلي بيان بعض الأمثلة لما ورد عنهم في تقرير الكشف والأخذ به .

(أ) الرؤية اليقظية للأنبياء والأولياء بعد موتهم :

نقل محمد عثمان عبده عن عبد الكريم الجيلي قوله: ((أوصيك يا أخي بدوام ملاحظة صورته ومعناه صلى الله عليه وسلم ، ولو كنت متكلفاً مستحضرأ، فعن قليل تتألف روحك به فيحضر لك صلى الله عليه وسلم عياناً، تجده وتحدثه وتخطبه ، فيجيبك ويحدثك ويخاطبك، فتفوز بدرجة الصحابة رضي الله عنهم وتلحق بهم إن شاء الله تعالى^٢ . ونقل محمد عثمان عبده عن جلال الدين السيوطي قوله: ((فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن رسول الله عليه الصلاة والسلام حي بجسده وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث يشاء في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء، وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم فإذا أراد الله رفع الحجاب عن أراد

^١ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١١ / ٣١٣ .

^٢ تبرئة الذمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٥٦ .

إكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها ، لاما نع من ذلك ، ولا داعي إلى التخصيص برؤية المثال))^١.

ومن فوائد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة عند البرهانية، تلقي الأحكام الشرعية عنه، ومعرفة صحة الأحاديث أو ضعفها ، فمن ذلك ما نقله محمد عثمان عبده عن جلال الدين السيوطي من قوله: ((وحكي عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه، فروى ذلك الفقيه حديثاً ، فقال له الولي : هذا الحديث باطل ، فقال الفقيه : من أين لك هذا ؟ فقال: هذا النبي صلى الله عليه وسلم واقف عند رأسك يقول: إني لم أقل هذا الحديث ، وكشف للفقيه فرآه))^٢ . وفيما نقله محمد عثمان عن جلال الدين السيوطي أيضاً قوله : ((وكم من ولي ثبت أنه اجتمع به يقظة وأخذ عنه))^٣ . ونقل عن ابن عربي قوله: ((حرّم بعض المحققين القياس على جميع أهل الله ، لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهوداً لهم فإذا شكوا في صحة حديث أو حكم رجعوا إليه في ذلك فأخبرهم بالأمر الحق يقظة ومشافهة))^٤.

ويقول محمد عثمان عبده: ((والصوفية هم أعلم الناس بالأحاديث لأنهم يسألون النبي صلى الله عليه وسلم في (الوارد) عن صحة الحديث أو عدم صحته فإذا روى الصوفية حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأكدوا أنه صحيح ، وإن لم يفهمه أحد من الناس فلا بأس وليس له الحق في إنكاره))^٥.

وأما رؤية الأولياء أحياء بعد موتهم ، فكثيراً ما يردد محمد عثمان عبده : ((جاعني سيدي إبراهيم (يعني إبراهيم الدسوقي)))^٦ و((وجاعني سيدي الحسين (يعني الحسين بن علي بن أبي طالب)))^٧ ، كما حكى عن مقابلته لغيرهم من المشايخ الأموات))^٨ . ويقول: ((وفي يوم من الأيام وفي أثناء قراءتي إذ دخل علينا رجل وسيم وله لحية وقال لي السلام عليكم يا شيخ محمد قلت له، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

قال إنك ولي ولديك التنوير والكشف وكثيراً ما تمر علي دون أن تقرأ لي الفواتح فلماذا قلت: ومن أنت؟ قال أنا جابر الأنصاري . قلت: وأين قبئك؟ أفى أول الطريق من هنا))^٩ .

^١ المصدر السابق ص ١٠٧ ، وقبس من نور ، محمد عثمان عبده ص ٥٣ .

^٢ تبرئة الذمة ص ١٠٣ .

^٣ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ٤٦ .

^٤ المصدر السابق ص ٤٤ .

^٥ قبس من نور محمد عثمان عبده ، ص ١١١ .

^٦ المصدر السابق ص ١٦ .

^٧ المصدر السابق ص ١٨ - ١٩ .

^٨ المصدر السابق ص ١٨ - ٢٠ ، وص ٥٧ .

^٩ قبس من نور ص ٥٧ .

ومن المعلوم أن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعد موته، مستحيلة شرعاً وعقلاً، وغير ممكنة الوقوع البتة، وكذا رؤية غيره . قال القاضي أبو بكر بن العربي^١ رحمه الله تعالى: ((وشذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعيني الرأس حقيقة))^٢ . وفي شرح المواهب اللدنية ما نصه: ((وبالجمل فالحقول برويته - صلى الله عليه وسلم - بعد موته بعين الرأس في اليقظة، يدرك فساده بأوائل العقول))^٣ وقال القرطبي: ((اختلف في معنى الحديث (يعني حديث الرؤية اليقظية له صلى الله عليه وسلم) فقال قوم هو على ظاهره ، فمن رآه في النوم رأى حقيقته كمن رآه في اليقظة سواء قال وهذا قول يدرك فساده بأوائل العقول))^٤ . ولو كانت هذه الرؤية مما أكرم الله به أوليائه ، لكان أولى الناس بها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا سيما مع قيام المقتضى لهذه الرؤية، فإنه قد جرى بين الصحابة - رضي الله عنهم - من النزاع في كثير من المسائل ، كاختلافهم في أمر الخلافة، ثم ما وقع بينهم من القتال، وغير ذلك من الأمور التي كانت تستدعي ظهوره - صلى الله عليه وسلم - لهم لنزع الخلاف والشقاق .

ولا يخفى ما في القول بالأخذ منه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، ومعرفة الأحاديث أو ضعفها عن طريق لقياء يقظة والتحدث معه ، من الباطل الذي يهدم علم مصطلح الحديث وجهود العلماء في حفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ويهدم علم الإسناد، الذي هو من خصائص هذه الأمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((والمقصود هنا، أن من أعظم أسباب ضلال المشركين ما يرونه أو يسمعون عند الأوثان، كإخبار من غائب، .. ونحو ذلك فإذا شاهد أحدهم القبر انشق، وخرج منه شيخ بهي وعانقه، أو كلمه ظن أن ذلك هو النبي المقبور أو الشيخ المقبور، والقبر لم ينشق إنما الشيطان مثل له ذلك ، كما يمثل لأحدهم أن الحائط انشق ، وأنه خرج منه صورة إنسان ، ويكون هو الشيطان تمثل له في صورة

^١ هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ، المعروف بابن العربي ، الأندلسي ، الأشبيلي ، الحافظ ، من علماء المالكية المشهورين ، ولد سنة ٤٦٨ هـ ، رحل إلى الشام وبغداد والحجاز ، كان من أهل التفنن في العلوم ، له عدة مصنفات ، منها : (أحكام القرآن) و (عارضه الأحوذى شرح سنن الترمذي) و (العواصم من العواصم) توفي سنة ٥٤٣ هـ ، ((وفيات الأعيان ج ٤ / ٦٠ - ٦٢)) .

^٢ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب ، راجعه قصي محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، ج ١٢ / ٤٠٠ - ٤٠١ .

^٣ شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، محمد عبد الباقي الزرقاني ، دار الطباعة المنيرية ، مصر ١٢٧٨ هـ ، بدون رقم طبع ج ٥ / ٣٥٩ .

^٤ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١٢ / ٤٠١ .

^٥ المصدر السابق ج ٥ / ٣٦١ ، وشرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، شمس الدين بن قيم الجوزية ، شرح الدكتور : محمد خليل هراس ، دار الفاروق الحديثة للنشر بمصر ، بدون رقم الطبع وتاريخ النشر ، ج ٢ / ٦ - ٩ .

إنسان))^١، وقال أيضاً: ((فمن ظن أن أحداً من الموتى يجيء بنفسه للناس عياناً قبل يوم القيامة فقد أتى من جهله))^٢. والقول بثبوت الصحبة بعد مضي عهد الصحابة رضي الله عنهم، مما يعلم فساده وبطلانه، وتعريف الصحابي عند علماء مصطلح الحديث هو: ((من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك))^٣.

(ب) الرؤى المنامية :

والرؤى المنامية من مصادر التلقي عند البرهانية ، ولها عدة فوائد منها ما يلي :
 معرفة صحة الأحاديث أو ضعفها :

يقول أبو المواهب الشاذلي: ((رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن الحديث المشهور: ((اذكروا الله حتى يقولوا مجنون، وفي صحيح ابن حبان اكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: صدق ابن حبان في روايته وصدق راوي : اذكروا الله فإنني قلتها معاً، مرة قلت هذا ومرة قلت هذا))^٤.

المناقب وفضائل الأشخاص :

قال أبو المواهب الشاذلي: ((رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لا تدعني فقال لا ندعك حتى ترد علي الكوثر وتشرب منه))^٥، ويقول: ((رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: أنت تشفع لمائة ألف ، قلت له: بم استوجب ذلك يا رسول الله ؟ قال: بإعطائك لي ثواب الصلاة علي))^٦، ويقول: ((نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم في فمي، فقلت: يا رسول الله ما فائدة هذا النقل ؟ فقال ما تنقل بعدها على مريض إلا ويبرأ))^٧.

الأدعية والأذكار وفوائدهما :

يقول أبو المواهب الشاذلي، إن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: ((.. وما أحسن))^٨ إني أعطينك الكوثر^٩ لو كانت وردك بالليل، .. ويكون دعاؤك، اللهم فرج كربتنا، اللهم اغفر

^١ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١ / ١٧٧ .

^٢ المصدر السابق ج ١٣ / ٩٤ .

^٣ الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، حققه علي محمد البجاوي ، طبعة دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ — ١٩٩٢م ، ج ١ / ٦٠ . والباعث الحديث شرح اختصار علوم الحديث، الحافظ عماد الدين بن كثير، أحمد محمد شاكر، عني به الدكتور بديع السيد اللحام ، الناشر ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ — ١٩٩٩ م ، ص ١٧٨ .

^٤ سبقت ترجمته .

^٥ طبقات الشعراني ج ٢ / ٧٥ — ٧٦ .

^٦ المصدر السابق ج ٢ / ٧١ .

^٧ المصدر السابق ج ٢ / ٧٢ .

^٨ المصدر السابق ج ٢ / ٧٥ .

^٩ سورة الكوثر (١) .

زلاتنا، وتصل علي، تقول: ((سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))^٤.
تصحيح الاعتقادات الفاسدة :

يقول أبو المواهب الشاذلي: ((رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: إذا كانت لك حاجة ، وأردت قضاءها فانذر لنفيسة^٣ الطاهرة ولو فلساً، فإن حاجتك تقضى))^٤. ورأى أبو عبد الله الشاطبي في منامه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له : ((أترضى عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي بعد صلاتي، وأسأل الله تعالى به في جميع حوائجي، فأجد فيها القبول، أترى علي في ذلك شيئاً إذا تعديت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: أبو الحسن الشاذلي ولدي حساً ومعنى، و الولد جزء من الوالد، فمن تمسك بالجزء تمسك بالكل، فإذا سألت الله بأبي الحسن فقد سألته بي))^٥.

تصحيح أحوال الصوفية ورسومهم :

يقول أبو المواهب الشاذلي: ((رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إنني متطفل في علم التصوف، فقال صلى الله عليه وسلم: اقرأ كلام القوم، فإن المتطفل على العلم هو الولي، وأما العالم فهو النجم الذي لا يدرك))^٦. ويقول محمد عثمان عبده: ((عندما كنت غلاماً وأثناء طلبي للعلم، كنت أكره المداحين ، هؤلاء الذين يمدحون في الشوارع والأسواق، وفي ليلة رأيت في رؤياي النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أعد وليمة ، وإذا بهؤلاء المداحين أنفسهم يحملون الطعام والشراب، ويقومون بالخدمة في هذه الوليمة، ثم يقول أنه سأل الجالسين بجانبه عن هؤلاء الذين يخدمون فقالوا : ((لقد أعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليمة دعا إليها الكبار من الأولياء والصالحين . فقلت فما شأن هؤلاء الخدامين ؟ قالوا : أتعني المداحين قلت : نعم . قالوا : إنهم الخدامون الموكلون بخدمة النبي صلى الله عليه وسلم... ومنذ تلك اللحظة وأنا أقدر المداحين وأكن لهم كل المحبة والمودة))^٧.

وتعليقاً على ما سبق فإنه يقال: إن الرؤى المنامية ليست بحجة شرعية ، ولا يثبت بها شيء من الأحكام الشرعية ، والعصمة منتفية عنها، إلا رؤيا الأنبياء فهي وحي من الله تعالى،

طبقات الشعراني الكبرى ج ٢ / ٧٥ .

هي نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، صاحبة المشهد المعروف بمصر ، تقيّة صالحة ، عالمة بالتفسير والحديث ، ولدت بمكة سنة ١٤٥ هـ ، ونشأت بالمدينة المنورة ، تزوجها إسحاق الموثمن بن جعفر الصادق ، وانتقلت إلى القاهرة ، وبها توفيت سنة ٢٠٨ هـ ، ((سير أعلام النبلاء ج ١٠ / ١٠٦ - ١٠٧)) و ((البداية والنهاية ج ١٠ / ٢٧٣ - ٢٧٤)) .

طبقات الشعراني الكبرى ج ٢ / ٧٤ .

الأربعة أهل السلسلة ص ٢٨ .

جامع كرامات الأولياء ، يوسف إسماعيل النبهاني ، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى ، بمصر ، ١٣٢٩ هـ ، ج ٢ / ١٧٦ - ١٧٧ .

قيس من نور ص ٣٩ - ٤٠ .

وأما رؤى غيرهم من الناس فيمكن الاستئناس بها إذا وافقت حجة شرعية صحيحة ، يقول الإمام النووي^١ رحمه الله : ((حالة النوم ليس حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي ، وقد اتفقوا على أن من شرط تقبل من تقبل روايته وشهادته ، أن يكون متيقظاً ، لا مغفلاً ، ولا سيئ الحفظ ، ولا كثير الخطأ ، ولا مختل الضبط ، والنائم ليس بهذه الصفة ، فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه))^٢ . ويقول الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى : ((وأضعف هؤلاء احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات وأقبلوا بسببها وأعرضوا ، فيقولون رأينا فلاناً الرجل الصالح ، فقال لنا: اتركوا كذا وكذا ، واعملا كذا ، ويتفق مثل هذا كثيراً للمتوسمين برسم التصوف ، وربما قال بعضهم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم - في النوم - فقال لي: كذا ، وأمرني بفعل كذا ، فيعمل بها ، ويترك بها معرضاً عن الحدود الموضوععة في الشريعة ، وهو خطأ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال ، إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية ، فإن سوغتها عمل بمقتضاها ، وإلا وجب تركها والإعراض عنها ، وإنما فائدة البشارة والندارة خاصة وأما استفادة الأحكام فلا ..

فلو رأي في النوم قائلًا يقول: إن فلاناً سرق فاقطعه ، أو عالماً فاسأله أو اعمل بما يقول لك ، أو فلان زنى فحدّه ، وأما أشبه ذلك ، لم يصح له العمل ، حتى يقوم له الشاهد في اليقظة ، وإلا كان عاملاً بغير شريعة ، إذ ليس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي))^٣ . ويقول الشوكاني^٤ رحمه الله تعالى : ((المسألة السابعة في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم قال جماعة من أهل العلم ، أنه يكون حجة ، ويلزم العمل به ، وقيل لا يكون حجة ، ولا يثبت به حكم شرعي ، وإن كانت رؤية النبي صلى الله عليه وسلم - رؤية حق ، والشيطان لا يتمثل به ، لكن النائم ليس من أهل التحمل للرواية ، لعدم حفظه ، وقيل إنه يعمل به ما لم يخالف شرعاً ثابتاً ، ولا يخفك أن الشرع الذي شرعه الله لنا على لسان نبينا - صلى الله عليه وسلم - قد كمله الله - عز وجل - ، ولم يأتنا دليل على أن رؤيته في النوم ، بعد موته - صلى الله عليه وسلم - ، إذا قال فيها بقول ، أو فعل فيها فعلاً ، يكون دليلاً وحجة ، بل قبضه الله إليه بعد أن كمل الله لهذه الأمة ما شرعه لها على لسانه ، ولم يبق للأمة بعد ذلك حاجة في أمر دينها ، وقد انقطعت البعثة بالموت ، وإن كان رسولاً حياً وميتاً ، وبهذا تعلم أنه لو قدرنا ضبط النائم

^١ هو محي الدين ، يحيى بن شرف النووي ، من كبار أئمة الشافعية ، فقيه ، محدث ، حافظ ، ولد سنة ٦٣١ هـ ، له عدة مؤلفات منها : ((شرح صحيح مسلم)) و ((رياض الصالحين)) وغيرها ، توفي سنة ٦٧٦ هـ ، ((الأعلام ج ٨ / ١٤٩)) .
^٢ صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، ج ١ / ١١٥ .
^٣ الاعتصام ، الإمام الشاطبي ج ١ / ٢٦٠ - ٢٦١ .

^٤ هو محمد بن علي بن عبد الله اليمني الشوكاني ، ولد سنة ١١٧٣ هـ ، أصولي ومفسر ، له عدة مؤلفات منها : ((فتح القدير الجامع لفني الدراية والرواية في التفسير)) و ((نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار)) و ((إرشاد الفحول)) وغيرها ، توفي سنة ١٢٥٠ هـ .
 ((الأعلام ج ٦ / ٢٩٨)) .
 ٣١٨٢٤

، لم يكن ما رآه من قوله صلى الله عليه وسلم — أو فعله : حجة عليه ، ولا على غيره من الأمة))^١ .

فتبنت بهذه النقول عن العلماء ، أن الرؤى المنامية لا تفيد أحكاماً شرعياً ، ولا يعتمد عليها كأدلة شرعية ، فإن وافقت الأدلة الشرعية فالاحتجاج بالشرع لا بها .
(ج) رؤية الخضر عليه السلام :

يعتبر البرهانية لقباً للخضر عليه السلام والأخذ عنه مصدراً من مصادر التلقي، وفي ذلك يقول أبو الحسن الشاذلي: ((رأيت الخضر عليه السلام، في برية عيذاب، فقال لي: يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل ، وكان لك صاحباً لك في الإقامة والرحيل))^٢ . وإن كان بعضهم يرى أن الخضر ليس بشراً، وإنما مقام من مقامات الولاية، وممن قال بذلك أبو المواهب الشاذلي ، حيث قرر صحة القول بأن الخضر مقام^٣ ، وممن قرر ذلك أيضاً علي وفا حيث قال: ((الخضر عليه السلام مظهر عرفاني، رأي فيه موسى عليه السلام حين وجوده ما سألت في مقامه العرفاني أن يراه في شهوده، وذلك المظهر كان منه وإليه))^٤ ، والمرجح لديهم بشريته ، وفي ذلك يقول محمد عثمان عبده : ((نقل عن الخضر عليه السلام أنه قال ...))^٥ ، والذي دلت عليه الأدلة من القراءان والسنة ، أن الخضر عليه السلام من البشر، وأنه نبي من الأنبياء، وأنه مات .

والجمهور على القول بنبوته، فمن الأدلة على ذلك قوله تعالى : ((فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِثْلًا عِلْمًا))^٦ ، ووجه الاستدلال أن الرحمة تكرر إطلاقها في القراءان الكريم على النبوة، ومن ذلك قوله تعالى : ((وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَةَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ))^٧ ، وقوله تعالى : ((وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ

^١ إرشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول ، محمد بن علي الشوكاني، طبع دار الفكر، بدون تاريخ نشر ورقم طبع ، ج ٢ / ٢٤٩ .

^٢ طبقات الشعراني الكبرى ج ٢ / ٥ .

^٣ المصدر السابق ج ٢ / ٦٨ .

^٤ هو علي بن محمد وفا ، والده صاحب الطريقة الوفانية ، ولد سنة ٧٦١ هـ ، من أعيان الطريقة الشاذلية ، توفي سنة ٨٠١ هـ ، ((طبقات الشعراني الكبرى ج ٢ / ٢٢ - ٦٥)) .

^٥ طبقات الشعراني ج ٢ / ٢٦ .

^٦ تبرئة الذمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٧ .

^٧ سورة الكهف (٦٥) .

^٨ الزخرف (٣١ - ٣٢) .

رَبِّكَ))^١، وإطلاق إيتاءه العلم دليل على نبوته أيضاً ، وقد أطلق هذا في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : ((وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً))^٢ ، وقوله : ((.. وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ))^٣ ، فهذه الأدلة ترشد إلى نبوته ، ويشعر بتكثير الرحمة في الآية الكريمة واختصاصها بجناب الكبرياء ، أن المقصود بها الوحي والنبوة .
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي^٤ : ((ومن أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم اللدني الذين امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي، قوله تعالى : ((وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي))^٥ ، أي وإنما فعلته عن أمر الله جل وعلا، ولا سيما قتل الأنفس البريئة في ظاهر الأمر، وتعيب سفن الناس بخرقها، لأن العدوان على أنفس الناس وأموالهم لا يصح إلا عن طريق الوحي من الله تعالى ..))^٦ .

وأما موته فقد تظاهرت عليه أدلة الكتاب والسنة^٧ ، ومن ذلك قوله تعالى : ((وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ))^٨ ، قال ابن الجوزي : ((فلو دام الخضر كان خالداً))^٩ ، وقال أيضاً : ((فالخضر إن كان بشراً فقد دخل في هذا العموم لا محالة ، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح))^{١٠} ، وقال ابن كثير مؤكداً كلام ابن الجوزي بعد نقله إياه : ((والأصل عدمه حتى يثبت ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله))^{١١} .

^١ سورة القصص (٨٦) .

^٢ سورة النساء (١١٣) .

^٣ سورة يوسف (٦٨) .

^٤ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، طبع عالم الكتب بيروت بدون تاريخ ورقم طبع ج ٤ / ١٥٨ .
^٥ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بمصر ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م بدون رقم طبعة ج ٣ / ٢٥٩ .

^٦ هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر ، الجكني الشنقيطي ، ولد عام ١٣٢٤ هـ ، بشنقيط ((دولة موريتانيا الإسلامية حالياً)) ، حفظ القرآن وعمره عشر سنوات ، ودرس العلم على علماء بلده والفقهاء خاصة ، ثم رحل إلى الحجاز ، له عدة مؤلفات منها : (مذكرة في أصول الفقه) وتفسيره : ((أضواء البيان)) توفي بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٣ هـ (مقدمة تفسيره أضواء البيان) .
^٧ سورة الكهف (٨٢) .
^٨ أضواء البيان ج ٤ / ١٥٨ .

^٩ فقد نقل ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه المنار المنيف في الصحيح والضعيف كلاماً شافياً وكافياً ، وساق كلام أهل العلم في ثبوت موت الخضر عليه السلام ، المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، كتب هوامشه أحمد عبد الشافي ، طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م ، ص ٦٦ - ٧٤ .
^{١٠} سورة الأنبياء (٣٤) .

^{١١} المنار المنيف في الصحيح والضعيف ابن قيم الجوزية ص ٧٠ .

^{١٢} البداية والنهاية ، الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، ج ١ / ٣١٢ .

^{١٣} المصدر السابق ج ١ / ٣١٢ .

وأما السنة فمنها قوله صلى الله عليه وسلم: ((أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ قَالَ : عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ لَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ))^١ ، وفي رواية لمسلم : ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ : تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ وَإِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنفُوسَةٌ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ))^٢ ، قال ابن الجوزي : ((فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر ، فالخضر إن لم يكن أدرك زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كما هو مزنون ، الذي يترقي في القوة إلى القطع فلا إشكال إن كان قد أدرك زمانه ، فهذا الحديث يقتضي أنه لم يعيش بعد مائة سنة ، فيكون الآن مفقوداً لا موجوداً ، لأنه داخل في العموم ، والأصل عدم المخصص حتى يثبت بدليل صحيح يجب قبوله))^٣ ، فإذا علمت وفاته ، يعلم بطلان القول بلقياه والأخذ عنه ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((.. والجهال الذين يعلقون أمورهم بالمجهولات ، كرجال الغيب والقطب والغوث ، والخضر ... فقد يرى أحدهم بعض الجن فيظن أنه الخضر ، ولا يخاطبه الجن^{الذي} بما يرى أنه يقبله منه ، ليربط على ذلك ... ، وقد يرى الخضر على صور مختلفة ، وعلى صور هائلة وأمثال ذلك ، وذلك لأن هذا الذي يقول أنه الخضر هو جني بل هو شيطان يظهر لمن يرى أنه يضلّه ...))^٤ .

(د) الإلهام :

الإلهام لغة: هو ما يلقي في الرّوع، أو ما يلقيه الله في النفس من الأمور التي تبتعث على الفعل أو الترك^٥.

وأما في الاصطلاح: (فالإلهام هو إيقاع شيء في القلب يتلج له الصدر، ويطمئن ويسكن، من غير استدلال بأية ولا نظر في حجة ، يخص به الله - تعالى - بعض أصفياه^٦) .
وقد أخذ البرهانية بالإلهام، مصدرأ من مصادر التلقي، وإثبات الأحكام الشرعية، يقول محمد عثمان عبده: ((وأما الأولياء رضوان الله تعالى عليهم يأخذون علومهم .. أولاً من إلهام الملائكة))^٧، ويقول: ((إن المنكرين من أصحاب العقائد الفاسدة ينكرون على الأولياء

^١ أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب السمر في العلم ، حديث رقم ١١٦ ، فتح الباري ج ١ / ٢١١ ، وفي كتاب مواقيت الصلاة ، حديث رقم ٥٤٦ ، فتح الباري ج ٢ / ٤٥ ، حديث رقم ٦٠١ ، فتح الباري ج ٢ / ٧٣ - ٧٤ . وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب معنى قوله صلى الله عليه وسلم على رأس مائة سنة ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ / ٨٩ - ٩٠ .

^٢ أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب السمر في العلم ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١ / ٢٥٥ حديث رقم ١١٦ . و مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب معنى قوله صلى الله عليه وسلم على رأس مائة سنة ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ / ٩٠ - ٩١ .

^٣ البداية والنهاية ، ابن كثير ج ١ / ٣١٣ - ٣١٤ .

^٤ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقرية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١ / ٣١ .

^٥ لسان العرب ، ابن منظور ، مادة لهم ، ج ١٢ / ٥ .

^٦ التعريفات ، الجرجاني ص ٣٤ .

^٧ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٢٧٧ .

والصالحين رضوان الله عليهم العلوم الإلهامية واللادنية))^١ . ويقول أبو الحسن الشاذلي : ((علوم السنظر أو هام إذا قرنت بعلوم الإلهام))^٢ . ويقول إبراهيم الدسوقي : ((عليكم بتصديق القوم في كل ما يدعون، فقد أفلح المصدقون ، وخاب المستهزئون فإن الله - تعالى - يقذف في سر خواص عباده ما لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فما للعاقل إلا التسليم ، وإلا فاتوه وفاتهم، وحرّم فوائدهم وخسر الدارين))^٣ . ويقول أبو المواهب الشاذلي في الرد على من أنكر قول من قال: ((حدثني قلبي عن ربي : ((لا إنكار لأن المراد أخبرني قلبي عن ربي من طريق الإلهام الذي هو وحي الأولياء))^٤ ، ويقول عن الإلهام (الخاص) من غير واسطة الملك : ((.. مقام الولاية الخاصة يعطي الأخذ عن الله بالله من الوجه الخاص))^٥ .

والحق أن الإلهام ليس مصدرًا من مصادر التلقي، ولا مصدرًا من مصادر التشريع، التي عليها مدار الحجة، فلا يجوز الاستدلال به على حكم شرعي، يقول الحافظ ابن حجر^٦ رحمه الله تعالى : ((وإنكار الإلهام مردود .. ولكن التمييز بين الحق والباطل في ذلك ، أن كل ما استقام على الطريقة المحمدية ، ولم يكن في الكتاب والسنة ما يردّه ، فهو مقبول ، وإلا فمردود ، يقع من حديث النفس ووسوسة الشيطان ، .. ونحن لا ننكر أن الله - تعالى - يكرم عبده بزيادة نور منه ، يزداد به نظره ، ويقوى به رأيه ، وإنما ننكر أن يرجع بقلبه إلى قول لا يعرف له أصل ، ولا نزع أنه حجة شرعية ، وإنما هو نور يختص الله به من يشاء من عباده ، فإن وافق الشرع كان الشرع هو الحجة))^٧ .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات : حدثني قلبي عن ربي ، فصحيح قلبه حدثه ولكن عن من ؟ عن شيطانه ، أو عن ربه ؟ فإذا قال حدثني قلبي عن ربي كان مسنداً الحديث إلى من يعلم أنه حدثه به ، وذلك كذب .. ومحدث الأمة لم يكن ليقول ذلك ، ولا تفوه به يوماً من الدهر ، وقد أعاده الله من أن يقول ذلك))^٨ .

^١ المصدر السابق ص ٢٨٥ .

^٢ البواقيت والجواهر في بيان عقيدة الأكابر ، الشعراني ج ١ / ٢٨ .

^٣ طبقات الشعراني الكبرى ج ١ / ١٧٣ .

^٤ طبقات الشعراني الكبرى ج ٢ / ٦٨ .

^٥ المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

^٦ هو أحمد بن علي بن محمد ، أبو الفضل الكنتاني ، الشافعي ، المعروف بابن حجر العسقلاني ، ولد ببلدة عسقلان بمصر ، سنة ٧٧٣ هـ ، له عدة مؤلفات أجلها : ((فتح الباري بشرح صحيح البخاري)) و ((والإصابة في معرفة الصحابة)) و ((نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر)) ، و ((بلوغ المرام من جملة أدلة الأحكام)) وغيرها ، توفي سنة ٨٥٢ هـ ((تذكرة الحفاظ ، الذهبي ج ٩ / ٣٩٥)) .

^٧ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١٢ / ٣٨٨ - ٣٨٩ .

^٨ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية/ بتحقيق محمد حامد الفقي الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ، ج ١ / ٤٠ .

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى : ((المقرر في الأصول ، أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء لعدم العصمة ، وعدم الدليل على الاستدلال به ، بل ولوجود الدليل على عدم جواز الاستدلال به ، وما يزعمه بعض الصوفية من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره ، .. كله باطل لا يعول عليه ، لعدم اعتضاده بدليل ، وغير المعصوم لا ثقة بخواطره ، لأنه لا يأمن من دسيسة الشيطان ، وقد ضمننت الهداية في اتباع الشرع ، ولم تضمن في الخواطر والإلهامات ..

أما ما يلهمه الأنبياء ، مما يلقيه الله في قلوبهم ، فليس كإلهام غيرهم لأنهم معصومون بخلاف غيرهم .. وبالجملة فلا يخفى على من له إمام بعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف به أوامر الله ونواهيه وما يتقرب إليه به من فعل وترك ، إلا عن طريق الوحي ، فمن ادعى أنه غني — في الوصول إلى ما يرضي ربه — عن الرسل وما جاءوا به ولو في مسألة واحدة فلا شك في زندقته))^١ .

(هـ) الْفِرَاسَةُ :

الْفِرَاسَةُ لُغَةً : يَكْسِرُ الْفَاءَ وَهُوَ لُغَةٌ تَسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى النَّظَرِ وَالتَّنَبُّهِ وَالتَّأَمُّلِ لِلشَّيْءِ وَالبَصْرِ بِهِ ، يُقَالُ إِنَّهُ يَفَارِسُ بِهَذَا الْأَمْرِ ، إِذَا كَانَ عَالِمًا بِهِ ، وَتَفَرَّسَ فِيهِ الشَّيْءُ ، تَوَسَّمَهُ وَالإِسْمُ الْفِرَاسَةُ بِالتَّكْسِيرِ يُقَالُ أَيضًا أَفْرَسَ النَّاسُ ، أَي أَجْوَدَهُمْ وَأَصْدَقَهُمْ فِرَاسَةً ، وَيَتَفَرَّسُ ، أَي يَتَنَبَّهُ وَيَنْظُرُ ، تَقُولُ مِنْهُ رَجُلٌ فَارِسُ النَّظَرِ^٢ .

وفي الاصطلاح :

وردت لها عدة تعريفات ، منها الفراسة : خاطر يهجم على القلب ، فينفي ما يضاده ، وله على القلب حكم ، اشتقاقاً من فريسة السبع ، وكل من كان أقوى إيماناً ، كان أحد فراسة^٣ ، قيل هي : سواطع أنوار لمعت في القلوب ، وتمكين معرفة حملت على السرائر في الغيوب ، من غيب إلى غيب ، حتى يشهد الأشياء من حيث أشهدهم الحق — سبحانه — إياها فيتكلم على ضمير الخلق^٤ .

وقد أخذ البرهانية بالفراسة كمصدر من مصادر التلقي ، يقول محمد عثمان عبده : ((وكان سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قابلهما رجل فقال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا الرجل فأني أرى آثار الزنا بين عينيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

^١ أعضاء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ج ٤ / ١٥٩ .

^٢ لسان العرب ، ابن منظور ، مادة فرس ج ٦ / ١٦٠ .

^٣ الرسالة القشيرية ، عبد الكريم بن هوازن ، ص ١٠٥ .

^٤ المصدر السابق ص ١٠٥ .

أَوْحَى بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ يَا عُمَرُ ؟ فَقَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ((كَلَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهَا فِرَاسَةٌ مُؤْمِنٌ^١ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ))^٢ . وقال أبو الحسن الشاذلي : ((كنت يوماً بين يدي الأستاذ (يعني عبد السلام بن بشيش) فقلت في نفسي ليت شعري هل يعلم الشيخ اسم الله الأعظم ؟)) فقال ولد الشيخ وهو في آخر المكان ، الذي أنا فيه : ((يا أبا الحسن ليس الشأن من يعلم اسم الله الأعظم إنما الشأن من يكون هو عين الاسم الأعظم ، فقال الشيخ : أصاب وتفرس فيك ولدي))^٣ . وقال علي بن وفا : ((إذا اعتقدت في أستاذك أنه مطلع على جميع أحوالك فقد عرضت عليه صحيفتك فقرأها))^٤ . فالفراسة لا تفيد حكماً شرعياً ، ولا يعتمد عليها في إثبات حكم من الأحكام الشرعية ، وهي نوعان : فراسة إيمانية سببها الطاعة ، وفراسة عامة يشترك فيها المؤمن وغيره .

يقول ابن القيم : ((وفراسة الصحابة رضي الله عنهم أصدق الفراسة . وأصل هذا النوع من الفراسة : من الحياة والنور اللذين يهبهما الله تعالى لمن يشاء من عباده فيحيي القلب بذلك ويستتير ، فلا تكاد فراسته تخطيء))^٥ . ويقول : ((وكان الصديق رضي الله عنه أعظم الأمة فراسة ، وبعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووقائع فراسته مشهورة ، فإنه ما قال لشيء أظنه كذا ، إلا كان كما قال ، ويكفي في فراسته موافقته ربه في المواضع المعروفة))^٦ .

((وأما فراسة الصوفية فهي فراسة الجوع والسهر والخلوة ، وذلك أن هذه الأمور تجرد النفس عن الشواغل ، فيصير لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها ، وهذه الفراسة مشتركة بين المؤمن والكافر ، ولا تدل على إيمان ولا على ولاية ، وكثير من الجهال يغتر بها ، وللرهبان فيها وقائع معلومة . وهي فراسة لا تكشف عن حق نافع ، ولا عن طريق مستقيم ، بل كشفها جزئي من جنس فراسة الولاية وأصحاب عبارة الرؤيا وغيرهم))^٧ .

^١ الحديث بهذا اللفظ ليس في شيء من كتب السنة .

^٢ الحديث أخرجه الطبراني في الكبير (١٢١ / ٨) ، وأبو نعيم في الحلية (١١٨ / ٦) ، وابن عدي في الكامل (٢٣ / ٤) ، والخطيب في التاريخ ج (٩٩ / ٥) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١ / ٣٨٧ - ٣٨٨) ، والترمذي ، في أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ج ٤ / ٣٦٠ حديث رقم ٥١٢٣ ، والمعقيلي في الضعفاء (٤ / ١٢٩) ، وابن الجوزي في الموضوعات (٣ / ١٤٦) ، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤ / ٣٠٠) .

^٣ تبرئة الذمة في نصح الأمة ص ٢٦٣ ، وقبس من نور ص ١٩١ .

^٤ الأربعة أهل السلسلة ص ٢٠ .

^٥ الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبد الوهاب الشعراني، الناشر دار جوامع الكلم بمصر، الطبعة الثانية بدون تاريخ الطبع، ص ١١٤ .

^٦ مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية ج ٢ / ٤٨٦ .

^٧ المصدر السابق ج ٢ / ٢٨٥ .

^٨ المصدر السابق ج ٢ / ٤٨٦ - ٤٨٧ .

وليس من الفراسة الإيمانية دعوى معرفة الغيوب والاطلاع على ما في الضمائر، وليس ذلك دليل على الولاية، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض أهل السماع الشيطاني، أنه ربما كاشف بعض الحاضرين لمجلس السماع، بما في قلبه، وذلك بعد أن تقترن الشياطين بأهل هذا السماع البدعي وتخبرهم بذلك^١.

فالعلم بما في القلوب له أسباب شيطانية، وهو شيء لا يخلص من الكهانة، بدليل (قصة ابن صياد الكاهن، لما أضمر له النبي صلى الله عليه وسلم - في نفسه سورة الدخان، فلما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عما خبأه له؟ قال ابن صياد: الدُّخُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَأُ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ^٢)).

وقد دلت الشريعة على ألا عبرة بالفراسة، ولا سيما إذا تضمنت نقض حكم شرعي، أو خرم قاعدة من قواعده، والدليل على ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحكم بالفراسة في المتلاعنين، لما قال: إذا جاءت به على صفة كذا فهو لفلان، بل قال: لولا الأيمان لكان لي ولها شأن، مع أنها جاءت به على إحدى الصفتين، وهي المقتضية للمكروه، فدل ذلك على أن الأيمان هي المانعة، وامتناعه مما هم به - وهو الرجم من غير بينة - يدل على أن ما تفرس به لا حكم له، حين شرعية الأيمان^٣.

(و) الْهَوَاتِفُ :

لُغَةً : الْهَتْفُ وَالْهَتَافُ : الصَّوْتُ الْجَافِي الْعَالِي ، وَقِيلَ الصَّوْتُ الشَّدِيدُ ، وَقَدْ هَتَفَ بِهِ هَتَافًا ، أَيْ صَاحَ بِهِ .

وَهَتَفَ بِفُلَانٍ ، أَيْ دَعَوْتَهُ ، وَهَتَفَتْ بِفُلَانٍ ، أَيْ مَدَحْتَهُ ، وَسَمِعْتُ هَاتِفًا يَهْتَفُ ، إِذَا كُنْتُ تَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلَا تُبْصِرُ أَحَدًا^٤ .

واصطلاحاً : عرّفه الإمام أبو حامد الغزالي^٥ بقوله : ((لفظ منظوم يقرع السمع لمن صفا قلبه في اليقظة))^٦.

وقد أخذ البرهانية بالهواتف مصدرأ من مصادر التلقي، في إثبات الأحكام الشرعية، يقول محمد عثمان عبده : ((ثم إن سيدي أحمد رضي الله عنه (يعني أحمد البدوي) رأي

^١ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١١ / ٢٨٦ .

^٢ أخرجه مسلم، في كتاب الفتن وأشراف الساعة باب ذكر ابن صياد ج ٨ / ٤٧ - ٤٩ .

^٣ الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة بيروت، بدون رقم الطبع وتاريخه، ج ٢ / ٢٧٢ .

^٤ لسان العرب، ابن منظور الأفرقي ج ٩ / ٣٤٤ .

^٥ تقدمت ترجمته .

^٦ إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ج ٢ / ٢٦٨ .

الهاتف في منامه يقول له يا أحمد سر إلى طندتا فإنك تقيم بها وتربي بها رجالاً وأبطالاً^١ .
ويقول أحمد عربي الشرنوبي : ((هاتف بي هاتف من قبل الله تعالى : يا ولي الله تعالى تكلم
بما شئت فتكلمت بلسان الشريعة والحقيقة حتى لا ينكر علي عالم ولا ولي))^٢ . ويقول أبو
الحسن الشاذلي : ((سمعت هاتفاً يقول : كم تندن مع من يدندنون وأنا السميع القريب
تعريفي يغنيك عن علم الأولين والآخرين ما عدا علم الرسول صلى الله عليه وسلم وعلم النبيين
عليهم الصلاة والسلام))^٣ . ويقول أبو الحسن الشاذلي : ((سمعت هاتفاً يقول : إن أردت
كرامتي فعليك بطاعتي وبالإعراض عن معصيتي))^٤ ، وفيما نسب إلى عبد القادر الجيلاني ،
أنه سمع هاتفاً يوم ولادة عبد السلام بن بشيش يقول : ((يا عبد القادر ارفع رجلك عن أهل
المغرب فإن قطب المغرب قد ولد في هذا اليوم))^٥ .

والهواتف ليست بحجة شرعية ، ولا يعتمد عليها في إثبات حكم شرعي ، لاحتمال أن
تكون من الشيطان ، بل هذا هو الواقع في الغالب ، ولو كان الأمر بالخير فلا يبعد أن يكون
ذلك استدرجاً ، كما أن مجرد الأمر لا يدل على صلاح الأمر ، وإن كان مظنة ذلك .
وأما الكلام الإلهي للأنبياء يقظة بلا واسطة ، فهو من مراتب الوحي الخاص بالأنبياء
ولا يكون لغيرهم^٦ .

والقول بأن صاحب الهاتف ملك فطريقه الظن ، ولا دليل على إثبات ذلك ، ولا عصمة
فيما طريقه الظن .

وبناءً على مذهب البرهانية في عقيدة وحدة الوجود، فإنه يقال لهم : إذا كان كل كلام في
الوجود هو كلام الله تعالى، فما الفرق بين الهواتف الربانية، والملكية، والإبليسية ؟ والحال أنها
كلام الله ؟ .

(ز) الإسراءاتُ والمعاريجُ :

السُّرَى لَغَةٌ : سَيْرُ اللَّيْلِ عَامَتَهُ ، وَقِيلَ السُّرَى سَيْرُ اللَّيْلِ كُلِّهِ ، وَسَرَيْتُ سُرَىً وَمَسْرَىً ،
وَأَسْرَيْتُ بِمَعْنَى إِذَا سَرَتْ لَيْلًا^٧ .

وَالْعُرْجُ وَالْعُرْجَةُ : الظَّلْعُ : وَالْعُرْجَةُ أَيضاً : مَوْضِعُ الْعُرْجِ مِنَ الرَّجْلِ ، وَالتَّعْرِيجُ عَلَى
الشَّيْءِ الإِقَامَةُ عَلَيْهِ ، وَأَنْعَرَجَ الْوَادِي ، وَأَنْعَرَجَ الْقَوْمُ عَنِ الطَّرِيقِ ، مَالُوا عَنْهُ .

^١ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ص ١٢٨ .

^٢ الأربعة أهل السلسلة ص ١٠ .

^٣ الطبقات الكبرى ، الشعراني ج ٢ / ٦ ، والأربعة أهل السلسلة ص ٣٧ .

^٤ الأربعة أهل السلسلة ص ٣٨ .

^٥ المصدر السابق ص ٥٧ .

^٦ مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ج ١ / ٣٩ .

^٧ لسان العرب ، ابن منظور ، ج ١٤ / ٣٨١ - ٣٨٢ .

وَعَرَجَ فِي الدَّرَجِ وَالسَّلْمِ ، يَعْرُجُ عُرُوجًا ، ، أَيِ ارْتَقَى وَعَرَجَ فِي الشَّيْءِ وَعَلَيْهِ ، يَعْرِجُ وَيَعْرُجُ عُرُوجًا أَيضًا : رَقَى ، وَعَرَجَ الشَّيْءُ ، فَهُوَ عَرِيحٌ : ارْتَفَعَ وَعَلَا .
وَالْمَعَارِجُ : الْمَصَاعِدُ الدَّرَجُ ، وَالْمِعْرَاجُ شِبْهُ سَلْمٍ ، أَوْ دَرَجَةٍ ، تَعْرُجُ إِلَيْهِ الْأَرْوَاحُ إِذَا قَبِضَتْ .
وَجَمْعُ الْمِعْرَاجِ : مَعَارِجٌ وَمَعَارِيحٌ ، مِثْلُ : مَفَاتِحٌ وَمَفَاتِيحٌ^١ .

وأما الصوفية فيعنون بالإسراء : الروحاني ، وعروج الروح إلى السماء ، وقد شذ بعض الصوفية ومنهم البرهانية ، عندما أثبتوا العروج الجسدي لغير النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد نقل ابن الجوزي عن أبي يزيد البسطامي ، أنه كان يقول : ((لي معراج كمعراج النبي صلى الله عليه وسلم))^٢ ، وأورد محمد عثمان عبده قصة تفيد عروج شيخه إبراهيم الدسوقي ، ومعه والديه بأرواحهم وأجسادهم بقطة ، والشاهد من القصة قوله وهو يتحدث عن والدة شيخه إبراهيم الدسوقي : ((قالت لن أَرْضَى عنك (تعني ابنها إبراهيم الدسوقي) إلا بعد أن تطلعني على مكان تنزل وعروج الملائكة ، فحملها وطار بها في السماء ، وأطلعها على كل هذه الأماكن ثم قال لها : أأكون بذلك قد أَرْضَيْتِكَ ؟ فقالت بعد أن تأتي بوالدك ، فترك أمه بين الملائكة ، ورجع ليصحب والده ويريه عظمة خلق الله وعندما رجع إلى أمه وجد الملائكة قد أَرَهَقُوا أمه بكثرة الأسئلة ، ويقولون لها من الذي أتى بك إلى هنا ؟ وإذ به يقول للملائكة إذا لم تسامحك أمي فسوف أمحوكم من ديوان الملائكة وفي ذلك يقول سيدي إبراهيم :

يَا وَزِيرِي جُرْتُ السَّمَاءَ بِأَمِّي وَأَبِي كَانَ صُحْبَتِي وَسَمِيرِي

ثم يقول محمد عثمان : ومما تقدم يتضح لنا أنه ما من نبي أو ولي عرج إلى السماء بجسمه غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيدي إبراهيم ووالديه))^٣ . ويقول إبراهيم الدسوقي : ((أنا في السماء شاهدت ربي وعلى الكرسي كلمته))^٤ .

وفيما يخص الإسراء الروحي فقد نقل محمد عثمان عبده عن ابن عربي قوله : ((وأما الأولياء فلهم إسراءات روحانية برزخية يشاهدون فيها معاني متجسدة في صور مخصوصة للخيال يعطون العلم بما تضمنته تلك الصور من المعاني ، ولهم الإسراء في الأرض وفي الهواء غير أنهم ليس لهم قدم محسوسة في السماء ، وبهذا زاد رسول الله صلى الله عليه وسلم على

^١ المصدر السابق ج ٢ / ٣٢٠ - ٣٢٢ .

^٢ تلييس إبليس ، ابن الجوزي ص ٢٠٧ .

^٣ قبس من نور ، محمد عثمان عبده ص ٢٠٧ .

^٤ الجوهرة المضيئة ، إبراهيم الدسوقي ص ٣٧٧ .

الجميع بإسراء الجسم واختراق السموات والأفلاك حساً وقطع مسافات حقيقية محسوسة ، وذلك كله لورثته معنى لا حساً من السموات فما فوقها))^١ .
وتعليقاً على ما سبق فإنه يقال :

(أ) حكى القاضي عياض رحمه الله الإجماع على كفر من اعتقد العروج البدني لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عندما عدّ جملة من المكفرات فقال : ((من ادعى مجالسة الله تعالى والعروج إليه ، ومكالمته أو حلوله في أحد الأشخاص كقول بعض الصوفية))^٢ .
(ب) ما يدعيه ابن عربي من الإسراءات الروحية ، فهو من جملة الخيالات الشيطانية الفاسدة ، وهؤلاء وأمثالهم تستغويهم الشياطين ، وتضلهم ، وتخيل إليهم أموراً غير صادقة ، فيظن أحدهم أنه أسري به ، أو عرج به إلى الملأ الأعلى ، وهذا وأمثاله من ثمرات العبادة البدعية ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((وأما ذكر الاسم المفرد ، فبدعة .. ولهذا صار بعض من يأمر به من المتأخرين ، يبين أنه ليس قصدنا ذكر الله - تعالى - ولكن جمع القلب على شيء معين ، حتى تستعد النفس لما يرد عليها ، فكان يأمر مريده بأن يقول هذا الاسم مرات ، فإذا اجتمع قلبه ألقى عليه حالاً شيطانياً ، فيلبسه الشيطان ، ويخيل إليه أنه قد صار في الملأ الأعلى وأنه أعطي ما لم يعطه - محمد صلى الله عليه وسلم - ليلة المعراج))^٣ .

(ج) تقدم الكلام على دعوى الكلام مع الله تعالى ، وأما رؤيته سبحانه في الدنيا فممتنعة ، لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم : ((وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ))^٤ .
(ح) الكَشْفُ الحَسِّي :

المقصود بالكشف الحسي ، الكشف عما وراء الحجب الحسية ، العلوية والسفلية ، والاطلاع على حقائق الموجودات من العرش إلى الفرش - إما بعين البصيرة وإما بعين البصر .

وقد أخذ البرهانية بالكشف الحسي مصدراً من مصادر التلقي ، وعولوا عليه في إثبات كثير من الأمور ، منها مناقب الأشخاص ، ومعرفة معاني الحروف ، ومعرفة معاني الأسماء والصفات ، ومعرفة المغيبات ، وغيرها من الأمور .

يقول إبراهيم الدسوقي : ((أشهدني الله - تعالى - ما في العلا ، وأنا ابن ست سنين ، ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين))^٥ . ويقول : ((وأهل الزمان ما بقي

^١ تبرئة الذمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٥٠ .

^٢ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض بن موسى اليحصبي ، تقديم وتحقيق طه بد الرؤوف سعد ، خالد محمد عثمان ، الناشر مكتبة الصفا ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، ج ٢ / ٢١٤ .

^٣ مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١٠ / ٣٩٧ .

^٤ أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراف الساعة ، باب ذكر ابن صياد ج ٨ / ٥٣ - ٥٦ .

عندهم إلا المنافسة إما يسألون عن معنى الصفات أو معنى الأسماء فإن علمها طريقه الكشف لا غير ((^٢ .

وورد في ترجمة عبد السلام بن بشيش : ((أنه سلك الطريق إلى الله منذ عمره سبع سنين وبعد أن سار في العبادة أشواطاً وبلغ منزل الفتیان ظهر له من الكشف أمثال الجبال))^٢ . ويقول أحمد عربي الشرنوبی : ((عرفت العلم اللدني وأنا ابن ثمان سنين ، واطلعت على اللوح المحفوظ وأنا ابن عشرين سنة))^٤ . ويقول : ((اطلعت على اللوح المحفوظ وعرفت طلاسمة))^٥ . وورد في ترجمة أحمد البدوي : ((وكان الشيخ (يعني أحمد البدوي) يعلم من أولاده بالكشف))^٦ . ونقل محمد عثمان عبده عن ابن عربي وهو يصف بعض الأولياء قوله : ((وتقع لهم الكشوفات والتجليات والاطلاع على المغيبات))^٧ . ونقل عنه أيضاً : ((وما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم ثلاثمائة في أمته فقط ، أو في كل زمان وما علمنا أنهم في كل زمان إلا من طريق الكشف))^٨ . ونقل محمد عثمان عبده عن جلال الدين السيوطي قوله : ((الأولياء يكشف لهم بخرق العادة عن أشياء في العالمين العلوي والسفلي))^٩ . ويقول محمد عثمان عبده : ((قال سيدي عبد القادر (يعني الجيلاني) وهو يتحدث عن أحد مريديه : لقد نظرت في العرش وفي السماء فلم أجد له رزقاً فكيف أغيثه وقد نفذ رزقه))^{١٠} . ونقل محمد عثمان عبده عن ابن عربي قوله في صفة درجات الجنّة : ((ولكن ما ذكرنا منها ما انفق عليه أهل الكشف))^{١١} .

وتعليقاً على ما سبق فإنه يقال : الكشف ليس حجة شرعية يعتمد عليها بل ، عدم الكشف لا يعد منقصة في الدين والعبادة ، بل الدين ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة ويدفع عنه مضرة الدنيا والآخرة من غير أن يحتاج معه إلى الكشف^{١٢} .

بل الكشف ليس مصدراً للاستقامة ، ولا دليل على الولاية ، بل هو مشترك بين المؤمن والكافر ، يقول ابن القيم : ((وليس المراد في هذا الباب الكشف بين الجزئي المشترك بين

^١ الطبقات الكبرى ، الشعرائي ج ١ / ١٨٣ ، وانتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ١٩٢ .

^٢ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ص ١٥١ .

^٣ الأربعة أهل السلسلة ص ٥٥ .

^٤ المصدر السابق ص ٨ .

^٥ المصدر السابق ص ٩ .

^٦ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ص ١٣٣ .

^٧ المصدر السابق ص ٢٥٤ .

^٨ المصدر السابق ص ٢٥٦ .

^٩ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٩٩ .

^{١٠} قبس من نور ، محمد عثمان عبده ص ٤٤ .

^{١١} تبرئة الذمة في نصح الأمة ص ٢٣١ .

^{١٢} مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١١ / ٣٣٠ .

المؤمن والكافر والبر والفاجر ، كالكشف عما في الدار أو عن ما في يده أو تحت ثيابه ، أو ما حملت به امرأته بعد انعقاده ذكراً أو أنثى ، وما غاب عن العيان من أحوال البعد الشاسع، ونحو ذلك ، فإن ذلك يكون من الشيطان تارة ومن النفس تارة ، ولذلك يقع من الكفار كالنصارى، وعابدي النيران والصلبان ، فقد كشف ابن صياد النبي صلى الله عليه وسلم بما أضمره له وخبأه، فقال له رسول الله عليه وسلم : ((إنما أنت من إخوان الكهان)) ، فأخبر أن ذلك الكشف من جنس كشف الكهان ، وأن ذلك قدره ، وكذلك مسيلمة الكذاب — مع فرط كفره — كان يكشف أصحابه بما فعله أحدهم في بيته وما قاله لأهله ؛ يخبره به شيطانه ليغوي الناس))^٤ .

فأصحاب هذا الكشف غير معصومين من تلبيسات الشيطان، فالكشف الحسي شيء لا يخلص من الكهانة، وهو أمر مشترك بين المؤمنين والكفار، وقد يخيل لهؤلاء أمور يظنونها حقيقة وهي من تلبيس الشيطان .

أما اللوح المحفوظ فليس لأحد أن يطلع عليه سوى الله سبحانه ، فإنه محفوظ من أن يطلع عليه أحد ، فإذا تقرر ذلك فإن الكشف لا يجوز الأخذ به مصدراً من مصادر التلقي ، لانتفاء العصمة عن الكشف وعن صاحبه .

المطلب الثاني

المصدر الثاني

الْوَجْدُ

الْوَجْدُ لُغَةً :

يُقَالُ : وَجَدَ الْمَطْلُوبَ ، كَوَعَدَ وَوَرَّمَ ، وَيَجِدُهُ ، بِضَمِّ الْجِيمِ ، وَلَا نَظِيرَ لَهَا فِي بَابِ الْمِثَالِ .
فَالْفِعْلُ وَجَدَ ، وَالْمَصْدَرُ وَجْدًا ، وَجِدَةً ، وَوُجُودًا ، وَوَجْدَانًا ، وَإِجْدَانًا بِكَسْرِهَا : أَدْرَكَهُ .

وَالْمَالُ — وَغَيْرُهُ — يَجِدُهُ وَجْدًا مُثَلَّثَةً ، — وَجِدَةً : اسْتَعْنَى .

وَعَلَيْهِ يَجِدُ ، وَيَجِدُ ، وَجْدًا ، وَمَوْجِدَةً : غَضِبَ .

وَبِهِ وَجْدًا : فِي الْحُبِّ فَقَطُ . وَكَذَا فِي الْحُزْنِ ، لَكِنْ يُكْسَرُ مَاضِيهِ .

وَالْوَجْدُ : الْغِنَى ، وَأَوْجَدَهُ : أَغْنَاهُ .

وَتَوَجَّدَ السَّهْرُ — وَغَيْرُهُ — شَكَاهُ^١ .

وَأَمَّا اصطلاحاً :

له عدة تعريفات منها : ((الوجد لهيب ينشأ في الأسرار ، ويسنح عن الشوق ، فتضطرب الجوارح : طرباً ، أو حزناً ، عند ذلك الوارد))^٢ . ومنها ، الوجد : ((عبارة عن حالة يثمرها السماع ، وهو وارد حق جديد ، عقيب السماع ، يجده المستمع من نفسه))^٣ . ومنها : ((بشارات الحق بالترقي إلى مقامات مشاهدته))^٤ .

ويقرر الغزالي أن الوجد ينقسم إلى قسمين فيقول : ((وتلك الحالة (يعني الوجد) لا تخلو عن قسمين ، فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفات ، ومشاهدات من قبيل العلوم ، وإما أن ترجع إلى تغييرات ، وأحوال ليست من العلوم بل هي ، كالشوق ، والخوف ، والحزن ، والقلق ، والسرور ، ... وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها))^٥ ، ووجد الأحوال : ((... وإن لم يكن من قبيل المكاشفات ، لكن قد يصير سبباً للمكاشفات والتبهيئات ...))^٦ ، ويقول : ((واعلم أن الوجد ينقسم إلى هاجم ومتكلف ، ويسمى بالتواجد ، وهذا التواجد المتكلف ، فمنه مذموم ، وهو الذي يقصد به الرياء ، وإظهار الأحوال الشريفة ، مع الإفلاس منها ، ومنه ما هو محمود ، وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة ، واكتسابها ، واجتلابها ، بالحيلة ؛ فإن للكسب مدخلاً في

^١ لسان العرب ، ابن منظور ج ٣ / ٤٤٥ - ٤٤٦ ، مادة وجد .

^٢ التعرف لمذهب أهل التصوف ، الكلاباذي ، ص ١٣٤ .

^٣ إحياء علوم الدين ، الغزالي ، ج ٢ / ٢٦٨ .

^٤ التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٣٥ .

^٥ إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ، ج ٢ / ٢٦٨ .

^٦ المصدر السابق ج ٢ / ٢٧١ .

جلب الأحوال الشريفة ، فإن هذه الأحوال قد تتكلف مبادئها ، ثم تتحقق أواخرها))^١ . ثم يلخص ذلك بقوله : ((..فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكاشفات ، وإلى أحوال ، وانقسامه إلى ما يمكن الإفصاح عنه ، وإلى ما لا يمكن ، وانقسامه إلى المتكلف وإلى المطبوع))^٢ . وبهذا يتقرر أن الوجد يستدعي بالسماع ، ومنه ما يفيد علماً ، ومنه ما لا يفيد إلا أحوالاً ، وقد جعل الصوفية للأصوات ، والأنغام ، والألحان ، أثراً عميقاً على الروح ، والقلب ، والبدن ، وسراً عجيباً ، لأجله تستلذ الروح النغمات والأصوات الشجية ، قال الغزالي : ((ومعرفة السبب في تأثر الأرواح بالأصوات من دقائق علوم المكاشفات))^٣ .

وقد أخذ البرهانية بالوجد مصدرأ من مصادر التلقي ، وفي ذلك يقول محمد عثمان عبده : ((قيل للشَّيخ الجنيد رضي الله عنه أن قوماً يتواجدون ويتمايلون قال : دعهم مع الله تعالى يفرحون ، ولا تنكر إلا على العصيان المصرح به في الشريعة ، أما هؤلاء القوم فقد قطعت الطريق أكبادهم ، ومزق التعب والنصب أمعاءهم ، وضاقوا ذرعاً فلا حرج عليهم إذا تنفسوا مداواة لحالهم))^٤ ، ويقول وهو يتحدث عن آثار السماع : ((فالوجل إذا حصل للقلب يحصل الاضطراب لجميع الأعصاب لأن الجسم للقلب كعمود الرمي فبأقل حركة منه يتحرك جميع الجسد ، فإذا عرفت ذلك فاعرف أنه لا يحركه إلا أحد شيئين وهو الفزع أو السرور وحركة الفزع والخوف لها حالة خاصة ، وحركة السرور لها أحوال عند صاحب القلب وهي أشد من الأولى لما في ذلك من فيض الفيض الكريم فيكون هذا عند صاحبه خير من الدنيا وما فيها))^٥ ، ويقول أيضاً : ((فالفرح تحصل منه انفعالات في القلب تحصل منها الاضطرابات الجسمانية ، فيحصل الرقص وما هو أكثر من الرقص ، فما بالك للذاكر لله المتعلق قلبه به سبحانه فإنه يكون أعلى وأرقى في الفرح والسرور ويكون صاحبها أكثر اضطراباً وتمايلاً لأن الذكر له لذة عجيبة وطرب غريب ، فإذا ما سمع المنشد وكان جالساً هام وقام ونزل الذكر مهترأ متميلاً من غير قصد))^٦ . وجوز محمد عثمان عبده التصفيق وعدّه من قبيل التشديد^٧ ، وفي كتاب رشفات المدام قال المصنف : ((فيما يأتي بعض الأحاديث عن التواجد في الذكر وفضله وأهميته)) ثم ذكر حديث الأعرابي ، وفيه : ((.. فَفَرِحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ هَلْ فِيكُمْ مَنْ يُنْشِدُنَا ؟ فَقَالَ بَدْرِي : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَاتِ . فَأَنْشَأَ الْأَعْرَابِيُّ :

^١ المصدر السابق ج ٢ / ٢٧٠ - ٢٧١ .

^٢ المصدر السابق ج ٢ / ٢٧١ .

^٣ المصدر السابق ج ص ٢ / ٢٥٦ .

^٤ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان، محمد عثمان عبده ص ١٦٩ .

^٥ المصدر السابق ص ٢٢٣ .

^٦ المصدر السابق ص ٢٣٤ .

^٧ المصدر السابق ص ٢٣٦ .

لَقَدْ لَسَعَتْ حَيَّةُ الْهُوَى كَبْدِي فَلَا طَبِيبَ لَهَا وَلَا رَاقِي
إِلَّا الْحَبِيبَ الَّذِي شُغِفْتُ بِهِ فَعِنْدَهُ رُقِيَّتِي وَتَرِيَاقِي

فَتَوَاجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَوَاجَدَ الْأَصْحَابُ مَعَهُ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبِهِ فَلَمَّا فَرَعُوا أَوَى كُلُّ وَاجِدٍ مِنْهُمْ إِلَى مَكَانِهِ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ : مَا أَحْسَنَ لِعِبْكُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَهْ يَا مَعَاوِيَةُ لَيْسَ بِكَرِيمٍ مَنْ لَمْ يَهْتَرُ عِنْدَ سَمَاعِ ذِكْرِ الْحَبِيبِ))^١ .

والحق أن الوجد الصوفي من البدع المنكرة ، والوسيلة إليه — وهي التواجد — حكمها حكمه ، فضلاً عن أن يكون مصدراً من مصادر التلقي الشرعية ، التي يؤخذ منها الأحكام الشرعية .

وأما الحديث المروي في تواجده النبي صلى الله عليه وسلم — وأصحابه — لما أنشد الأعرابي لسعت حية الهوى كبدي ، فهو حديث باطل موضوع ، قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية : ((وهذا أيضاً موضوع باتفاق أهل العلم ، كذب مفترى))^٢ .

ومما لا شك فيه أن السماع البدعي تترتب عليه مواجيد فاسدة ، وأحوال شيطانية ، وكذا العلوم المأخوذة عن طريقه ، إنما هي إحياءات شيطانية ، وتنزلات إبليسية ، وفيه مخالفة للوجد الرحماني ، وجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه الكرام ، الناتج عن سماع القرآن ، والمثمر للإيمان .

وما يحصل لهم من اضطراب ، وحركة مما يظنونهم وجداً ، فغالبه آثار شيطانية ، من الشياطين التي تحضر مثل تلك المجالس ، المبتدعة ، فتلبسهم الشياطين ، وتصرعهم ، وتتكلم على أسنتهم ، فيظن من أعلم^٣ عنده ، بالأحوال الشيطانية ، أن تلك كرامات لهم ، يقول ابن الجوزي : ((هذا التواجد الذي يتضمن حركات المتواجدين ، وقوة صياحهم ، وتخبطهم فظاهره أنه متعمل ، والشيطان معين عليه))^٤ .

^١ الحديث موضوع ، في سننه عمار بن إسحاق ، قال الذهبي في ترجمته : ((كأنه واضع هذه الخرافة التي فيها :)) لسعت حية الهوى كبدي)) ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، محمد ناصر الدين الألباني ، ج ٢ / ٣٤ ، حديث رقم ٥٥٨ .

^٢ رشفات المدام انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، ص ١٠١ — ١٠٢ .

^٣ الاستقامة ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٣ ، ج ١ / ٢٩٧ .

^٤ تلبس إبليس ، ابن الجوزي ، ص ٣١٥ .

((وقد يؤول الأمر بأهل السماع البدعي ، إذا تعودت قلوبهم سماع القصائد ، والأبيات والالتذاذ بها : إلى أن تنفر قلوبهم من سماع القرآن ، والآيات فيستغنى بسماع الشيطان عن سماع الرحمن))^١ .

والذي يظهر أن ما يحصل لهم من التواجد بالرقص والتصفيق فيه مشابهة للكفار، المشركين ، كأصحاب العجل الذين رقصوا حوله ، وكمشركي مكة، الذين يصفقون ويصفرون وهم يطوفون حول الكعبة .

^١ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١١ / ٥٢٤ .

المطلب الثالث

المصدر الثالث

الدُّوقُ

الدُّوقُ لُغَةً :

الدُّوقُ مَصْدَرٌ ذَاقَ الشَّيْءَ يَذُوقُهُ ذَوْقًا ، وَذَوَاقًا ، وَمَذَاقًا ، فَالذُّوَّاقُ وَالْمَذَاقُ ، يَكُونَانِ مَصْدَرَيْنِ ، وَيَكُونَانِ طَعْمًا .

وَالْمَذَاقُ طَعْمُ الشَّيْءِ ، وَالذُّوَّاقُ : هُوَ الْمَأْكُولُ وَالْمَشْرُوبُ .
وَتَقُولُ : ذُقْتُ فُلَانًا ، وَذُقْتُ مَا عِنْدَهُ ، أَي : خَبِرْتَهُ .

وَالدُّوقُ يَكُونُ فِيمَا يُكْرَهُ وَيُحْمَدُ ، قَالَ اللهُ - تَعَالَى - : ((وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللهُ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ))^١ .

والذوق يكون بالفم وبغير الفم . لقوله - تعالى - : ((فَذُوقُوا الْعَذَابَ))^٢ .

ويقال : أذاق فلان بعدك سرورًا ، أي صار سريرًا ، وأذاق الفرس بعدك عدوًا ، أي : صار عدوًا بعدك^٣ .

وأما الذوق اصطلاحاً :

فعرفه القشيري بقوله : ((الذوق والشرب : ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات النَّجْلِيِّ ، ونتائج الكشوفات))^٤ . وورد تعريفه في معجم مصطلحات الصوفية ، بأنه : ((نور عرفاني ، يقذفه الحق ، بتجليه في قلوب أوليائه ، يفرقون به بين الحق والباطل ، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره ، .. وأول التجليات الذوق))^٥ .

والصوفية يستدلون بالذوق على إثبات أحكام شرعية ، وبه استدل الزنادقة على أمور تخالف صريح المنقول والمعقول ، يقول ابن القيم : ((فهؤلاء الاتحادية - وهم أكفر الخلق - يحتجون بالذوق ، والوجد ، على كفرهم وإلحادهم ،... ويقول القائل : ثبت عندنا - بالكشف والذوق - ما يناقض صريح العقل ..

.. وهذا الاحتجاج قد سلكه أرباب السماع المحدث الشيطاني ، .. واحتجوا على إباحة هذا السماع ، بما فيه من الذوق والوجد واللذة))^٦ .

^١ سورة النحل (١١٢) .

^٢ سورة الأنعام (٣٠) .

^٣ لسان العرب ، ابن منظور ج ١٠ / ١١١ - ١١٢ ، مادة ذوق .

^٤ الرسالة القشيرية ، عبد الكريم بن هوازن ، ص ٣٩ .

^٥ معجم مصطلحات الصوفية ، عبد المنعم الحفني ، ص ١٠٤ .

^٦ مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ، ج ٣ / ٤٤٢ .

وقد أخذ البرهانية بالذوق ، واعتمدوا عليه ، كمصدر من مصادر الأحكام الشرعية ، يقول إبراهيم الدسوقي : ((ولا يكمل الفقير إلا أن تكلم بمعاني الحقيقة ذوقاً لا نقلاً وفعالاً لا قولاً))^١ ويقول : ((ووصيتي لجميع أولادي أن يكونوا ذائقين لا واصفين وأن يأخذوا العلوم من معادنها الربانية ، لا من الصدور والطروس ، فإن القوم إنما تكلموا عما ذاقوا))^٢ . ويقول وهو يصف الصوفية : ((فلو ذقت يا أخي مذاقهم لعذرتهم في صياحهم وشق ثيابهم))^٣ . ويقول : ((ولا تشرب شراباً إلا فيه محو وسكر))^٤ . ويقول : ((وشراب القوم لا يشربه من في قلبه عكر دنس ، ولا بقايا غلس))^٥ .

ويقول أبو الحسن الشاذلي : ((من الأولياء من يسكر من شهود الكأس ، ولم يذق بعد شيئاً ، فما ظنك بعد ذوق الشراب ، وبعد الري ؟))

واعلم أن الري قل من يفهم المراد به ، فإنه مزج الأوصاف بالأوصاف ، والأخلاق بالأخلاق ، والأنوار بالأنوار ، والأسماء بالأسماء ، والنعوت بالنعوت ، والأفعال بالأفعال))^٦ . ويقول محمد عثمان عبده : ((علوم الأنبياء والأولياء أذواق لا عن فكر ونظر))^٧ .

ولا يخفى ما في كلام الشاذلي السابق من قول بالاتحاد ، والذوق هو أول مبادئ التجلي ، والتجلي له ثلاثة أنواع عند الصوفية ، كل نوع منها بحسب الذات الإلهية في كل مرتبة من مراتبها^٨ .

فأعلى مراتب الذات ما يعرف ((بالحضرة الأحدية)) وهي في هذه المرتبة مجردة عن كل وصف ونعت ، فهي مطلقة بشرط الإطلاق ، وهذا هو التجلي الأول .

ونفي الأسماء والصفات عن الله — سبحانه وتعالى — يستلزم نفي الذات ؛ لأن ما لا يقبل الاتصاف بصفة أصلاً المعدوم . وقولهم بأنه — تعالى — في (الحضرة الأحدية) مجرد عن الصفات والأسماء مع قولهم بأنها أعلى المراتب ، قول باطل لأن الذي لا يتصف بالصفات ، من سمع وبصر وحياة ، ونحو ذلك يلزم أن يتصف بضدها ، من الخرس والعمى والموت ، ومعلوم أن المتصف بالصفات الثبوتية أكمل من الخالي عنها .

^١ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ، ص ١٨٦ .

^٢ المصدر السابق ص ١٦٤ — ١٦٥ .

^٣ المصدر السابق ص ١٧٠ .

^٤ المصدر السابق ص ١٦٦ .

^٥ المصدر السابق ص ١٨٤ .

^٦ طبقات الشعراني الكبرى ج ٢ / ٨ .

^٧ تيرنة الامة في نصح الامة ، محمد عثمان عبده ، ص ٢٣٤ .

^٨ معجم مصطلحات الصوفية ، عبد المنعم الحفني ، ص ٤٢ — ٤٣ .

فهؤلاء قد جمعوا من الباطل نفي الأسماء والصفات ، عن الله نفياً يستلزم التعطيل ، وتشبيهه تعالى بالنواقص والمعدومات ، ثم عكسوا الأمر بجعلهم ذلك أعلى مراتب الذات ، ومنتهى كمالها .

ومن تناقضها أن تجلى الذات لنفسها بنفسها — في هذه المرتبة — يلزم منه إسناد الفعل (الذي هو التجلي) إلى ((الذات الأحادية)) ، والحال أنها — عندهم — منزهة عن ذلك .
التجلي الثاني ، وهو تعين الذات بصفة العالمية ، والقابلية ، أي أنها تصبح عالمة وتتحقق بهذه الصفة ، كما تصبح قابلة لأن تظهر ، وتتجلى فيه الممكنات والأعيان ، وهو ما يعرف عندهم ((بحضرة الواحدية)) والظهور في هذه المرتبة في الممكنات بالقوة ، لا الفعال .
وهو قول على الله بغير علم ، فما الدليل على اتصاف الذات بصفة العلم دون سائر الصفات ؟ والقول بتجلي الممكنات فيها قول باطل ، وكفر محض لتضمنه قبول الذات لتجلي الخنازير والكلاب والنجاسات .

وأما النوع الثالث من التجلي ، فهو ظهور الله تعالى في الأعيان والممكنات بالفعل^١ ، فهو عين القول بوحدة الوجود ، وهو قول الإتحادية ، وفيهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فإنهم يجعلون وجود الله : هو عين وجود المخلوقات ، وهذا تعطيل محض للصانع ، ... وتارة يجعلون له وجوداً قائماً بنفسه ، ثم يجعلون نفس ذلك الوجود ، هو أيضاً وجود المخلوقات ، بمعنى أنه فاض عليها ؛ وهذا أقل كفرأ من الأول ، وإن كلاهما ، من أغلظ الكفر وأقبحه))^٢ .
فإذا ثبت بطلان التجلي بهذا المعنى ، ثبت بطلان الذوق .

وأما الذوق الشرعي : فهو أن القلب إذا ذاق حلاوة عبوديته لله ، لم يكن شيء أحب إليه من ذلك ، حتى يقدمه عليه ؛ وبذلك يصرف عن أهل الإخلاص لله السوء والفحشاء ، فقد قال تعالى : ((كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ))^٣ .

فإن المخلص لله ، ذاق من حلاوة عبوديته لله ، ما يمنعه من حلاوة عبادته لغيره ، ومن محبته لله ، ما يمنعه من محبة غيره ؛ إذ ليس عند القلب ، لا أحلى ولا ألد ، ولا أطيب ، ولا أليّن ، ولا أنعم من حلاوة الإيمان ، المتضمن عبوديته لله ، ومحبته له ، وإخلاصه له الدين ، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله ؛ فيصير القلب منيباً إلى الله ، خائفاً منه ، راغياً ، راهباً ، كما قال تعالى : ((مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ))^٤ ، إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه ، وحصول مرغوبه ، فلا يكون عبد الله ، ومحبه إلا بين خوف ورجاء ، قال

^١ اصطلاحات الصوفية ، الكاشي ، ص ٩٥ — ٩٦ ، ومعجم مصطلحات الصوفية ، الحفني ، ص ٤٢ .

^٢ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٢ / ١٩٧ — ١٩٨ .

^٣ سورة يوسف (٢٤) .

^٤ سورة ق (٣٣) .

تعالى : ((أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا))^١.

ومن آثار الذوق الشرعي زوال الشكوك والشبهات عن القلب .

وأما أسبابه ووسائله فهي في قوله صلى الله عليه وسلم : ((ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا))^٢ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ))^٣.

^١ سورة الإسراء (٥٧) .

^٢ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً فهو مؤمن وإن ارتكب الكبائر ج ٢ / ٢ .

^٣ أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ، ج ١ / ٦٠ حديث رقم ١٦ ، وفي باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار ج ١ / ٧٢ حديث رقم ٢١ ، وفي كتاب الأدب باب الحب في الله ج ١٠ / ٤٦٣ ، حديث رقم ٦٠٤١ ، وفي كتاب الإكراه ، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ج ١٢ / ٣١٥ حديث رقم ٦٩٤١ . وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ج ٢ / ١٣ - ١٤ .

المطلب الرابع

المصدر الرابع التُّلُقَى مِنَ الْمَوْتَى

يعتقد البرهانية بجواز التلقي وأخذ العلم عن الموتى ، من المشايخ وغيرهم ، ويعتقدون بأن شيوخهم محمد عثمان عبده البرهاني ، قد ألف جزءً كبيراً من ديوانه شراب الوصل بعد انتقاله من الدنيا ، وقد ألفوا لإثبات ذلك رسالة بعنوان : ((أسانيد العلم البرزخي من الكتاب والسنة))^١ ، ورد في مقدمتها : ((كثرت الأسئلة وعلت الحيرة الوجوه ، ونصبت ميادين الجدل حول البرزخ ، وحقيقته ، وهل الأنبياء والرسل والأولياء لهم حياتهم الخاصة ، بعد انتقالهم من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة ؟ وهل يجوز أن ولياً من الأولياء يلقي علماً لإرشاد الناس من البرزخ ، بعد انتقاله ؟ وما الأسانيد من كتاب الله عز وجل ومن سنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم التي تثبت ذلك ؟ وازدادت هذه الميادين الجدلية بعد تلقين القطب الفرد الجامع الكبير الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني رضي الله عنه علوماً برزخية ، لإرشاد مريديه وأبناء طريقته ، وأهل دينه إلى محبة النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته الأطهار وأصحابه الطيبين والافتداء بهم وكشف أسرار عظيمة في كتاب الله تبارك وتعالى وحثه على الفقه والذكر والعبادة والزهد في الدنيا))^٢ .

ويمكن حصر أدلة الكتاب في أربعة أمور ، وهي كالآتي :

(أ) الاستدلال بأحاديث وأثار ضعيفة وموضوعة ، وقصص ومنامات .

(ب) الاستدلال على تفضيل الحياة البرزخية على الحياة الدنيا المعهودة .

(ج) الاستدلال بقدرة الله سبحانه على وقوع كلام الموتى مع الأحياء .

(د) الاستدلال بأدلة صحيحة صريحة ، لا تفيد المعنى المستدل عليه .

وفي الكلام على هذه الأدلة ، يقال : الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة لا تقوم بها حجة ، ولا يعتمد عليها في إثبات حكم شرعي ، كما هو مقرر عند أهل العلم ، ومن باب أولى القصص والمنامات .

وأما الاستدلال بتفضيل الحياة البرزخية على الحياة الدنيا ، فهي بلا شك أفضل للمؤمن من حياة الدنيا ، فهو في نعيم أفضل من نعيم الدنيا ، لكن تفضيل الحياة البرزخية على حياة الدنيا ، لا يلزم منه اتصال الميت بالأحياء ، وأخذهم عنه ، إذ لا تساوي بين الحياتين ، فحياة أهل القبور ليست كالحياة الدنيا ، ولا يعلم كنه وكيفية حياة البرزخ إلا الله تعالى .

^١ أسانيد العلم البرزخي من الكتاب والسنة ، من منشورات الطريقة البرهانية ، بدون اسم مؤلف ، ولا اسم مطبعة ، أو تاريخ طبع ، ص ١ .

^٢ المصدر السابق ص ١ .

وأما الاستدلال بقدرة الله تعالى على إحياء الميت حتى يتكلم مع الأحياء ويأخذوا عنه ، ويتلقوا عنه العلم ، فيقال لهم : ليس كل ما تعلقت قدرة الله سبحانه به فعله ، وتعلقت به مشيئته ، وإرادته ، إذ القدرة غير المشيئة والإرادة ، فهو الفعال لما يريد ، وهو على كل شيء قدير ، فلو شاء لجعل الناس كلهم مؤمنين ، فعدم فعله سبحانه ذلك لا يعد من عدم قدرته ، بل لم يشأ ذلك ولم يرد ، بل يدل ذلك على عدله وحكمته . ثم يعكس عليهم السؤال ، فيقال لهم : أليس الله قادر على أن يمنع وقوع تكلم الميت مع الأحياء وتلقيهم عنه العلم ؟ فما يكون جوابهم هنا ، يكون جوابهم هناك ، وقد قضى الله تعالى ألا يبعث الناس قبل يوم القيامة . ثم يقال لو كان هذا الأمر واقع لوقع لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد احتاجوا إليه بعد وفاته ، في حل بعض المعضلات ، فلم لم يخاطبهم ، ويتلقون عنه حلها ، والجواب عنها من البرزخ ؟!

وأما الاستدلال بالأدلة الصحيحة ، والتي لا تفيد المعنى المستدل عليه ، فمنها قوله صلى الله عليه وسلم : ((إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ ، صَدَقَةٌ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))^١ . فقد أورد المصنف بعد ذكره لهذا الحديث وجه الاستدلال فقال : ((والعلم الذي ينتفع به الولي بعد انتقاله على أربعة أشكال :
أولاً : إما علم تركه بعد انتقاله .

ثانياً : إما علم يكتبه بعد انتقاله دون أن يتكلم .

ثالثاً : وإما علم يلقنه في المنامات لبعض الناس .

رابعاً : وإما علم يلقنه بذاته وبنفسه يقظة لبعض الناس))^٢ .

وتعليقاً على هذه الأقسام فيقال : أما القسم الأول تناوله الحديث وبينه ، وهو العلم الذي تركه بعد انتقاله ، وأما القسم الثاني والثالث ، فقد استدلل لهما ، ومثل لهما بمنامات ، وقد سبق القول على عدم حجية المنامات ، وأما القسم الرابع فقد استدلل له بالثلاثة أقسام التي قبله ، وقد سبق الكلام على بطلان القول بحياة الموتى قبل يوم القيامة ، والذي يظهر أن تلك شياطين تتمثل في صور الموتى ، لتضل الناس ، فيظن من لا علم عنده ، أن ذلك هو الميت ، قد قام من قبره وتحدث معه .

والحديث حجة على نقيض ما استدلل به ، فهو لا يدل إلا على القسم الأول ، وهو الذي تركه ابن آدم قبل انتقاله من الدنيا إلى الدار الآخرة ، فلو كان يلحقه نفع علم يعلمه بعد انتقاله ، لما كان هناك فائدة من ورود كلمة (انقطع) ، فهي دالة على عدم الاستمرار ، والرسول صلى الله

^١ أخرجه مسلم في كتاب الوصية ، ج ٣ / ١٢٥٥ ، وأبو داود في كتاب الوصايا ، ج ٣ / ٣٠٠ ، والترمذي في كتاب الأحكام ج ٣ / ٦٥١ .

^٢ اسانيد العلم البرزخي من الكتاب والسنة ، ص ٤٦ .

عليه وسلم أبلغ العرب، ولم يقل أحد من أهل العلم بقول البرهانية في معنى الحديث، بل كلهم فهموا من الحديث أن العلم الذي يثاب عليه المسلم هو ما علمه في حياته، قبل مماته .
فثبت بذلك بطلان القول بالتلقي من الموتى واعتماد ذلك مصدراً من مصادر الدين.

الحمد لله

رضاءة التزكية النفس .. وصحیح المسئلہ

www.E7saan.com

الفصل الثالث

مبادئ وتعاليم الطريقة البرهانية

المبحث الأول

الإلهيات

- المطلب الأول : عقيدة البرهانية في الله عز وجل
- المطلب الثاني : مفهوم التوحيد عند البرهانية
- المطلب الثالث : عقيدة البرهانية في أسماء الله الحسنى
- المطلب الرابع : عقيدة البرهانية في صفات الله تعالى
- المطلب الخامس : علم الغيب

المبحث الثاني

السمعيات

- المطلب الأول : عقيدة البرهانية في الملائكة
- المطلب الثاني : عقيدة البرهانية في الجن
- المطلب الثالث : عقيدة البرهانية في الشفاعة
- المطلب الرابع : عقيدة البرهانية في الحياة البرزخية

المبحث الثالث

النبوات

- المطلب الأول : عقيدة البرهانية في الأنبياء
- المطلب الثاني : عقيدة البرهانية في النبي صلى الله عليه وسلم
- المطلب الثالث : عقيدة البرهانية في الولاية والأولياء

المبحث الرابع

- مبادئ وتعاليم الطريقة البرهانية في السلوك
- المطلب الأول : تقرير مبادئ السلوك
- المطلب الثاني : وسائل تقرير السلوك

المبحث الخامس

عقيدة البرهانية في العبادة وأصولها

- المطلب الأول : مفهوم العبادة
- المطلب الثاني : الغاية من العبادة
- المطلب الثالث : الاحتفال بالمسائل والحوليات
- المطلب الرابع : الأوراد والأذكار
- المطلب الخامس : فضائل بعض أوراد البرهانية
- المطلب السادس : مصادر الأوراد
- المطلب السابع : فوائد الأوراد

الفصل الثالث

مبادئ وتعاليم الطريقة البرهانية

المبحث الأول: الإلهيات

المطلب الأول

عقيدة البرهانية في الله عز وجل

وحدة الوجود والحلول والاتحاد :

يعتقد البرهانية في الله عز وجل عقيدتي وحدة الوجود والحلول والاتحاد وفي الوقت الذي ينفون فيه اعتقادهم لهذه العقائد ، وفي ذلك يقول محمد عثمان عبده :

فَأَشْهَدُ وَنَزَّهُ عَنْ حُلُولِ بَاطِلٍ وَعَنِ الْمَكَانِ فَمَا لَكَ أَنْ يَكُونَ^١

ويقول :

لَا عَنْ حُلُولٍ وَإِتْحَادٍ إِنَّمَا دَعَوَى الْحُلُولِ وَالْإِتْحَادِ طُعُونُ^٢

ومع ذلك يجد القاري لمؤلفات مشايخهم الكثير من النصوص والعبارات الدالة علي إيمانهم بذلك ، وقد تنوعت هذه النصوص فمنها ما هو نثر وما هو شعر ، فابتداءً من أعلى السلسلة فما هو عبد السلام بن بشيش يقول عن الإيمان : ((محو الصفات بالصفات والأسماء بالأسماء لتحقيق ما هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، فأني شيء كان معه حتى يكون آخراً))^٣.

ويقول في وصية لتلميذه أبي الحسن الشاذلي : ((حدد بعد الإيمان تجد الله في كل شيء وعند كل شيء ومع كل شيء وفوق كل شيء وقريباً من كل شيء ومحيطاً بكل شيء بقرب هو وصفه وبإحاطة هي نعتة بعد عن الظرفية والحدود وعن الأماكن والجهات وعن الصحبة والقرب بالمسافات وعن الدور بالمخلوقات وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن كان الله ولا شيء معه))^٤ .

وفي هذين النصين بيان لما يعتقد من وحدة الوجود وهو القائل في صلاته البشيشية المشهورة والتي هي ضمن أورد الطريقة البرهانية : ((و زج بي في بحار ألا حدية وانثلني من أوحال التوحيد وأغرقتني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها))^٥ ، وهو

^١ شراب الوصل ، محمد عثمان عبده ، ص ١٩٤ .

^٢ المصدر السابق ص ١٩٥ .

^٣ الأربعة أهل السلسلة ص ٥٨ .

^٤ المصدر السابق ص ٥٩ .

^٥ مجموعة أورد الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ، من منشورات الطريقة البرهانية ، بدون أي بيانات أخرى ، ص ٣٤ .

قول بين لا يحتمل التأويل في القول بوحدة الوجود، وأما أبو الحسن الشاذلي فيقول: ((إنا لننظر إلي الله تعالى ببصائر الإيمان والإيقان فأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان وصرنا نستدل به تعالى علي الخلق فهل في الوجود شيء سوي الملك المعبود))^١ ويقول وهو يصف ترقى العبد في المقامات : ((فإذا أمدّه الله بنور ذاته أحياء حياة باقية لا عاقبة ولا غاية لها فينظر إلي جميع المعلومات بنور هذه الحياة ووجد نور الحق شائعاً في كل شيء لا يشهد غيره فنودي من قريب لا تضر بالله فإن المحجوب من حجب عن الله بالله إذ محال أن يحجبه غيره يحيا حياة استودعها الله تعالى فيه ثم قال : يا رب أعوذ بك منك حتى لا أرى غيرك وهذا هو سبيل الترقى إلى حضرة العلي الأعلى))^٢. ويقول : ((أبى المحققون أن يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية و إحاطة الديمومية))^٣.

إلى غير ذلك من أقواله الدالة على إيمانه بوحدة الوجود .

وأما إبراهيم الدسوقي فيقول في ذلك شعراً :

تَجَلَّى لِي الْمَحْبُوبُ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ فَشَاهَدْتُهُ فِي كُلِّ مَعْنَى وَصُورَةٍ
وَخَاطَبْتَنِي مِنْ نِيِّ بِكَشْفِ سَرَائِرِي فَقَالَ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا قُلْتُ مُنْبِيَّتِي
فَأَنْتَ مُنَايَ بَلْ أَنَا أَنْتَ دَائِمًا إِذَا كُنْتَ أَنْتَ الْيَوْمَ عَيْنَ حَقِيقَتِي
فَقَالَ كَذَلِكَ الْأَمْرُ لَكِنَّهُ إِذَا تَعَيَّنَتِ الْأَشْيَاءُ كُنْتَ كَنُحْتِي

إلي أن قال :

وَمَا شَهِدْتُ عَيْنِي سِوَى عَيْنِ ذَاتِهَا وَإِنَّ سِوَاهَا لَا يَلِيْمٌ بِفِكْرَتِي
بِذَاتِي تَقْوَمُ الْبِدَاتُ فِي كُلِّ ذَرْوَةٍ أَجَدَّدُ فِيهَا حُلَّةً بَعْدَ حُلَّةٍ
أَنَا مُؤَجَّدُ الْأَشْيَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ يَكُنْ فَكَانَ الْكَوْنُ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ
فَلَيْلِي وَهَيْئَتِي وَالرَّبَابُ وَزَيْنَبُ وَعَلَوِي وَسَلْمِي بَعْدَهَا وَبَيْئَتِي
عِبَارَاتُ أَسْمَاءٍ بِغَيْرِ حَقِيقَةٍ وَمَا لَوْحُوا بِالْقَصْدِ إِلَّا لِصُورَتِي °

^١ الأربعة أهل السلسلة ص ٤١ .

^٢ المصدر السابقة ص ٥١ .

^٣ المصدر السابق ص ٤٣ .

^٤ الجوهرة المضئبة إبراهيم الدسوقي ص ٣٨٨ ، وجمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ، أبو الفيض المنوفي ص ٢٤٣ ، وانتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان محمد عثمان عبده ص ١٩٠ ، وديوان ابنسالم المدامع ، من منشورات الطريقة البرهانية بدون اسم مطبعة أو تاريخ طبع أو اسم مؤلف ، ص ٢٧٦ .

^٥ الجوهرة المضئبة الدسوقي ص ٣٨٩ ، وجمهرة الأولياء ص ٢٤٣ ، وانتصار أولياء الرحمن ص ١٩١ ، وابتسام المدامع ص ٢٧٧ .

ولا يخفي ما في هذه الأبيات من القول بوحدة الوجود حيث جعل الله سبحانه هو كل شيء في الوجود ومن ذلك أنه عين القائل ، وأنه نسخة من نسخ الله سبحانه وتعالى عن ذلك ، وأن القائل لم يشهد في الوجود سواه تعالى .

ويبين الدسوقي وحدة الوجود بقوله وحدة العابد والمعبود وهو يتحدث عن نفسه فيقول:

أَنَا الذَّاكِرُ الْمَذْكُورُ وَذِكْرِي لِذَاكِرِي أَنَا الشَّاكِرُ الْمَشْكُورُ شُكْرِي لِغَمَّتِي
أَنَا الْعَائِقُ الْمَعشُوقُ فِي كُلِّ مَضْمَرٍ أَنَا السَّامِعُ الْمَسْمُوعُ فِي كُلِّ نَغْمَةٍ
أَنَا الْوَاحِدُ الْفَرْدُ الْكَبِيرُ بِذَاتِهِ أَنَا الْوَاصِفُ الْمَوْصُوفُ شَيْخُ الْحَقِيقَةِ^١

ويقول :

أَنَا الْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ وَاللَّوْحُ وَالْقَلَمُ أَنَا الْخَمْرَةُ الصَّهْبَاءُ لِمَنْ كَانَ شَارِبُ
أَنَا الْحُبُّ وَالْمَحْبُوبُ وَالْكَاسُ دَائِرُ وَإِنِّي وَلِي التَّصْرِيفِ أَنْتَ الْمُخَاطَبُ^٢

ويقول :

وَلَا صِفَةَ إِلَّا وَمَنِّي تَعَيَّنَتْ وَلَوْلَايَ مَا كَانَتْ فُرُوعُ بَوَاسِقِي
فَبِتْلِكَ صِفَاتِي قَارَنْتُ فِي بَدَائِتِي لِمَوْصُوفِهَا إِذْ كُنْتُ أَصْلَ الرِّقَائِقِ
أَنَا الذَّاتُ فِي ذَاتِي تَجَلَّتْ صِفَاتُهُ وَلَمْ يَدْرِ قَوْلِي فِي الْوَرَى غَيْرُ ذَائِقِ^٣

ويقول مبيناً إن كل ما في الوجود ما هو إلا مظهر من مظاهر ذاته التي هي من ذات الله سبحانه وتعالى عما يقول :

^١ ديوان ابتسام المدامع ديوان ابتسام المدامع، من منشورات الطريقة البرهانية بدون اسم مؤلف ولا تاريخ طبع ص ٢٧٨ ، وجوهرة الدسوقي ص ٣٨٩ .

^٢ ديوان ابتسام المدامع ص ٢٨٣ .

^٣ المصدر السابق ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

يَقُولُونَ خَمَارٌ وَخَمَرٌ وَصَبُوءَةٌ
فَمَا الْخَمَرُ مَا الْخَمَارُ مَا الدَّيْرُ مَا الْحَمَى
فُكِّلَهُمْ ذَاتِي وَجَمَعُ مَظَاهِيرِي
فَبَادِرْ إِلَيَّ الْحَانَاتِ نَحْوِ دِنَانِهَا
بِحِزْنِي وَطَنْبُورِ وَقَانُونِ مُزْمَرِ
تَأَلَّهْتُ بِاللَّاهُوتِ وَالْهُوتِ وَالْهُوَى
فَطُوراً تَرَانِي عَالِمَا مُتَفَقِّهًا
وَلَوْ شِئْتَنِي فَاطِبُنِّي وَاسْأَلْنِي فِي أَنَا
وَقُلْ يَا أَبَا الْعَيْنِينَ تَلْقَانِي حَاضِرًا
فَطُوراً تَرَانِي فِي الْمَسَاجِدِ عَاكِفًا

ويقول :

أَنَا الْقَمَرُ الْأَعْلَى أَنَا الشَّمْسُ نُورُهَا
أَنَا النُّورُ وَالنَّيِّرَانُ وَالْكَنْزُ وَالْعَطَا
أَنَا الدَّيْرُ وَالذَّيَارُ وَالغُوثُ لِلوَرَى
أَنَا حَرُّهَا مَعَ بَرْدِهَا وَالْمَغَارِبُ
أَنَا الْجَوْهَرُ الْمَكْنُونُ وَالذُّرُّ غَالِبُ
أَنَا الْقُطْبُ وَالْأَقْطَابُ وَالسَّبْعُ نَائِبُ^١

إلي غير ذلك من أشعاره التي اشتملت علي إيمانه بوحدة الوجود وأنه مظهر من مظاهر الذات الإلهية وأن الموجودات مظهر من مظاهر ذاته .

وأما محمد عثمان عبد البرهاني فهو مقتفٍ لأثار مشائخه الذين سبقوه في إيمانهم واعتقادهم بوحدة الوجود ، وقد دلت علي ذلك أقواله نثراً وشعراً ، كما أنه نقل العديد من أقوال أساطين المتصوفة القائلين بوحدة الوجود ، وذلك طلباً للاستدلال وتقوية للحجة الدالة علي صحة هذه العقيدة حسب اعتقاده.

فمن النصوص التي تدل علي إيمانه بوحدة الوجود ما ورد في كتابه قبس من نور تحت عنوان : الله موجود في كل الوجود ، في حوار دار بينه وبين بعض الشيعوية : حيث يقول : ((... فقال فيلسوفهم (أي الشيعوية) وهو أحمد سليمان يا شيخ محمد أنا قرأت كتب الصوفية كلها : ووجدتها

^١ المصدر السابق ص ٣٠٢ .

^٢ المصدر السابق ص ٢٨٤ .

تنص علي أن الله ليس في اليمين ولا في اليسار ولا في الأمام ولا في الخلف ، فقلت لهم : ولا فوق ولا تحت .

فقال إذا أنت متفق معنا ؟ قلت لست معكم . فقال : فأين نجد الله إذن ؟ قلت هناك أشياء كثيرة لا تُرَى . قال اضرب لي مثلاً . قلت من أين يستخرج السمن ؟ قال من اللبن . قلت . وهل يُرَى السمن وهو في اللبن ؟ قال لا . قلت الروح في الجسد ؟ قال نعم . قلت في أي جهة . قالوا لا جهة لها . قلت الهواء في الفضاء ؟ قالوا نعم . قلت في أي جهة ؟ قالوا ماذا تقصد بكلامك هذا ؟ قلت له : إنني قلت لك أن الله موجود . ثم أردت أن أضرب لك مثلاً من واقعك الملموس . ثم قلت له يا أحمد سليمان هذا الكوب صنع في مصنع ؟ قال نعم قلت له اشتراك في صنعه كثير من الصناع ؟ قال نعم . قلت صنع من خامات ؟ قال نعم . قلت وهناك مهندس مشرف علي صنعه ؟ قال نعم قلت : وهل هذا الكوب يعرف من صنعه ؟ قال لا قلت له : قلت له وهل يعرف المهندس ؟ قال لا . قلت : أنت بالنسبة للخالق سبحانه وتعالى مثل الكوب . فالله سبحانه في مكانه فماذا تفعل به ؟ وإذا أردت أن تراه بأي كيفية تراه ؟ قال : بالعين هذه . قلت له لن تراه بهذه العين فالتمس لنفسك عيناً أخرى تراه بها ، فالعين مركبة في الروح وليست في الجسد والدليل علي ذلك أنك تنام وقد ترقى روحك إلى القاب والقوس وترى وتسمع وتعلق بينما الجسد نائم في مكانه . فصمتوا جميعاً وأزلفوني بأبصارهم وتسمروا في أماكنهم ودهشوا مما يسمعونه))¹

ففي هذا الحوار يصف محمد عثمان الله عز وجل بالمعدوم أولاً ، وذلك بإنكار وجوده في جهة من الجهات ، والموصوف بهذا الوصف هو المعدوم فما من موجود إلا وله مكان ، وهذا من البديهيات وهو مما يعرف بأوائل العقول .

ثم يقر محمد عثمان بوجود الله ، وأنه ممتزج بالموجودات ، وهو وجود مطلق مثل وجود السمن في اللبن والروح في الجسد ، والهواء في الفضاء ، وهذا يدل علي حلول الله في جميع مخلوقاته ، وأنه ما من موجود إلا ويصح أن يكون إلهاً ، وهذه هي عقيدة الحلول تعالي الله عن ذلك علواً كبيراً .

وتمثيل وجود الله سبحانه بوجود السمن في اللبن عقيدة حلول لا خفاء فيها إذ أن السمن حال ومتفرق في جميع أجزاء اللبن وكذا الهواء في الفضاء والروح في الجسد .

وقول محمد عثمان بأن معرفة الإنسان بربه مثل معرفة الكوب بصانعه ، فالكوب لا يعرف صانعه فكذلك الإنسان لا يعرف خالقه . وهذا تمثيل باطل وقياس فاسد لعدة وجوه منها ما يلي :

¹ قيس من نور، محمد عثمان عبده ص ٩٩ - ١٠٠ .

(أ) تمثيل الإنسان بالجماد لا يصح فإن الإنسان مُكْرَمٌ وَمُفْضَلٌ بنعمة العقل التي هي أداة المعرفة ومناط التكليف ، ولهذا يقول الله سبحانه في كثير من الآيات : ((أَفَلَا تَعْقِلُونَ))^١ ((أَفَلَا يَعْقِلُونَ))^٢ ، ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ))^٣ ، و ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))^٤ . ونحو ذلك كثير في القرآن الكريم .

(ب) إن الإنسان العاقل يعرف ربه وخالقه بفطرته وبمعرفة أسمائه وصفاته وبالنظر والتفكر في مخلوقاته وبنعمه وإحسانه إلى الخلق ، فقد قال سبحانه : ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ))^٥ وقال سبحانه : ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))^٦ إلي غير ذلك من الآيات .

(ج) إن هذا قياس مع الفارق فأركانه هي الأصل : صنعة المخلوق ، و الفرع : صنعة الخالق ، والعلة : الصنع أو الخلق ، و الحكم : عدم المعرفة للصانع ، وهذا قياس مع الفارق بين الأصل والفرع ، فقياس صنعة الخالق علي صنعة المخلوق لا يصح وهو كقياس الخالق علي المخلوق ، و الفرق بين صنعة الخالق وصنعة المخلوق كالفرق بين الخالق والمخلوق ، وأما العلة فهي غير مناسبة ، وأما الحكم فقد سبق الكلام عليه ، وهو أن الإنسان يعرف خالقه ، والله سبحانه و تعالي يقول : ((فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ))^٧ .
ويبين محمد عثمان عبد البرهاني عقيدته بوحدة الوجود فيقول تحت عنوان : (سريان النقطة والألف في الوجود) ، ((منذ زمن بعيد قدم إلي أحد الموظفين فقال لي : هل أنت شيخ البرهانية قلت له تفضل بالجلوس ولا تقل لي شيخ البرهانية لأن شيخ البرهانية هو سيدي إبراهيم الدسوقي ، فقال لقد ذهبت إلي الخلوة الفلانية ، والي العالم الفلاني لكي أعرف كيفية وجود الله في الكون ، فكان الجواب أما الشتم وأما الطرد ، وحتى الآن لم أعرف . فقلت له ما دليلك ؟ فظهر عليه الضيق . فقلت له ، ماذا حدث ؟ قال ظننت أنك لم تجبني ، فقلت له : ما وظيفتك ؟ قال رئيس كتبة في المديرية . قلت له : إذن أنت تعرف الحساب ؟ قال نعم قلت ماذا يعني الواحد ؟ قال : إنه واحد . قلت : وما مدلول الاثنين ؟ قال اثنان

^١ سورة الصافات (١٢٨)

^٢ سورة يس (٦٨)

^٣ سورة النحل (١٢) .

^٤ سورة الرعد (٣)

^٥ سورة آل عمران (١٩٠)

^٦ سورة الثورى (١١)

^٧ سورة النحل (٧٤) .

قلت : وما مدلول الثلاثة والأربعة ؟ أليس هذا هو الجمع ؟ قال بلي قلت وتقسيم العدد أليس هو ما يسمى بالقسمة؟ قال : بلي قلت له وتضعيف العدد أليس هو ما يسمى بالضرب ؟ قال بلي . قلت له الواحد الأول عندما نضيف له واحد آخر ، ألم يصبح العدد اثنين ؟ . قال بلي قلت وتقسيم العدد أليس هو ما يسمى بالقسمة؟ قال : بلي قلت له وتضعيف العدد أليس هو ما يسمى بالضرب ؟ قال بلي . قلت له الواحد الأول عندما نضيف له واحد آخر ، ألم يصبح العدد اثنين ؟ قال بلي . قلت فإذا حذفنا الواحد الأول؟ قال ليس في الحساب مثل هذا . قلت : هل هذا الواحد هو ربنا ؟ قال لا . ثم قال أمهلني ثلاثة أيام وبعد ثلاثة أيام جاءني وقال لي الآن عرفت كيف يكون الله موجود في الوجود . قلت كذلك النبي صلى الله عليه وسلم موجوداً في الوجود هكذا فقال لي كيف ؟ قلت له لا تتدهش من الأفضل أن نقول أن النقطة كناية عن الله ، والألف كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم والألف منطوق ومرسوم ومخطوط ، ويقرأ بينما النقطة لا تقرأ فإذا قسمت النقطة إلي ألف نقطة فهي نقطة أيضاً .

فسيدنا آدم من نقطة ، والسموات من نقطة ، والأرضون من نقطة ، والبحر من نقطة فكل شي أصله من نقطة أيضاً ثم تابعت حديثي وقلت له : أليس الألف منطوقاً ومفهوماً ومجهولاً أيضاً قال بلي قلت كذلك في إمكانك أن تجعل النقطة ألفاً ، وذلك بان تلتصق النقط بجانب النقطة وهكذا ألي أن تصير ألفاً فالألف إذن كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي أستحلفك بالله من أين استقيت علومك هذه ؟ قلت له يا أخي أنا لم أقرأ في كتبكم هذه ، ولكنني حصلت علي هذا العلم من شيعي ونتيجة لما أقرأه من أوراد)) .

وحيال هذا الكلام عدة ملاحظات وهي كما يلي :

أولاً : العنوان الذي صدر به الكلام يدل دلالة لا لبس فيها على إيمان القائل بوحدة الوجود ، وأن المراد بما يأتي من كلام تقرير لهذه العقيدة فالعنوان هو : سريان النقطة والألف في الوجود ، ثم في الكلام شرح النقطة بأنها كناية عن الله سبحانه وتعالى .

والألف كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك سوء أدب مع الله تعالى بتمثيله سبحانه بالنقطة ، كما أنه وصف له بما لم يصف به نفسه ولم يصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم .

ثانياً : وقوع اضطراب وعدم استقامة في سياق الكلام حيث أن السائل سأل عن أمر فقال له المسؤول وما دليلك ؟ وهذا لا يستقيم إذ أن السائل لم يقرر مسألة حتى يسأل عن دليله بل الواجب في حق السائل أن يجيبه المسؤول أو يرد العلم إلى الله تعالى .

ثالثاً : قوله بأن الله سبحانه وتعالى هو واحد الثلاثة كما بين هذا في كتابه تبرئة الذمة بقوله: ((والشفع إنما هو وجود الحقيقة الأحمدية في الحقيقة المحمدية أي وجود الاثنين معاً في حالة الإثنينية والوتر جمع الحقيقتين في واحدة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم أي ذاته إذ أن الوتر هو واحد الثلاثة))^١ وجاء في شرح أوراد الطريقة البرهانية : ((ولما قال سيدي إبراهيم (الم) يقصد (الم) من حيث الوحدة الأولى (كان الله ولاشيء معه) وموطن الفردية التي هي (الحقيقة الأحمدية) وموطن الزوجية هو (الحقيقة المحمدية) ومجموع الثلاث في (ذات سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم الوترية))^٢ .

فهذا الكلام زيادة علي تضمنه عقيدة وحدة الوجود فقد تضمن عقيدة التثليث التي يدين بها النصارى .

رابعاً :في المثال الثاني تشبيه وتمثيل لله سبحانه وتعالى بالنقطة ، وهذا مما لا يليق به سبحانه وتعالى ، وقوله فسيدينا آدم من نقطة ، والسماوات من نقطة ، والأرضون من نقطة ، والبحر من نقطة ، وكل شي أصله من نقطة ، يدل علي أنها مخلوقة من ذاته سبحانه ، وهو حال فيها ، بل هي عينه سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، ثم قوله في إمكانك أن تجعل النقطة ألفاً ، وعلي مقتضى تمثيله يمكنك أن تجعل الله سبحانه وتعالى رسولاً (أي الرسول صلي الله عليه وسلم) ، وهذا غير غريب فهو قد جعل الله سبحانه سموات وأرضين وبحار بل جعله عين كل موجود .

خامساً : وفي أنوار الأمين في شرح الأوراد قال المصنف في تفسير قوله تعالى (الم * ذَلِكَ أَلِكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)^٣ : (فانه تعالى يعبر عن الحقيقة الأحمدية أو موطن الفردية أو غيب الأحدية في هذه الحروف المعجمة الثلاثة أ- ل- م (ذلك الكتاب) ... وذلك إشارة لموطن الألف لأنه اسم إشارة للبعيد فهذا يقيناً كتاب الألف المشار إليه —(ذلك الكتاب) وعلامته لا ريب فيه فلاشك فيه بل (هدى للمتقين) هو موطن الوحدة الأولانية .. كان الله ولاشيء معه ... موطن الفردية الذي هو حقيقة الأحمدية ، ثم موطن

^١ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٨ .

^٢ شرح أوراد الطريقة البرهانية الدسوقية ص ٢٨ .

^٣ سورة البقرة (١ - ٢) .

الزوجية الذي هو الحقيقة المحمدية ، ثم مجموع الثلاثة في ذات محمد صلي الله عليه وسلم))^١.

ويقرر محمد عثمان عقيدته في الحلول في حوار أجري معه فيقول: ((عندما قدمت إلي مصر في الزيارة السابقة سألتني بعض علماء الأزهر فقالوا لي هل يوجد بين رجال الصوفية من يعتقد بمذهب الاتحاد ؟ قلت لهم لا يوجد . قالوا وهل بينهم من يعتنق مذهب الحلول ؟ قلت لهم لا يوجد . قالوا وهل بينهم مشركون ؟ قلت لهم لا وحاشا لهم أن يشركوا بالله . قالوا وما قولك في ما قال الحلاج : ما في الجبة إلا الله أليس هذا كفراً ؟ قلت لهم ألم يقل الله في كتابه العزيز (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَنَّمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَالَمِينَ)^٢ فالتمسوا لأنفسكم أينما تدركون بها أن ما في الوجود غير الله))^٣.

وبهذا يقرر عقيدة الحلاج الباطلة في الحلول ويدافع عن مؤسسها بقوله: ((وإني أرى الشيخ الحلاج رضوان الله عليه لم يأت ببدعة عندما قال (ما في الجبة إلا الله) والله تعالى يقول (فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَنَّمَّ وَجْهُ اللَّهِ) ويقول جل من قائل: ((وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ))^٤، ويدافع عنه بقوله: ((وقد حكم عليه بالشنق لاتهامه زوراً وبهتاناً بالكفر— وسنورد في نهاية هذا المقام تبرئته من ذلك))^٥.

وقد قال بكفر الحلاج جمع من أهل العلم منهم من هو من علماء الصوفية فضلاً عن غيرهم ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: ((هؤلاء كلهم يتفقون في مسالكهم هذه طريقة الحسين بن الحلاج الذي أجمع الفقهاء في زمانه على كفره وقتله ، قاله الإمام أبو بكر المازري الفقيه المالكي))^٦، ثم قال : ((وقد بسطت سيرته في التاريخ بعد الثلاثمائة ، وذكرت صفة قتله ، واجتماع الكلمة على تكفيره من العلماء والصوفية العباد ، سوى ابن عطاء وابن خفيف حتى أنشدهما بعضهم من شعره قائلاً : ما تقولان في قول بعض الشعراء :

^١ أنوار الأمين في شرح الأوراد عن سيدي فخر الدين ص ٨٤ — ٨٥ .

^٢ سورة البقرة (١١٥)

^٣ قيس من نور، محمد عثمان عبده ص ١١٩ .

^٤ سورة الحديد (٤)

^٥ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٧٦ .

^٦ المصدر السابق ص ٢٧٤ .

^٧ مصرع التصوف أو أُمِّيَّةُ النَّبِيِّ إِلَى تَكْفِيرِ ابْنِ عَرَبِي ، العلامة برهان الدين البقاعي، تحقيق وتعليق عبد الرحمن الوكيل ، طبع رئاسة إدارة البحوث والعلمية والإفتاء ، الرياض المملكة العربية السعودية ١٤٠٥ هـ ، ص ١٦٠ .

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ نَاسُوتَهُ سِرُّ سَنَا لَاهُوتِهِ الثَّقِيبُ
 ثُمَّ بَدَأَ فِي خَلْقِهِ ظَاهِرًا فِي صُورَةِ الْأَكْلِ وَالشَّارِبِ
 حَتَّى لَقَدْ عَايَنَهُ خَلْقَهُ كَلْحَظَةِ الْحَاجِبِ بِالْحَاجِبِ

فقالا : هذا شعر الزنادقة ، فقال : هذا شعر الحسين بن منصور الحلاج ، فلعلنا الحلاج ورجعا عنه ^١ .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((الحلاج قتل على الزندقة التي ثبتت عليه ، مما يوجب قتله باتفاق المسلمين ، ومن قال إنه قتل بغير حق ، فهو إما منافق ملحد أو جاهل ضال ^٢ .

ومن أشعار محمد عثمان عبده التي دلت علي وحدة الوجود: قوله في وصف النبي صلي الله عليه وسلم:

وَمَا هُوَ إِلَّا نُقْطَةُ الْبَدءِ وَالْبَهَا وَمَا هُوَ إِلَّا مُظْهِرُ الذَّاتِ صَائِرُ
 هُوَ الْجَمْعُ فِي رُتَبِ الْفَنَاءِ وَمَنْ بِهِ يَرِي اللهُ جَبَّارًا وَلِلذَّنْبِ غَافِرُ
 أَيُّهَا الْغَارُ مَا بِغُورِكَ غَيْرٌ لَوْ بِكَ الْغَيْرُ مَا بَلَغْتَ مُرَادِي ^٣

فهو يصف النبي صلي الله عليه وسلم بأنه مظهر من مظاهر الذات الإلهية تقوم به صفات الله سبحانه وتعالى ، ثم يؤكد قوله هذا بأن الذي في الغار ليس هو محمداً صلي الله عليه وسلم بل الله عز وجل .

ومن ذلك قوله في وصف الذات الإلهية :

شَوَاهِدُهَا فِي الْكَائِنَاتِ تَبَرُّزَتْ وَكُلُّ سُلَيْمَانَ تَوَلَّيْتُهَا عَرْشُهَا
 ظَوَاهِرُهَا فِي الْكُونِ مَا كَانَ فِي الْكُونِ غَيْرُهَا وَكُلُّ حِطِّي بَاتَ يُصْبِحُ حَظُّهَا
 فَهَأَنَّا قَدْ طَالَعْتُ بَعْضَ غُيُوبِهَا وَنَلِيتُ نَهَايَاتِ أَهْرُولِ خَلْفِهَا
 نَرِي بَعْضِ يَوْمٍ بِلَيْكَ بَعْضَ عِيُونِهَا وَكُلُّ يَمِينِي يُخَاطِبُ يَمَنَهَا ^٤

^١ المصدر السابق ص ١٦٠ - ١٦١ .

^٢ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٣٥ / ١٠٨ .

^٣ شراب الوصل ، محمد عثمان عبده ص ٨٩ .

^٤ المصدر السابق ص ٢٠٤ .

وفي هذه الأبيات يبين أن الذات الإلهية تظهر في مرآي عديدة مما يري في الكون من كائنات ، وأن هذه الكائنات من مظاهره سبحانه وأنها ليست موجودة علي الحقيقة بل لا يوجد في الكون غيره سبحانه وتعالى .

ويقول في وصف الهوية الإلهية كما يسميها أتباعه :

أَلَقَّتْ عَلَي الْخَلْقِ الْجَدِيدِ ظِلَالَهُ
وَلَدَى مَرَاقِبِهَا تَرِي بِعُيُونِهَا
إِذْ ذَاكَ لَا فَوْقُ وَلَا تَحْتِيَّةُ
وَالأُولِيَّاتُ ارْتِقَاءُ بَطُونِهَا
الذَّاتُ وَالْأَنْعَاتُ وَالْأَسْمَاءُ لَهَا
وَالرَّبُّ وَالرَّحْمَنُ لَيْسَ بِدُونِهَا
مِنْهَا الرُّؤْيَى وَلَهَا المَرَائِي كُلُّهَا
لَكِنَّهَا مَحْجُوبَةٌ بِشُؤْنِهَا
كَمِثَالِ عَيْنِ العَبْدِ إِذْ يَنْظُرُ بِهَا
هُوَ لَا يَرِي مِنْهَا غُيُوبَ جُفُونِهَا
سُبْحَانَ رَبِّكَ عَن تَوَهُُّمٍ وَاصْفٍ
لَكِنَّ أَهْلَ عَطَائِهَا يَصِفُونَهَا^١

فهو يصف الله سبحانه وتعالى بما لم يصف به نفسه ويشبهه بعين العبد التي يري بها وهو لا يري ما غاب من أجفانها تعالي الله عن ذلك علواً كبيراً ، وأن المرآي كلها هي الله تبارك وتعالى .

ويقول أيضاً في وصف الذات الإلهية :

سَيَقُ مِنْهَا بَلْ إِلَيْهَا كَامِلٌ
يَبْتَغِي مِنْهَا كَمَالاً مَا بِهِ
قَامَ فِيهَا مِنْ أَظْلُتِهِ بِمَا
نَالَ مِنْهَا بِالْهَدْيِ مِنْ مِثْلِهِ
كُلُّهُمْ أُمَّتَالُهَا لَكِنَّهَا
نَزَّهُتُهُمْ عَن مِثْلِ مِثْلِهِ
كُلُّ جَمْعٍ قَامَ فِيهَا وَاحِدٌ
لَا شَرِيكَ بَلْ فَنِي فِي نَفْسِهِ
مَا عَلَيْهِمْ أَوْ لَدَيْهِمْ غَيْرُهَا
قَدِ اعَادَتَهُمْ لِإِبْدَاءِ الْمُنتَهَى
وَاسْتَقَامُوا كُلُّهُمْ أَحَادُهَا
يَوْمَ كَانُوا وَاحِدٌ فِي مِثْلِهِ
إِنْ يَكُنْ مِنْهُمْ نَيْبِيٌّ مُرْسَلٌ
فِي لِبَاسِ العِزِّ مَعَ أَتْرَابِهِ
أَوْ يَكُنْ فِيهَا وَلِيٌّ كَامِلٌ
قَائِمٌ فِي عِزَّةٍ وَمِنْ جَدِّهِ
كُلُّهُمْ فِيهَا جَلِيسٌ وَاحِدٌ
فِي اسْتَوَاءٍ خَتْمُهُ فِي بَدْنِهِ
كُلُّهُمْ فِيهَا عَزِيزٌ وَاحِدٌ
بَلْ أَمِينٌ آمِنٌ فِي سِرْبِهِ^٢

^١ المصدر السابق ص ٢٥١ .

^٢ شراب الوصل ، محمد عثمان عبده ص ٢٢٤ .

وقد تضمنت هذه الأبيات علي القول بوحدة الوجود وذلك باتحاد كل المخلوقات بالخالق ،
وصار مجموع المخلوقات واحداً وهو الله سبحانه ومثل لهذه المخلوقات التي اتحدت بالخالق
بالأنبياء والأولياء .

ويؤمن محمد عثمان عبده بالفناء والاتحاد في ذات الله سبحانه وتعالى وقد دلت علي ذلك

عدة أبيات له منها :

وَيُصْبِحُ فِيهَا الْعَبْدُ ذَا سُرْمِدِيَّةٍ إِذَا هُوَ أَبْقَاهُ الْفَنَاءُ عَاشَ رَاضِيًا
يَقُولُ أَنَا وَحْدِي وَإِنْ شَاءَ بَعْدَهَا يَقُولُ إِنِّي أَنَا جِلُّ شَأْنِي^١

ويقول :

وَبَيْنَهُمَا تَقْرِيْبٌ عَابِدٍ لِعَابِدٍ لِيَشْهَدَ مَعْبُودًا وَمَا تَمَّ حَاجِبٌ
يُسَارُ إِلَيْهَا أَوْ تَهْرُولُ نَحْوَ مَنْ تَشَاءُ وَلَا فَرَقَ إِذِ الْجَمْعُ وَاجِبٌ^٢

والظاهر من قوله أنه لا فرق بين العابد والمعبود .

ويقول :

كَانَ رَبِّي وَذَاكَ قَوْلٌ حَكِيمٌ (فِي عَمَاءٍ) نَعَمٌ فَمَاذَا الْعَمَاءُ
يُعَلِّمُ الْوَاصِلُونَ مَا تَلِكُ إِلَّا غَايَةً قَبْلَهَا يَكُونُ الْفَنَاءُ^٣

وهو يبين أن الفناء قبل الوصول أول تعيينات الوجود الإلهي وهو (العماء) وهو العدم حيث لا
يوصف الله سبحانه في هذا التنزل بوصف، لا يسمي باسم ولا يعرف بحد ولا برسم.

ويقول :

وَأَيُّ مَنْ تَجَلَّى الْوَاحِدِيَّةِ حُلَّةٌ دَنَّتْ لِي فَوْقَ الطَّبَاقِ مَرَاتِبٌ
وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا عِنْدٌ وَلَا صُورٌ وَلَمْ يَكُنْ حِسْنَا حَاءً وَلَا سِينَا
وَلَمْ يَكُنْ فَوْقَ ذَا فَوْقٍ وَلَا أَمَلٌ وَلَمْ يَكُنْ مَظْهَرُ التَّوْحِيدِ يُنْسِينَا^٤

^١ المصدر السابق ٢٣٢ - ٢٣٣ .

^٢ المصدر السابق ص ٢٣٤ .

^٣ المصدر السابق ص ٢٣٧ .

^٤ المصدر السابق ص ١٠١ .

^٥ المصدر السابق ص ١٠٤ .

ويقول:

فَأظْهَرْنَا وَأُخْفِينَا ثَلَاثًا
وَبِالإخْفَاءِ صِرْنَا فِي اسْتَوَاءِ
وَسَارَتْ نَحْوُ قَصْدٍ فَاتَّصَلْنَا
وَأُخْفِينَا صَفَاءً وَاصْطِطْفَاءً
عَلَى بَيْتٍ وَنَحْسَبُهُ هَوَاءً
وَخَلْنَا أَنَّنَا صِرْنَا هَبَاءً^١

ويقول :

بِإِغْيَابِ غَيْرِيَّةٍ لَمَّا ظَهَرْنَا
وَكُنَّا بِالعِنَايَةِ ظَاهِرِينَ^٢

ويقول:

وَقَدْ زِلْتِ الأُسْتَارُ وَالْحُجُبُ عِنْدَمَا
قُلْتِ وَلَمْ أَنْطُقْ بِغَيْرِ لِسَانِهَا
لَدِي حَضْرَةَ التَّقْرِيبِ كُنَّا ثَلَاثَةً
تَغَيَّرَتِ الأَغْيَارُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
تَبَارَكَ مَنْ فِي السَّنَارِ يَحْفَظُنَا بِهَا
لَدِي وَاحِدُ التَّوَكُّيدِ إِنِّي ذَاتَهَا^٣

ففي كل هذه الأبيات السابقة تصريح بالفناء في ذات الله سبحانه والاتصال به .

ويبين محمد عثمان أن الفناء في الله سبحانه وتعالى ينال بذكره سبحانه إلي أن يصل العبد مرتبة

الذكر الروحي (الاصطلام) متجاوزاً الذكر باللسان وفي هذه المرتبة قالوا :

إِذَا مَا ذَكَرْتَ اللهُ بِالذِّكْرِ نَفْسَهُ
وَذَاكَ أَتَمُّ الذِّكْرِ فِي كُلِّ ذَاكِرٍ
فَكُنْ عَيْنَ ذِكْرِ الذِّكْرِ إِنْ أَنْتَ ذَاكِرٌ
فَلَا هُوَ مَذْكُورٌ وَلَا أَنْتَ ذَاكِرٌ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْلَمْهُ مَا أَنْتَ خَابِرٌ
بِوَجْهِ سِوَى هَذَا فَسَانِكُ ظَاهِرٌ^٤

ثم يترقى العبد إلي مرتبة أعلي وهي المشاهدة وفي باطن هذه المرتبة يسقط الذكر لأن صاحب

هذه المرتبة مشاهد ، والذكر إنما يكون للغائب ويقولون في هذا المعنى :

^١ المصدر السابق ص ١٧١ .

^٢ المصدر السابق ص ١٧٥ .

^٣ المصدر السابق ص ٢٢٠ .

^٤ تيرنة الذمة في نصيح الأمة، محمد عثمان عبده ص ٢٦٨ .

بِذِكْرِ اللَّهِ تَزْدَادُ الذُّنُوبُ وَتَنْعَكِسُ الْبِصَائِرُ وَالْقُلُوبُ
فَتَتْرَكَ الذُّكْرَ أَفْضَلَ كُلِّ شَيْءٍ وَشَمَسُ الذَّاتِ لَيْسَ لَهَا غُرُوبٌ^١

وورد في شرح أوراد الطريقة البرهانية : ((الهاهوت : وهو موطن القاب والقوس من التذاني المعبر عنه بـ(ده ده) والهاء الساكنة معناها (الهوية المستوية) وهو موطن مشاهدة وليس هناك ذكر))^٢ .

ولا يخفي ما في هذه الأقوال من البطلان والمخالفة الصريحة لنصوص القرآن والسنة ، إذ أن العبد لا تسقط عنه عبادة الجوارح مادام حياً ، فقد قال الله سبحانه وتعالى في حق النبي صلي الله عليه وسلم والأمة في ذلك تبع له فهو الأسوة والقدوة ، قال الله سبحانه وتعالى : ((وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ))^٣ قال المفسرون : إن المراد باليقين الموت ولا خلاف بينهم في ذلك^٤ ، وقال سبحانه وتعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ))^٥ . والموت على الإسلام يقتضي المداومة على العبادة بالجوارح ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ))^٦ . فالحديث يدل على أن عبادة الجوارح – ومثل لها بالذكر باللسان – مأمور بها حتى الممات .

ومن ظن أن العبادة تسقط عن العبد في مرتبة من المراتب فقد كفر بالله سبحانه قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((أما من جعل كمال التحقيق الخروج من التكليف فهذا مذهب الملاحدة القرامطة والباطنية ومن شابههم من الملاحدة والمنتسبين إلي علم أو زهد أو تصوف أو تزهد. يقول أحدهم إن العبد يعبد الله حتى تحصل له المعرفة ، فإذا حصلت زال عنه التكليف ومن قال هذا فإنه كافر مرتد باتفاق أئمة الإسلام فإنهم متفقون على أن الأمر والنهي جار على كل بالغ عاقل إلى أن يموت قال الله تعالى : ((وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ))^٧ ، كما لا يخفى على

^١ المصدر السابق ص ٢٦٩ .

^٢ شرح أوراد الطريقة البرهانية الدسوقية ص ١١ .

^٣ سورة الحجر (٩٩)

^٤ تفسير القرآن العظيم ، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، كتب / هوامشه وضبطه حسين بن إبراهيم زهران ، طبع دار الفكر بيروت لبنان ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م ، ج ٢ / ٨٦٨ .

^٥ سورة آل عمران (١٠٢) .

^٦ أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب رقم ١ ، وأبو داود في الجنائز ، باب رقم ١٦ .

^٧ سورة الحجر (٩٩) .

^٨ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٦ / ٢٩٣ .

عاقِل بطلان القول بأن الذكر الذي هو طاعة الله سبحانه تزداد به الذنوب وأن تركه أفضل كل شيء.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح حديث الولي : ((وحمله بعض متأخري الصوفية على ما يذكرونه من الفناء والمحو.. وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات أنه يصير في معنى الحق - تعالى الله عن ذلك - وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه المحب لنفسه وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدماً صرفاً في شهوده وإن لم تعدم في الخارج))^١.

وقد نقل محمد عثمان عبده كثيراً من النصوص عن رواد عقيدة وحدة الوجود من متقدمي المتصوفة ابن عربي وعبد الكريم الجيلي وغيرهما، فمن هذه النصوص فيما نقله عن ابن عربي قوله : ((.... فإن الحق له التجلي في صور الأشياء كلها فإن الأشياء ما ظهرت إلا به سبحانه وتعالى ، فالعارف يعلم أن كل شيء يراه ليس إلا الحق))^٢، وهو قول ظاهر بوحدة الوجود إذ كل موجود هو الله سبحانه في اعتقاده.

ومما نقله عن عبد الكريم الجيلي قوله: ((فهو الواحد المتعين بحقائق الكثرة ، عن المكان المخصوص في تجليه بحقيقة الأمكنة والجهات من كل جانب . وإلي ذلك أشار بقوله تعالى ((فَأَيُّمَّا تُولُؤُوا فَنَمَّ وَجْهَ اللَّهِ))^٣ أي في الملك المشهود والملوك الغائب))^٤.

ومما نقله عنه أيضاً قوله : ((فظهور الحق تعالى في المخلوقات علي قدر قوايلهم .. فالظاهر واحد والظهور مختلف لاختلاف المظاهر))^٥.

ويقول عبد الكريم الجيلي فيما نقله عنه محمد عثمان : ((الحمد لله الظاهر نور الوجود - الباطن الذي لا يدرك عـلا ظهوره في كل موجود))^٦. وقال : ((كمل سبحانه وتعالى كل شيء كمالاً راجعاً إلي صفته . برجوعه في كل موجود وظهوره حسب ما اقتضاه ذلك الموجود بقابليته فالظاهر واحد والظهور مختلف))^٧.

^١ فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبع دار الريان القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ -

١٩٨٧م، ج ١١ / ٣٥٢ .

^٢ تيرنة الذمة في نصيح الأمة، محمد عثمان عبده ص ٢٥٢ .

^٣ سورة البقرة (١١٥) .

^٤ تيرنة الذمة في نصيح الأمة، محمد عثمان عبده ص ٦٩ .

^٥ المصدر السابق ص ٤٨ .

^٦ المصدر السابق ص ٥٧ .

^٧ المصدر السابق ص ٦٩ .

وقال في صفات المقربين : ((فما شهدوا في العالم شيئاً سواه ولا خطر بوجودهم أن موجوداً ثم غير الله))^١.

وقد أضاف عبد الكريم الجيلي مبيناً نتيجة من نتائج هذه العقيدة (وحدة الوجود) وهو ما يزال يتحدث عن صفات الصفوة من عباد الله الكرام فيقول : ((... رأوا فعله [أي فعل الله سبحانه وتعالى] فلم يسندوا حقيقة عمل بعد إلى موجود ... فاتخذوا نسبة وجود الفعل للفاعل كنسبة العدم وأنشد لسان حالهم بلطيف قالهم :

لَا فِعْلَ لِي إِنْ قُلْتَ فَاعِلٌ وَالْقَوْلُ لَا قَوْلِي إِذَا أَنَا قَائِلٌ
مَا فِي الوجودِ جَمِيعُهُمْ مِنْ فَاعِلٍ شَيْئاً لِأَنَّكَ فِي الْحَقِيقَةِ فَاعِلٌ
كَذَبَ الَّذِي هُوَ مُدْعَى فِعْلاً لَهُ بِالْإِنْفِرَادِ فَإِنَّهُ بِكَ جَاهِلٌ
أَنْتَ الَّذِي تُعْطِي وَتَمْنَعُ فِي الْوَرَى وَهُمْ كَمَالَاتٌ وَأَنْتَ : الْعَامِلُ^٢

ثم قال : ((هو فاعل الطاعات والمعاصي (أي الله سبحانه) فسيان حالتنا العبدية في العملين . وسيان حركتهما في الحاليتين ليس لهذا فاعل الطاعة من عمل ولا لذلك فاعل ما يتأتى عنه الخطأ والخلل" إلي أن قال " واستوي عندهم لمراده فعل المعصية والعبادة))^٣ والقول بالجبر نتيجة حتمية من نتائج القول بوحدة الوجود إذ أنه ما ثم عابد فالكل

معبود وهو الفاعل في الحقيقة ، وعند إثبات العابد فهم يجردونه من إرادته ومشينته فما هو إلا مظهر من مظاهر المعبود والقول بالجبر قول باطل ترده الأدلة النقلية والعقلية ، فمما ورد به الشرع قوله تعالى : ((وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ))^٤ فثبت الله سبحانه للعبد إرادة ومشينة في فعله ، وأما العقل : فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل والشرب والبيع والشراء وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالارتعاش من الحمى والسقوط من السطح فهو في الأول فاعل مختار وفي الثاني غير مختار ولا مرید لما وقع عليه^٥.

ومن لوازم القول بالجبر : استواء فاعل الطاعة والمعصية ومن ثم انتفاء الحساب والعقاب علي المعاصي يوم القيامة وانتفاء حكمة الله تعالى وعدله في إثابة المحسنين وعقوبة المسيئين . ومن لوازم عقيدة القول بالجبر الإباحية والتحلل من تكاليف الشريعة استناداً علي القول بالجبر .

^١ المصدر السابق ص ٧٠ .

^٢ المصدر السابق ص ٧١ .

^٣ المصدر السابق نفس الصفحة السابقة

^٤ سورة الكهف (٢٩)

^٥ شرح أصول الإيمان نبذة في العقيدة، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤م، ص ٥٦ - ٥٧

ومما نقله محمد عثمان عبده عن عبد الكريم الجبلي قوله في وحدة الوجود : ((وأوجدتهم ذاته في غير محل مخصوص فوجدوه))^١ ، ومعني هذا القول أن وجوده سبحانه مطلق فهو في كل الوجود ومن ذلك ما أورده محمد عثمان في تفسير فاتحة الكتاب الذي نسبة للحسين بن علي رضي الله عنه : (وإذا فهمت هذا فاعلم أيضاً أن الحق مبدأ الكل ومعاده (وَالَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا) ^٢ والي الله تعالي عاقبة الأمور فلا بد أن يكون الكل فيه قبل كونه ولا بد أن يكون في الكل هو ، وإذا ثبت أنه كان ولاشيء . وهو الآن كما كان ذات الحق سبحانه وتعالى باعتبار اندراج الكل فيها هي أم الكتاب وعلمه هو الكتاب المبين ، باعتبار تفصيل ما اندرج في الذات التي قلنا فيها ، وظهور ما كمن فيها . فعلمه بذاته مستلزم لعلمه بجميع الأشياء إذ جميع الأشياء فيها كانت مندرجة كاندرج الشجرة في النواة))^٣ .

ولا يخفي ما في هذا النص من القول بوحدة الوجود بأن المخلوقات كلها مندرجة في الله سبحانه لاوجود لها وأنه كان كما كان أي لم يكن معه موجود آخر إلى الآن .

وقد نقل القائمون علي الطريقة في العصر الحاضر الكثير من النصوص الدالة علي إيمانهم بعبقيدة وحدة الوجود فمن ذلك ما ورد في شرح أوراد الطريقة البرهانية : (لا إله إلا الله معناها : لا موجود إلا الله)^٤ ويكون الإيمان بهذه العبقة أكثر وضوحاً في شرح آخر للأوراد حيث ورد ما نصه : ((ليس معني لا إله إلا الله ، لا معبود إلا الله ، وإنما المعني : لا معبود بحق في الوجود إلا الله ، لا مقصود بحق في الوجود إلا الله ، لا موجود بحق إلا الله ..))^٥ .

ولا يخفي ما في هذا النص من القول بوحدة الوجود حيث جعل الوجود الحق لله سبحانه وأن ما سواه لاوجود له علي الحقيقة .

وفيه : (ولكن الرؤساء - أي أكابر الأولياء - يحبون الذكر بالاسم (الله) وذلك لأنهم في حضرة المشاهدة (إلى ربها ناظرة)^٦ لا يعترفون بمقتضى هذه الحضرة بوجود غير الله ((قُلِ اللَّهُ تَمَّ ذَرُّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ))^٧ .^٨

^١ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٧٤ .

^٢ سورة هود (١٢٣) .

^٣ تبرئة الذمة في نصح الأمة ص ٢٨٧ .

^٤ شرح أوراد الطريقة البرهانية الدسوقية ص ٢٤ .

^٥ أنوار الأمين في شرح الأوراد عن سيدي فخر الدين ص ٦٥ .

^٦ سورة القيامة (٢٣) .

^٧ سورة الأنعام (٩١) .

^٨ أنوار الأمين في شرح الأوراد عن سيدي فخر الدين ص ٦٥ .

وفي تفسير قوله سبحانه : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) ^١ علي الإطلاق من الأحدية الثانية التي هي أحدية الكثرة . فالأحدية الأولى ذاتية صرفة أما الأحدية الثانية فهي أحدية الكثرة ((^٢ .
وفي شرح الصلاة البشيشية (واغرقتني في عين بحر الوحدة) أي وحدة الوجود وهي مرتبة الياقوتة الحمراء)) ^٣ .

وقد نقلوا جزءاً كبيراً من ديوان عبد الغني النابلسي المسمى بديوان الحقائق ومجموع الرقائق الذي تنادي قصائده من أولها إلي آخرها بعقيدة وحدة الوجود كما نقلوا غيره من دواوين معتقدي هذه العقيدة في مؤلف يعرف بديوان (ابتسام المدامع) فمما ورد في ديوان عبد الغني النابلسي قوله في وصف الذات الإلهية :

فَاعْرِفُونِي بِهَا وَلَا تَعْرِفُوهَا	بِي فَسِتْرُ الْوُجُودِ ذَلِكَ دَابِّي
وَاحِدٌ مُطْلَقٌ عَنِ الْقَيْدِ بَلْ عَنِ	قَيْدِ إِطْلَاقِهِ يُلُوحُ اقْتِرَابًا
فَوْجُودِي هُوَ الْوُجُودُ الْحَقِيقِيُّ	وَالْتَصَاوِيرُ فِيهِ كَانَتْ خِضَابًا
إِنَّ عَلَمِي عِلْمُ الْيَقِينِ بِأَنِّي	كُنْتُ سَعْدَى وَزَيْنَبَا وَالرَّبَّابَا
تَتَجَلَّى بِنَا فَتَظْهَرُ عَنْهَا	مِثْلَ مَا يُظْهَرُ السِّقَاعُ السَّرَابَا
لَكِنَّ الْغُرُّ بِالْحَقَائِقِ لَا يَعْرِفُ	شَيْئًا فَيَحْسَبُ صَابَا

فهو في هذه الأبيات يبين أن وجوده سبحانه مطلق عن القيد بل هو كل الوجود ، وأما المخلوقات فهي من مظاهره ، ويقرر بأن الوجود واحد وهو وجود الله سبحانه لا شيء معه ، ويزيد الأمر وضوحاً في الأبيات التالية :

حَقِيقَتَانِ هُمَا إِحْدَاهُمَا عَدَمٌ	وَمَا سِوَاهَا وَجُودٌ تَأْتِي السَّبَبِ
مَظَاهِرُهُ هُوَ ذَا لَا غَيْرَهُ مَعَهُ	وَإِنَّمَا غَيْرُهُ الْمُعْدُومُ فَارْتَقِبِ
وَلَا تَقُلْ بِإِنْتِفَاءِ الْغَيْرِ تَجْهَلُهُ	وَلَا تَقُلْ بِوُجُودِ الْغَيْرِ تَحْتَجِبِ

ويقول وهو ينسب القول إلي الله سبحانه وتعالى عما يقول ، وإن كان يتكلم عن نفسه

^١ سورة الإخلاص (٤) .

^٢ شرح أوراد الطريقة البرهانية ص ٧٦ .

^٣ أنوار الأمين في شرح الأوراد ص ١٤٤ .

^٤ ابتسام المدامع ص ٤-٦ .

^٥ المصدر السابق ص ٢١ .

فهو يُؤلِّهها ، ويقرر عقيدة وحدة الوجود فيقول :

وَلَقَدْ أَمَاطْتُ لِي بِثِيْنَةٍ بُرْقَعَاً عَن طَلْعَةِ شَمْسِيَّةٍ وَجَلَابِيَا
وَسَعَتُ إِلَيَّ نَحْوِي وَلَمْ أَكُ غَيْرَهَا فَغَدَوْتُ مَطْلُوبَاً وَلَمْ أَكُ طَالِبَاً
هَذَا الوجودُ جَوِيْعُهُ كُلِّي بِلا شَكِّ عُدَاةٍ قَدْ حَوَى وَحَبَابَا
وَالكُلِّي كُلِّي مَا مَعِي غَيْرِي فَلَا تَتَعَبُ وَكُنْ لِي فِي الجَمِيعِ مُصَاحِبَا
وَأَنَا الحَقِيقَةُ والشَّرِيعَةُ وَلَا تَقِفُ فَيَصِيرُ شَيْءٌ مِنْهُمَا لَكَ حَاجِبَا
وَأفْعَلُ وَلَا تَفْعَلُ جَمِيعُ أُوامِرِي وَاتْرُكْ وَلَا تَتْرُكْ لِنَهْيِ تَائِبَا
فَأَنَا حَقِيقَتُكَ المُكَلَّفَةُ التِّي بِأَلْسَتُ قُلْتُ لَهَا وَكُنْتُ مُخَاطِبَا .

فهو يجعل المخلوق عين الخالق الذي قال للخلق يوم أن خلقهم في ظهر أبيهم آدم عليه السلام كما قال سبحانه: ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ))^١ ويقول في قصيدة طويلة أن الله سبحانه وتعالى تطور في صور المخلوقات وأن هذه المخلوقات لم تكن إلا هو ، فهو المعبود والعابد في حين واحد كما هو المخلوق والخالق ويسوق القول وكان المتكلم هو الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

شيقول :

وَمَا أَنَا إِلَّا مَنْ أُحِبُّ وَإِنْ مَنْ أَحِبُّ أَنَا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَشُبْهَةٍ
أَرَدْتُ ظُهُورِي لِي وَمَا كُنْتُ خَافِيَا فَطُوْرَتْ فِي الْأَطْوَارِ مِنْ كُلِّ صُوْرَةٍ
وَقَدْ كُنْتُ قَدَمًا فِي عَمِي لَيْسَ فَوْقَهُ وَلَا تَحْتَهُ أَيضًا هَوَاءٌ بِوِحْدَةٍ
وَقَدْ كُنْتُ عَرْشِي وَاسْتَوَيْتُ عَلَيْهِ مِنْ قَدِيمِ زَمَانِي فِي الوجودِ بِرَحْمَتِي
وَطُوْرْتُ أَمَلَاكِي فَلِي كُنْتُ عَابِدَاً وَطُوْرْتُ أَفَلَاكِي فَدَارَتْ بِقُدْرَتِي
وَفِي كُلِّ أَطْوَارِ الشَّيْطَانِ بَيْنَكُمْ ظَهَرْتُ يَوْسُوَاسَ لِأَصْحَابِ شُقُوْرَةٍ
وَطُوْرْتُ فِي سَكْلِ العَنَاصِرِ ثُمَّ فِي مَوَالِيدِهَا فِي الْأَرْضِ تِلْكَ الثَّلَاثَةُ
فَفِي مَعْدِنِ طُوْرًا وَطُوْرًا ظَهَرْتُ فِي نَسَبَاتٍ وَحَيَوَانٍ لِتَتَمِيمِ حِكْمَتِي
وَمَا كَثُرَةُ الْأَطْوَارِ مِنِّي غَيْرَتْ صِفَاتِي وَلَا ذَاتِي وَلَا قَدْرَ ذَرَّةٍ
وَسَوَيْتُ جِسْمَ الكُلِّ بِي فَهُوَ قَابِلٌ لِرُوجِي وَتَفْصِيْلِي اسْتَعَدَّ لِجُمْلَتِي

^١ المصدر السابق ص ٣٠ .

^٢ سورة الأعراف (١٧٢) .

كُنْتُ كَمَا لَوْ نُسَّ مِنْ إِبَائِهِ وَكَالشَّمْسِ تُبَدِّي خُضْرَةَ بِالزُّجَاجَةِ
 وَطُورَتْ نُوحًا جَاءَ يُنذِرُ قَوْمَهُ وَكُنْتُ لَهُ التَّكْذِيبُ مِنْهُمْ بِبِعْتَرِي
 وَأَلْفًا سِوَى خَمْسِينَ عَامًا لَبِثْتُ فِي جَمَاعَتِهِمْ أَبْغِي لَهُمْ نَشْرَ دَعْوَتِي
 وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْغَيْرَ بَلْ يَعْبُدُونَنِي وَلَا غَيْرَ لَكِنَّ وَهُمْهُمْ سُرَّتَنِي^١

فهو يقول بأن الله سبحانه وتعالى تطور أو طور نفسه بحيث صار هو كل مخلوق في الكون وأن قوم نوح ما عبدوا الأصنام بل عبدوا الله سبحانه لأنه لا وجود لسواه وأن الأصنام هي عين الخالق و لكنهم توهموا وجود آخر غير وجود الله سبحانه وتعالى و يبين عقيدته بوحدة الوجود بجلاء بقوله في حق عيسي عليه السلام في نفس القصيدة :

وَقَالُوا يَا نَسِي قَدْ غَدَوْتُ لَهُ أَبَا وَقَدْ خُصَّ مِنْ دُونِ الْوَرَى بِنَبِيَّتِي
 وَأَيُّنَ الْوُجُودَانَ اللَّذَانَ تَبَايَنَا وَمَا عَزَّ خَلْقٍ كَذَلِكَ خَلِيقَةٍ^٢

فهو يقول بأن الوجود كل واحد هو الله سبحانه فأين الوجود الآخر؟ وما هو الفرق بين الخالق والمخلوق حتى يكون الخالق أباً والمخلوق ابناً له فوحدة الوجود تمنع وقوع ذلك إذ أنه لا وجودان فالوجود واحد لا فرق فيه بين خالق ومخلوق فالمخلوقات لا حقيقة لها منفردة بل هي مظهر من مظاهر الوجود الإلهي يظهر في أيها شاء .

ويقول النابلسي مقررًا عقيدة وحدة الوجود :

هُوَ عَيْنُ الْكُلِّ لَا كُلٌّ سِوَى عَيْنُهُ عَيْنُ الْعَطَا وَالْمِنْحِ
 وَاجِدٌ عَدَدُهُ الْعَقْلُ لَنَا بِنَاتِظَامِ كَعُقُودِ السُّبْحِ
 وَتَوَحَّدَ وَاتْرَكَ الْكَثْرَةَ عَنْ وَهَمِّكَ الْحَاجِبِ عَنْهُ وَأَسْتَحِ
 يَا وَجُودًا وَاجِدًا لَيْسَ لَهُ غَيْرَ أَسْمَاءٍ بِهِ لَا تَنْمَجِي
 ظَهَرَتْ عَنْهُ لَهُ فِي صُورِ فَازِيَاتٍ مِثْلَ قَسُوسِ الْقَرْحِ
 كُنَّ لَهُ لَا سِوَاهُ أَبَدًا وَأَنْغَسِيلَ عَنكَ بِهِ وَأَنْسِرِحِ
 وَإِذَا شِئْتَ كُنَّ الْحَيَّوَانِ يَا الْإِنْسَانَ وَقَتَّ الْمَرْحِ
 كُنَّ جَمَادًا وَإِذَا شِئْتَ بِهِ كُنَّ نَبَاتًا مِثْمَرًا كَالْبَلْبَحِ
 وَأَنْجَمِمْعَ إِنْ شِئْتَ طُورًا وَأَفْتَرِقُ كَيْفَمَا مَا تَكُونُ وَلَا تَقْتَرِحُ

^١ ديوان ابتسام المدامع ص ٣٩ - ٤٠ .

^٢ المصدر السابق ص ٤٣ .

هَذِهِ الْأَطْوَارُ لَا تَبْقِي لَهُ هِيَ بَرَقُ لَاحٍ لِلْمُنْتَمِحِ
يَتَجَلَّى هُوَ فِي الْكُونِ بِهَا لَا بِهَا مُزْدَلَفٌ فِي قُرْحٍ^١

فهو هنا يقرر أن الوجود واحد وإن الموجودات ما هي إلا أسماء وصور لتجليات
الله سبحانه ومظاهر من مظاهره تبارك وتعالى .

ويقول :

وَكُنَّا وَمَا كُنَّا وَكَانَ وَلَمْ يَكُنْ وَمَا تَمَّ إِلَّا قُدْسَهُ وَالْحِطَائِرُ
وَجُودٌ وَلَا أَعْنِي الْوَجُودُ الَّذِي بَدَتْ مِنْ الْكُونِ أَشْبَاهَ لَهُ وَنَظَائِرُ
وَلَكِنْ وَجُودٌ مُطْلَقٌ عَنِ تَقْيِيدِ بِإِطْلَاقِهِ وَالْكَوْنُ مِنْهُ شَعَائِرُ
وَكُلُّ وَجُودٌ مُطْلَقٌ عَنِ مَقْيِيدِ بِعَقْلِ وَحِسِّ فَهُوَ عَنْهُ سَنَائِرُ
إِذَا لَاحَ غِبْنَا فِيهِ عَنَّا جَمِيعَنَا وَإِنْ غَابَ نَحْنُ السَّائِبَاتُ الْبَحَائِرُ^٢

وهو في هذه الأبيات يبين أن وجود الله سبحانه وتعالى وجود مطلق .

ويقول :

يَا مَالِكِ الْمَلِكِ مِنَّا قَدْ ظَهَرْتَ لَنَا وَأَنْتَ أَعْيَانَنَا وَالْإِسْمُ أَغْيَارُ
وَإِنَّمَا هِيَ ذَاتُ بِالْوَرَى كَثُرَتْ فَقُلْ شُمُوسٌ وَقُلْ إِنْ سُنْتَ أَقْمَارُ^٣

ويقول :

وَحَقِّقْ وَجُودَ الْحَقِّ فِي الْكُونِ وَحَدَّهُ وَلَا كَوْنٌ لَا شَفْعَ هُنَاكَ وَلَا وَتْرُ^٤

ويقول :

لِذَاتِي بِذَاتِي لَا لَكُمْ أَنَا ظَاهِرٌ وَمَا هَذِهِ الْأَكْوَانُ إِلَّا مَظَاهِرُ
تَقْيِيدَتْ وَالْإِطْلَاقُ وَصَفِي لِأَنْنِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ جِينٌ لَا حِينَ قَادِرُ
وَمَرْتَبَةُ التَّقْيِيدِ أَظْهَرْتُ رَحْمَةً وَمَرْتَبَةُ الْإِطْلَاقِ أَنِّي سَائِرُ

^١ ديوان ابتهام المدامع ص ٦٢ - ٦٣ .

^٢ المصدر السابق ص ٧٥ .

^٣ المصدر السابق ص ٧٥ - ٧٦ .

^٤ المصدر السابق ص ٨١ .

وَتِلْكَ بِمَخْلُوقٍ وَهَذَا بِخَالِقٍ تَسَمَّتْ وَفِي التَّغْيِيرِ أَيْنَ التَّغْيِيرِ^١

ويعني أين التغيرات بين المخلوق والخالق بل الوجود كله واحد .
ويقول في حق الله سبحانه وتعالى :

تَجَلَّيْتُ لِي فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَمْ أَكُنْ
سِوَالِكِ فَمَنْظُورٌ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ
وَلِلْقَلْبِ مِنِّي ظَهَرَتْ بِكُلِّ مَا
ظَهَرْتَ وَلَمْ تُنْكِرْكَ مِنِّي الْخَوَاطِرُ
بِكُلِّ مَلِيحٍ بَلْ بِكُلِّ مَلِيحَةٍ
تَرَأَيْتَ حَتَّى حَقَّقْتُكَ الضَّمَانِ^٢

فهو يقول بأن الله سبحانه وتعالى يظهر في كل شيء من مخلوقاته ، ومن ذلك أنه يظهر في صورة كل جميل وجميلة من مخلوقاته ، تنزه سبحانه عن ذلك .
ويقول :

مَنْ رَأَهُ أَصَابَ فِيمَا رَأَهُ
وَالَّذِي قَدْ رَأَى السَّوِي فِيهِ أَخْطَأَ
هُوَ شَمْسٌ وَمَا سِوَاهُ ظِلَالٌ^٣
وَهُوَ بَدْرٌ لِظُلْمَةِ الْغَيْرِ غَطَّى^٤

ويقول :

كَانَتْ وَلَا شَيْءَ كَمَا هِيَ لَمْ تَزَلْ
رَأَوْا غَيْرَهَا فِي كُلِّ مَا هُوَ وَاقِعٌ
وَلَوْ وَحْدُهَا طَبَّقَ مَا زَعَمُوا لَمَّا

فهو في هذين البيتين يقرر بأن الناس لو وحدوا الله حقيقة لما رأوا في الوجود غيره ، بل كل ما هو موجود ليس إلا هو سبحانه عما يقول علواً كبيراً .
ويقول :

وَجَادَتْ عَلَيَّ كُلُّ الذُّوَاتِ بِذَاتِهَا
فَلَا ذَاتَ إِلَّا ذَاتُهَا يَا مُدْرِغُ
وَكُلُّ صِفَاتِ الْكَوْنِ فَهِيَ صِفَاتُهَا
وَتَنْزِيهٌ فِي الْكَوْنِ فَكَالْكَوْنِ شَاسِعُ^٥

^١ المصدر السابق ص ٨٤ - ٨٥ .

^٢ المصدر السابق ص ٨٥ .

^٣ المصدر السابق ص ١٠٠ .

^٤ المصدر السابق ص ١٠٤ .

^٥ المصدر السابق ص ١٠٥ .

ومما لا شك فيه أنه يوجد في المخلوقات الموجودة في الكون من صفات النقص التي تنزه عنها الله تعالى ، فجعل صفات الكون صفات له سبحانه من الباطل الذي لا يشك في بطلانه عاقل ، فله سبحانه صفات الكمال والجلال المطلق الذي لا يشاركه فيها أحد من خلقه .

ويقول :

وَإِحْدٌ فِي الْقُلُوبِ وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْعُيُونِ اقْتَصَى هُدَاهُ الْإِبَانَةَ
لَا تَقُلْ غَيْرَهُ فَذَا قَوْلٌ مَنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ فِي غَيْرِهِ عِرْفَانَهُ
يَا وَجِيدُ الْوُجُودِ نَحْنُ حَيَارَى فَيْكَ فَارْفِقْ بِعُصْبَةِ حَيِّرَانِهِ
أَيْنَمَا أَفْبَلُوا رَأُوكَ جَهَّاراً وَالتَّقَى مِنْ شُهُودِهِمُ الْأَمَانَةَ

فهو هنا يصرح بأنه ومن يسلك منهجه في وحدة الوجود يرون الله سبحانه في كل شيء أينما ذهبوا وحيثما حلوا ، فهو ظاهر في مخلوقاته ، وأن من قال بخلاف ذلك فهو ممن لم يتحقق معرفة الله سبحانه.

ويقول :

وَجُودٌ وَاحِدٌ لَا لَا تَشْتَبِيهِ خُطُورَةٌ^٢

ويقول :

عَدَمٌ كُلُّهُ وَرَبِّي وَجُودٌ هُمْ لَهُ الْعَرْشُ فَوْقَهُ الْأَسْتَوَاءُ
يَتَجَلَّى بِنَا وَنَحْنُ شُهُودٌ بَاطِلٌ نَحْنُ كُلُّنَا وَنَمَحَاءُ^٣

ويقول النابلسي مصرحاً بنتائج عقيدته وحدة الوجود :

لَا فَرَقَ عِنْدِي بَيْنَ الْوَتْرِ وَالْوَتْرِ وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ عِنْدِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ
قَدْ قَالَ يَفْرَقُ فِيهَا قَوْلٌ خَالِقَنَا مِنْ كُلِّ أَمْرٍ حَكِيمٍ حُكْمٌ مُقْتَدِرٌ
فَإِنْهُضْ بِذَوْقِكَ لِلطَّمْبُورِ تَسْمَعُهُ وَالنَّيَّيْ فَالْخَبِيرِ يُسْتَوْفِي مِنَ الْخَبِيرِ
وَإِنَّهَا حَرَكَاتٍ مِنْ يَدٍ وَفِيمِ وَمِنْ يَرَاعِ وَمِنْ رِقٍ وَمِنْ وَتَرٍ
وَمَا الْمُحَرِّكُ إِلَّا وَاحِدٌ هُوَ فِي غَيْبِ الْغُيُوبِ تَعَالَى مُظْهِرُ الْأَثَرِ
وَأَنْتَ تَعْرِفُ هَذَا لَسْتَ تُنْكِرُهُ وَلَكِنْ بِهِمْكَ مَفْسُونٌ وَبِالْفِكْرِ

^١ المصدر السابق ص ١٥٦ .

^٢ المصدر السابق ص ١٦٠ .

^٣ المصدر السابق ص ١٩٢ .

لَيْسَ الْمَغْنَى وَلَيْسَ الدُّفُّ فِي يَدِهِ
 وَكُلُّهَا عَدَمٌ يُبْدُو الوجودَ بِهَا
 هِيَ التَّصَاوِيرُ شَانَتْهَا الإرَادَةُ مِنْ
 فَافْطِنْ لَهَا وَأَسْمِهَا الْأَشْيَاءَ عِنْدَكَ فِي
 وَخُذْ إِشَارَةَ إِلَّا وَجْهَهُ لِتَفْزُ
 غَيْرَ الْمَصَوِّرِ فِينَا سَائِرُ الصُّورِ
 وَيَخْتَفِي عِنْدَ مَغْرُورٍ وَمُعْتَبِرِ
 خَيْرٍ وَشَرٍّ وَمِنْ نَفْعٍ وَمِنْ ضَرَرِ
 حُكْمِ الْكِتَابِ كِتَابِ اللَّهِ فَاعْتَبِرِ
 بِمَا قَارَأَ أَهْلُ الْجَانِبِ الْخَطِرِ^١

ولا يخفي علي عاقل بطلان هذا القول وفساده حيث سوي بين الطاعة والمعصية ، وأن الفاعل الحقيقي لكل منهما ليس هو الإنسان بل هو الله ، بل والإنسان نفسه ما هو إلا مظهر من مظاهر الله عز وجل ، الذي تنوعت مظاهره في الكون ، وكل هذه المظاهر فهي في الحقيقة عدم والموجود الحق هو الله تعالى ، ويشير في البيت الأخير إلي فناء الكائنات في الله تعالى مستدلاً بقوله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)^٢، وهو استدلال باطل فالآية لا تدل علي مقصوده بل فيها : ((إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت))^٣ .

وبعد هذا السرد المسهب في إثبات إيمان البرهانية بعقيدة وحدة الوجود تبقى الإشارة إلي حقيقة هذه العقيدة وبطلانها ومخالفتها للعقيدة الإسلامية الصحيحة ، وأنها لا يقرها الشرع ولا يقبلها العقل ويلزم منها عدد من اللوازم الباطلة منها :

(أ) ((أنه لو كان الوجود وحدة واحدة وأن الخالق عين المخلوق لما كان لأوامر الشرعية ونواهيها معني، إذ الأمر هو المأمور، وهو الذي أمر به، وهذا لا يقول به من له أدني مسكة من عقل))^٤ .
 (ب) إن في هذا القول إنكاراً لأن يكون الله خلق شيئاً من هذه المخلوقات ، لأنها ليست سواه ، فالخالق عين المخلوق والمخلوق عين الخالق ومن الممتنع أن يكون خالفاً لنفسه لأن الشيء لا يخلق نفسه ، قال الله تعالى متحدياً الكفار ((أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ))^٥ .
 ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((وعند هؤلاء الكفار الملاحدة الفرعونية انه ما ثم شيء يكون الرب قد خلقه وبراه أو أبدعه إلا نفسه المقدسة ونفسه المقدسة لا تكون مخلوقة مبروئة مصنوعة مبروئة لامتناع ذلك في براءة العقول ، وذلك من اظهر الكفر عند جميع الملل))^٦ .

^١ ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، عبد الغني النابلسي طبعة دار الفكر بيروت ١٩٨٦ م ، ص ٢٣١ .

^٢ سورة القصص (٨٨) .

^٣ تفسير القرءان العظيم، الحافظ إسماعيل بن كثير ج ٣ / ٦٤٣ .

^٤ الله ذاتاً وموضوعاً قضية الأوهية بين الفلسفة والدين، عبد الكريم الخطيب ، طبع دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان الطبعة الثالثة

١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م ، ص ٢١٩ .

^٥ سورة الطور (٣٥) .

(ج) ويلزم من القول (بوحدّة الوجود) ألا يكون الله رب العالمين ولا مالك الملك ، لأنه لا يكون رب نفسه ولا يكون مالكا ومملوكاً إذ ليس هناك أحد سواه .

(د) ويلزم منه أنه لم يرزق أحداً شيئاً ولا هدى أحداً علماً ، فلم يصل إلي أحد منه خيراً ولا شراً إذ هو الرازق المرزوق والهادي المهدي والعالم المعلم إذ ليس في الوجود سواه^٢ .

(هـ) أن الله هو الذي يصوم ويقوم ويركع ويسجد ويموت وتصيبه الأمراض وتتسلط عليه الأعداء ويكون الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً هو الموصوف بكل نقص وعيب إذ ليس في الوجود أحد سواه يتصف بهذه النقائص والعيوب^٣ .

(ز) أن الذين عبدوا الأصنام لم يعبدوا غير الله إذ ليس في الوجود سواه

(ح) و يلزم منه تصحيح دعوى من ادعى الألوهية من البشر^٤.

وفيما يلي ذكر أقوال بعض أهل العلم في حكم من اعتقد عقيدة وحدة الوجود :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن تحدث عن وحدة الوجود وغيرها من المقالات المنحرفة : ((... فهذه المقالات وأمثالها من أعظم الباطل وقد نبهنا علي بعض ما به يعرف معناها وأنه باطل ، والواجب إنكارها فإن إنكار هذا المنكر الساري في كثير من المسلمين أولي من إنكار دين اليهود والنصارى الذي لا يضل به المسلمون لاسيما وأقوال هؤلاء شر من أقوال اليهود والنصارى فرعون ، ومن عرف معناها واعتقدها كان من المنافقين الذين أمر الله بجهادهم بقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ))^٥ والنفاق إذا عظم كان صاحبه شراً من كفار أهل الكتاب وكان في الدرك الأسفل من النار..))^٦ .

ويقرر ابن عربي نتيجة من نتائج وحدة الوجود وهي وحدة الأديان فيقول :

^١ مجموعة الرسائل والمسائل، شيخ الإسلام ابن تيمية القسم الثاني، طبع المنار، ص ١٢٣ .

^٢ التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، طبع مطبعة السنة المحمدية، ص ٥١ .

^٣ مجموعة الرسائل والمسائل، شيخ الإسلام ابن تيمية القسم الثاني ص ١٣٥ .

^٤ المصدر السابق ص ١٤٧ .

^٥ سورة التوبة (٧٣) .

^٦ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٢ / ٢٩٥ - ٣٦٠ .

لَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلًا كُلِّ صُورَةٍ
 وَمَيِّتٍ لِأَوْثَانٍ وَكَعْبَةٍ طَائِفٍ
 فَمَرَعِي لِعِزْلَانٍ وَدِيرٍ لِرُهْبَانٍ
 وَأَلْوَاخِ تَوْرَاةٍ وَمُصْحَفِ قُرْآنٍ
 أَدِينُ بِدِينِ الْحَبِّ أَنِّي تَوَجَّهْتُ
 رَكَائِبُهُ فَالْحُبُّ دِينِي وَإِيمَانِي^١

وقد شرح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حقيقة مذهب ابن عربي في وحدة الوجود وناقشه ورد عليه وعلي غيره من أصحاب الوحدة فيقول في ذلك: ((فأما صاحب الفصوص (يعني ابن عربي) فكلامه يدور على أصلين أحدهما أن الأشياء كلها ثابتة في العدم مستغنية بنفسها نظير قول من يقول المعدوم شيء لكن هذا لا يفرق بين ذات الخالق وذات المخلوق إذ ليس عنده ذات واجبة متميزة بوجودها عن الذوات الممكنة وإن كان قد يتناقض ذلك قولهم فإنهم كلهم يتناقضون وكل من يخالف الرسل فلا بد أن يتناقض قال تعالى: ((إِنكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ * يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أَفِكَ *))^٢ وقال: ((أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَعْتِلَافًا كَثِيرًا))^٣ .

الأصل الثاني : أن الوجود الذي لهذه الذوات الثابتة هو عين وجود الحق الواجب (ولهذا قال في أول الفصوص في الشيثية) ومن هؤلاء يعني الذين لا يسألون الله من يعلم أن علم الله به في جميع أحواله هو ما كان عليه من حال ثبوت عينه ، فيعلم علم الله به من أين حصل .. فإنه يعلم ما في علم الله فيه إما بإعلام الله إياه مما أعطاه عينه من العلم به وإما بأن يكشف له عن عينه الثابتة وانتقالات الأحوال عليها إلي ما لا يتناهى وهو أعلي فإنه يكون في علمه بنفسه بمنزلة علم الله به لأن الأخذ من معدن واحد هذا لفظه وهو مع كونه جعل عينه ثابتة قبل الوجود ، زعم أن الحق لا يعطيه إلا ما أعطاه عينه من العلم به فجعل الحق تعالى عاجز لا يقدر إلا علي ما كانت عليه عينه وجعله لا يعلم بمخلوقاته من جهة نفسه بل يراها في حال ثبوتها التي لا تفتقر فيه إليه فيعلم أحوالها حينئذ وزعم أن العبد قد يساويه في هذا العلم ولهذا صرح بحدوث علم الله ومساواة العبد له في ذلك فقال لأنه الأخذ من معدن واحد...^٤ .

((وهذا أصل مذهبه أن كل واحد من وجود الحق وثبوت الخلق يساوي الآخر ويفتقر إليه .. ولهذا يقول فيعبدني وأعبده ويحمدني وأحمده ويقول إن الحق يتصف بجميع صفات العبد المحدثات

^١ ديوان ابنسالم المدامع ص ٣٥٣ نقلاً عن ديوان ترجمان الأشواق ، محي الدين بن عربي .

^٢ سورة الذاريات (٨ - ٩) .

^٣ سورة النساء (٨٢) .

^٤ بغية المراد في الرد على المتفلسفة والباطنية وأهل الإلحاد من القائلين بالطول والاتحاد ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع دار الفلم للطباعة والنشر بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، ص ٣٨٥ .

، وأن المحدث يتصف بجميع صفات الرب مع أنه يقول أنهما شيء واحد إذ لا فرق في الحقيقة بين الوجود والثبوت...))^١ ((وقال أيضا في الإدريسية (يعني ابن عربي) من أسمائه الحسنى العلي على من وما ثم إلا هو العلي لذاته أو عن ماذا وما هو إلا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود فهو عين الموجودات فالمسمي محدثات هي العلة لذاتها وليست إلا هو فهو العلي لا علو إضافة لأن الأعيان التي لها العدم الثابتة فيه ما شمت رائحة من الوجود فهي علي حالها مع تعداد الصور في الموجودات والعين واحدة من المجموع في المجموع فوجود الكثرة في الأسماء وهي النسب وهي أمور عدمية وليس إلا العين التي هي الذات فهو العلي لنفسه لا بالإضافة فعلو الإضافة موجود في العين الواحدة من حيث الوجوه الكثيرة لذلك يقول فيه هؤلاء هو أنت لا أنت... فهذا وغيره من كلامه يبين أن الوجود عنده واحد وليس للخلق وجود مباين لوجود المخلوقات بل وجودها عينه ثم يذكر الظاهر الخيالي والمراتب وهي عنده الذوات الثابتة في العدم المساوية للوجود وأما أسماء الله تعالى فهي عنده النسبة التي بين الوجود وبين هذه المراتب وهي في الحقيقة أمور عدمية..

ولكن صاحب الفصوص يجعل وجود هذا الوجود الحق الذي هو وجود كل شيء فهو الموصوف عنده بجميع صفات النقص والذم والكفر والفواحش والكذب والجهل.

كما هو الموصوف عنده بصفات المدح والكمال فهو العالم الجاهل والبصير والأعمى والمؤمن والكافر والناكح والمنكوح والصحيح والمريض والداعي والمجيب والمنكلم والمستمع وهذا كله يذكره في مواضع من كلامه وهذا عنده في غاية الكمال وفي هذا المعنى ينشدون :

وَكُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُهُ سَوَاءٌ عَلَيْنَا نَثْرُهُ وَنَظَامُهُ

وهو عنده هوية العالم ليس له حقيقة مباينة للعالم وقد يقول لا هو العالم ولا غيره وقد يقول هو العالم أيضاً وهو غيره وأمثال هذه المقالات التي يجمع فيها في المعنى بين النقيضين مع سلب النقيضين إذ ليس مذهبه في مذهب الغيرين مذهب الصفاتية))^٢.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((والسلف والأئمة كفروا الجهمية لما قالوا : إنه في كل مكان ، وكان مما أنكروه عليهم أنه كيف يكون في البطون والحشوش والأخلية تعالى الله عن ذلك ، فكيف بمن يجعله نفس وجود البطون والحشوش والأخلية والنجاسات والأقذار))^٣.

^١ المصدر السابق ص ٣٨٦ .

^٢ المصدر السابق ص ٣٨٨ - ٣٩٠ .

^٣ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٢ / ١٢٦

وقال في حكم من قال بهذه العقيدة (وحدة الوجود): ((فهذا كله كفر باطنياً وظاهراً بإجماع كل مسلم ، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفته قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر كمن يشك في كفر اليهود والنصارى))^١ .

وحكي القاضي عياض^٢ الإجماع علي كفر من ادعي مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته أو حلوله في أحد من الأشخاص، كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة^٣ .

وقال الإمام أبو الحسن الماوردي^٤: ((القاتل بالحلول والاتحاد ليس من المسلمين بالشريعة بل في الظاهر والتسمية ، ولا ينفع التنزيه مع القول بالاتحاد والحلول فإن دعوى التنزيه مع ذلك الحاد))^٥ .

والحق الذي لا ريب فيه أن الله سبحانه وتعالى بائن من خلقه ، متصف بصفات الكمال لا يشبهه شيء من مخلوقاته : ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))^٦ منزه عن النقائص والعيوب .

وأما الفناء فهو لفظ لم يرد في الكتاب والسنة ولا في كلام الصحابة والتابعين ولم يذكره مشايخ الصوفية المتقدمين بمدح ولا ذم ، وفيه تفصيل حسب المراد به :

(١) فإن أريد به الفناء عن عبادة السوى بمعنى صرف العبادة لله وحده دون من سواه فهذا المعنى حق ، هو معنى كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) ولا يقوم الدين إلا به .

(٢) وإن أريد به الفناء عن وجود السوى فليس هناك موجود إلا الله وهو يعبر عنه (بوحدة الوجود) فهذا المعنى باطل ولاشك أن القول به من أعظم الكفر .

(٣) وإن أريد به الفناء في ذات الله بحيث يفني العارف في ذات الله وهو ما يعبر عنه بالاتحاد في معين ، فهذا القول من جنس قول النصارى في عيسى عليه السلام وهو مردود ولاشك أن هذا القول كفر بالله تعالى ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ((وأما النوع الثاني فهو من

^١ المصدر السابق ج ٢ / ٣٦٨ .

^٢ هو القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو البحصي ، السبتي ، أحد علماء المغرب الأجلة ، وإمام أهل الحديث في وقته ، وهو من كبار علماء المالكية ، ولد سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م في ((سبتة)) ، وولي القضاء فيها ، ثم قضاء غرناطة ، له عدة مؤلفات منها : (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى) و (شرح صحيح مسلم) ، توفي سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م . أنظر لترجمته : ((سير أعلام النبلاء)) ج ٢٠ / ٢١٢ - ٢١٨ ، و ((وفيات الأعيان)) ج ٣ / ٤٨٣ - ٤٨٥ ، و ((الأعلام ج ٥ / ٩٩)) .

^٣ الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ، طبع مكتبة الصفا القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، ج ٢ / ٢١٤ .
^٤ هو علي بن محمد بن حبيب ، ولد بالبصرة سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٥م ، ثم انتقل إلى بغداد وبها توفي سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ، له عدة مؤلفات منها ((الأحكام السلطانية)) و ((أدب الدنيا والدين)) أنظر لترجمته : ((الأعلام ج ٥ / ١٤٦)) .

^٥ الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

السيوطي ، طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م ، ج ٢ / ٢٤٠ .

^٦ سورة الشورى (١١) .

يقول بالحلول والاتحاد في معين كالنصارى الذين قالوا بذلك في المسيح عليه السلام والغالية الذين يقولون بذلك في علي بن أبي طالب وطائفة من أهل بيته والحاكمية الذين يقولون بذلك في الحاكم والحلاجية الذين يقولون بذلك في الحلاج.. ومن هؤلاء من يقول بذلك في بعض النسوان والمردان وبعض الملوك وغيرهم ، فهؤلاء كفرهم شر من كفر النصارى الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم ، ثم قال : .. وأقوال هؤلاء شر من أقوال النصارى ، وفيها من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى ، ولهذا يقولون بالحلول تارة وبالالاتحاد أخرى ، وبالوحدة تارة ، فإنه مذهب متناقض في نفسه ولهذا يلبسون علي من لم يفهمه))^١ .

المطلب الثاني

مفهوم التوحيد عند البرهانية

يقرر محمد عثمان عبد البرهاني مفهوم التوحيد لديه ولدي الصوفية ، وذلك في حوار دار بينه وبين شخص آخر من أتباع الطريقة درس علم التوحيد في الأزهر بمصر فيقول : ((أحد أبناء الطريقة السودانيين كان قد درس بالأزهر لفترة طويلة ثم جاء إلى السودان وطلب مني أن أعلم الأخوان علم التوحيد ، فقلت له : يا أخي وهل التوحيد يدرس ؟ فقال : لقد تخصصت في هذا العلم ودرسته ما يقرب من عشرين عاماً . فقلت له : هل تأذن لي بسؤال ؟ قال : تقضل يا شيخنا . قلت له عندما ذهبت إلى مصر ، هل كان الله واحد ؟ قال نعم قلت وعندما درست عشرين عاماً وأتيت ألا يزال واحداً أم أكثر ؟ قال إنه واحد لا شريك له . قلت وما الذي استفدته من دراستك ؟ قال لا شيء . قلت توحيدينا نحن الصوفية غير توحيدك الذي تعنيه وتقوم بتدريسه . فقال وما معني توحيدكم ؟ قلت التوحيد لدينا يعني خلع النعلين . قال ماذا تقصد ؟ قلت أعني بخلع النعلين الدنيا والآخرة وعدم الانشغال بهما وهذا لا يأتي بالتدريس وإنما يأتي بالذكر والمسبحة))¹ . وهذا القول متضمن لعدة أمور وهي كالآتي :

أولاً : استخفافه بعلم التوحيد الذي هو من أشرف العلوم وذلك لشرف معلومه إذ العلم يشرف بشرف المعلوم ، وموضوع علم التوحيد هو البحث في الإيمان بالله سبحانه ومتعلقاته ، وقد يطلق عليه علم العقيدة من باب إطلاق الكل على الجزء إذ التوحيد هو أهم مباحث علم العقيدة ، وهو محتاج لدراسة وتعلم كغيره من العلوم الشرعية ، الفقه والتفسير والحديث ، ولا يمارى في ذلك إلا مبطل . والأمر بتعلم التوحيد جاء في كثير من نصوص القرآن والسنة ، منها قوله تعالى : ((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ))² والأمة في ذلك تبع له وقوله تعالى : ((وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ))³ ، والشهادة بالحق أي بلا إله إلا الله ، وهم يعلمون أي بمعناها ، قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في تفسير الآية : ((إلا من شهد بالحق)) وهو أن يشهد أن لا إله إلا الله ((وهم يعلمون)) بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم

¹ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ١٣٦ .

² سورة محمد (١٩) .

³ سورة الزخرف (٨٦) .

وهذا مذهب الأكثرين منهم قتادة^١ .ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ))^٢ .

ثانياً : حصره لموضوع علم التوحيد في معرفة أن الله واحد فقط ، مما لا يقول به طالب علم فضلاً
عن منتسب إلى العلماء. إذ أن من مواضع علم التوحيد عبادة الله سبحانه وحده ، ومعرفة
معاني الأسماء والصفات وبقية أركان الإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر
وتفاصيل ذلك .

ثالثاً : وقوع التناقض في قول المحاور بأنه درس التوحيد عشرين عاماً وتخصص فيه ، ثم قوله لم
يستفد شيئاً ، مما يشكك في صحة هذا القول الأخير والتصرف في قول القائل لإظهار
الانتصار للنفس.

رابعاً : تضليله لأتباعه بمنعهم تعلم التوحيد الشرعي الصحيح ، وذلك بالتقليل من شأنه ، وتثبيط
الشخص الذي يريد تدريس التوحيد للأتباع ، بأن هذا ليس هو التوحيد الذي يسعى الصوفية
لتعلمه ، بل للتوحيد لديهم مفهوم آخر .

خامساً : اعترافه بأن للصوفية مفهوم خاص للتوحيد ليس لبقية المسلمين وهذا المفهوم الذي يدعيه
مع منافاته ومجانبته للمفهوم الشرعي الصحيح للتوحيد فقد تضمن على كثير من الأمور
الباطلة منها :

(أ) تعريفه للتوحيد بأنه خلع النعلين ، ترك الدنيا والآخرة وعدم الانشغال بهما تعريف باطل تضمن
علي مخالفات شرعية : منها أن ترك الدنيا وعدم الانشغال بها يعني ترك العمل المشروع
بأقسامه من مباح ومستحب وواجب وقد أمر الله سبحانه بالعمل بجميع أقسامه فقال : ((وَقُلْ
اعْمَلُوا فَمَا يَسِّرِ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ))^٣ علي أن لا يشغل مباح عن مستحب ولا
مستحب عن واجب . ويقول سبحانه : ((وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ))^٤ .
ويقول سبحانه في وصف صفات أهل الإيمان : ((وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا
وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا))^٥ . فالباغت لهم على العمل

^١ زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن ابن الجوزي، طبع المكتب الإسلامي بيروت بدون تاريخ طبع أو رقم طبعة، ج ٧ / ٢٣٤

^٢ أخرجه مسلم في صحيحه ، في كتاب الإيمان باب رقم ١٠ الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ج ١ / ٥٥
حديث رقم ٢٦ .

^٣ سورة التوبة (١٠٥) .

^٤ سورة الزخرف (٢٢) .

^٥ سورة الإنسان (٩ - ١٠) .

الصالح خوف الله تعالى وطالب النجاة من عذاب الآخرة . ويقول صلى الله عليه وسلم :
((اعْمَلُوا فِكْلٌ مِّيسِرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ))^١.

(ب) إلغاؤه للمفهوم الشرعي للتوحيد والذي دلت عليه نصوص القرآن والسنة .
سادساً : جعله توحيدهم هذا ينال بالذكر والمسبحة ، والحق أن الذكر ولو كان شرعياً لا يوصل
ولا يكون وسيلة لتعلم التوحيد الذي يعنونه ، وأما أن يكون ذكراً مبتدعاً فإنه سيورث عملاً
وعلماً مبتدعاً وباطلاً كتوحيدهم هذا .

سابعاً : التعريف الشرعي الصحيح للتوحيد هو : ((أفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً
وصفات وأفعالاً))^٢ وهو تعريف جامع ومتضمن لأقسام التوحيد الثلاثة والتي قسمت
بالاستقراء لنصوص القرآن الكريم وهي توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء
والصفات ، وهذا التوحيد لا ينال بمجرد الذكر فقط ، ولو كان شرعياً ، وإنما ينال بالتعلم
والدرس إضافة إلي النظر والتفكر في مخلوقات الله سبحانه ونعمه .
ويقول محمد عثمان عبده : ((لا يعرف الله إلا الله تعالى ولا يعلم توحيد الله إلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم))^٣ . وبطلان القول يغني عن الحديث عنه .

^١ أخرجه البخاري في كتاب الجنائز (٢٣) باب موعظة المحدث عند القبر حديث رقم (١٢٦٢) ، ومسلم في كتاب القدر باب رقم (١)
حديث رقم ٢٦٤٧ ، عن علي رضي عنه .

^٢ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأنوار الأثرية شرح الدرّة المضبية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن الحاج أحمد بن سالم السفاريني، مع
تعليقات للشيخين عبد الرحمن أبا بطين وسليمان بن سمحان ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، بيروت ، المكتب الإسلامي، ج ١ / ٧٥ ،
والتعريف له ، والمقصود بالمعبود الله سبحانه وتعالى .

^٣ تيرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٢٨٤ .

المطلب الثالث

عقيدة البرهانية في أسماء الله الحسنى

تسمية البرهانية الله سبحانه بما لم يسم به نفسه :

يسمى البرهانية الله سبحانه وتعالى بما لم يسم به نفسه ، فمن ذلك ما ورد في شرح الأوراد :
((أما معني لمقنجل فهي مختصر للتهاطيل السبعة وهي أسماء إلهية قديمة سبعة (لهطهطيل ، مهطهطيل ، وقهطهطيل ، فهطهطيل ، نهطهطيل ، جهطهطيل لهطهطيل))^١ .

وما ورد في مجموعة الأوراد في القصيدة المسماة (بتوسل السادة البرهانية)
وَيَا سَقَّاطِيسُ صَاحِبُ الْحَمْدِ وَالثَّنَا عَظِيمُ سَقَّاطِيمٌ وَكَافِي الْبَرِيَّةِ
أَكُونُ وَقَافٌ مَعَ أَدَمٍ لَنَا رِضَاكَ وَهَبْنَا مِنْكَ فَيْضَ الدَّرَايَةِ^٢

فمن المعلوم أن صاحب الحمد والثناء المدعو في هذه الأبيات هو الله سبحانه وتعالى وهو كافي البرية إخباراً فسموه بـ (سقاطيس وسقاطيم وأحون وقاف وأدم) والدليل علي أن المدعو واحد ما ورد في البيت الثاني آدم لنا رضاك وهبنا منك فيض الدراية.
ومن ذلك تسميتهم الله سبحانه بالضمير (هو) وقولهم أن هذا الضمير اسم من أسمائه سبحانه وتعالى .

وقد ورد في شرح الأوراد في شرح صلاة بن بشيش : ((قال (هو) اسم إلهي ولكن أهل اللغة يرون أنه اسم إشارة))^٣ .

وورد في شرح آخر للأوراد لنفس الصلاة السابقة : ((يعترض البعض علي الصوفية في كون (هو) اسم الهي يصح به الذكر ويستدلون علي ذلك بأنه للغائب ، فما القول في ذلك ثم رجح المصنف أن (هو) من أسماء الله سبحانه بقوله : ((أنظر إلى قوله تعالى : (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))^٤ أنظر إلى (هو) في الآية فلو حذفها لاستقام الكلام بدونها غير أنه كلام رب العالمين فلا حذف ولا إضافة وإنما هي مذاكرة ، فإذا أثبتته لابد وأن يدل علي العملية بذاتها فهو إذاً اسم إلهي^٥ ، ومن ذلك تسميتهم له سبحانه بالحروف يقول محمد عثمان عبده البرهاني وهو يتحدث عن الاسم (الله) : ((وقال بعض الأفاضل معني كونه ، جامعاً لجميع الأسماء

^١ شرح أوراد الطريقة البرهانية الدسوقية ص ١١ .

^٢ المصدر السابق ص ١١١ .

^٣ شرح أوراد الطريقة البرهانية ص ٦٧ .

^٤ سورة البقرة (٣٧) .

^٥ أنوار الأيمن في شرح الأوراد ص ١٣٤ - ١٣٤ .

أن الحرف الواحد منه يدل عليه تعالي كالألف من الاسم الشريف تنطق به (أ) وهي لغة كل طفل عند إرادة النطق ولغة المريض وهي الأنين في المرض فيكون التجاؤه إليه تعالي من غير إدراك ومعناها (أَلِلَّةٌ مَعَ اللَّهِ)^١ أو ((ءَ اللَّهِ أَدْنَى لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ))^٢ وكذا آخر حرف من الاسم الشريف كالهاء (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)^٣ وكذا إذا ضممت حرفين من الاسم الشريف كالألف والهاء (آه) وهو ذكر المستغرق وهو فضلاً عما قدمنا من لفظ الجنين والمريض كما قال :

آه وآه وآه ثم آها آها قَدْ أَبَدَعَ الْأَجْنَاسُ ثُمَّ بَرَّأَهَا^٤

وقد حصر بعضهم أسماء الله سبحانه وتعالى في سبعة أسماء فقط وهي (الْكَيُّ كَيَّ نَيِّبٌ ، الْكَا كَزَّكِيٌّ ، الطَّهْقِيكِيُّ ، الْقَدَجِيُّ هُوَ اللَّهُ ، الْغَيْهَجَكِيكِيُّ ، الْقَهْكَاكِيُّ ، الْقَهْيَا هَاءٌ آمِينَ)^٥ .
ولعل هي المقصودة في قول محمد عثمان عبده : ((وبعد انتهائي من الأسماء السبعة أمرني سيدي إبراهيم بالامتناع عن قراءة الأوراد))^٦

ومن تسميتهم ووصفهم الله سبحانه بما لم يسم أو يصف به نفسه ما ورد في أوراد الطريقة البرهانية : ((كَبِدٍ كَبِدٍ كَرْدَدٍ كَرْدَدٍ كَرْدَدِهِ كَرْدَدِهِ دَهْ دَهْ دَهْ دَهْ رَبُّ الْعِزَّةِ))^٧ و ((بِهَيَاتِ بِيَهَيَاتِ الْقَدِيمِ الْأَزَلِيِّ))^٨ .

وقبل الانتقال إلى عقيدة أخرى في الأسماء يجدر بنا الوقوف مع ما سبق من عقيدة لبيان بعض الأمور المتعلقة بها وفقاً لقواعد الأسماء الحسنی^٩ وهي كالآتي :

القاعدة الأولى : التعريف بأسماء الله الحسنی وهي : ((كلماته الدالة علي ذاته المتضمنة إثبات صفات الكمال له بلا مماثلة وتنزيهه عن صفات النقص والعيب))^{١٠} .

^١ سورة النمل (٦٠) .

^٢ سورة يونس (٥٩) .

^٣ سورة الحشر (٢٢) .

^٤ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

^٥ مقابلة شخصية مسجلة مع مصطفى عوضون يعقوب شيخ الطريقة البرهانية بمدينة بحري بزوايصة الطريقة بمنزله ، بتاريخ ١٧ / ٦ / ٢٠٠١ م .

^٦ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ١٦ .

^٧ أوراد الطريقة البرهانية ص ٢١ .

^٨ المصدر السابق ص ٢٣ .

^٩ هذه القواعد مأخوذة من بدائع الفوائد ابن قيم الجوزية ، دار الفكر للطباعة والنشر ، والتوزيع بدون تاريخ الطبع ورقم الطبع ج ١ / ١٥٩ - ١٧٠ ، ومدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ج ١ / ٥٢ - ٥٤ ، وانظر القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی ، الشيخ محمد صالح العثيمين ، الإحساء دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ص ٦ - ١٧ .

وقد دل علي ذلك أمران :

الأول : أصل الوضع اللغوي : فالاسم لغة : هو اللفظ الموضوع للدلالة علي مسماه سواء كان هذا المسمي ذاتاً أو صفة فالأول كالعالم فهو دال علي ذات متصفة بالعلم والثاني كالعلم فهو دال علي صفة ، والمراد باللفظ : الصوت المشتمل علي الحروف وما كان كذلك فإنه يكون من جملة الكلام الذي لا بد له من متكلم به ولا يصح الخروج عن هذه الدلالة اللغوية إلا بدليل فإن القرآن أنزل بلسان عربي مبين .

الثاني : الدليل من السنة : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : ((أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ))^١.

القاعدة الثانية : أسماء الله سبحانه كلها حسني كما قال تعالى: ((وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا))^٢، ومعني حسنها تضمنها لصفات كاملة لا نقص فيها فالحسن يحصل باعتبار ما تضمنته من المعاني الكاملة وعلي ذلك فهي ليست جامدة .

القاعدة الثالثة : أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف وأعلام باعتبار دلالتها علي الذات وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني فهي بالاعتبار الأول مترادفة لدالتها علي مسمي واحد وهو الله سبحانه وتعالى وبالاعتبار الثاني متباينة لدلالة كل واحد منها علي معناه الخاص فالحي والتقدير والسميع كلها أسماء لمسمي واحد وهو الله سبحانه لكن معني الحي غير معني التقدير ومعني التقدير غير معني السميع.

القاعدة الرابعة : أسماء الله تعالى توقيفية علي ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزداد فيها ولا ينقص ولا طريق إلي معرفة إثباتها إلا الوحي، والعقل وحده لا يدرك ما يستحقه سبحانه من أسماء حسني ، وقد أمر الله الإنسان بقوله: ((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا))^٣. وحرّم سبحانه القول عليه بغير علم فقال: ((قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلْتَمِ الْبَغْيَ بَغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا

^١ منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، الدكتور خالد عبد اللطيف بن محمد نور، مكتبة الغرابة الأثرية المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م ، ج ٢ / ٣٩١ .

^٢ أخرجه أحمد في المسند ج ١ / ٣٩١ - ٢٦٧ / ٥ - ١٥٣ / ٦ ، والحاكم في المستدرک ج ١ / ٥٠٩ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ / ١٣٧ : ((رجال أحمد وأبو يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وثقه ابن حبان)) وحسنه ابن حجر في تخريج الأذکار ، أنظر ملخصه للنووي ص ١٦٦ .

^٣ سورة الأعراف (١٨٠) .

^٤ سورة الإسراء (٣٦) .

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ))^١. وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى^٢: ((أسماء الله تعالى علي التوقيف))^٣ ومما يدل على منع تسمية الله بما لم يسم به نفسه انه يمنع تسمية النبي صلي الله عليه وسلم بما ليس من أسمائه بل يمنع تسمية غيره بغير اسمه فأولى أن يمنع تسمية الله بما لم يسم به^٤، والأسماء المذكورة غير عربية والقرءان عربي مبين وأسماء الله أوصاف لها معاني فإذا يقال في مهطه يطل وبقية الأسماء التي معه؟ وأما باب الإخبار فهو واسع فيجوز أن نخبر عنه سبحانه بغير أسمائه التوقيفية علي أن لا يتضمن الخبر تنقيصاً ولا يكون في مقام التسمي والدعاء : ((ويفرق بين دعائه والإخبار عنه فلا يدعي إلا بالأسماء الحسنى))^٥ ويشترط في باب الإخبار عنه سبحانه باسم لم يرد أن يكون حسناً لا تنقيص فيه له سبحانه ويأتي ذلك لتحقيق أمور وهي :

الأمر الأول : لإثبات معنى يستحقه نفاه عنه ناف لما يستحقه من الصفات وذلك مثل القديم وواجب الوجود والذات إلي الخ ° .

الأمر الثاني : لنفي ما تنزهه الله عز وجل عنه من العيوب والنقائص مثل بائن من خلقه فهي لنفي وحدة الوجود والحلول والاتحاد .

الأمر الثالث : لإثبات معني يستحقه لا يستعمل إلا مقروناً مع غيره ليفيد الحسن التام في المعنى وذلك مثل الضار والنافع^٦ .

وبناءً علي ما سبق من قواعد فإن تسمية البرهانية لله سبحانه وتعالى بما لم يسم به نفسه إلحاد في أسمائه الحسنى وصفاته العلى .

والإلحاد هو : العدول عن الحق وإدخال ما ليس فيه منه^٧، ويمكن حصر أنواع الإلحاد في أربعة أنواع^٨ وهي :

^١ سورة الأعراف (٣٣) .

^٢ هو الحسين بن مسعود أبو محمد الفراء ، أحد أئمة الشافعية ، يلقب بحمي السنة ، له عدة مؤلفات منها : ((شرح السنة)) وتفسير للقرءان الكريم يسمى ((معالم التنزيل)) توفي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م ، أنظر لترجمته : ((سير أعلام النبلاء ج ١٩ / ٤٣٩)) .

^٣ معالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الجرشي ، دار الرياض ١٤٠٩ هـ ، ج ٣ / ٣٠٧ .

^٤ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٦ / ٢٤٦ .

^٥ درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د . محمد رشاد سالم ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، ج ٤ / ١٤٠ .

^٦ بدائع الفوائد أبو بكر بن قيم الجوزية ج ١ / ١٦٧ .

^٧ القاموس المحيط ، الفيروزآبادي، ص ٤٠٤ ، مادة لحد ، ومعالم التنزيل البغوي ج ٣ / ٣٠٧ .

^٨ بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية ج ١ / ١٦٩ - ١٧٠ ، والقواعد المثلى، الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ١٦ - ١٧ .

النوع الأول : إنكار الأسماء الحسنى أو بعضها أو ما دلت عليه من الصفات والمعاني قال ابن عباس رضي الله عنهما : (الإلحاد التكذيب) ^١ وقال قتادة ^٢: (يلحدون في أسمائه) ^٣، يكذبون فيها ^٤.

النوع الثاني: تشبيه ما تضمنته أسماء الله من الصفات بصفات خلقه ومعلوم أن التشبيه باطل لقوله تعالى : ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) ^٥. وتشبيه أسماء الله الحسنى بأوصاف الخلق ميل بها إلي الباطل ولاشك أن ذلك من الشرك لذلك فسر بعض الأئمة الإلحاد بالشرك وقال قتادة : (يلحدون) يشركون . وقال عطاء ^٦: (الإلحاد : المضاهاة) ^٧.

النوع الثالث : تسمية الله بما لم يسم به نفسه وقد تقدم أن الأسماء الحسنى توقيفية فإدخال ما ليس فيها منها ولو كان المعنى حسن إلحاد فيها ويكون الإلحاد بهذا النوع أشد إذا كان ما أدخل فيها دالاً علي معني باطل يتنزه الله سبحانه كتسمية النصارى له أباً وتسمية الفلاسفة إياه العلة الفاعلة في هذا يقول الأعمش ^٨: بعد أن قرأ يلحدون ^٩ ينصب الياء والحاء من لحد قال : ((تفسيرها : يدخلون فيها ما ليس منها)) ^{١٠}.

^١ أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان ج ٩ / ١٣٤ ، وذكر السيوطي في الدر المنثور ج ٣ / ١٤٩ أنه أخرجه عنه كذلك ابن المنذر وابن أبي حاتم .

^٢ هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي ، البصري ، إمام حافظ مفسر ، ولد سنة (٦٠هـ / ٦٨٠م) ، وتوفي سنة (١١٧هـ / ٧٣٥م) ، أنظر لترجمته : ((سير أعلام النبلاء ج ٥ / ٢٦٩)) .

^٣ سورة الأعراف (١٨٠) .

^٤ قال السيوطي في الدر المنثور ، أخرجه عبد بن حميد ، وابن أبي الشيخ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ ، ج ٣ / ١٤٩ .

^٥ سورة الشورى (١١) .

^٦ هو عطاء بن أبي رباح ، أحد التابعين الحفاظ ، ولد في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وتوفي سنة (١١٥هـ / ٧٣٣م) ، أنظر لترجمته : ((سير أعلام النبلاء ج ٥ / ٧٨)) .

^٧ ذكر السيوطي في الدر المنثور ج ٣ / ١٤٩ ، أنه أخرجه عنه ابن أبي حاتم .

^٨ هو سليمان بن مهران ، مقريئ ومحدث ، ولد سنة (٦١هـ / ٦٨١م) ، توفي سنة (١٤٨هـ / ٧٦٥م) ، أنظر لترجمته : ((سير أعلام النبلاء ج ٦ / ٢٢٦)) .

^٩ وهي قراءة متواترة قرأ بها حمزة في الموضعين من القرآن ، في سورتي (الأعراف والنحل) وواقفه الكسائي في النحل ، وقرأ الباقر بن بضم الياء وكسر الهاء فيهما ، أنظر تفسير البغوي ج ٢ / ٢١٧ .

^{١٠} ذكر السيوطي في الدر المنثور ج ٣ / ١٤٩ ، أنه أخرجه عنه ابن أبي حاتم .

قال الإمام البيهقي: ((قال أهل المعاني: الإلحاد في أسماء الله: تسميته بما لم يتسم به ولم ينطق به كتابه ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم))^١ وهذا النوع من الإلحاد هو الذي وقع فيه البرهانية بتسميتهم الله سبحانه بما لم يسم به نفسه من أسماء قبيحة لم يتسم بها البشر فضلاً عن الله تعالى المنزه عن كل نقص وعيب .

النوع الرابع: اشتقاق أسماء الأصنام والأوثان من أسماء الله الحسنى ذلك لان أسماء الله الحسنى مختصة به إذ قال الله تعالى: ((وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى))^٢ . ففعل ذلك أي الاشتقاق عدول بها عما يجب فيها قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية ((اشتقوا العزى من العزيز واشتقوا اللات من الله^٣ فسمى ذلك إلحاداً في أسمائه وقال مجاهد^٤: ((اشتقوا العزى من العزيز واشتقوا اللات من الله))^٥ وقد فعل المشركون ذلك تعظيماً لألهتهم ورفعاً لها إلي مقام الألوهية أما لفظ الضمير هو الذي يقول البرهانية أنه من أسماء الله الحسنى فهو من ضمائر الإشارة لا يفيد معناً بمفرده ولكن يشار به إلي أسماء الله سبحانه كما يشار إلي غيره من الأسماء وقد قال تعالى في شأن الشيطان: ((إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ))^٦ .

إنكار البرهانية بعض أسماء الله الحسنى :

ينكر البرهانية بعض الأسماء الحسنى الثابتة لله سبحانه وتعالى فمن ذلك إنكارهم لاسم (السيد) ومما يدل على إنكارهم لهذا الاسم قول محمد عثمان عبده: ((إنه ليس من بين أسماء الله سبحانه اسم السيد))^٧ ويذكر محمد عثمان عبده في حوار له مع أحد الوهابية عندما أنكر إطلاق لفظ (السيد) علي أحد المشايخ ، والشاهد من الحوار قوله: ((أيها المسلمون أليس فيكم من يحفظ الأسماء الحسنى؟ وقال معظمهم نحن نحفظها قلت وهل فيها اسم السيد فقالوا لا ثم وجهت حديثي إليه (يعني الوهابي) فقلت له يا هذا ألا تستحي أن تسمي الله كما تحب))^٨، ثم ذكر بعض النصوص التي أطلقت لفظ السيد علي غير الله سبحانه منها قوله في

^١ معالم التنزيل ، البيهقي ج ٣ / ٣٠٧ .

^٢ سورة الأعراف (١٨٠) .

^٣ ذكر السيوطي في الدر المنثور ج ٣ / ١٤٩ ، أنه أخرجه عنه ابن أبي حاتم .

^٤ هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي ، كان إماماً في التفسير ، مقدماً فيه علي كل من أخذ . عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، توفي سنة ١٠٢ هـ ، تقريباً ، أنظر لترجمته : ((سير أعلام النبلاء ج ٤ / ٤٤٩)) .

^٥ أخرجه عنه ابن جرير الطبري ج ٩ / ١٣٣ .

^٦ سورة الأعراف (٢٧) .

^٧ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٥ .

^٨ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ١٢٥ .

شأن يحيى عليه السلام : ((فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ))^١ ،

وقول النبي صلي الله عليه وسلم : ((الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ))^٢ وقد ثبت في السنة أن السيد اسم من أسماء الله فعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال : ((انطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا أَنْتَ سَيِّدُنَا فَقَالَ السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقُلْنَا وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمَنَا طَوْلًا فَقَالَ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجِرُّ بِكُمْ الشَّيْطَانُ))^٣ . ومن ذلك إنكار اسم الله (الشهيد) في قول محمد عثمان عبده بعد أن ذكر قوله تعالى : ((قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهْدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ))^٤ قال : ((فكيف يكون الله شهيداً ؟ أليس اسمه شيئاً هاهنا))^٥ . وفي كلامه استفهام إنكاري ينفي فيه أن يكون الشهيد اسم لله تعالى ومع هذا فقد سمي الله سبحانه (شيئاً) ومما لا شك فيه أن إنكار هذين الاسمين يعتبر إلحاداً في أسمائه سبحانه إن كان عن قصد وعلم ، وهو من النوع الأول من أنواع الإلحاد كما سبق بيانه وأما إطلاق لفظ السيد علي غير الله سبحانه فيفهم بناءً على قاعدة أن أسماء الله علي نوعين :

(أ) نوع لا يسمى به إلا الله سبحانه كالله والرحمن فهذه اختص الله بكمالها وإطلاقها فلا يشركه في ذلك غيره .

(ب) النوع الثاني يسمى به الله سبحانه غيره ولكن عند الإطلاق تنصرف إليه كالمملك والعزير والسيد فيختص الله بكمال هذه وإطلاقها ، وما سمي به المخلوق منها فإنها تتضمن صفات تتناسب حال المخلوق من الضعف والنقص وليس له الكمال المطلق فيها .

وعلي هذا تكون أسماء الله سبحانه حقيقة في الخالق ، وأسماء المخلوقين حقيقة فيهم فجميع أسماء الله وصفاته يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق

^١ سورة آل عمران (٣٩) .

^٢ أخرجه أحمد ج ٣ / ٣ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٨٢ ، وج ٥ / ٣٩١ ، ٣٩٢ ، والترمذي في المقدمة ج ١ / ١١ ، وأبو يعلى ، والطبراني ، وابن حبان ، والحاكم ، والضياء المقدسي ، وصححه السيوطي ، والألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ج ٢ جزء ٣ ص ٩٩ حديث رقم ٣١٧٥ .

^٣ أخرجه ابوداود (معالم السنن ج ٤ / ١١٢) ، وفي كتاب الأدب (باب كراهة التماذج) ، ج ٥ / ١٥٤ ، حديث رقم ٤٨٠٦ ، وأحمد في المسند ج ٤ / ٢٥ ، وابن السني في عمل اليوم والليلة حديث رقم ٢٤٧ ، كلهم عن عبد الله بن الشخير ، وقال الألباني وإسناده صحيح على شرطهما ، (تخريج إصلاح المساجد ص ١٣٩) .

^٤ الأنعام (١٩) .

^٥ قبس من نور ، محمد عثمان عبده، ص ١٢٨ .

وما دل عليه بالإضافة والاختصاص المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه^١.

فقد سمي الله سبحانه نفسه بالرؤوف الرحيم فقال: ((إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ))^٢ وسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤوف الرحيم فقال: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ))^٣ وليس الرؤوف كالرؤوف، ولا الرحيم كالرحيم .

وسمى نفسه الملك فقال: ((الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ))^٤؛ وسمى بعض عباده بالملك فقال: ((وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤَنِّى بِهِ))^٥ وليس الملك كالملك^٦ ويقول محمد عثمان عبده: ((وحاصل الأمر أن النبي صلى الله عليه وسلم يعرف الله حق المعرفة ويعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون إلي يوم القيامة لأنه متخلق بالأسماء الإلهية الحسنى ولا يخرج عن دائرتها شيء))^٧.

وعليه يقال إن إطلاق اسم السيد علي غيره سبحانه لا يمنع من تسمى الله به علي أن لا تكون صفات السيد في الخالق هي نفس صفات السيد في المخلوق .

تسمية البرهانية لغير الله بأسماء الله تعالى المتضمنة لصفاته الكاملة :

تقدم القول بأن أسماء الله سبحانه وتعالى أعلام وأوصاف ، فالبرهانية يسمون غير الله بأسمائه تبارك وتعالى المتضمنة لصفات الكمال المطلق ، ويعطون^٨ المخلوق تلك الصفات المختصة به سبحانه ، ومما لا شك فيه أن ذلك إحداد في أسمائه سبحانه وهو من النوع الثاني ، فمما ورد في ذلك ما نقله محمد عثمان عبد البرهاني عن محي الدين ابن عربي وهو يتكلم عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ((فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ... فحصل له التخلق والنسب الإلهي...))^٩.

^١ التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد بن عودة السعوي ، طبع شركة العبيكان للطباعة والنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ٢٢ .

^٢ سورة البقرة (١٤٣) .

^٣ سورة التوبة (١٢٨) .

^٤ سورة الحشر (٢٣) .

^٥ سورة يوسف (٥٠) .

^٦ التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة ، تحقيق ودراسة د . عبد العزيز إبراهيم الشهوان ، دار الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، ج ١ / ٥٩ - ٨١ ، الرسالة التدمرية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٢٣ .

^٧ تبرئة الذمة في نصح الأمة، محمد عثمان عبده ص ٢٨٣ .

^٨ المصدر السابق ص ٢٤٤ .

ومنه أيضاً ما أورده محمد عثمان عبد البرهاني في حوار له مع أحد الأشخاص فقال:
 (فقال لي (يعني الشخص المحاور) إنكم يا شيخ محمد تتوسلون بالأولياء .. وينادى أحدكم السيد
 الحسن مع أنه منتقل ويعتقد أنه يأتيه . قلت هذا أمر اعتاد عليه كل منا فقال ولماذا لا يقول أحدكم :
 يا الله. قلت :وما الضررُ قولنا يا حسن ؟ فقد يكون قولنا يا حسن أجدى من قولنا يا الله .فقال كيف ؟
 وبدا الضيق يلوح علي وجهه . قلت :هب أنني من الأولياء وأريد أن أرزق بولد فقلت: يا الله أريد
 ولداً : فيقول لي ، لقد قلت في كتابي : ((قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ أَلْمَلِكِ تُوْتِي أَلْمَلِكُ مَن تَشَاءُ))^١ فالملك كله
 أعطيته لحسن هذا فاذهب واطلب منه. فأقول : يا حسن هب لي ولداً فيعطيني، وأقول لك إنني لا
 أقصد حسناً أي حسن ولكنني أقصد السيد الحسن الخليفة المتصرف بالأسماء الإلهية في ملك الله
 بإذن الله فالاستغاثة بالأولياء لا تقل عن الاستغاثة بالأسماء الحسنى، فالولي جامع للأسماء الحسنى
 الإلهية التسعة والتسعين وقد منحه الله التصرف بها)^٢ .

تضمن هذا الحوار علي عدد من الأقوال الكفرية الصريحة وفيما يلي بيانها :

أولاً : تجويس دعاء غير الله سبحانه والاستغاثة به ودعاء غير الله كفر أكبر مخرج من الملة لقوله
 تعالى: ((وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الْكٰفِرُونَ))^٣ وقوله تعالى: ((إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا
 لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ))^٤ ، ودعاء غير الله سبحانه شرك به .

ثانياً : الجرأة علي قول الكفر في تصريحه بأن دعاء المخلوق أفضل من دعاء الخالق ، ولا يخفي
 ما في ذلك من وصفه سبحانه بالنقص والعجز وسوء الأدب معه .

ثالثاً : تسمية المخلوق بأسمائه سبحانه الحسنى المتضمنة لصفاته الكاملة ، وذلك بإعطائه ملك الله
 سبحانه الذي هو من أخص صفات الربوبية ولاشك أن ذلك تأليه للمخلوق بل واعتقاد الربوبية فيه ،
 ونصوص القران كلها تنادي بهدم هذه المقالة ، فقد قال سبحانه : ((أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ))^٥ وقال
 سبحانه : ((وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا
 وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا))^٦ وقوله تعالى : ((إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ))^٧ وقوله تعالى :

^١ سورة آل عمران (٢٦) .

^٢ قيس من نور، محمد عثمان عبده ص ١٣٩ - ١٤٠ .

^٣ سورة المؤمنون (١١٧) .

^٤ سورة المائدة (٧٢) .

^٥ سورة الأعراف (٥٤) .

^٦ سورة الإسراء (١١١) .

^٧ سورة النحل (٤٠) .

((لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهْبُ لِمَنْ يَشَآءُ اِنْتَا وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَآءُ الذُّكُورَ اَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَاِنْتَا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَآءُ عَقِيْمًا اِنَّهٗ عَلِيْمٌ قَدِيْرٌ))^١ وهذه الآية تهدم المثال الذي مثل به محمد عثمان من أنه سبحانه اتخذ وكيلاً في الأرض بإعطاء البنين والبنات وقوله سبحانه : ((وَاِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهٗ وَمَا نُنزِلُهٗ اِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُوْمٍ))^٢ وقوله سبحانه : ((اَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيْتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحٰنَهٗ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ))^٣ وقوله سبحانه : ((مَا كَانَ لِیْسْرِ اَنْ یُّوْتِیَهٗ اَللّٰهُ الْكِتٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ یَقُوْلَ لِلنَّاسِ كُوْنُوْا عِبَادًا لِّیْ مِنْ دُوْنِ اَللّٰهِ وَلٰكِنْ كُوْنُوْا رَبّٰیِّیْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ الْكِتٰبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُوْنَ))^٤ ، ومن المعلوم أن صفات الكمال ترجع إلي ثلاثة : وهي العلم ، والقدرة ، والغني ، وهذه الثلاثة لا تصلح علي وجه الكمال إلا لله وحده فإنه الذي أحاط بكل شيء علماً ، فهو علي كل شيء قدير ، وهو غني عن العالمين .

وقد أمر الرسول صلي الله عليه وسلم أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة في قوله تعالى : ((قُلْ لَا اَقُوْلُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اَللّٰهِ وَلَا اَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا اَقُوْلُ لَكُمْ اِنِّي مَلَكٌ اِنْ اَتَّبِعْ اِلَّا مَا يُوْحٰى اِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْاَعْمٰى وَالْبَصِيْرُ اَفَلَا تَتَفَكَّرُوْنَ))^٥ .

((ولم يذكر أحد من العلماء المتقدمين ولا من المتأخرين من الأئمة ولا أتباعهم أن الله يكرم عبداً بأن يلقي إليه مقاليد السموات والأرض يتصرف فيها كيف يشاء يحي ويميت ويسعد ويشقي ويعنى ويفقر ويهدي ويضل بإذن الله أو بغير إذنه ويعلم الغيب ويسمع من بعد من دعاه وكيف يطمع في ذلك من بعد قول الله تعالى لأفضل البشر وأقربهم إليه : ((لَيْسَ لَكَ مِنَ الْاَمْرِ شَيْءٌ))^٦ بعد دعائه إياه بهلاك نفر من قريش فهدي الله النفر بفضلته وجعلهم من أصحاب رسوله ، ومن زعم أن الله جعل من الأمر شيئاً لأحد من خلقه فقد كفر بما أنزل على أنبيائه لقوله تعالى : ((اَلَا لَهٗ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ))^٧ يعني أن الأمر له وحده كما أن الخلق له وحده^٨ .

^١ سورة الشورى (٤٩) .

^٢ سورة الحجر (٢١) .

^٣ سورة الروم (٤٠) .

^٤ سورة آل عمران (٧٩) .

^٥ سورة الأنعام (٥٠) .

^٦ سورة آل عمران (١٢٨) .

^٧ سورة الأعراف (٥٤) .

^٨ الدلائل اليقينية في الفرق بين كرامة الأحياء والأموات، للشيخ محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ طبع مطبعة

رابعاً: إساءة فهمه للآية وهي قوله تعالى: ((قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ))^١ ، وتفسيره للملك الذي يعطيه الله سبحانه وتعالى للعبد هو ملكه تعالى المطلق ، وهو ما لم يقل به أحد من أئمة التفسير، فقد قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ((اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ)) أي لك الملك كله تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، أي أنت المعطي وأنت المانع وأنت الذي ما شئت كان وما لم تشاء لم يكن وفي هذه الآية تنبيه وإرشاد إلي شكر نعمة الله تعالى علي رسوله وعلي هذه الأمة لأن الله تعالى حول النبوة من بني إسرائيل إلي النبي العربي القرشي الأمي المكي ولهذا قال : ((قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ)) الآية أي أنت المتصرف في خلقك الفعال لما تريد))^٢ .

ومثل الحوار السابق حوار آخر يدل علي إلحادهم في أسماء الله الحسنى وجرأتهم علي التصريح بقول الكفر بتنقيص الخالق وتنزيه المخلوق بإعطائه صفات الخالق سبحانه ، فيقول محمد عثمان عبده وهو يروى حواراً وقع مع ابن الفارض عند مقام الحسين (أي قبره) والشاهد من ذلك قوله : ((... فصمت سيدي عمر بن الفارض ثم قال [والمظاهر أن الصواب قام] وخرج من الباب الغربي ، فقابلته رجل يكنى بأبي العشائر وكان موكلاً بحفظ الأحذية ، فقال له : إن بطش ربك لشديد ، فقال سيدي عمر له : ولكن بطشي أشد منه. وتوضيح ذلك أن بطش الرب من مرتبة الربوبية ، بينما سيدي عمر متخلق بالأسماء الإلهية كلها فهو يبطش بالمنتقم))^٣ .

ولا يخفى علي من له أدنى مسكة من عقل ما في هذا القول من الكفر بالله سبحانه ، الذي يستتاب قائله ، بعد إقامة الحجة التي يكفر تاركها عليه ، إن لم يتب حيث وصف الله سبحانه بالعجز والنقص ، وسلب منه أسماء الحسنى الدالة علي أوصاف الكمال ، وأعطاه للمخلوق الضعيف الناقص ، وظاهر قوله أن العبد متصف بالأسماء الحسنى كلها علي وجه الكمال وأن الرب سبحانه ليس كذلك ، وقوله هذا يدل علي أحد أمرين :

(أ) الجراءة علي قول الكفر وذلك بعد علمه بمعني ما يقول .

(ب) الجهل المفرط ، الذي حملة علي القول علي الله بغير علم .

أما الأول فقد سبق الإجابة عليه وأما الثاني فقد قال الله عز وجل: ((قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمَ وَالْبَغْيَ بغيرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ

^١ سورة آل عمران (٢٦) .

^٢ تفسير القران العظيم الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير ج ١ / ٥٢٤ .

^٣ قيس من نور، محمد عثمان عبده ص ١٧٢ - ١٧٣ .

تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ))^١ وقال سبحانه: ((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً))^٢، فثبت بذلك حرمة القول علي الله بغير علم ، والأظهر
الأمر الأول إذ أن ذلك من البديهيات التي لا يسع المسلم جهلها.

وكان القائل يفهم بأن الله سبحانه مراتب في بطشه وأن مرتبة الربوبية أداها ، وهذا التقسيم باطل
لا دليل عليه ، بل الحق خلافه فإن كلمة (بطش) تدل علي الأخذ بالقوة^٣ فإذا أضيفت إليها كلمة
(شديد) زاد الأمر شدة علي شدة ، فكيف يكون أدني من غيره مع هذا وقد ثبت أن الله سبحانه ذكر
أن بطشه شديد في مرتبة الربوبية في كثير من الآيات ولم يذكر أن له بطشاً أشد من ذلك في مراتب
أخرى فقد قال سبحانه: ((وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَعْفَرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ))^٤
، وقال: ((وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ))^٥ وقوله
تعالى: ((يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَخْرَجْتُمُوهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لَقَالُوا لَئِن كُنَّا
عِندَ اللَّهِ لَمَجْرُومِينَ))^٦ ، فثبت بذلك أن بطش الربوبية هو الأشد لا غيره .

ومن ذلك ما نقله محمد عثمان عبده في خطبة الكوفة المنسوبة إلي علي بن أبي طالب رضي
الله عنه فمما ورد فيها قوله: ((أنا مدد الخلائق أنا الأول والآخر والظاهر والباطن ... أنا مفجر
الأنهار ... أنا الرحمن ... أنا منزل الصافات ...))^٧ ، وقد نقل محمد عثمان عبده البرهاني في
كتابه تبرئة الذمة في نصح الأمة، خطبة الكوفة المنسوبة إلي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ،
تلكم الخطبة المليئة بالكفرية ، والتي لا يشك عاقل في كذب نسبتها إلي علي رضي الله عنه، ونقله
لها يدل علي إيمانه بأن البشر يمكن أن يتسموا ويتصفوا بصفات الله سبحانه ، بل وأخص أسمائه
التي لا يجوز إطلاقها علي غيره ، مثل: (الرحمن) ، ونشر مثل هذا الكتاب بما يحوى من ضلال ،
يعد نشرًا للباطل وترويجه بين المسلمين ، ولا يعفيه ولا أتباعه الذين مازالوا يوالون نشر كتابه
وطباعته أنهم مجرد نقلة ، فإن ناقل الباطل الساكت عليه يعد موافقاً عليه ، بل وكيف يفوت عليه
وعليهم إن لم تكن هذه هي عقيدتهم كذب وبطلان هذه الخطبة المنسوبة إلي علي رضي الله عنه
زوراً وبهتاناً؟! فإن مثل هذه الأقوال المنسوبة إليه رضي الله عنه من صنائع الباطنية ، الذين طالماً

^١ سورة الأعراف (٣٣) .

^٢ سورة الإسراء (٣٦) .

^٣ مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مادة بطش ص ٥٦ .

^٤ سورة الرعد (٦) .

^٥ سورة هود (١٠٢) .

^٦ سورة هود (٧٦) .

^٧ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٩٦ .

نسبوا إليه كفرهم وباطلهم حتى يروج علي الدهماء وضعاف العقول من الناس ، وهو برئ مما نسبوا إليه ولا يشك في براءته منها مسلم عاقل .

ومما لا شك فيه أن إطلاق أسماء الله سبحانه على المخلوق بهذا الكيفية يعد إحداه في أسمائه سبحانه ، ومن قال بجواز إطلاق أسمائه سبحانه الحسنی على المخلوق على هذا الوجه ، فقد وقع في الشرك بالله سبحانه والكفر به وذلك بجعله للمخلوق إلهاً مشاركاً لله سبحانه في أسمائه وصفاته .
الاسم والمسمى :

تقدم القول بأن أسماء الله سبحانه هي كلماته ، وبناءً على ذلك فهي غير مخلوقة ، وممن نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال : ((والذي كان معروفاً عند أئمة السنة أحمد وغيره الإنكار على الجهمية الذين يقولون أسماء الله مخلوقة فيقولون الاسم غير المسمى ، وأسماء الله غيره ، وما كان غيره فهو مخلوق ، وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلظوا فيهم القول ، لأن أسماء الله من كلامه ، وكلام الله غير مخلوق ، بل هو المتكلم به ، وهو المسمى لنفسه بما فيه من الأسماء))^١ .

وأما القول بأن الاسم عين المسمى ، فيقال : ليس هو المسمى نفسه ولكنه يطلق ويراد به المسمى^٢ كقولك : سمع الله لمن حمده . وقد يراد به اللفظ كقولك الله اسم عربي^٣ .

ويعتقد البرهانية أن من الأسماء ما لا يصح النطق به، فقد ورد في أنوار الأمين في شرح الأوراد : ((وبعد ذلك هناك اسم الذات العلية وهو الذي نزل لرسول الله صلي الله عليه وسلم في قوله تعالى : ((وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ...))^٤ وهو اسم لا يصح نطقه باللسان أصلاً))^٥ ، والله سبحانه وتعالى يقول : ((وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا))^٦ ولم يقل أحد من أهل العلم بالتفسير بهذا القول ، وغاية^٧ في الآية الأمر بخفض الصوت في الذكر وعدم رفعه^٨ .

والبرهانية يطلقون أسماء الله سبحانه أفاضاً مجردة وكان الأسماء غير قائمة بالذات ، وهو ما لا يستقيم في اللغة التي نزل بها القرآن الكريم فمثال ذلك ، كقول من رأى شخصاً اسمه محمد فإنه يقول: رأيت محمداً ولا يصح أن يقول : رأيت اسم محمد ، ومن المعلوم أن الأسماء أعلام

^١ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٦ / ١٨٥ - ١٨٦ .

^٢ المصدر السابق ج ٦ / ٢٠٧ .

^٣ شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ص ١٣١ .

^٤ سورة الأعراف (٢٠٥) .

^٥ أنوار الأمين في شرح الأوراد ص ١٧٨ .

^٦ سورة الأعراف (١٨٠) .

^٧ تفسير القرآن العظيم الحافظ ابن كثير ج ٢ / ٤٤٥ .

وأوصاف قائمة بذوات لا تتفصل عنها ، وليس للأسماء وجود ولا تصرف منفصلة عن ذواتها ، إذ لا يصح أن يقال : ذهب اسم محمد لمن أراد أن يقول ذهب محمد ، فمما ورد من هذا القبيل عن البرهانية ما جاء في شرح الأوراد : ((ولما تنزل الاسم الله إلى العرش لم يتنزل بلفظة الاسم الله وإنما جاء الاسم الرحمن))^١ ، وفي شرح آخر للأوراد : ((ومعروف أن الاسم المستوى على العرش هو الاسم الرحمن..))^٢ . ففي كل من النصين السابقين الصواب أن يقال : تنزل الله من غير لفظ اسم وإن كان الصواب أن الله لم يتنزل وإنما استوي وليس من معاني الاستواء التنزل وإنما معانيه هي : العلو الارتفاع والصعود والاستقرار^٣ .

وفي النص الثاني الصواب أن يقال : أن المستوي على العرش هو الرحمن بحذف لفظ (اسم) لقوله تعالى : ((الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى))^٤ ، ولم يقل اسم الرحمن على العرش استوى .
أسماء الله تعالى والخلق منها :

تقدم القول بأن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف ، وليست ذوات أو مواد للخلق ، غير أن البرهانية يعتقدون أن أسماء الله تعالى مادة للخلق ، فقد نقل محمد عثمان عبده عن عبد الكريم الجيلي قوله : ((إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خلقوا من أسمائه الذاتية فهي محادثهم ، والأولياء خلقوا من أسمائه الصفاتية فهي محادثهم ، وبقية المخلوقات مخلوقة من أسمائه الفعلية فهي محادثهم))^٥ .

ومن ذلك قول محمد عثمان عبده : ((الملك مخلوق من اسم واحدٍ أو اسمين ولا يعرف الملك غير ما هو مختص به من اسم أو اسمين من أسماء الله سبحانه))^٦ ، ويقول إن آدم قال لجبريل عليهما السلام : ((أنت مخلوق من اسمه العظيم))^٧ . ومما يدل على أنهم يريدون بالخلق من الأسماء أنها مادة للخلق قول أحد المريدين في شرح قول الحلاج (الحسين بن منصور) عندما رأى الهرة في جيبه فقال : ((ما في الجبة إلا الله)) . فقال مفسراً ذلك : ((إن الحلاج رأى الأسماء الإلهية التي كونت منها الهرة فقال قولته تلك))^٨ .

^١ شرح أوراد الطريقة البرهانية ص ٤٤ .

^٢ أنوار الأمين في شرح الأوراد عن سيدي فخر الدين ص ١٠٠ .

^٣ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، طبع المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ ، الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ ، ج ١ / ٤٠٤ .

^٤ سورة طه (٥) .

^٥ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٤٨ .

^٦ تبرئة الذمة ص ٢٧٩ .

^٧ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٢٧٩ ، وأنوار الأمين ص ١٩١ .

^٨ مقابلة شخصية مسجلة مع المرید علي مصطفى عريفي بمنزله بالخرطوم ، الرياض بتاريخ ١٨ / ٤ / ١٤٢٢ هـ - ٩ / ٧ / ٢٠٠١ .

واعتماد أن أسماء الله الحسنى مادة للخلق اعتقاد بأنها مخلوقة ، وقد صرح الأئمة رحمهم الله تعالى بتكفير من قال بخلق الأسماء الحسنى ، وذلك لما ظهرت بدع الجهمية في القول بخلق القرآن فكان قولهم بخلق الأسماء امتداداً لقولهم بخلق القرآن ، لأنهما من كلام الله تعالى ، قال الإمام إسحاق بن راهويه^١: ((أفضوا)) (أي الجهمية) إلى قالوا أسماء الله مخلوقة لأنه كان ولا اسم ، وهذا الكفر المحض^٢. وقال ابن هاني^٣: ((سمعت أحمد بن حنبل - وهو مختف عندي - فسألته عن القرآن فقال : من زعم أن أسماء الله مخلوقة فهو كافر))^٤.

إحصاء أسماء الله الحسنى :

للبرهانية فهم خاص في المقصود بإحصاء أسماء الله الحسنى غير المعنى الذي جاءت به الشريعة وقرره أهل العلم من هذه الأمة ، يقول محمد عثمان عبده : ((قلّة من قلّة فهم الصفوة المختارة الذين يترحلون في مراتب السير في الله أي في باطن الاسم الله بأن يحصوا أسماءه كلها جل وعلا . كما قال تعالى في الحديث القدسي : ((إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ))^٥ وفي حديث قدسي آخر ((مائة إلا واحد))^٦ والإحصاء إنما هو ورود بحر كل اسم من الأسماء الإلهية واحداً بعد الآخر فيسير هؤلاء المصطفون الأختيار ليدخلوا بحر الاسم ((الرحمن)) إذ أن سعة الرحمانية تلي هيمنة الألوهية - كما سنفصل ذلك إن شاء الله في موضعه - وبعد أن يأخذ كل منهم حظه من حضرة الاسم (الرحمن) ما شاء الله من المعرفة ينتقل إلى الاسم الآخر وهو (الرحيم) وذلك بعد قطع المواطن أو المساحة التي بينهما إذ بين كل اسم وآخر مساحة ، فمثلاً لا بد أن هناك^{تلك} أو مرحلة بين الاسم (القابض) والاسم (الباطن) وكذلك بين الاسم (المحي) والاسم (المميت) . وهذه المساحة هي موطن التدريس من رسول الله صلى

^١ هو إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، الإمام المحدث ، ولد سنة (١٦١ هـ) ، من أئمة أهل السنة الجهادية ، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : ((ما عبر النهر مثل إسحق)) ، توفي سنة (٢٣٨هـ/٨٥٢م) ، ((سير أعلام النبلاء ج ١١ / ٣٥٨)) و ((تقريب التهذيب ص ٩٩))
^٢ أخرجه عنه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم ، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق د . أحمد سعد حمدان ، دارطبية للنشر والطباعة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م ، ج ٢ / ٢١٤ ، رقم ٣٥٢ .

^٣ هو إسحاق بن إبراهيم بن هاني ، النيسابوري ، ولد سنة (٢١٨ هـ) ، و هو من أصحاب الإمام أحمد ، له عنه سوالات وقد طبعت ، توفي سنة (٢٧٥ هـ) ، ((سير أعلام النبلاء ج ١٣ / ٩)) و ((طبقات الحنابلة ج ١ / ١٠٨)) .

^٤ أخرجه عنه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، ج ٢ / ٥١٤ ، برقم ٣٥١ .

^٥ أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب إن لله مائة اسم إلا واحد ، ج ٨ / ١٦٩ ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ج ٨ / ٦٣ ، والترمذي في كتاب الدعوات ج ٥ / ٥٢٢ حديث رقم ٣٥٠٨ ، وابن ماجه ، حديث رقم ٣٩٠٦ .

^٥ سورة الشورى (٢٣) .

^٦ الرواية للبخاري ، والحديث ليس قدسياً .

الله عليه وسلم حيث يدرس السائر حقائق توحيد الفطرة وهي المراحل المقصودة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((نَضَّرَ اللهُ وَجْهَ الرَّاجِلِ الْمُتَرَجِّلِ))^١. كما قالوا :
إِلَى الذَّاتِ سِيرِي فِي مَرَاتِبِ أَسْمَاءِ بِصُورَةِ مَرْجِ النَّارِ فِي الْمَاءِ

وذلك لجمع أزدادات الأسماء الإلهية ، لأن المولى تبارك وتعالى يوضح أن الأسماء الإلهية بعضها أزداد بعض بقوله تعالى : ((وَلِلَّهِ جُنُودٌ أَسْمَوَاتٍ وَأَلْأَرْضِ))^٢ فالجنود هنا هي الأسماء الإلهية وقد قالوا :

أَنَا الْهَيْكَلُ الْمَجْمُوعُ فِي كُلِّ حَضْرَةٍ مَقْدَسَةٌ كَالْبَدْرِ فِي جُنْحِ ظُلْمَاءِ

وهكذا يستمر في الترحل من اسم إلى آخر حتى يصل إلى الاسم ((الصبور)) فيعرف مفهومات الأسماء الإلهية وتصاريفها ومقتضياتها وخواصها ومدلولاتها ووجه الله من كل اسم وهذا هو الإحصاء المقصود))^٣. ويقول : ((ولا يعرف كيفية التوسل بأسماء الله الحسنى إلا الصالحون الماهرون بهذا الفن لجمع أسماء الله الحسنى بين الأزداد))^٤. وأما شيخ (محمد عثمان عبده) إبراهيم الدسوقي فيقول : ((وأهل الزمان ما بقي عندهم إلا المنافسة إما يسألون عن معنى الصفات ، أو معنى الأسماء .. فإن علمها طريقه الكشف لا غير))^٥.

وعلى كل فإن المعنى المذكور لإحصاء أسماء الله الحسنى مخالف للمعنى الصحيح الذي عليه الأئمة الأعلام المقتدى بهم من هذه الأمة والمشهود لهم بالفضل والمجمع على جلالتهم ، والمعنى الصحيح لإحصاء أسماء الله الحسنى يحصل بثلاثة مراتب وهي :

(أ) العلم بألفاظها .

(ب) فقه معاني الألفاظ .

(ج) التعبد لله بما تضمنته من معاني .

والتعبد بها يكون بدعاء الله سبحانه وتعالى بها لقوله سبحانه : ((وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا))^٦. والدعاء يكون دعاء ثناء ودعاء طلب ومسألة ، ويكون التعبد لله بالعمل بما دلت عليه من

^١ سبق القول بأنه ليس بحديث وإنما هو من أقوال الصوفية ، ص ٥٩ .

^٢ سورة الفتح (٧) .

^٣ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .

^٤ المصدر السابق ص ٢٦٠ .

^٥ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ١٥١ .

^٦ سورة الأعراف (١٨٠) .

معاني ، وتحقيق ما تقتضيه من فعل المأمورات وترك المنهيات ، والاتصاف بما أمر الله به من صفاتها كالعلم والرحمة والكرم والعفو وغيرها من الصفات الكريمة ، والانتفاء عما نهى الله تعالى عن الاتصاف به من الكبرياء والعظمة والجبروت ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((إن من أسماء الله تعالى وصفاته ما يحمده العبد على الاتصاف به كالعلم والرحمة الحكمة وغير ذلك ، ومنها ما يذم العبد على الاتصاف به كالإلهية والتجبر والتكبر ، وللعبد من الصفات التي يحمده عليها ويؤمر بها ما يمنع اتصاف الرب به كالعبودية والافتقار والحاجة والذل والسؤال ونحو ذلك ...))^١ . ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله : ((وقيل معنى أحصاها : (يعنى الأسماء الحسنى) عمل بها ، فإذا قال ((الحكيم)) ، مثلاً سلم لجميع أوامره ، لأن جميعها على مقتضى الحكمة ، وإذا قال ((القدوس)) استحضر كونه منزهاً عن جميع النقائص ، وهذا اختيار أبي الوفاء بن عقيل . وقال ابن بطال : طريق العمل بها : أن الذي يسوغ الاقتداء به فيها - كالرحيم الكريم - : فإن الله يحب أن يرى حالها على عبده ، فليمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها والخضوع لها ، [↓] وعدم التحلي بصفة منها ، وما كان فيه معنى الوعد نقف منه عند الطمع والرغبة ، وما كان فيه معنى الوعيد نقف منه عند الخشية والرغبة ، فهذا معنى أحصاها وحفظها ، ويؤيده أن من حفظها وأحصاها سرداً ولم يعمل بها بما يكون كمن حفظ القرآن ولم يعمل بما فيه)^٢ .

↓
وما كان يخبر
بالله تعالى كما
والعظيم في
على الصمد
الإقرار بها
والخضوع لها

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى : ((من عبده)) (تعالى) باسمه (الأول) و(الآخر) حصلت له حقيقة هذا الفقر [توجه القلب لله وحده في جميع الأحوال] .. فعبوديته باسمه (الأول) تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب والوقوف أو الالتفات إليها وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد .. وعبوديته باسمه (الآخر) تقتضي أيضاً عدم ركونه ووثوقه بالأسباب والوقوف معها، فإنها تنعدم لا محالة، وتنتضي بالآخريه، ويبقى الدائم الباقي بعدها، فالمتعلق بها تعلق بما يعدم وينقضي، والتعلق (بالآخر) سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول، فالمتعلق به حقيق على أن لا ينقطع ولا يزول، بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يفنى به)^٣ . وبذا يعلم المقصود بإحصاء أسماء الله الحسنى .

^١ مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ج ٣ / ٣٤٧ .

^٢ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، ج ١١ / ٢٢٩ .

^٣ طريق الهجرتين وباب السعادتين ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، حققه وراجعته عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، طبع على نفقة الشيخ حمد بن فالح بن ناصر آل ثاني، مطابع الدوحة الحديثة ، بدون رقم طبع وتاريخ نشر، ص ٣١ - ٣٢ .

والغاية من معرفة معاني أسماء الله الحسنى هي التعبد لله بها وليس معرفة تصاريفها وخواصها ، وليس للاسم بحر يورد ولا مساحة ، وكل ما ورد بهذا الخصوص مما ذكره محمد عثمان عبده لم يرد به دليل من الشرع ، ولم يقل به أحد من أهل العلم ، وأما الحديث الذي أورده وهو : ((نَضَرَ اللهُ وَجْهَ الرَّاجِلِ الْمُتْرَحِّلِ)) فهو ليس بحديث لا صحيح ولا ضعيف ، وليس في شيء من كتب السنة المعتمدة ، وقوله بأن الأسماء الإلهية أزداد فليس بصحيح ، واستدل به بقوله تعالى : ((وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ))^١ ، وقوله أن المقصود بالجنود الأسماء الإلهية لا يصح ، والآية لا تدل على أن الأسماء الإلهية لها أزداد ، ولم يقل أحد من أهل العلم بالتفسير بما قال ، والتفسير الصحيح للآية أن المقصود بالجنود الملائكة : ((ولا يعلم عددهم وكثرتهم إلا الله تعالى لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط))^٢ . والكثير من أسماء الله الحسنى لا أزداد لها ، مثل الله ، الرحمن ، الحي الكبير ، الكريم ، الملك ، القادر ، المصور ، الواسع ، الصمد ، الحكيم ، العليم ، السميع ، البصير ، العزيز ، التواب ، وما له أزداد من الأسماء فقليل نحو : القابض ، الباسط ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، ومع هذا يقول محمد عثمان عبده : ((شأن أسماء الله الحسنى فهي جامعة بين الأزداد فمثلاً الباسط عكس القابض والمحى عكس المميت والمعطي عكس المانع والضار عكس النافع ، وهكذا كل أسماء الله الحسنى أزداد))^٣ .

الملائكة الموكلون بخدمة الأسماء الحسنى :

يعتقد البرهانية أن لكل اسم من أسماء الله الحسنى ملك موكل بخدمته ، فإذا ذكر العبد ربه بالاسم المعين وأكثر من ذكره نزلت الملائكة الموكلة بذلك الاسم ، وفي ذلك يقول محمد عثمان عبده : ((اجتهدت في الأوراد وتنقلت في الأسماء الإلهية اسماً بعد اسم — من الاستغفار إلى التهليل إلى الاسم المفرد (الله) الذي كنت أردد كل يوم عشر مراتب ، في كل مرتبة سنة آلا ف وستمائة وستة وستون مرة ، حتى نزلت ملائكة الاسم (الله) وهم لا يحصون عدداً))^٤ ، ويقول : ((وهكذا استطعت أن أورد الأسماء السبعة وأن أنزل ملائكتها))^٥ ، ويقول ولكن ملائكة الاسم الإلهي لا تأتي إلا بعد جهد ومشقة في العبادة ، وتأتي بعد ترديده بمراتب كثيرة وبعد وصول الولي إلى ذكر الروح في مراتبه العالية))^٦ ، ويقول : ((ويكفي أن تعلم أن الاسم (الله) وعدده بالحساب

^١ سورة الفتح (٧) .

^٢ تفسير القراءان العظيم ، أبي الفداء إسماعيل بن كثير ج ٤ / ٦٩٦ .

^٣ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٧٩ .

^٤ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ، ص ١٦ .

^٥ المصدر السابق نفس الصفحة السابقة .

^٦ المصدر السابق ص ٨٣ .

الأبجدي ستة وستون يخدمه ستة وستون من الملائكة مع^ك منهم ست وستون من الروحانية مع كل منهم ست وستون قبيلة من قبائل الجن^١.

ومن المعلوم أن ما ذكر من الأمور الغيبية التي لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الخبر الصادق الثابت عن طريق الشرع ، ولا خبر يجب المصير إليه في ذلك ، فيبقى الأمر على عدم الثبوت ، ولو حصل تنزل على الذاكر بالصفة والذكر المذكور فلا يشك في أنه تنزل شيطاني ، لأن الذكر بالاسم المفرد لا يعد ذكراً شرعياً ، والأذكار البدعية تورث أحوالاً وتنزلات شيطانية ، ، وقد يظن الذاكر أن التي نزلت عليه ملائكة ، وهي بخلاف ما ظن ، ولا يشرع للمسلم أن يذكر الله بما ليس بمشروع من الأذكار .

^١ تيرثة الأمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٢٨٤ .

المطلب الرابع

عقيدة البرهانية في صفات الله تعالى

صفات الله تعالى هي نعوت الكمال القائمة به سبحانه ، والواجب على المسلم فيها إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه ، أو أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال ، إثباتاً بلا تمثيل ولا تكييف ، وتنزيهه تعالى عن صفات النقص ومشابهة خلقه له في صفاته أو مشابهتم له تنزيهاً بلا تعطيل ، ونفي ما نفاه سبحانه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم .

الذات والصفات :

من المعلوم أن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف كما تقدم في القواعد السابقة ، وعليه فإن كل اسم متضمن لصفة ، كما أن تعدد الذات لا يلزم منه تعدد الصفات ، غير أن محمد عثمان عبده أورد نصاً يبين فيه أن تعدد الذات يلزم منه تعدد الصفات وذلك في حوار له مع أحد الوهابية حيث يقول : ((قلت فكيف تعرف الله ؟ قال : أعرفه بالتوحيد فقلت له فلتراجع أيضاً عن قولتك هذه . قال : لن أراجع وأنا عارف بالتوحيد ، وأعرف أننا لا نعبد آلهة أخرى غير الله . قلت : هل الله واحد في ذاته ؟ فقال : نعم . قلت : واحد في صفاته ؟ قال : نعم . قلت : واحد في ألوهيته قال نعم . قلت : واحد في ربوبيته ؟ قال نعم . قلت : إذا فلتختر لك إلهاً من هؤلاء لأسألك عن معرفتك به))^١.

وهذه عقيدة قالت بها المعتزلة^٢ ، ((فالذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد بأن الله تعالى قديم والقدم أخص وصف ذاته ونفوا الصفات القديمة أصلاً فقالوا هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياء هي صفات قديمة ومعان قائمة به لأنه لو شاركته الصفات في القدم لشاركته في الإلهية))^٢ في قولهم بأن تعدد الصفات يلزم منه تعدد الذات ، لذا أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات ، فقالوا سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر وعليم بلا علم ، وهو قول باطل شرعاً وعقلاً ، أما الشرع

^١ قيس من نور ، محمد عثمان ص ١١٧ - ١١٨ .

^٢ المعتزلة : فرقة من كبار الفرق الإسلامية ، اختلفوا براء خاصة في العقيدة منها أصولهم الخمسة وهي العدل ، ويعنون به نفي الظلم عن الباري تعالى وأن العبد هو فاعل الخير والشر ، والتوحيد ، ويعنون به نفي الصفات الإلهية ، والوعد والوعيد وهو أن العبد المؤمن إذا مات على كبيرة من الكبائر فهو في منزلة بين منزلتين بين الكفر والإيمان ، والحسن والقبح العقليين ، وهو أن الحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل قبل ورود الشرع ، وأن الحكيم لا يفعل إلا الصلاح واختلفوا في الأصلح ، وانفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار يوم القيامة ، ((الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل ، محمد بن علي بن أحمد بن حزم ، ص ٥١ - ٥٢)) و ((الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادي ، ص ٩٣ - ٩٤)) .

^٢ الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل ، محمد بن علي بن أحمد بن حزم ، ص

فقد وصف الله سبحانه ذاته الكريمة بصفات كثيرة كالسمع ، والبصر ، والعلم ، والقدرة في غير ما آية من كتابه العزيز ، وأما عقلاً والله المثل الأعلى فإن الفرد الواحد من البشر يمكن أن يوصف بأكثر من صفة كالعلم والحكمة ، والرحمة ، ولا يخرج ذلك عن كونه واحداً .

ويفرق البرهانية بين ذات الله وصفاته ، ومما ورد في ذلك قول محمد عثمان عبده :
(فمراتب العبيد خمساً : (والشاهد منها ما يلي) :

١ - عبيد الذات : وهم الرسل والأنبياء .

٢ - عبيد الصفات : وهم الأولياء .

٣ - عبيد الفهم : وهم علماء الظاهر .

٤ - عبيد الوهم : وهم الفلاسفة .

٥ - عبيد الدرهم : وهم عامة الناس))^١ .

والحق أنه لا توجد ذات مجردة عن صفات ، ولا صفات قائمة بغير ذات ، فصفات الكمال قائمة به سبحانه وهو موصوف بها ، ومنها ما هو ذاتي كالحياة والعلم والوجه واليدين ، وما هو فعلي كالغضب والرضا والنزول والاستواء ، والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات .

وقد وقع البرهانية في باب الصفات في محاذير ومزالق خطيرة ، منها وصف الله سبحانه بصفات النقص التي لا تليق بجلاله وكماله ، وقد عاقب الله سبحانه من سلبوه صفات الكمال

ووصفوه بصفات النقص من اليهود ، وذمهم أيما ذم ووبخهم أيما توبيخ ، في قوله تعالى

((وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ

وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ))^٢ ، وفي قوله سبحانه : ((لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ

سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ))^٣ ، ونزه سبحانه نفسه عما

يصفه به المجرمون من النقائص فقال : ((سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى

الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))^٤ ، وقال سبحانه : ((مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ

إِلَهِ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ))^٥ . ومع

^١ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٢٧٠ .

^٢ سورة المائدة (٦٤) .

^٣ سورة آل عمران (١٨١) .

^٤ سورة الصافات (١٨٠ - ١٨٢) .

^٥ سورة المؤمنون (٩١) .

هذا فقد وقع البرهانية في ذات المحاذير، فوقعوا في وصف الله تعالى بصفات النقص، والتي قد يصل الواقع فيها إلى درجة السابقين ممن وصفوه سبحانه بذلك، إذ لا يمكن أن يصدر ذلك إلا ممن تعرى من الإيمان، ويصعب صدور ذلك من مسلم يعظم ربه تعالى ويعبده ويحبه ويخشاه، فمن هذه النقائص التي هي نقص في حق المخلوق فضلاً عن الخالق الذي له صفات الكمال والجلال، المنزه عن كل نقص وعيب، وفيما يلي هذا النص الخطر الذي يستحي المرء من تسطيره إلا على سبيل الإخبار والإنكار، فقد نقل محمد عثمان عبده^١ فيما يسمى بتفسير سورة الفاتحة المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((وأما القسم المتعلق بالحق والعبد معاً الذي يسمى بالحقيقة الكلية الإنسانية فهو مرتبة أهل الكمال ومقام المطلع ومنزل الأشراف على الأطراف وموقف الأعراف وفيه رجال يعرفون كلاً بسيماهم لأنهم محيطون على الكل ولهم الكمال المتعلق بالذات والجلال والجمال مندرجان تحت الكمال وأرباب هذا الموقف العارفون الموحدون .

فإذا تقرر هذا فاعلم أن في هذا البرزخ يتصف الحق بصفات العبد من الضحك والبكاء والبشاشة والفرح والمكر والاستهزاء والمرض والجوع والعطش وما أشبه ذلك . والعبد يتصف بصفات الحق من الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام والإحياء والإماتة والانبساط والانقباض والتصرف في الأكوان وغير ذلك . فهذا البرزخ هو مرتبة التنزل الرباني ليتصف الرب فيها بصفات الرباني وهو العماء المذكور في الحديث المشهور^١)).

ونقل هذا النص الخطر مع السكوت عليه وعدم ^{إشكاله} يدل دلالة واضحة على إقراره مع ما فيه من نسبة النقائص إلى الله سبحانه، وتنزيه المخلوق وتأليهه، وذلك بوصفه بصفات الله تعالى، ولا يخفى ما في ذلك من مشابهة لليهود الذين نسبوا النقص إلى الله تعالى، وخصوا المخلوق بالكمال، حيث وصفوا الله تعالى بالفقر ووصفوا أنفسهم بالغنى في قوله تعالى: ((لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ))^٢. ووصف الله تعالى بالبكاء والمكر والاستهزاء والمرض والجوع والعطش من أعظم الإلحاد في أسماء الله تعالى وقد هدد الله سبحانه الملحددين في أسمائه وصفاته بالعذاب الأليم فقال: ((وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))^٣.

ومما وقع للبرهانية ويعد إلحاداً في صفات الله تعالى، وصفهم للمخلوق بصفات الكمال التي لا يمكن إطلاقها إلا على الله سبحانه، والتي لا يمكن أن يشاركه فيها أحد نحو التصرف في الكون

^١ تبرئة الذمة في نصح الأمة، محمد عثمان عبده ص ٢٩١ .

^٢ سورة آل عمران (١٨١) .

^٣ سورة الأعراف (١٨٠) .

بالملك والتدبير ، والإعطاء والمنع ، وعلم الغيب ، وقد وقع للبرهانية من ذلك الكثير فمنها قول إبراهيم الدسوقي :

مَلَكْتُ بِلَادَ اللَّهِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَلَوْ شِئْتُ أَهَلَكْتُ الْأَنَامَ بِلِحْظَةٍ^١

وقوله :

مُرِيدِي لَكَ الْبُشْرَى إِذَا قُمْتَ بِالْوَفَا إِذَا كُنْتَ فِي هِمِّ أَغْنِكَ بِهَمِّي^٢
أَنَا لِمُرِيدِي حَافِظٌ مِمَّا يَخَافُهُ وَأُنْجِيهِ مِنْ شَرِّ الْأُمُورِ وَبَلْوَةٍ

ويقول :

تَمَلَّكْتُ تَصْرِيْفُ الْبِلَادِ بِأَسْرِهَا حَلَفْتُ وَبِالْكُرْسِيِّ أَجْلَيْتُ نَائِبِي^٣

ويقول :

وَشَاهَدْتُ مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا كَذَا الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ فِي طَيِّ قِبْضَتِي
وَكُلُّ بِلَادِ اللَّهِ مُلْكِي حَقِيقَةً وَأَقْطَابُهَا مِنْ تَحْتِ حُكْمِي وَطَاعَتِي^٤

ويقول :

أَنَا لِمُرِيدِي حَافِظٌ مِمَّا يَخَافُهُ وَأُحْرَسُهُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَفِتْنَةٍ
مُرِيدِي إِذَا مَا كَانَ شَرْقًا أَغْنَتْهُ إِذَا مَا سَارَ فِي أَيِّ بَلَدَةٍ^٥

ويقول :

وَقَلْدَانِي تَصْرِيْفَ دُنْيَاهُ كُلِّهَا فَصِرْتُ عَلَى الْأَكْوَانِ فِي الْأَرْضِ نَاطِرٌ^٦

ويقول :

أَنْظُرُ الْعَرْشَ وَمَا فَوْقَ السَّمَاءِ وَأَرَى الْحَقَّ تَجَلَّى فَأَنْجَلِي^١

^١ ابتسام المدامع ، ديوان شعر ، من منشورات الطريقة البرهانية ، بدون اسم مؤلف ، أو اسم مطبعة ، أو تاريخ طبع ، ص ٢٧٩ .

^٢ المصدر السابق ص ٢٧٩ .

^٣ المصدر السابق ص ٢٨٣ .

^٤ المصدر السابق ص ٢٨٥ .

^٥ المصدر السابق نفس الصفحة .

^٦ المصدر السابق ص ٢٩١ .

ويقول :

أَعِدُّ الثَّرَى رَمَلاً مَثاقِيلَ ذَرَّةٍ
وَأُحْكِمُ مَوْجَ الْبَحْرِ وَسَطَ خَفِيهَا
وَأَنْظُرُ تَحْقِيقًا بَعَيْنِي مُحَقَّقًا
وَأُحْصِي عَدِيدَ الْقَطْرِ وَهُوَ هَوَامِعُ
عَيَارًا وَمِقدَارًا وَمَا هُوَ وَاقِعُ
قُصُورَ جِنَانِ الْخُلْدِ وَهِيَ قَلَانِعُ^٢

ويقول :

وَكُلُّ نَعِيمٍ إِنِّي مُنْعِمٌ بِهِ
وَكُلُّ هُدًى فِي الْعَالَمِينَ فَإِنَّهُ
أُصَوِّرُ مَهْمًا شِئْتُ مِنْ عَدَمٍ كَمَا
وَأَفْنِي إِذَا شِئْتُ الْأَنْامَ بِلَمَعَةٍ
وَفِي الْبَحْرِ لَوْ نَادَى بِاسْمِي حَوْتُهُ
وَفِي الْبَرِّ لَوْ هَبَّ الرِّيحُ عَلَى الثَّرَى
وَخَلْفَ مَعَالِي قَافٍ لَوْ يَسْتَعِثُّ بِي
وَأَجْرِي إِذَا شِئْتِ السَّفِينَةَ عَلَى الثَّرَى
وَإِنْ طَبَاقَ الْعَرْشِ تَحْتَ قَوَائِمِي
وَبَيْتِي سَقْفُ الْعَرْشِ هُنَاكَ فليكنْ
وَأَجْرِي عَلَى اللُّوحِ الْمُقَادِيرِ مَا أَشَأْ
وَكُلُّ مَعَاشٍ الْخَلْقِ تُجْرِيهِ رَاحَتِي
وَأَمْحُو لِمَا قَدْ كَانَ فِي اللُّوحِ ثَابِتًا

هُوَ لِي مَلِكٌ وَمِنْ نَمِّ رَاضِعُ
هُدَايَ وَمَالِي فِي الْوُجُودِ مُنَارِعُ
أَقْبِرُ مَهْمًا شِئْتُ فَهُوَ مُطَاوِعُ
وَأُحْيِي بِلَفْظِي مَا حَوْتُهُ الْبَلَائِعُ
أُجِبُّتُ وَإِنِّي لِلْمُنَادِينَ سَامِعُ
أُحِيطُ وَأُحْصِي مَا حَوْتَهُ الْبَلِاقُ
مُغَاتٌ فَإِنِّي لِلْمُنَادِينَ سَامِعُ
وَفِي الْبَحْرِ أَبْقِي لِلْمُطَايَا تُسَارِعُ
وَرَجْلِي عَلَى الْكُرْسِيِّ نَمَّةٌ تُرْفَعُ
مَكَانِي وَمِنْ فَيْضِي خُلِقْنَ الْمَوَاضِعُ
وَبِالْقَلَمِ الْأَعْلَى فَكَفَّي بَارِعُ
بِرَاحَتِهِمْ جُودًا وَلَسْتُ بِصَارِعُ
وَأُثِبْتُ إِذَا وَقَعَتْ هُنَاكَ وَقَائِعُ^٣

ولا يخفى ما هذه الأبيات من إدعاء صاحبها للألوهية والربوبية، حيث نسب إلى نفسه صفات الله تعالى التي لا يشاركه فيها أحد من خلقه ، من تصرف في الكون وملك له ، وحفظ للعباد ، ورزق للخلق ، وإغاثة للمستغيث ، إلى غير ذلك من أمور .

ويقول أحد المريدين وهو يمدح شيخه إبراهيم الدسوقي :

لَدُّ بِالْمَقَامِ وَنَادِهِ يَا سَيِّدِي يَا مُنْقِذَ الْمَظْلُومِ وَالْحَايِرَانَ

^١ المصدر السابق ص ٢٩٤ .

^٢ المصدر السابق ص ٢٩٥ .

^٣ المصدر السابق ص ٢٩٥ - ٢٩٧ .

يَا صَاحِبَ السِّرِّ الْمَقْدَسِ نَظْرَةً
كَمْ مِنْ كُرُوبٍ فَرُجَّتْ مِنْ سِرِّكُمْ
أَنْجُو بِهَا فَالْدَهْرُ قَدْ أَضْنَانِي
وَجَبْرْتُمْ كَسَرَ الْفَقِيرِ الْعَانِي

إلى أن قال :

وَإِذَا اسْتَجَرْتَ مِنَ الْعَدُوِّ بِجَاهِهِ
وَإِذَا قَصَدْتَ مَقَامَهُ فِي حَاجَةٍ
أَوْ كُنْتَ فِي قَفَرٍ وَجِئْتَ ضَرِيحَهُ
مَا أَمَّهُ أَحَدٌ وَنَادَى بِاسْمِهِ
مَهْمَا تَكُنْ فِي شِدَّةٍ وَقَصَدْتَهُ
بِالسِّرِّ يَقْصِمُهُ بِكُلِّ هَوَانٍ
قَضِيْبٌ بِلَا شَكٍّ مَعَ الْإِيقَانِ
تَجِدُ الْغِنَى يَأْتِي بِغَيْرِ تَوَانِي
إِلَّا أَنْتَاهُ بِسِرِّهِ بِسِرَانٍ
تَجِدُ الشَّدَائِدَ بَدَلَتْ بِلَيَانٍ

وهذه الأبيات كسابقتها في وصف الشيخ بصفات الله تعالى الذي لا يشاركه فيه أحد من خلقه ، وفيها الدعوة إلى الشرك بالله سبحانه ، بالالتجاء إلى الشيخ ودعائه في الشدائد ، وسؤاله النصر على الأعداء ، والله سبحانه هو القريب المجيب ، نعم المولى ونعم النصير ، وهو القائل سبحانه : ((أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَعْلَةٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ))^٢ .

ومن ذلك قول محمد عثمان عبده بعد أن ساق قصصاً في فراسة الصحابة رضي الله عنهم : ((وكل ذلك دليل بين على استبدال صفات العبد بصفات الرب))^٣ . ويقول : ((إن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة وذلك لأنه متخلق بالأسماء الإلهية الحسنى ولا يخرج عن دائرتها شيء))^٤ .

وقد ورد الكثير عن محمد عثمان عبده في الثناء على نفسه ووصفها بصفات الله سبحانه شعراً

فمن ذلك ما يلي :

أَجُودٌ عَلَسِي أُمَّ لِتَرْحَمَ طِفْلَهَا
فَرَحْمَةٌ مِّنْ فِي الْكُونِ مِّنْ بَعْضِ رَحْمَتِي^٥

ويقول :

^١ المصدر السابق ص ٣١١ - ٣١٢ .

^٢ سورة النمل (٦٢) .

^٣ تبتئة الذمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٦٣ .

^٤ المصدر السابق ص ٢٨٣ .

^٥ ديوان شراب الوصل ، محمد عثمان عبده ، بدون اسم مطبعة ، أو تاريخ طبع ، ص ٣ .

وَأَنْفُحُ فِي رَوْعِ الْمُرِيدِ فَيَنْتَقِي ۱
جَوَاهِرَ عِلْمِ الْأَوْلِيَيْنِ بِنَفْخَتِي ۱

ويقول:

تَخَطُّ يَمِينِي مَحْوُ شَفْوَةِ تَابِعِي ۲
وَمُرْتَعِي الْكُرْسِيِّ وَاللَّوْحِ خَلْوَتِي ۲

ويقول:

وَحَدِّي حَدُّ اللَّهِ وَالْحَدُّ مَطْلَعُ ۳
فَجَبْرِيلُ مِيكَالُ عَزْرَاءُ ۳
لَدِي وَمَا ضَلَّتْ بِذَلِكَ سَفِينَتِي ۳
جُنُودِي فِي التَّصْرِيفِ هُمْ تَحْتَ إِمْرَتِي ۳

ويقول:

وَلَسْتُ بِنَاءٍ عَنِ مُرِيدِي لِحِظَةٍ ۴
وَإِنْ مُرِيدِي مَنْ أَرَادَ إِرَادَتِي ۴

ويقول:

وَأَحْصَيْتُ أَنْفَاسَ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا ۵
وَالْكُلُّ عِنْدِي شَاهِقٌ وَزَفِيرٌ ۵

ويقول:

مَنْ كَمَّالِ الْعَطَاءِ مِنْ فَيْضِ وَهْبٍ ۶
فَسَأَلُوهُ السَّجَاةَ مَنْ يَوْمَ حُشْرِ ۶
تِلْكَمُ النَّارِ مِنْ هُدَايَ أَنْارَتْ ۶
أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ إِبْرَاهِيمُ ۶
يَوْمَ لَا يَسْأَلُ الْحَمِيمُ حَمِيمٌ ۶
جَانِبَ الطُّورِ فَأَهْتَدَاهَا الْكَلِيمُ ۶

ويقول:

وَالسَّمَاءَ عِنْدَنَا أَبْوَابُهَا ۷
لَوْ فَتَحْنَاهَا فَمَاءٌ مُنْهَمِرٌ ۸

١ المصدر السابق ص ٣ .

٢ المصدر السابق ص ٤ .

٣ المصدر السابق ص ٩ .

٤ المصدر السابق ص ٢١ .

٥ المصدر السابق ص ٤٥ .

٦ المصدر السابق ص ٦٢ .

٧ المصدر السابق ص ٦٢ .

٨ المصدر السابق ص ٦٦ .

ويقول :

وَإِنِّي لِأَتُوبُ حِصْنٌ وَمُجَابٌ^١ وَأَحْفَظُهُ مِنْ كُلِّ قَاصٍ وَشَارِدٍ^٢

ويقول :

عِنْدَمَا كُنَّا لِيُوسُفَ^٣ يَوْمَهَا كُنَّا سَاوِيًا^٤

ويقول :

الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ وَاللَّوْحُ لِي^٥ إِرْثًا وَذَا نَسَبًا أَرَاهُ مَوْقَرًا^٦

ويقول :

وَحَقًّا لَيْسَ لِي أَبَدًا مِثَالٌ^٧ وَفَوْقَ الْعَرْشِ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ^٨
وَكَيْفَ مِنْ هَيْبَتِي دُكَّتْ جِبَالٌ^٩ وَفِي يَمَنَائِي قَدْ نَزَلَ الْحَدِيدُ^{١٠}

ويقول :

إِنِّي عَلَيَّ فِي سَمَاءٍ^{١١} فِيهِ قَوْمٌ سُجَّدٌ^{١٢}

ويقول :

يَا أَحْمَدُ يَا أَحْمَدُ^{١٣} يَا مَنْ إِلَيْهِ تَذَلُّلٌ وَرَجَاءٌ^{١٤}

ويقول :

فَلَيْسَ الْأَرْضُ فِي يَمَنَائِي شَيْءٌ^{١٥} وَلَا مَرْمَى يَعِزُّ مِنَ الْمَرَامِي^{١٦}
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ^{١٧} فَالْأَرْضُ اللَّهُ خَرَدَلَةٌ أَمَامِي^{١٨}
وَمَا غَيْرِي بِدُنْيَاكُمْ عَلِيمٌ^{١٩} وَمَا قُمْتُمْ بِأَخْرَاكُمْ مَقَامِي^{٢٠}

^١ المصدر السابق ص ٧٠ .

^٢ المصدر السابق ص ٨١ .

^٣ المصدر السابق ص ١٢١ .

^٤ المصدر السابق ص ١٤٨ .

^٥ المصدر السابق ص ١٥٢ .

^٦ المصدر السابق ص ١٥٩ .

^٧ المصدر السابق ص ١٦٢ .

ويقول :

إِنَّ السَّمْعَ بِسِرِّي جَهْرٌ^١ فَاصْتُمْتُ يُرْفَعُ ذِكْرُكَ وَاجْتَارُ^١

ويقول :

إِذَا مَا كَانَ تَحْتِ السَّبْعِ حَبِيِّي^٢ أَقْرَبِيهِ وَأَحْسَبُوه وَيَدْنُو^٢

ويقول :

أَبَى النَّاسُ الْمُبِيتُ يَغَيْرُ دَعْوَى^٣ وَنَسُوا أَنْ الْمَشِيئَةَ حَيْثُ شِئْنَا^٣

ويقول :

كَمَا لَمْ تَشْهَدْ الدُّنْيَا مِثَالِي^٤ فَنَحْنُ الْمَانِعِينَ الْمَانِعِينَ^٤
وَكُمُ مِنْ سَالِكٍ فِي طَيِّ رَكْبِي^٥ وَمُلْكُ اللَّهِ صِرْنَا مَا لِكَيْنَا^٥

ويقول :

إِلَّا إِذَا رَكِبَتْ رُؤُوسٌ بَعْضُهَا^٦ فَاللَّهُ حَسْبِي وَالنَّبِيُّ الْأَعْظَمُ^٦

ويقول :

إِذَا مَا الْأَمْرُ كَانَ عَلَي رِضَانَا^٧ يَكُونُ كَلَامُنَا كَافًا وَنُونًا^٧

ولا يخفى ما في هذه الأبيات المذكورة من دعوى للألوهية والربوبية ، في دعوى ملك الكون والتصرف فيه ، بالمشيئة والإرادة النافذة ، ودعوى حفظ العباد مما يتوقعون من مكروهه ، وأنه يقول للأمر كن فيكون ، وأن مشيئته سابقة لمشيئة الله تعالى ، وأنه يححو ما يشاء ويثبت ، وأن الملائكة تحت أمره ونهيه ، وغير ذلك من الدعاوى المستلزمة لدعوى الربوبية والألوهية .

^١ المصدر السابق ص ١٦٥ .

^٢ المصدر السابق ص ١٦٧ .

^٣ المصدر السابق ص ١٧٣ .

^٤ المصدر السابق ص ١٧٥ .

^٥ المصدر السابق نفس الصفحة السابقة .

^٦ المصدر السابق ص ٢١٤ .

^٧ المصدر السابق ص ٢١٨ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((ومن قال إن أحداً من أولياء الله يقول للشيء كن فيكون ، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، فإنه لا يقدر أحد على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى ، وليس كل ما يريده ابن آدم يحصل له ، ولو كان من كان ، لكن في الآخرة يحصل له كل ما يريد ، فإذا اشتهى حصل له ذلك بقدره الله))^١.

ومن ذلك جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم مثيلاً لله تبارك في الصفات مع تنزيههم للنبي صلى الله عليه أن يكون له مثيلاً ، فقد أورد محمد عثمان عبده تحت عنوان: ((حول معنى قوله تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))^٢ ما نصه : ((جلس أحد علماء الشريعة ذات يوم يشرح معنى قوله تعالى : ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) فقالت له : ماذا تعني ؟ قال : ليس هناك شيء يشبه الله تعالى فأنبته لقوله .. ثم تابعت حديثي لأفهمه وقلت له : المثل غير المثل ، ثم استشهدت بقول الرسول (خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)^٣ فالمثل هو صورتك في المرأة ، ولكن صورتك في المرأة غيرك ، ولذلك كانت مظاهر التجليات الأقدسية (تجلي الذات وتجلي الصفات وتجلي الأسماء وتجلي الأفعال) الخاصة بالحق تعالى ، ظاهرة في النبي صلى الله عليه وسلم في مراتب الوجود ، أما التمثيل فهو مثل المثل ، وليس كمثل المثل شيء ، ومثل المثل هو النسبي صلى الله عليه وسلم))^٤.

وخلاصة قوله هو أن النبي صلى الله عليه وسلم مثل الله سبحانه وتعالى في صفاته ، ولا مثل للنبي صلى الله عليه وسلم في صفاته ، وهو في هذا المعنى يجعل الكاف للتمثيل والتشبيه ، فيصير المعنى ليس مثل مثله شيء ، ومثل المثل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويفرق بين المثل والمثل من غير دليل .

والحق أن هذا التفسير باطل ، وفيه تنقيص لله سبحانه وسلبه صفات كماله وجلاله ، وتأليه للنبي صلى الله عليه وسلم بوصفه بصفات الله تعالى وجعله نداً له ، وقد نزه سبحانه نفسه عن ذلك بقوله : ((هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا))^٥ وقوله : ((وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ))^٦ . والتفسير الذي ذكره عالم الشريعة

^١ مختصر الفتاوى المصرية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلبي ، صححه محمد حامد الفقي ، أشرف على تصحيحه عبد المجيد سليم ، طبع دار ابن القيم ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ص ٥٨٧ .

^٢ سورة الشورى (١١) .

^٣ أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان برقم ٦٢٢٧ ، ومسلم في كتاب البرج ج ٤ / ٢٠١٧ .

^٤ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ١٣٨ - ١٣٩ .

^٥ سورة مريم (٦٥) .

^٦ سورة الإخلاص (٤) .

هو التفسير الصواب الذي عليه كل المفسرين ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيرها : ((أي ليس كخالق الأزواج كلها شيء لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له))^١ . وللكاف في (كمثله) أوجه أصحها أنها للتأكيد ، أي تأكيد عدم المثلية ، وهو وجه تعرفه العرب ، ومن ذلك قول أوس ابن حجر :

لَيْسَ كَمِثْلِ الْفَتَى زُهَيْرٌ خُلِقَ يَوَازِيهِ فِي الْفَضَائِلِ

فيكون (مثله) خبر (ليس) واسمها (شيء) وهذا وجه قوي تعرف العرب معناه في لغتها^٢ . قال ابن أبي العز الحنفي : ((فمن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق فهو نظير النصارى في كفرهم))^٣ .

ومن الشرك في الربوبية الذي ما يعتقده البرهانية من أن الله تعالى أعطى تدبير أمر خلقه لبعض عباده ، فقد ورد في أنوار الأمين في شرح الأوراد : ((بالسماوات القائمة ... بالعرش المحيط)) هو توسل بمراتب الأولياء الذين هم تحت العرش ، وهي سبع مراتب اصطلاحاتهم هكذا : هم الأولياء المتصرفون في الدنيا وإن شئت فقل هم أمراء الديوان ... يجتمع أصحاب الدرجات من كل مكان في الأرض في الثلث الأخير من الليل مع رئيسهم أو قطبهم الذي يدعى (قطب الحضرة) حيث يناقشون أمر الكون في كل مكان لقضاء حاجيات الخلق كله والأرض التي ليس فيها مجاذيب هالكة لا محالة))^٤ .

ويعتقد البرهانية أن هذا التصرف في الكون ليس للأحياء فحسب وإنما هو للأمم أيضاً ، ففي أنوار الأمين في شرح الأوراد : ((أهل الديوان أصلاً من الأحياء ولكن يلحق بهم المنتقلون من باب الشرف ، ولكن الأمم ليس لهم تصريف إلا الأربعة الأقطاب فهم متصرفون أحياء ومنتقلين بل موتهم أفضل من حياتهم))^٥ .

ولا يخفى ما هذا القول والذي قبله من الشرك الواضح في الربوبية ، وذلك باعتقاد أن بعض خلق الله قد نالوا التصرف في هذا الكون بالتدبير ، والحفظ ، وقضاء حاجات الخلق ، وهو اعتقاد باطل مفض إلى الشرك ومناف لما وصف الله سبحانه نفسه من كمال قدرته وقيامه على تدبير أمر خلقه من غير حاجة إلى معين ، فقد قال سبحانه : ((اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ

^١ تفسير القران العظيم ، الحافظ ابن كثير ج ٤ / ١٦٣ .

^٢ شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ص ١٤٠ .

^٣ المصدر السابق ص ٩٩ .

^٤ أنوار الأمين في شرح الأوراد ص ٩٠ - ٩٣ .

^٥ المصدر السابق ص ٩١ .

وَلَا نُؤْتُهُمْ))^١، وقال سبحانه : ((وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَثِيرَةً تَكْبِيرًا))^٢، وقال سبحانه : ((إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أُمْسِكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا))^٣.

ويعتقد البرهانية في شيخهم محمد عثمان عبده ما يفضي بهم ويوقعهم في شرك الربوبية ، وذلك باعتمادهم بأنه نائب عن الله تعالى في الأرض ومتصرف في هذا الكون ، وقد وهبه الله سبحانه الملك المطلق المختص به سبحانه ، فقد ورد في مقال بمجلة البرهان مجلة الطريقة البرهانية : ((ولما كان لا بد لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من خليفة يقوم على شؤون هذا الكون باستمرار حتى قيام الساعة كان لا بد أن يكون ذلك الخليفة ذو صفات متميزة عن بقية البشر فقد قال الله تعالى : ((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا))^٤ ، ويقول الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني أن الأمانة المقصودة في الآية الكريمة هي الخلافة الإلهية أو الغوثية وإنه كان جهولا بذات الله تبارك وتعالى ويقول سيدي فخر الدين أن الأمانة أ والخلافة تنتقل من خليفة لآخر بادئة من سيدنا آدم الذي كان حامل نور النبي صلى الله عليه وسلم ومنتبهة بالمهدي المنتظر حين قيام الساعة والدليل على ذلك على حد قول الإمام فخر الدين قوله تعالى : ((قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّقُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))^٥ . بعد كل ذلك لا بد أن نتساءل من يا ترى يكون الخليفة (الوارث النبوي) وأعني من الذي تنطبق عليه تلك المواصفات ليكون خليفة هذا الزمان من المتصرف في هذا الكون على حد قول الحديث القدسي الشريف قال الله تعالى : ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ مِنِّي مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنُّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَلَئِن سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتُهُ وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ))^٦ رواه البخاري.

^١ سورة البقرة (٢٥٥) .

^٢ سورة الإسراء (١١١) .

^٣ سورة فاطر (٤١) .

^٤ سورة الأحزاب (٧٢) .

^٥ سورة آل عمران (٢٦) .

^٦ أخرجه البخاري، فتح باب ١١٤، ص ٣٥٠ .

إذن لا بد من البحث عن ذلك الخليفة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد قال الله تعالى: ((قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى))^١ قالوا من آل بيتك يا رسول الله الذين أوجب الله تعالى حبهم وودهم فقال صلى الله عليه وسلم فاطمة وعلي^٢ ومن تناسل منهما فهيا يا إخواني فلنتأمل في هذه الأبيات قليلاً لعلنا نجد ما نبحت عنه فيها يقول الإمام فخر الدين الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني:

فَلتَسْمَعُوا قَوْلِي صَاحِبًا مُسْتَنَدًا
سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلِيقَةَ أَوْلَا
فَالشَّمْسُ ذَاتُ وَالْمُنِيرُ مُحَمَّدٌ
وَسَمَتْ سَمَاءُ مُحَمَّدٍ فَوْقَ السَّمَاءِ
رَفَعَ السَّمَاءَ لِأَحْمَدٍ لِيَجُوزَهَا
إِنَّ
إِلَى يَقُول :

بَحْرَانِ مُرْجَا بِكَفِّ الْمُصْطَفَى
وَاللُّؤْلُؤِ الْمَكُونِ وَالْمَرْجَانِ مِنْ
فَهَمَّا عَطَاءُ الْمُصْطَفَى وَغِرَاسِهِ
فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ فَاذْفُوا لِحَقِيقَتِي
وَفِي الرَّفْرِفِ الْأَعْلَى انْكَأَتْ مُؤَيِّدًا
كُلُّ الشَّوَاهِدِ فِي الْمَشَاهِدِ أُخْبِرَتْ
عَبْدُ الْبِتُولِ عَقِيلَةَ الْعُدْنَانِ
نَبَتْ الرُّسُولِ كِلَاهُمَا الْحَسَنَانِ
فَلتَعَقَّلُوا يَا أَيُّهَا التَّقْلَانِ
وَإِنْ عَجَزْتُمْ سَبِّحُوا سُبْحَانِي
وَكَسَانِي خَضِرًا بِالْإِحْسَانِ
أُنِّي بِحَقِّ صَاحِبِ الدِّيَّوَانِ^٣

إنه مولانا الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني هذا الخليفة الوارث النبوي القطب الفرد الجامع الكبير الذي أدرك حقيقة ذلك الامتراج الواضح الذي بينه لنا الله سبحانه وتعالى في سورة

^١ سورة الشورى (٢٣) .

^٢ هذا التعريف ، تعريف قاصر لآل البيت ، و الحق أن آل البيت هم : آل علي ، وآل العباس ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وقد جاء تعريفهم في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه : في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي رضي الله عنه ، (٤ / ١٨٧٣ / ٣٦) ، وفيه : ((أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قال ومن هم ؟ قال : هم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ، قال : أكل هؤلاء حرم الصدقة قال : نعم)) .

^٣ شراب الوصل ، محمد عثمان عبده ص ٢٧ - ٢٨ .

الرحمن ومن ثم جاء الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني مفسرا ذلك في قصيدته النونية فإذا كانت سورة الرحمن هي عروس القرآن الكريم بما فيها من ذلك الامتزاج الواضح آثاره إلى يومنا هذا فلا بد أن نتفكر ونتأمل وسنصل بعد ذلك إلى الحقيقة كما وصل إليها الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني وهو الذي قال :

أُكْنِي بِفَخْرِ الدِّينِ بَيْنَ أَحِبَّتِي وَلِي فِي سَمَوَاتِ الْغُيُوبِ مَنَاقِبُ
وَلِي فِي ابْنِ أَمِنَةَ وَصِيَّةٌ وَارِثُ وَفِينَا يَكُونُ الْأَخْتِلَافُ تَوَارِثُ^١

أليست هذه حجة واضحة ودليل كافي على أنه هو الخليفة الوارث النبوي .
وقال أيضاً :

إِنِّي اصْطَفَيْتُ لَكُمْ سَبِيلِي مَسْلَكًا إِنِّي خَيْرٌ فِي دُرُوبِ السَّالِكِينَ
أَوْصِيكَ بِرَهَانِيَّةٍ فَاسْمَعْ لَهَا مَسْكَ الْخِنَامِ وَغَايَةَ الْوَأَصِلِينَ
وَاعْلَمْ بِأَنِّي قَوْلِي صَادِقٌ فَإِنِّي وَالِي بِالْحَقَائِقِ نَاطِقِينَ^٢

ولا بد يا إخوتي أن نتأمل في الآية قال تعالى : ((الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا))^٣ وهذا أمر إلهي لا بد أن ينفذ وقد نفذناه نحن بحمد الله فهذا شيخنا العارف بالله الخبير الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني بعد انتقاله رضي الله عنه قائلاً :

وَأَتَيْتُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ قَبْلِ رُشْدِهِ فَمَا هُوَ إِلَّا فَلَذَّتِي وَعَظِيَّتِي
وَمَا رُشْدُ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا تَيْمَّةٌ أَكْمَلَ الْمُؤَلَّى جَمِيلُ الْعُطِيَّةِ^٤

ويعتقد البرهانية أن هذه الخلافة لا تكون إلا لواحد، فقد ورد في مقال في صحيفة رايات العز صحيفة الطريقة البرهانية : ((فالأمانة هي الخلافة الإلهية وكثير من الناس يظنون أن كل بني آدم خلفاء الله في الأرض ولكن الدليل على أن الخليفة واحد ودائماً واحد هو قوله تعالى : ((يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ))^٥ وقوله تعالى : ((وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ))^٦ .

^١ المصدر السابق ص ١٠١ .

^٢ المصدر السابق ص ٥٠ .

^٣ سورة الفرقان (٥٩) .

^٤ شراب الوصل ، محمد عثمان عبده ص ١ .

^٥ مجلة البرهان ، مجلة التصوف الإسلامي الدوالية ، تصدر شهريا ، عن اللجنة الدولية للإعلام بالطريقة البرهانية ، عدد أبريل ٢٠٠١ م ، محرم ١٤٢٢ هـ ، ص ١٨ ، ١٩ .

^٦ سورة ص (٢٦) .

^٧ سورة النمل (١٦) .

كما يعتقد البرهانية أن هذه الخلافة لا تكون لعلماء الظاهر (و يسمونهم علماء الشريعة) وإنما تكون لعلماء الباطن (ويسمونهم علماء الصوفية) كما ورد في ذات الصحيفة : ((فمن هم العلماء الذين يخشون الله تعالى ويكونون خلفاء ويقومون مقام الأنبياء ؟ هل هم علماء الظاهر الذين يعرفون فناً معيناً من السير والتفسير أو الحديث أو غيره من العلوم الأخرى ؟ لا هذا ولا ذاك فالعلماء المقصودين بالخلافة هم الأولياء رضي الله عنهم العارفين بالله تعالى والذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم : ((مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ جَاهِلٍ وَلَوْ اتَّخَذَهُ لَعَلَّمَهُ))^١ .

ومما يؤيد هذه العقيدة لدى البرهانية قصتان أوردتهما محمد عثمان عبده ، إحداهما سبقت الإشارة إليها ، وهما تدلان على أن هذا الخليفة متصرف في الكون بما اختصه الله سبحانه به من التصرف من الإحياء والإماتة والخلق والرزق ، وأما القصة الثانية في قول محمد عثمان عبده : ((قمت بتعليم أحد المريدين في الطريقة الأوراد والإرشاد وبعثته إلى بلدة ما يرشد فيها ، وكان في هذه البلدة بعض أبناء الطريقة الختمية فأخذ هذا المرشد البرهاني يعطي الطريقة هنا وهناك ، فلم يعجب هذا العمل السيد علي ، فذهب إلى هذا المرشد وقبض روحه وفي هذا الوقت كان التتوير بيننا شائعاً ، فأقبل عبده سبيكة – وكان أحد الإخوان – ، بينما كنت في هذا الوقت بالسوق اشترى بعض الحاجيات ، فقال لي أدركنا يا عم الشيخ . قلت : ماذا حدث ؟ قال (الرجل) قبض روح أخينا فلان فثرت ثورة شديدة وقلت : ما العمل ؟ فقال : لا عمل ، هيا بنا لنقدم العزاء لأهله . قلت : أنعزي فيه أيضاً ؟ وأخيراً طرت أنا وعبده سبيكة بروحينا ، وذهبنا إلى بيت المرشد ، فوجدته ميتاً ومكفناً و ينتظر الدفن ، ونظرت فوجدت السيد علي واقفاً وممسكاً بروح المرشد ، فقلت له : لماذا قبضت روح هذا المرشد ؟ فقال لي : إني حر ! وهذا الملك ملكي أفعل فيه ما أشاء . فقلت له : لست حراً . فأنا شريكك في هذا الملك . قال لست شريكاً لي . قلت : أيفعل كل واحد منا ما يريد أن يفعله ؟ قال : نعم . قلت له : أتعي ما تقوله ؟ قال : نعم أعيه جيداً . كررت عليه هذا السؤال ثلاث مرات ، وهو يقول نعم ، فناديت سيدي إبراهيم ورفعت يدي لأضربه وأسلب ما عنده من ولاية وفي هذه اللحظة حضر مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارتجفنا ارتجافاً شديداً أنا وسيدي إبراهيم والسيد علي . وما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن أعاد الروح للمريد ، فقام المرشد فأخذ يسير هنا وهناك ، وذهبت أنا وسيدي إبراهيم والسيد علي .

١ الحديث سبق تحريجه ص ٩٨ .

٢ صحيفة رايات العز تصدرها الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ، عدد أبريل ٢٠٠١ م .

ثم حدثت مشكلة وهي أن الروح تربط دائماً بالرزق ، وحدث أن السيد علي قبل أن يقبض روح هذا المرشد كان قد شطب رزقه في الدنيا وبعد أن عادت روحه إلى جسده وخلال هذه الرجفة التي أصابتنا بحضور الرسول صلى الله عليه وسلم نسيت أن أعيد لهذا المرشد رزقه وهو الآن فقير يعتمد على أرزاق غيره ، وكثيراً ما يأتي إلي يشكو فقره ، فأقول له : اصبر فقد شطب الراجل رزقك^١ .

وتعليقاً على هذه القصة فإنه يقال : يعتبر هذا الكلام ضرب من الهوس ، والخيالات الشيطانية ، التي لا تصدر عن عاقل ، وعلى فرض وقوعه تنزلاً ، فإنه قد تضمن على كثير من المتناقضات والباطل الذي لا تقبله العقول السليمة ، كما تضمن على الشرك الصريح بالله تعالى ، وذلك في دعوى التصرف في الكون ، ومشاركة الله سبحانه في ذلك ، ومن العجب الذي لا ينقضي أن تكون هذه القصص الخرافية عقيدة راسخة للكثير من الناس من أتباع الطريقة البرهانية ، وتجد من يصدقها ويروج لها ، ولا يقبل نقدها فضلاً عن تكذيبها .

وعقيدة الخلافة الإلهية وانتقالها على الوجه المذكور، من عقائد غلاة الروافض ، وهي مستنبطة من عقائد الباطنية ، وقد حدث بأن : ((تأولت صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح ابن آدم ما تأولته النصارى في روح عيسى عليه السلام وما تأوله قوم في أن الروح انفصل من ذات الله تعالى وتقدست أسمائه ، فعبد صنف من النصارى عيسى ومريم جميعاً ، لأن عيسى عندهم روح من الله ، فصار في مريم فهو غير مخلوق عندهم .

وصنف من الزنادقة وصنف من الروافض : إن روح آدم عليه السلام مثل ذلك ، إنه غير مخلوق وتأولوا قوله تعالى : ((وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي))^٢ وقوله : ((ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي))^٣ فزعموا أن روح آدم ليس بمخلوق ، كما تأول من قال إن النور من الرب غير مخلوق ، ثم قالوا ثم صار بعد آدم في الوصي بعده ، ثم هو في كل نبي إلى أن صار في علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، ثم في ابنه الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما ، ثم في كل وصي وإمام ، فيه يعلم الإمام كل شيء لا يحتاج أن يتعلم من أحد))^٤ .

^١ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ٥٧ .

^٢ سورة ص (٧٢) .

^٣ سورة السجدة (٩) .

^٤ مختصر لوائح الأنوار البهية ، شرح عقد الفرقة المرضية ، السفاريني ، ص ٣١٨ — ٣١٩ .

ومما هو شرك في الربوبية قول أبي الحسن الشاذلي: ((تكون يد الشيخ على أصحابه تحفظهم أينما كانوا غائبين أو حاضرين))^١ وقول أحمد عربي الشرنوبلي: ((يا أولادي الشيخ يحفظ المرید الصادق في قربه وبعده))^٢ وقول إبراهيم الدسوقي: ((أنا بيدي أبواب النار غلفتها وبيدي جنة الفردوس فتحتها من زارني أسكنته جنة الفردوس))^٣ وما نقله محمد عثمان عبده عن محي الدين بن عربي: ((ولله في العالم في كل زمان من الرجال المصطفين الذين يحفظ الله بهم العالم))^٤ ، وقولنه في أحد الأولياء: ((وهو رجل البرزخ دائماً فلا يخلو كل زمان عن واحد مثل هذا الرجل))^٥ . وقولنه: ((ومنهم [أي الأولياء] رضي الله عنهم: رجال الاشتياق وهم خمسة أنفس وهم من ملوك أهل طريق الله بهم يحفظ الله وجود العالم))^٦ وقولنه: ((ومنهم رضي الله عنهم ستة أنفس في كل زمان ... لهم سلطان على الجهات الست التي ظهرت بوجود الإنسان ... وبالجملة فما من أمر محصور في العالم في عدد ما إلا والله رجال بعده في كل زمان يحفظ الله بهم ذلك الأمر))^٧ وقولنه: ((ومنهم رضي الله عنهم الأوتاد وهم الأربعة في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون الواحد منهم يحفظ الله به المشرق وولايته فيه ، والآخر بالمغرب والآخر بالجنوب والآخر بالشمال والتقسيم من الكعبة))^٨ . ونقل محمد عثمان عن أحمد البدوي قوله: ((إذا كنت أرعى الوحوش والسماك في البحار وأحميهم من بعضهم بعضاً أفيعجزني الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدي))^٩ . وفي كتاب قبس من نور عنوان نصه: ((الولي قادر على أن يحول من الشقاء إلى السعادة))^{١٠} . ويقول محمد عثمان في حوار له مع بعض المريديات من النساء: ((فإذا أكثرت المرأة من أورادها تزكت روحها وسرت إلى المدينة بنص الحديث وأنا وسيدي إبراهيم في هذه الأوقات أمامنا عمل كثير فإذا ما سرت روحك إلى المدينة فمن يا ترى سيرجعها إليك))^{١١} . وأورد

^١ الأربعة أهل السلسلة ص ٣٠ .

^٢ المصدر السابق ص ٧ .

^٣ الجوهرة المضبية ، إبراهيم الدسوقي ص ٣٧٧ .

^٤ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ٢٦٢ .

^٥ المصدر السابق ص ٢٦٥ .

^٦ المصدر السابق ص ٢٦٧ .

^٧ المصدر السابق ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

^٨ المصدر السابق ص ٢٥٠ .

^٩ المصدر السابق ص ١٢٦ .

^{١٠} قبس من نور ، محمد عثمان عبده ، ص ١٧٥ .

^{١١} المصدر السابق ص ٩٢ .

محمد عثمان قصة بعنوان ((شدة التعلق بالشيخ تجعله معك)) وفيها أن أحد المريدين قال عندما شرحت لــــه المراقبة : ((... وهل غاب عني الشيخ حتى أتخيله ؟ إنه معي دائماً))^١ .

ومن الشرك في الألوهية دعاء غير الله تعالى والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه ، يقول محمد عثمان عبده البرهاني في ترجمة أحمد البدوي : ((أن شخصاً أنكر حضور مولده فسلب الإيمان فلم تكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام فاستغاث بسيدي أحمد البدوي))^٢ ويقول : ((وقع ابن اللبان في حق سيدي أحمد رضي الله عنه فسلب القرآن والعلم والإيمان فلم يزل يستغيث بالأولياء))^٣ ، ونقل محمد عثمان عبده مقولة فيها تجويز الاستغاثة بغير الله ، ورضيها وهي : ((فلا تقدر أيها الشيطان أن تقودني بزخارفك الباطلة التي قدت بها ضعاف الأحلام إلى استحسان قبائحه الظاهرة واستقباح محاسن الإسلام وهو مشروعية السفر لزيارة الأنبياء والصالحين والاستغاثة بهم ولا سيما سيدهم الأعظم صلى الله عليه وسلم))^٤ ، ويقول وهو متحدثاً عن نفسه : ((فاستغثت بسيدنا ومولانا الحسين [يعني ابن علي رضي الله عنه]))^٥ ويقول : ((ثم استغثت بسيدنا الحسين))^٦ ويقول : ((فالاستغاثة بالأولياء لا تقل عن الاستغاثة بالأسماء الحسنى))^٧ .

ويقول : ((ثم أنشد سيدي القصبي قصيدة يستغيث فيها بسيدي إبراهيم ويستشفع إليه بسيدي أحمد البدوي))^٨ ويقول وهو يرجو الخلاص من شدة وقعت له : ((وقلت في سري يا سيدي إبراهيم فإذا بجيش جرار وفي مقدمته سيدي أحمد عربي الشرنوبي))^٩ . ويقول وهو يتحدث عن عبد القادر الجيلاني : ((ثم أقبل السيد عبد القادر الجيلاني وقال لي : أبعد أن أذنتك بإرشاد أبنائي تقول لهم اتركوا الفواتح وافرأوا حزب النصر . قلت له : نعم . قال لي : لماذا ؟ ألا تعرف أن الفواتح هي أساس طريقتي ؟ ولو أنهم قرأوا الفواتح وتوسلوا بي لكنت مجيهم))^{١٠} .

وبالنظر إلى النصوص السابقة فلا بد من تحرير المفاهيم الواردة فيها أولاً حتى يحكم بقبولها أو ردها ، وهي الاستغاثة ، والدعاء والاستشفاع ، والتوسل .

^١ المصدر السابق ص ٩٤ .

^٢ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ، ص ١٢٦ .

^٣ المصدر السابق ص ١٢٧ .

^٤ المصدر السابق ص ٣٠٥ .

^٥ قبس من نور محمد عثمان عبده ، ص ٢٥ .

^٦ المصدر السابق ص ٨٨ .

^٧ المصدر السابق ص ١٢٩ .

^٨ المصدر السابق ص ٢٠٨ .

^٩ المصدر السابق ص ٢٢ .

^{١٠} المصدر السابق ص ٢٣ - ٢٤ .

الاستغاثة : هي طلب الغوث ، وهو التخليص من الشدة والنقمة والعون على الفكك من الشدائد))^١ ومن ذلك قوله تعالى : ((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ))^٢ ، وقوله تعالى : ((فَاسْتَعِذْهُ الَّذِي مِّنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ))^٣ .

والاستغاثة منها ما هو مشروع ومأمور به ، وهي عبادة من العبادات ، وهي الاستغاثة بالله ، ومنها ما هو محظور ، وشرك أكبر مخرج من الملة ، وهي الاستغاثة بالبشر فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه ، أحياء أو أمواتاً ، ولا يفعلها إلا من يعتقد في المستغاث به تصرفاً خفياً في الكون ، وقدرة على إجابة الطلب ، فيجعل لهم حظاً من الربوبية والألوهية ، والله سبحانه يقول : ((أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ))^٤ .

وعليه فإن ما ورد في النصوص السابقة فهو من الاستغاثة الممنوعة ، التي هي من الشرك الأكبر ، لأن المستغاث بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله ، ومنهم الأحياء الغائبين ، ومنهم الأموات . وأما الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه فمشروعة لقوله تعالى في شأن موسى عليه السلام : ((فَاسْتَعِذْهُ الَّذِي مِّنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ)) .

وأما الدعاء : فهو لغة الطلب قال الحافظ أبو بكر بن العربي : ((الدعاء في اللغة الطلب))^٥ وقال الشوكاني : ((معنى الدعاء حقيقة وشرعاً : هو الطلب))^٦ ، والفعل (دعا) إذا استعمل في هذا المعنى : ((يتعدى إلى النفع المطلوب بالياء يقال : دعوت الله بالفلاح))^٧ ويتعدى إلى المعنى المطلوب منه بنفسه ، كما أنه يتعدى في الخير باللام وفي الشر بعلی ، يقال دعوت له بخير ودعوت عليه بشر))^٨ .

ودعاء الله تعالى سبحانه يتضمن معنيين : دعاء الطلب والمسألة ، ودعاء التثناء والعبادة . والدعاء بنوعيه من أجل العبادات وأفضلها ، لما من الافتقار والعبودية والحاجة لله تعالى والذلة له .

^١ تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، ج ١ / ١٣٦ .

^٢ سورة الأنفال (٩) .

^٣ سورة الفصص (١٥) .

^٤ سورة النمل (٦٢) .

^٥ أحكام القرآن ، ابن العربي ، ج ٢ / ٨١٥ .

^٦ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني ، مكتبة الباني الحلبي ، الطبعة الثانية ١٢٨٣ هـ - ١٩٢٤ م ، ج ٤ / ٤٩٨ .

^٧ الكليات معجم في الفروق اللغوية ، أبو اليقاع يعقوب بن موسى الحسيني الكفوي ، تحقيق عدنان درويش و محمد المصري ، طبعة مؤسسة الرسالة ، ج ٢ / ٣٣٣ .

^٨ لسان العرب ، ابن منظور ، ج ٣ / ١٣٨٧ ، وتاج العروس ، الزبيدي ، ج ١٠ / ١٢٧ .

وبناءً على ذلك فإن دعاء الله عبادة وتوحيد ، ودعاء أشرك به سبحانه ، فدعاء غير الله تعالى في حصول مرغوب ، أو دفع مرهوب ، لا يقدر^{عليه} إلا الله تعالى فهذا هو الشرك الأكبر المخرج من الملة ، والشرك فيه نسبة النقص إلى الله تعالى وسلبه سبحانه صفات كماله ، من الغنى والكرم والقدرة والسمع والقرب وغيرها من الصفات ، بل ووصفه بنقيض تلك الصفات ، لذا عظم خطره ، وساء مصير صاحبه .

وأما الاستشفاع فهو من الشفاعة : (يقال شفّع لي شفاعة ، وتشفع : طلب ، واستشفعه : طلب منه الشفاعة ، أي قال له : كن لي شفيعاً ، فالشفاعة على هذا بمعنى الطلب للغير ، والشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره .. والشافع الطالب لغيره ، ويقال له أيضاً : شفيع ، والمشفع الذي يقبل الشفاعة ، والمشفع الذي تقبل شفاعته)^١ .

و الشفاعة في الاصطلاح : هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم^٢ .
والشفاعة ملك لله تعالى ، لا يشركه فيها أحد ، قال الله تعالى : ((أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))^٣ . والله تعالى لا يشفع الشافع إلا بشرطين : الأول : الإذن للشافع ، والثاني : الرضا عن المشفوع له ، لقوله تعالى : ((مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ))^٤ وقوله تعالى : ((يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا))^٥ وقوله تعالى : ((وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ))^٦ وقوله تعالى : ((وَكَمْ مِّنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَنْ بَعَدَ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى))^٧ . والله سبحانه لا يأذن ولا يرضى إلا عن أهل الإيمان من الشفعاء والمشفوع لهم لقوله صلى الله عليه وسلم : ((أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ))^٨ .

والاستشفاع بمعنى طلب الشفاعة ، يكون من الحاضر السامع ، ولذا يطلب الناس يوم القيامة من الرسل أن يشفعوا لهم إلى ربهم لإخراجهم من هول الموقف .

^١ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، ج ٣ / ١٢٣٨ ، ولسان العرب ، ابن منظور ، ج ٤ / ٢٢٨٩ .

^٢ النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير الجزري ، ج ٢ / ٤٨٥ .

^٣ سورة الزمر (٤٣ - ٤٤) .

^٤ سورة البقرة (٢٥٥) .

^٥ سورة طه (١٠٩) .

^٦ سورة الأنبياء (٢٨) .

^٧ سورة الحج (٢٦) .

^٨ أخرجه البخاري في كتاب العلم ، ج ١ / ٢٣٣ ، رقم ٩٩ ، باب الحرص على الحديث ، وفي الرقاق باب صفة الجنة والنار ، رقم ٦٥٧٠ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري .

وأما التوسل : فهو من ((وسل إلى الله تعالى توسيلاً : عمل عملاً تقرب به إليه كتوسل))^١.
وقال ابن الأثير^٢ : ((الواسل الراغب ، والوسيلة القربة والواسطة ، وما يتوصل به إلى الشيء
ويتقرب به وجمعها وسائل))^٣.

وَالْوَسِيلَةُ اصطلاحاً : هي طلب القربة إلى الله تعالى بالعمل بما يرضيه^٤.
والتوسل المشروع ثلاثة أنواع : وهي التوسل بأسماء الله الحسنى ، والتوسل بالأعمال الصالحة ،
والتوسل بدعاء الرجل الصالح الحاضر. وغير هذه الثلاثة أنواع من التوسل فهو دائر بين البدعة
والشرك .

وقد ورد عن البرهانية تناقض واضطراب في إثبات أو نفي بعض الصفات فمن ذلك قول
إبراهيم الدسوقي في صفة الاستواء :

إِنْ قُلْتَ كَيْفَ اسْتَوَى قُلْ كَيْفَ شَاءَ وَلَا
أَوْ قِيلَ أَيْنَ فَقُلْ حَيْثُ اتَّجَهْتَ تَجِدْهُ
هُوَ الَّذِي فَوْقَ كُلِّ الْفَوْقِ رُتِبَتْهُ
تُصْغِي إِلَى كَيْفَ تُصْغِي أَنْتَ نَدْمَانَا
مَوْلَاكَ مَا غَابَ طَرْفَا لَا وَلَا بَانَ
وَحَيْثُ كُنْتَ وَجَدْتَ اللَّهَ دِيَانَا

فهو في البيت الأول يثبت صفة الاستواء ، لكنه سرعان ما ينفي ذلك في البيت الثاني
بقوله بوحدة الوجود ، وأن الله تعالى في كل مكان وغير بائن من خلقه .

ويقول :

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْعَرْشَ يَحْمِلُهُ
الْعَرْشُ وَالْفَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ صَنَعْتُهُ
فَقَدْ افْتَرَى وَاجْتَرَى ظُلْمًا وَبُهْتَانًا
وَقَدْ بَرَاهُنَّ إِحْكَامًا وَإِتْقَانًا

وهو في البيت الأول ينفي الاستواء بنوع التكلف ، ويقول لم يرد نفيه ولا إثباته في
الكتاب والسنة ، فاستواؤه سبحانه لا يلزم منه حاجته إلى العرش وأن العرش يحمله ، بل استواء

^١ القاموس المحيط، الفيروز ابادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، مادة وسل ص ١٣٩٧ .

^٢ هو أبو السعادات ، المبارك بن محمد بن عبد الكريم ، الجزري الشافعي ، المحدث ، الفقيه ، صاحب كتاب ((جامع الأصول في أحاديث الرسول)) و ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) ، ولد سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م ، وتوفي سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م ، ((سير أعلام النبلاء ج ٢١ / ٤٨٨)) .

^٣ النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين أبو السعادات بن الأثير الجزري، تحقيق محمود محمد الطنجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بدون رقم طبع أو تاريخ نشر ، ج ٥ / ١٨٥ .

^٤ جامع البيان في تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري ، ج ٤ / ٢٢٦ .

^٥ ابتسام المدامع ص ٣١٧ .

^٦ المرجع السابق ص ٣١٧ - ٣١٨ .

يليق بجلاله وكماله ، وما ذكر من قوله أن العرش يحمله فهو من الألفاظ المبتدعة التي يأتي بها المبتدعة لنفي صفة الاستواء .

ويقول :

كَيْفَ تَدْرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَا تَقُلْ كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ النُّزُولُ
هُوَ لَا كَيْفَ وَلَا أَيْنَ لَهُ هُوَ رَبُّ الْكَيْفِ وَالْكََيْفُ يَحْوُلُ
هُوَ فَوْقَ الْفَوْقِ لَا فَوْقَ لَهُ وَهُوَ فِي كُلِّ النَّوَاجِي لَا يَزُولُ^١

قوله في البيت الثاني في وصف الله تعالى (لا أين له) مناف لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في سؤاله للجارية بقوله : ((أَيْنَ اللهُ فَقَالَتْ فِي السَّمَاءِ))^٢ ، وقوله في البيت الأخير : (هو فوق الفوق لا فوق له) فيه تناقض وعدم إثبات للفوقية ، ثم قوله وهو في كل النواحي قول عقيدة وحدة الوجود الباطلة ، وهي منافية لعلوه سبحانه واستوائه على عرشه ، الثابت بنصوص الكتاب والسنة .

ويقول محمد عثمان عبده :

فَأَشْهَدُ وَنَزَرَهُ عَنْ حُلُولِ بَاطِلٍ وَعَنِ الْمَكَانِ فَمَا لِكَانَ مَكَانًا^٣

فقوله بنفي المكان عن الله تعالى مما لم يرد به نص شرعي ، فإن أريد به مكان محيط بالله سبحانه ، فهو منفي عنه سبحانه ، لأنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته ، وإن أريد به مكان لا يحيط به فهذا مثبت ، وهي قاعدة عامة تتبع في كل لفظ لم يرد إثباته أو نفيه في القرآن الكريم^٤ ، لأن من لا مكان له فهو المعدوم ، وهو سبحانه مستو على عرشه فوق سمواته ، كما قال تعالى : ((الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى))^٥ .

^١ المصدر السابق ص ٢٢٠ .

^٢ أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ، عن معاوية بن الحكم السلمي ، وأحمد في المسند برقم (٢٣٣٨٢) . وأبو داود في كتاب الأيمان باب التغليظ في الأيمان الفاجرة ، برقم (٣٢٧٨) ، ومالك في الموطأ باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة ، برقم (١٤٧٨) ، وابن حبان في باب إثبات الإيمان للمقر بالشهادتين معا ، برقم (١٦٤) ، والنسائي في باب الكلام في الصلاة ، برقم (١٢١٦) .

^٣ شراب الوصل ، محمد عثمان عبده ، ص ١٩٤ .

^٤ مختصر لواضع الأنوار البهية وسواطع الأنوار الأسرار الأثرية شرح الدررة المضبية في عقد الفرقة المرضية ، محمد بن علي بن سلوم ، حققه وضبطه ونسقه وصححه محمد زهري النجار ، مطبعة المدني بالقاهرة ، بدون تاريخ طبع ص ١٥١ .

^٥ سورة طه (٥) .

وورد في أنوار الأمين في شرح الأوراد في تفسير سورة الإخلاص ما نصه: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)) .. الأحد هو الذي لا يقبل غيره معه ^{لا يقبل} شريكاً معه ، له موطن مجهول موطنه بمعنى أن جهة أحدىته مجهولة))^١.

فالموطن من الألفاظ التي لم يرد نفيه ولا إثباته في الكتاب والسنة ، ولكن يقال إن أريد به معنى يليق بجلاله سبحانه فهو مقبول ، وهو موطن لا يحيط به ، وإن أريد به موطن يحيط به فهو منفي عنه سبحانه ، وكذا لفظ الجهة يقال فيه ما قيل في الموطن ، والقول بأن موطنه مجهول على المعنى الأول باطل ، لحديث الجارية المتقدم ، ولقوله تعالى: ((أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ))^٢. وكذا يقال في الجهة .

^١ أنوار الأمين في شرح الأوراد ص ١٨٠ .

^٢ سورة الملك (١٦) .

المطلب الخامس

علم الغيب

وردت نصوص كثيرة عن البرهانية تدل على إيمانهم بأن غير الله تعالى من البشر وغيرهم يعلمون الغيب ، منها ما تقدم وما يلي : يقول إبراهيم الدسوقي :

قَفَّ بِرَبِّعِ الْوَفَا وَعَرَّجَ لِذِيرِي وَالزَّمَّ الْبَابَ وَأَمْتَلَّ يَا وَزِيرِي
وَأَعْلَمَ الْخُلُقَ يَا وَزِيرِي بِأَنِّي سَيِّدَ الْقَوْمِ مِنْ قَدِيمِ الدُّهُورِ
لَيْسَ يَخْفَى عَلَيَّ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ لَا وَلَا فِي السَّمَاءِ مِنْ غَيْرِ وَزِيرٍ

ولا يخفى ما في البيت الأخير من دعواه علم الغيب الذي اختص الله تبارك وتعالى بعلمه ، وهي دعوى صريحة بأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهذه من صفات الله سبحانه الخاصة به والتي لا يمكن أن يشاركه فيها أحد .

ويقول إبراهيم الدسوقي مدعياً علم الغيب الذي اختص الله تعالى به :

وَأَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ كَمَ مِنْ نَبَاتِهَا وَأَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ رَمَلَةٍ
وَأَعْلَمُ عِلْمُ اللَّهِ أَحْصِي حُرُوفَهُ وَأَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ لُجَّةٍ
وَأَنْظُرُ مَا فِي اللَّوْحِ مِنْ كُلِّ آيَةٍ وَمَا قَدْ رَأَيْتُ مِنْ شُهُودٍ بِمُقَلَّتِي^٢

ويقول :

وَيَسْمَعُ تَسْبِيحَ الصَّوَامِتِ مَسْمَعِي وَإِنِّي لِأَسْرَارِ الصُّدَارِ أَطَالِعُ
وَأَعْلَمُ مَا قَدْ كَانَ فِي زَمَنِ مَضَى وَحَالاً وَأَدْرِي مَا أَفْسَادُ مُضَارِعُ
وَلَوْ خَطَرْتُ فِي أَسْوَدِ اللَّيْلِ نَمْلَةً عَلَى صَخْرَةٍ صَمَاءِ إِنِّي أَطَالِعُ
أَعْدُ الثَّرَى رَمَلاً مَثَاقِيلَ ذَرَّةٍ وَأَحْصِي عَدِيدَ الْقَطْرِ وَهُوَ هَوَامِعُ
وَأَحْكِمُ مَوْجَ الْبَحْرِ وَسَطَّ خَفِيَّهَا عِيَاراً وَمِقْدَاراً وَمَا هُوَ وَاقِعُ
وَأَنْظُرُ تَحْقِيقاً بَعْدِي مُحَقَّقاً قُصُورَ جَنَّاتِ الْخَلْدِ وَهِيَ قَلَابِعُ
وَأَتَقَنُ عِلْمًا بِالْإِحَاطَةِ جُمْلَةً لِأَوْرَاقِ أَشْجَارِ هُنَاكَ أَيَّافِعُ
وَكُلُّ طَبَاقٍ فِي الْجَجِيمِ عَرَفْتَهَا وَأَعْرِفُ أَهْلِيهَا وَمَنْ تَمَّ وَاقِعُ
وَأَنْوَاعَ تَعْذِيبِ هُنَاكَ عِلْمْتُهَا وَأَهْوَالَهَا طُرّاً وَهَنْ فُظَائِعُ

^١ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ، ص ٢١٠ .

^٢ ابتسام المدامع ، ص ٢٧٩ .

وَأَمْلَاكُهَا حَقًّا عَرِفْتُ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيَّ بِخَافٍ مَالَهُ أَنَا صَانِعٌ

ولا يخفى على عاقل ما في هذه الأبيات من دعوى لعلم الغيب الذي اختص الله تعالى به ، ودعوى علم الغيب كفر بالله تعالى ، وذلك لأن صاحبها مدَّع للربوبية . ويسوق محمد عثمان عبده قصة يدلل فيها على علمه الغيب فيقول : ((عندما بدأنا الطريقة في عطبرة أكرمنا الله بدار صغيرة للطريقة ، وكان يقوم على نظافتها وخدمة أبناء الطريقة فيها رجل من أهل بلدتنا ، وفي يوم من الأيام أخذ هذا الرجل يحدث نفسه ويقول ساخراً : هؤلاء الناس الذين أخدمهم برابرة مثلي ، وفقراء والأفضل لي أن أتركهم وأذهب لأخدم أحد الأثرياء أو الخواجات وأخذت تراود نفسه هذه الوسواس كل يوم . ثم جاءني سيدي إبراهيم الدسوقي وقال لي : يا شيخ محمد ألم تسمع قول هذا الرجل ؟ فقلت له وماذا أفعل ؟ قال : إذن — دعه لي فإن الرجل يرى في رؤياه أنه في الروضة الشريفة ، ويكون على خدمتها ، ويرى الصحابة سيدنا أبا بكر وسيدنا عمر ... فلما استيقظ قص على ما رآه وقال لي : بالله عليك أخبرني بتأويل هذه الرؤيا . فقلت له : ألم تقل في نفسك ما هؤلاء البرابرة الذين أقوم بخدمتهم ، لماذا لا أتركهم وأذهب لخدمة أحد الأثرياء أو الخواجات ، فنظر إلي متعجباً وقال لي : من الذي أخبرك بهذا ؟ فقلت له : ألا تعلم أننا نعرف كل شيء خافياً كان أم ظاهراً؟))^١ ، والشاهد منها قوله : ((ألا تعلم أننا نعرف كل شيء خافياً كان أم ظاهراً ؟)) ، ولا يخفى ما فيه من دعوى علم الغيب الذي اختص الله تعالى بعلمه ، وهذه الدعوى كفر بالله تعالى ، لأنها تكذيب للقرآن الذي قال الله تعالى فيه : ((قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ))^٢ والقائل : ((قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ))^٣ ، والقائل : ((يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ))^٤ . ولأن دعوى علم الغيب دعوى مشاركة الله سبحانه في صفاته فهي دعوى ربوبية .

إعتقاد البرهانية أن إبليس يعلم الغيب :

يقول محمد عثمان عبده البرهاني : ((منذ فترة قريبة سمعت بعض الوهابية يقولون : إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب . قلت : هل النبي صلى الله عليه وسلم حبيب الله . قالوا : نعم . قلت كيف يكون عدو الله عالماً بالغيب وحبيبه لا يعلم الغيب قالوا : كيف ؟ قلت : ألم يكن

^١ المصدر السابق ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

^٢ المصدر السابق ص ٩٧ .

^٣ سورة النمل (٦٥) .

^٤ سورة يونس (٢٠) .

^٥ سورة غافر (١٩) .

إبليس مع الملائكة قبل خلق سيدنا آدم؟ وكان طاوس الملائكة؟ قالوا: بلى. قلت: ألم ينطق مع الملائكة عندما قال لهم الحق تعالى: ((إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)) قالوا: بلى. قلت: هل سيدنا آدم في ذلك الوقت كان مخلوقاً؟ قالوا: لا. قلت: كان إذا في عالم الغيب. قالوا: نعم. قلت: إذا كان سيدنا آدم في عالم الغيب فكيف عرف إبليس سيدنا آدم ولم يخلقه الله بعد؟^٢ .
وتعليقاً على هذا الكلام فإنه يقال:

القول بأن الملائكة تعلم الغيب، يرده قوله تعالى: ((قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ))^٣، وقوله تعالى في نفس قصة خلق آدم عليه السلام، وتعليمه الأسماء: ((وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ))^٤، وأما إبليس وإن كان مع الملائكة فهو من الجن لقوله تعالى: ((وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ))^٥، والجن لا يعلمون الغيب لقوله تعالى في موت سليمان عليه السلام: ((فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْوَأْتِ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ))^٦. وأما كيف عرفت الملائكة أن آدم عليه السلام وذريته ستفعل ذلك بأحد أمرين وهما: الأول: أن الله تعالى أعلم الملائكة بما تفعله ذرية آدم فقالت الملائكة ذلك، وهو ما رواه السدي عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة. الثاني: أن الجن أفسدوا في الأرض قبل بني آدم فقاس الملائكة هؤلاء بأولئك^٧.

ويرد محمد عثمان عبده على من يحتجون بالقرءان على أن الغيب لا يعلمه إلا الله فيقول: ((وأما احتجاجهم بقوله تعالى ((وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ الْخ))^٨ فليعلموا أن ذلك

^١ سورة البقرة (٣٠).

^٢ قيس من نور، محمد عثمان عبده، ص ١٢٣.

^٣ سورة النمل (٦٥).

^٤ سورة البقرة (٢١ - ٢٣).

^٥ سورة الكهف (٥٠).

^٦ سورة سبأ (١٤).

^٧ تفسير القرءان العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ج ١ / ١٠٨.

^٨ سورة الأعراف (١٨٨).

جاء في يوم الساعة ، ويوم القيامة علمه عند الله كما قال تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ))^١ . كما يحتجون ببقية هذه الآية من قوله تعالى (وَيُنزَلُ الْغَيْثُ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)^٢ ويزعمون أن علم هذه الأشياء من إنزال الغيث وعلم ما في الأرحام إلى آخره يختص به الله تعالى ولا يطلع عليه غيره . ولكنهم كذبوا في ذلك ، فكل ذلك من الغيب الذي يطلع الله عليه من يشاء . وبقية هذه الآية ما هو إلا من عطف الجملة على الجملة بواو العطف ويكفيهم كذباً أن (الداية) تعرف ما في رحم المرأة ناهيك الأولياء بل إن الكلب البوليسي ليكتشف المجرمين))^٣ . وتهافت هذا القول يغني عن الكلام عليه . ويقول محمد عثمان عبده :

وَلِي كُتُبُ الْأَبْرَارِ أَشْهَدُ مَا بِهَا وَإِنِّي عَبْدٌ وَالْعِبَادُ رَعِيَّتِي^٤

ويقول :

وَإِنِّي فِي أَهْلِ الرَّقِيمِ لَمَفْتِكُمْ^٥ فَتَأْمِنُهُمْ كَلْبٌ وَعَيْنِي حُجَّتِي^٥

ويقول :

وَأَشْهَدُ عَلِيِّنَ أَقْرَأُ مَا بِهَا وَكُلُّ مُجِيبٍ يَصْطَلِي بِمَوَدَّتِي^٦

ويقول :

وَإِنَّ عُلُومَ اللَّهِ فِي اللُّوْحِ كُلِّهَا^٧ أَطَالِعُهَا مِنْ قَابِ قَوْسِ الْحَظِيرَةِ^٧

ويقول :

بَقَرُ الْغُيُوبِ وَكَشَفَ مَكْنُونَاتِهَا^٨ شَأْنِي وَحَاشَا الْوَصْفَ بِالنِّسْيَانِ^٨

ويقول :

^١ سورة لقمان (٣٤) .

^٢ السورة السابقة نفس الآية السابقة .

^٣ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٨٥ .

^٤ شراب الوصل ص ٤ .

^٥ المصدر السابق ص ٧ .

^٦ المصدر السابق ص ١٢ .

^٧ المصدر السابق ص ١٣ .

^٨ المصدر السابق ص ٢٦ .

لَوْلَا يُفَنِّدُنِي اللَّذِيْمُ لَأَظْهَرْتُ مَأْنُورَتِي كُلَّ الْغُيُوبِ وَأَفْشَيْتُ^١

ويقول :

أَيُّمَا خَرَدَلٍ يَكُونُ بَغِيْبٍ مِنْ جَمِيعِ الْأُمُورِ فِي طَيِّ عِقْدِي^٢

ويقول :

الْعِلْمُ عِنْدِي وَالْمُعَلَّمُ قُدُوْتِي وَالْغَيْبُ عِنْدِي أَكْمَلُ الْإِعْلَامِ^٣

ويقول :

قَرَأْنَا فِي سَطُورِ الْغَيْبِ سِرًّا كَسِرِّ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ^٤

ويقول :

وَجِبْنَا بِالْعِنَايَةِ كُلَّ غَيْبٍ وَكُنَّا عِنْدَهُ كَالنَّاشِطَاتِ^٥

وفي هذه الأبيات تقرير منه لعلمه بالغيب الذي اختص الله تبارك بعلمه، والحق أن الغيب لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى .

وجاء في كتاب الأربعة أهل السلسلة : ((ويذكر سيدي محمد البلقيني في الطبقات الشرنوبية عن شيخه سيدي أحمد عربي الشرنوبي: ((أن مما من به تعالى على والدتي سر عظيم وهبه الله لها فليس يخلق الله ولياً أو ولية إلى يوم القيامة إلا وعرفته والدتي))^٦ .
والغيب هو ما غاب عن العقول أو عن الأنظار^٧ .

فيقال غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن الأعين^٨ .

وفي الشرع يمكن تقسيم الغيب باعتبار معلومه إلى نوعين :

^١ المصدر السابق نفس الصفحة السابقة .

^٢ المصدر السابق ص ٣٩ .

^٣ المصدر السابق ص ٧٥ .

^٤ المصدر السابق ص ١٣٦ .

^٥ المصدر السابق ص ١٣٧ .

^٦ الأربعة أهل السلسلة ص ٩ .

^٧ القاموس المحيط ، الفيروز ابيدي ج ١ / ١١٦ ، مادة غيب ، ولسان العرب ، ابن منظور ج ١ / ٦٥٤ .

^٨ المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ، بيروت ، دار المعرفة ، بدون تاريخ نشر ورقم طبع ، ص ٣٦٦ .

أحدهما: ما استأنس الله بعلمه، وهو ما يتعلق بذاته سبحانه وبعض أسمائه وحقائق صفاته^١.
الثاني: ما يجوز أن يطلع بعض خلقه على بعضه وهو ما يتعلق بمخلوقاته، وهذا النوع باعتبار العلم به ينقسم إلى نوعين:

الأول: العلم بالغيب علماً حقيقياً مطلقاً، وهذا العلم غائب عن جميع الخلق حتى الملائكة ولا يعلمه أحد سوى الله تعالى^٢.

يقول الإمام الألويسي^٣ رحمه الله تعالى: ((والمقصود على كل تقدير أنه سبحانه وتعالى عالم بالمغيبات جميعها))^٤.

وفي هذا النوع من الغيب يقول الله تعالى: ((قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ))^٥.

وهذا النوع من الغيب هو المراد عند إطلاق لفظ (علم الغيب) لاستغراقه الزمان والمكان، فالله سبحانه هو العليم بكل شيء فالماضي والحاضر عنده سواء وعلمه بذلك صفة ذاتية لازمة له عز وجل لا تنفك عنه بحال.

يقول الإمام القرطبي^٦ رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ((قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ))^٧: ((فإنه لا يجوز أن ينفي الله سبحانه وتعالى شيئاً عن الخلق ويثبتة لنفسه ثم يكون له في ذلك شريك ألا ترى إلى قوله تعالى: ((قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ))

^١ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان، طبع ونشر مكتبة السدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ، ص ١١٢.

^٢ الفتاوي، كل ما بهم المسلم في حياته ويومه وغده، محمد متولي الشعراوي شارك في الإعداد د. السيد الجميلي، دار الندوة الجديدة بيروت لبنان بدون تاريخ نشر ورقم طبع ص ٣٧٠.

^٣ هو محمود بن عبد الله الحسيني، الألويسي شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر، محدث، أديب، ولد في بغداد سنة ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م، وتقلد الإفتاء ببلده، ثم عزل، وانقطع للعلم، سافر إلى الموصل، والإسنانة. فأكرمه السلطان عبد الحميد، عاد إلى بغداد، مواصلاً التصنيف، له عدة مصنفات منها: ((روح المعاني)) وهو في فن التفسير، و ((غرائب الاعترا ب)) و ((الأجوبة العراقية في الأسئلة الإيرانية))، توفي سنة ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م، ((الأعلام ج ٧ / ١٧٦ - ١٧٧)).

^٤ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألويسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ نشر ورقم طبع، ج ٧ / ١٧٥.

^٥ سورة النمل (٦٥).

^٦ القرطبي، هو أبو عبد الله، محمد بن فرج، الأنصاري، القرطبي، الأندلسي، من كبار علماء المالكية، له عدة مؤلفات منها: ((الجامع لأحكام القرآن)) وهو في فن التفسير، و ((التذكرة))، توفي سنة ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م، ((معجم المؤلفين ج ٣ / ٥٢))

^٧ سورة النمل (٦٥).

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ))، وقولُه: ((لَا يُجَلِّبُهَا لَوْفَتَهَا إِلَّا هُوَ))^١ وقوله: ((كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ))^٢ فكان هذا كله مما استأثر الله بعلمه لا يشركه فيه غيره))^٣.

ومن الآيات التي تدل أن علم الغيب مما اختص الله سبحانه بعلمه وحده دون سواه ، فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل فكيف بسواهما ، قوله تعالى: ((قُلْ أَلَلَّهُ أَعَلَّمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ))^٤ وقوله تعالى: ((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطَّلِعَ عَلَيْ الْغَيْبِ))^٥ وقوله تعالى: ((عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ))^٦ وقوله تعالى: ((وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ))^٧.

وجاء في المنار: ((وإذا كان الله تعالى لم يعط الرسل ما لم يؤت غيرهم من أسباب التصرف في المخلوقات ومن علم الغيب وكان كل من التصرف بالقدرة الذاتية وعلم الغيب خاصاً به عز وجل يستحيل أن يشاركه غيره فيه ، فمن أين جاءت دعوى التصرف في الكون وعلم الغيب لمن هم دون الرسل منزلة وكرامة عند الله تعالى من المشايخ المعروفين وغير المعروفين))^٨.

وقد قال سبحانه وتعالى عن عيسى عليه السلام: ((تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ))^٩.

وأما السنة فقد وردت فيها أحاديث كثيرة تثبت علم الغيب لله وحده ، وتنفية عن سواه من خلقه فمنها ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: ((من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب وهو يقول: ((لَا تَذَرِكُهُ الْأَبْصَارُ))^{١٠} ومن حدثك أن محمداً يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول: ((لا يعلم الغيب إلا الله))^{١١}، فإذا كان محمد سيد ولد آدم لا يعلم الغيب فلا شك أن غيره من باب أولى كائناً من كان .

^١ سورة الأعراف (١٨٧).

^٢ سورة القصص (٨٨) .

^٣ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، حققه أبو إسحاق إبراهيم أطفيش ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م بدون رقم طبع ، ج ٢ / ١٧ .

^٤ سورة الكهف (٢٦) .

^٥ سورة آل عمران (١٧٩) .

^٦ سورة الرعد (٩) .

^٧ سورة هود (١٢٣) .

^٨ تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة لبنان بدون تاريخ نشر ورقم طبع ، ج ٧ / ٤٢٥ .

^٩ سورة المائدة (١١٦) .

^{١٠} سورة الأنعام (١٠٣) .

^{١١} فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، ج ١٣ / ٣٦١ .

وروي ابن جرير^١ في تفسير قوله تعالى : ((وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ)) روى بسنده عن ابن مسعود : ((أعطي نبيكم كل شيء إلا مفاتيح الغيب))^٢ و عن السدي قال : ((مَفَاتِحُ الْغَيْبِ)) خزائن الغيب^٤ . و عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله وسلم قال : ((مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدِّ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ))^٥ . قال ابن أبي جمرة^٦ رحمه الله تعالى في شرح الحديث : ((استعار للغيب مفاتيح إقتداء بما نطق به الكتاب العزيز ((وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ)) وليقرب الأمر على السامع ، لأن أمور الغيب لا يحصيها إلا عالمها، وأقرب الأشياء إلى الاطلاع على ما غاب الأبواب، والمفاتيح أيسر الأشياء لفتح الباب ، فإذا كان أيسر الأشياء لا يعرف موضعها فما فوقها أحرى أن لا يعرف)) ثم قال : ((المراد بنفي العلم عن الغيب الحقيقي ، فإن لبعض الغيوب أسبابا قد يستدل بها عليها لكن ليس ذلك حقيقياً))^٧ .

وقد شنع العلماء وكفروا من ادعى علم الغيب، فمن أقوالهم في ذلك، قول أبي حيان^٨ في تفسير قوله تعالى : ((وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ))^٩ : ((ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة إلى الصوف أشياء من ادعاء علم المغيبات والاطلاع على عواقب أتباعهم

^١ هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، الإمام الحافظ المفسر الفقيه ، ولد سنة ٢٢٤هـ / ٨٣٩م ، له عدة مؤلفات منها مؤلفه في التفسير المسمى (جامع البيان في تأويل أي القرآن) توفي سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م ، سير أعلام النبلاء ج ١٤ / ٢٦٧ .

^٢ سورة الأنعام (٥٩) .

^٣ جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٨ - ١٩٨٨م ، بدون رقم طبع ج ٧ / ٢١٢ .

^٤ المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

^٥ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ١٣ / ٣٦١ .

^٦ هو أبو محمد ، عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي ، الأندلسي ، من العلماء بالحديث ، من كبار الصوفية ، و علماء المالكية ، جمعت كراماته في كرايس ، تتلمذ عليه ابن الحاج صاحب كتاب المدخل ، من مؤلفاته : ((جمع النهاية)) واختصر به صحيح البخاري ، ويعرف بمختصر ابن أبي جمرة ، و ((بهجة النفوس)) شرح جمع النهاية ، و ((المرائبي الحسان)) في الحديث ، توفي بمصر سنة ٦٩٥هـ / ١٣٠٥م ، ((الأعلام ج ٤ / ٢٢١)) .

^٧ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ج ١٣ / ٣٦٥ .

^٨ هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، الأندلسي ، أديب ، ونحوي ، ومفسر ، ومحدث ، ومقري ، ومؤرخ ، ولد بقرناطة سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م ، سمع من أربعمائة وخمسين شيخاً ، منهم القسطلاني ، له عدة مؤلفات منها : ((البحر المحيط في تفسير القرآن)) ، توفي بمصر سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م ، ((معجم المؤلفين ج ٣ / ٧٨٤)) .

^٩ سورة الأنعام (٥٩) .

وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولأتباعهم بها ... وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها: ((وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ)).^١ والله تعالى يقول: ((قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ))^٢.

وأما الاستدلال بقوله تعالى: ((عَلِمَ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا))^٣، على علم الرسل للغيب فباطل، لأن إطلاع الله سبحانه لرسوله على بعض المغيبات لا يدل على علمهم للغيب، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ((عَلِمَ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ))^٤، فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحي وأظهرهم عليه بما أوحى إليهم من غيبه، وما يحكم الله فإنه لا يعلم ذلك غيره ((. وقال قتادة: ((إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ)) فإنه يظهره من الغيب على ما شاء إذا ارتضاه))، وقال ابن زيد: ((فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ)) ينزل من غيبه ما شاء على الأنبياء، أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم القرآن))^٥، وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: ((فإنه تعالى عنده علم الغيب ويده الطرق الموصلة إليها لا يملكها إلا هو فمن شاء إطلاعها عليها أطلعته ...))^٦، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله ((فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ)) في الآية رد على من يدعي أنه يطلع على ما سيكون من حياة أو موت ...))^٧. ويقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: ((وأما من ادعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون فلا ريب في كفره))^٨.

وبهذه النصوص والأقوال يتبين بطلان القول بأن غير الله تعالى يعلم الغيب، و يعلم أن علم الغيب من صفات الله سبحانه وتعالى، التي لا يشركه فيها أحد من خلقه كائناً من كان، وأن من ادعى علم الغيب فهو كافر بالله تعالى، لدعواه مشاركة الله سبحانه في صفاته، على وجه الكمال اللائق به تعالى.

^١ أخرجه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ / ٩.

^٢ سورة النمل (٦٥).

^٣ البحر المحیط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي طبع دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ج ٤ / ١٤٦.

^٤ سورة الجن (٢٦).

^٥ سورة الجن (٢٦ - ٢٧).

^٦ جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ج ٢٩ / ١٢١ - ١٢٢.

^٧ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ج ٧ / ٢.

^٨ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ج ١٣ / ٣٦٤ - ٣٦٥.

^٩ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ٧ / ٢، ٣.

المبحث الثاني

السمعيات

المطلب الأول

عقيدة البرهانية في الملائكة

الملائكة خلق من خلق الله تعالى ، ومن عباده خلقهم من نور ، وخلقهم لعبادته ، والدليل علي خلقهم قوله صلى الله عليه وسلم: ((خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ))^١.

والملائكة يطيعون الله سبحانه ولا يعصونه ، فهم تحت أمره ونهيه والدليل علي ذلك من القرآن قوله تعالى: ((لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ))^٢. وقوله تعالى: ((وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ))^٣.

وقد أوكل الله سبحانه الملائكة عليهم السلام بأعمال يقومون بها ، فمنهم الموكل بالأرزاق وهو ميكائيل ، ومنهم الموكل بالنفخ في الصور وهو إسرافيل ، ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو مالك وأعوانه ومنهم الموكل بأعمال العباد ، وهم الكرام الكاتبون ، ومنهم الموكل بالجنة ونعيمها ومنهم الموكل بالنار وعذابها وهو مالك ، ومنهم الموكل بفتنة القبر ، وهم منكر ونكير ، ومنهم حملة العرش إلي غير ذلك مما كلفوا به من أعمال^٤.
والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، وهو يتضمن أربعة أمور :

- الأول : الإيمان بنوحيتهم .
 - الثاني : الإيمان بما علم من أسماءهم .
 - الثالث : الإيمان بما علم من صفاتهم .
 - الرابع : الإيمان بما علم من أعمالهم .
- عقيدة البرهانية في خلق الملائكة :

يعتقد البرهانية أن الملائكة مخلوقون من أسماء الله سبحانه الحسنى ، وفي ذلك يقول محمد عثمان عبده البرهاني: ((والملك مخلوق من اسم الله سبحانه وتعالى))^٥ ويقول ((ومعنى

^١ أخرجه مسلم في كتاب الزهد باب في أحاديث متفرقة ج ٨ / ٢٢٦ .

^٢ سورة التحريم (٦) .

^٣ سورة الأنبياء (٢٦ ، ٢٧) .

^٤ أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ، حافظ بن أحمد الحكمي ، خرج أحاديثه وعلق عليه مصطفى أبو النصر الشبلي ، الناشر مكتبة السوادي جدة ، الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ — ١٩٨٩ م ، ص ٧٨ .

^٥ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٧٩ .

أنبأهم بأسمائهم أن يعرف كل منهم على حدة بالاسم الذي خلق منه .. مثلاً يقول لسيدنا جبريل عليه السلام : أنت مخلوق من اسمه العليم ، وأنت تقف في مرتبة العلم)) ويقول : ((أَنْ كُلَّ مَلَائِكَةِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ رَسَلٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي خُلِقُوا مِنْهَا وَتَصَرَّفُوا فِيهَا ..))^١ .

وفي أنوار الأمين في شرح الأوراد : ((وعندما ترتقي الأرواح إلى الرفوف الأعلى ينتهي إليه صاحب السير بالاسم ؛ ولذلك وقف عنده سيدنا جبريل عليه السلام لأنه مخلوق من الأسماء ، والأسماء لا تتعدى هذه المرتبة ..))^٢ .

وبالنظر إلى هذه النصوص ، فإنه يقال :

القول يخلق الملائكة من أسماء الله الحسنى قول ظاهر البطلان ومخالف لصريح الخبر الصحيح الوارد من النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ((خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ..))^٣ . وقد سبقت الإجابة عن جعل أسماء الله تعالى الحسنى مادة للخلق عند الكلام في عقيدتهم في أسماء الله الحسنى .

اعتقاد البرهانية أن الملائكة يعلمون الغيب:

يقول محمد عثمان عبده البرهاني : ((فإذا لم يكن الملائكة يعلمون الغيب البعيد المعرف بغيب الإرادة كما سبق ، فكيف عرفوا أبناء آدم سيحدث منهم ما ذكروا ولم تكن طينة آدم قد جئ بها آنذاك ؟ لعمري أن هذا لدليل قاطع وواضح على أن الملائكة يعلمون الغيب البعيد))^٤ . وقد تقدمت الإجابة على هذا القول ، بأن الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه، ولكن علم الملائكة بما يقوم به بنو آدم ، هو بأحد أمرين كما ذكره أهل التفسير : الأول : تعليم الله سبحانه وتعالى لهم بذلك ، فمن ذلك : ((ما رواه السدي عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أن الله أعلم الملائكة بما تفعله ذرية آدم فقالت الملائكة ذلك))^٥ أي قولهم : ((أَنْجَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ))^٦ .

الثاني : ((ما رواه الضحاك عن أن الجن أفسدوا في الأرض قبل بني آدم فقالت الملائكة ذلك ففاسوا هؤلاء بأولئك))^٧ وبهذا يظهر بطلان القول بأن الملائكة يعلمون الغيب.

^١ المصدر السابق نفس الصفحة السابقة .

^٢ المصدر السابق ص ٢٩٩ .

^٣ أوار الأمين في شرح الأوراد عن سيدي فخر الدين ص ١٩١ .

^٤ سبق تخريجه ص ٢٧٧ .

^٥ تبرئة الذمة في نصيح الأمة لمحمد عثمان عبده ص ٢٧٩ .

^٦ تفسير القراءن العظيم ، الحافظ ابن كثير ج ١ / ١٠٨ .

^٧ سورة البقرة (٣٠) .

^٨ تفسير القراءن العظيم ، الحافظ ابن كثير ج ١ / ١٠٨ .

اعتقاد البرهانية في أعمال وصفات بعض الملائكة :

من المعلوم أن أعمال وصفات الملائكة مما يجب الإيمان به وذلك بعد ثبوتها بالنص الشرعي من الكتاب أو السنة ، ولكن البرهانية يسندون إلى الملائكة أعمالاً وصفات لا دليل عليها بل فيها مخالفات شرعية تتنافى مع العقيدة الصحيحة فمن ذلك ما يلي :

إعطاؤهم الملائكة حق التشريع :

ورد في كتاب قبس من نور قصة يحكيها محمد عثمان عبده البرهاني والشاهد منها قوله ((وفي يوم من الأيام رأى هذا الأخ الذي أوصيته بالمحافظة على الفتى المريض سيدنا عزرائيل قادماً ، فقال إلى أين ؟ قال : أريد أن اقبض روح هذا المريض . فقال له : لا تقبض روحه لأن الشيخ أوصاني بالمحافظة عليه فقال سيدنا عزرائيل له : إذا لم ترد موته اقرأ له الحزب السيفي سبع مرات كل يوم))^١.

وبالنظر إلى هذه القصة نجد أنها اشتملت على كثير من المخالفات الشرعية منها ما يلي :

أولاً : المحافظة على شخص من الموت بعد حلول أجله من المستحيل لقوله تعالى: ((وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ))^٢.

ثانياً : تسمية ملك الموت بعزرائيل مما لم يرد به نص شرعي صحيح .

ثالثاً : التحقق من أن القادم هو ملك الموت ما هو طريق معرفته ؟ الجواب : تقدم في القصة ما يفيد بأنه الكشف . وهو ليس بحجة شرعية يعتمد عليها كما تقدم ، فلا يبعد أن يكون شيطاناً .

رابعاً : الحزب السيفي من الأحزاب البدعية غير المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، ونسبته إلى علي رضي الله عنه لم تثبت بسند صحيح، بل هو مكذوب عليه رضي الله عنه .

خامساً : الحزب السيفي عبارة عن ثناء على الله سبحانه ودعاء هو يقع في عشرين ورقة وقراءته سبع مرات في كل يوم تعني عدم الاشتغال بغيره، لما تستغرق قراءته من وقت.

سادساً : قراءة الحزب السيفي على الوجه المذكور تشريع لعبادة، والتشريع من حق الله سبحانه الذي لا يشاركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل .

سابعاً : تقدم أن الآجال مضروبة فعند حلولها لا تنفع قراءة الحزب السيفي ولا غيره.

^١ قبس من نور ، محمد عثمان عبده ص ٧٤ - ٧٥ .

^٢ سورة المنافقون (١١) .

اعتقاد البرهانية بأن لكل سورة واسم من الأسماء الحسنى وحزب ملك موكل به:

فقد ورد في كتاب قيس من نور عنوان ونصه: ((تسخير أحد الأولياء لملائكة سورة يس))^١، ويقول محمد عثمان عبده البرهاني: ((.. ملائكة الاسم الإلهي لا تتأتى إلا بعد جهد ومشقة في العبادة ، و تتأتى بعد ترديده بمراتب كثيرة ، وبعد وصول الولي إلى ذكر الروح في مراتبه العالية))^٢، ويقول ((.. عندما تقرأ الاسم الإلهي واحداً وأربعين يوماً تنزل عليك ملائكة هذا الاسم وتستطيع أن تسخر ملائكته وتتعامل معها))^٣، ويقول : ((وتنقلت في الأسماء الإلهية اسماً بعد اسم من الاستغفار وإلى التهليل إلى الاسم المفرد (الله) الذي كنت أردده كل يوم عشرة مراتب في كل مرتبة ستة آلاف وستمائة وستون مرة ، حتى تنزلت ملائكة الاسم (الله) وهم لا يحصون عدداً وكنت أسمعهم وهم منتزلون يقولون محمد عثمان بن سيدنا إبراهيم الدسوقي له الذكر بالاسم الله بمراتب))^٤، ويقول محمد عثمان في قصة والشاهد منها قوله ((.. وإذا بسيدي إبراهيم يشير بيديه فأقبل ملكان أخضران رجليهما في الأرض السابعة ورأسهما في السماء.. ثم وجدت الملكين يصغر حجم كل منهما ، فتحدثت إليهما بقلبي وسألتهما من أنتما؟ فقال أولهما أنا من الربوبية ، وقال الثاني أنا من الرحمانية ، قلت : وما تخدمان ؟ قال لا سيدي إبراهيم أتى بنا من وسط ملائكة الحزب الصغير وهناك ملايين أكبر منا بمراحل يقومون بخدمة الحزب الصغير))^٥، ويقول: ((وهكذا استطعت أن أورد الأسماء السبعة أنزل ملائكتها))^٦، ويقول: ((.. فنظرت في السماء فوجدت ملائكة الحزب السيفي تملأ ما بين السماء والأرض حتى حجبت الشمس))^٧.

تسخير الملائكة :

يعتقد البرهانية أنه بإمكانهم تسخير الملائكة والتصرف فيهم بالأمر والنهي، فمما ورد عنهم في ذلك قول محمد عثمان عبده البرهاني: ((.. فنظرت في السماء فوجدت ملائكة الحزب السيفي تملأ ما بين السماء والأرض حتى حجبت الشمس إذا بي أري سيدي إبراهيم يأتي مخلقاً في كوكبة من الملائكة ثم أشار بأصبعه إلى الملائكة فاخفقوا وعم ضوء الشمس المكان كله ... ومنذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا وعوالم الحزب السيفي مرفوعة ، وما تنزلت، إن

^١ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ، ص ٨٨ .

^٢ المصدر السابق ص ٨٣ .

^٣ المصدر السابق ص ٨٤ .

^٤ المصدر السابق ص ١٦ .

^٥ المصدر السابق ص ٨٣ .

^٦ المصدر السابق ص ١٦ .

^٧ المصدر السابق ص ٧٧ .

سيدي إبراهيم عندما يصدر حكماً يظل سارياً^١، ويقول محمد عثمان عبده وهو يتحدث عن أحد المشايخ وحفظه لمريديه: ((.. ولكنه أمر الملائكة بأن يقوموا برعاية هؤلاء الناس))^٢. ويقول محمد عثمان عبده في قصة والشاهد منها قوله: ((.. فقال سيدي ذو النون له : إنني أمرت الملائكة أن يعطوك سبعين قرشاً كل يوم))^٣. ويقول ((وفي اليوم التالي جاء سيدي إبراهيم فأشار إلى الملائكة بأن يذهبوا))^٤. يقول متحدثاً عن سيده إبراهيم: ((وإذا به يقول للملائكة إذا لم تسامحك أمة فسوف أمحوكم من ديوان الملائكة))^٥. ويقول في قصة ((.. وبحث الأمر فوجدت أن الحاج (الغوث السابق) قد سخر لتاجر الأخشاب ملكاً روحانياً يجلب إليه الزبائن .. فدنوت من هذا الملك وقمت بصرفه بعدما عرفت السبب))^٦.

ويقول في ديوان شراب الوصل :

جُنُودِي فِي التَّصْرِيفِ هُمْ تَحْتَ إِمْرَتِي
وَكُلُّ ذَوَاتِ الكَافِ تَرْهَبُ صَوْلَتِي^٧

فَجَبْرِيلُ مِيكَالٌ وَإِسْرَافُ عَزْرَاءُ
تُطَاوِعُنِي الأَمْلَاقُ بِالجُودِ وَالقُرْي

ويقول محمد عثمان عبده في قصة مروية بصيغة يروي: ((.. قال سيدنا جبريل : عندما أمرنا ربنا بالسجود لأدم التفت حتى أري من الذي سيسجد ومن الذي لا يسجد ، فإذا بروح علي (يعنى بن أبي طالب) تأتي وتضغط علي رأسي فسجدت ومن أجل هذا أكن له الحب وأعترف له بالجميل))^٨.

وبالنظر إلى العقائد السابقة فإنه يقال ما يلي:

أولاً : الإيمان بما اختصت به الملائكة من أعمال طريق معرفته النصوص الشرعية من القرآن والسنة ، وما ذكر من أن سورة يس لها ملائكة حكم يحتاج إلي نص شرعي ولا نص. ثانياً : ما ذكر من أن الأسماء الحسنی لها ملائكة موكلة بها يقال فيه ما قيل في ملائكة سورة يس.

ثالثاً : الذكر بالاسم المفرد من العبادات البدعية، بل ليس بذكر لله سبحانه، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في بطلان هذا الذكر المبتدع أقوال نفيسة فيما يلي ذكر بعضها ، فمنها قوله: ((وأما الاقتصار علي الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له فضلاً

^١ قبس من نور ، محمد عثمان عبده ص ٧٧ .

^٢ المصدر السابق ص ٨٩ .

^٣ المصدر السابق ص ٩١ .

^٤ المصدر السابق ص ١٦ .

^٥ المصدر السابق ص ٢٠٧ .

^٦ المصدر السابق ص ٤٣ .

^٧ شراب الوصل ، محمد عثمان عبده ص ١٠ .

^٨ قبس من نور ، محمد عثمان عبده ص ١٩٨ .

عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات، وذريعة إلى تصورات وأحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد والاتحاد^١. ويقول: ((والذكر بالاسم المفرد مظهراً ومضمراً بدعة في الشرع وخطأ في القول واللغة، فإن الاسم المجرد ليس هو كلاماً لا إيماناً ولا كفراً^٢). ويقول: ((فأما الاسم المفرد مظهراً مثل الله الله أو مضمراً مثل هو هو، فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة، ولا هو مأثور عن أحد من سلف الأمة ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين))^٣.

فإذا تبين أن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع، وليس له معني بطل القول بنزول ملائكة مختصة به عند الذكر به، وتعين أن تكون هذه النازلة شياطين تريد إضلال الذاكر بهذا الذكر المبتدع عديم المعني.

رابعاً: القول بتسخير الملائكة والتصرف فيهم بالأمر والنهي من صفات الله سبحانه التي لا يشاركه فيها أحد من خلقه، ودعوى تسخير الملائكة دعوى مشاركة الله سبحانه في ربوبيته، ولا يخفي ما في هذه العقيدة من الكفر والضلال.

^١ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١٠ / ٢٣٣ .

^٢ المصدر السابق ج ١٠ / ٣٩٦ .

^٣ المصدر السابق ج ١٠ / ٥١٦ .

المطلب الثاني

عقيدة البرهانية في الجن

الجن خلق من خلق الله تعالى خلقهم لعبادته كما قال سبحانه: ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون))^١. وقد خلقهم الله تعالى من نار لقوله تعالى ((وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ))^٢. وقوله تعالى ((وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ))^٣. وقوله صلي الله عليه وسلم ((خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار))^٤. والجن في طاعتهم لله سبحانه كبنو آدم منهم المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي، لقوله تعالى عنهم: ((وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا ذُوْنَ ذَلِكَ كُنَّا طِرَاقٍ قَدَدًا))^٥. وقوله تعالى ((وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا))^٦. والقاسطون أي الجائرون عمن الحق الناكبون عنه^٧. والجن منهم إبليس نعوذ بالله منه لقوله تعالى ((وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا))^٨ والإيمان بالجن يفترض الإيمان بوجودهم وبما علمنا من صفاتهم عن طريق الوحي (الكتاب والسنة). وأما عقيدة البرهانية في الجن فتتضح من خلال القصة التالية التي يرويها محمد عبده البرهاني والشاهد منها قوله: ((.. فعرفت أن هناك تمساحاً من الجن النيس هذه المرأة وعند ما رأني فر هارباً، وهذا يدل علي أن أي قسم يزجر الجن مهما كانت درجة هذا الجن . والجن الذي يملأ الأرض التي نعيش عليها يُسْمُونُ الْعُمَّارَ، ورئيسهم هو الملك طارش، ومن رحمة الله بنا أنه كتب في أيدينا الاسم الإلهي، وقاية لنا من هؤلاء .

^١ سورة الذاريات (٥٦) .

^٢ سورة الحجر (٢٧) .

^٣ سورة الرحمن (١٥) .

^٤ تقدم تخريجه ص ٢٧٧ .

^٥ سورة الجن (١١) .

^٦ سورة الجن (١٤ - ١٥) .

^٧ تفسير القرآن العظيم ، الحافظ ابن كثير ج ٤ / ٦٧٤ .

^٨ سورة الكهف (٥٠) .

ومن دلائل كثرتهم أن أحدهم عندما يتزوج فلانة ينجب بعد أربعة وعشرين ساعة عشرة من الجن ، وهؤلاء العشرة بعد أربعة وعشرين ساعة يتزوجون وينجبون ألفاً .. وهكذا يقول الله سبحانه وتعالى : ((يَمْعُشَرُ أَلْجِنُّ قَدْ أَسْتَكْتَرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ))^١ بمعنى أنكم ملأتم الأرض.

فعندما يكون القسم لديك وتكون مأذوناً بقراءته فإن طارش ينادي ، يا معشر الجن ، يا معاشر العُمَّار ، فلان ابن سيدي إبراهيم أخذ القسم الفلاني بإذن من شيخه من سيدي إبراهيم من النبي صلى الله عليه وسلم- لخدمة الطريقة أو الأخوان أو لخدمة نفسه فبايعوه بالخدمة والطاعة ، أما إذا أخذ الإنسان القسم بأن وجده في كتاب أو قرأه دون إذن سيأتي طارش ويقول : يا معاشر الأخوان فلان يقرأ القسم الفلاني دون إذن معتمد ، فقد بارزنا بالعداوة فعادوه ، فيعادونه بأن يفرقوا بينه وبين زوجته ويجعلوا حياته كلها أرقاً وغمماً ... ويحسب أنه يحسن صنعاً ، فقسمكم أيها البرهانية قد أحسن إيقافه وتزلت عوالمه وأحصيت جواهره ولذلك فالعُمَّار كلهم يقومون بخدمتنا وكذلك العوالم العلوية كلها فما أجدرك أيها البرهاني الذي أخذت القسم أن تسهر علي قراءته ليلاً وبمراتب^٢.

ومع هذه القصة ووقفات :

الأولى : القول بأن للجن ملك واسمه طارش قول يحتاج إلى دليل شرعي ، ولا دليل على ذلك .
الثانية : الوقاية من الجن تكون بالتحصن بالآيات القرآنية والأذكار الشرعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كقراءة آية الكرسي عند النوم مثلاً ، وقراءة سورة البقرة في البيت ، وذكر دخول المنزل ، وذكر الخروج منه ، والتسمية عند الأكل والشرب وذكر دخول الخلاء والخروج منه إلى غير ذلك من الأذكار الشرعية^٣.
أما القول بأن الله تعالى كتب في أيدينا الاسم الإلهي وقاية لنا منهم فلا دليل عليه من النصوص الشرعية .

الثالثة : القول بكثرة الجن على ما ذكر قول يحتاج إلى حجة شرعية ، أما الاستدلال بالآية المذكورة فغير صحيح ، فلم يفسر أحد من أئمة التفسير الآية على الوجه المذكور ، قال ابن كثير عليه رحمة الله : ((وَمَعْنَى قَوْلِهِ : ((قَدْ اسْتَكْتَرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ)) أَي مِنْ إِغْوَانِهِمْ يَعْنِي أَضَلَلْتُمْ مِنْهُمْ كَثِيراً ، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَ قَتَادَةُ))^٤.

^١ سورة الأنعام (١٢٨) .

^٢ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ٨٤ _ ٨٥ .

^٣ هنالك عدة مؤلفات في الأذكار الشرعية منها المطول ومنها المختصر ، فمنها على سبيل المثال ، الأذكار ، الإمام النووي ، وحصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة ، سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، وهو يغني عن كثير من الأوراد والأذكار الطرقية التي لا تعتمد على الأدلة الشرعية بل فيها الكثير مما لا يفهم .

^٤ تفسير القرءان العظيم ، إسماعيل بن كثير ج ٢ / ٢٨٢ _ ٢٨٣ .

الرابعة : القول بتسخير الجن وزجرهم بالطرق الشرعية أمر مستحيل إذ أن الله سبحانه لم يجعل ذلك لأحد بعد نبيّه سليمان عليه السلام كما في قوله تعالى: ((قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَّاصٍ))^١. وقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعائه بأن لم يجعل تسخير الجن لأحد من بعده، وأما تسخير الشياطين بوجه غير شرعي ، فهذا يحصل بالتقرب لهم بمعصية الله من الكفر بالله ، كما قال سبحانه: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا))^٢. وهذا عمل الكهّان والعرّافين والسحرة ، الذين كفروا بالله تعالى.

والخامسة : التقرب إلي الجن بتلاوة الأقسام من الأمور المحرّمة ، وهو استرضاء لهم بما يحبون من معاصي الله تعالى ، كما قال سبحانه: ((وَاتَّبِعُوا مَا نَتَلَوُا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سَلِيمٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هِرُوتَ وَمِسْرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ...))^٣.

^١ سورة ص (٣٥ - ٣٧) .

^٢ سورة الأنعام (١١٢) .

^٣ سورة البقرة (١٠٢) .

المطلب الثالث

عقيدة البرهانية في الشفاعة

تعريف الشفاعة:

الشفاعة لغةً من الشفع: الزوج، ضد الوتر، تقول كان الشيء ونزراً فشفعته إذا منمت إليه آخر، وشفعت الركعة جعلتها اثنين، والشفعة - كغرفة ضم ما باعه شريكك في أرض أو دار إلى ملكك، وفلان يعاديني وله شافع أي معين يعينه علي عداوتي. والشفاعة المطالبة بوسيلة أو ذمام، والفعل في الجميع شفع كجمع تقول شفعت في الأمر شفاعاً وشفاعة، وشفعت له إلى فلان وأنا شافعه وشفيعه، ونحن شفاعوه، وتشفعت له وفيه إلى فلان، فشفعني منه تشفيعاً إذا قبل شفاعتي. واستشفعني واستشفع بي إلى آخر طلب شفاعتي إليه، قال الشاعر:

مضى زمن والناس يستشفعون بي فهل لي إلي ليلي الغداة شفيع^١!

والشفاعة بهذا تحمل معني الضم والإعانة للمشفع له. والشفاعة اصطلاحاً: ((هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم، شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع، والمشفع الذي يقبل الشفاعة والمشفع الذي تقبل شفاعته))^٢. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ((الاستشفاع طلب الشفاعة، وهي انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه))^٣. والشفاعة الثابتة في الشرع هي التي يتوفر فيها شرطان: الأول: إذن الله للشافع. الثاني: الرضا عن المشفوع له، وقد دل على كلا الشرطين القرآن الكريم في قوله تعالى: ((من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه))^٤. وقوله سبحانه: ((يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشِيئَتِهِ مُشْفِقُونَ))^٥ ولنبينا صلي الله عليه وسلم أنواع من الشفاعات أجلها الشفاعة العظمى، وهي شفاعته صلي الله عليه وسلم إلى الله سبحانه وتعالى في أهل الموقف لفصل القضاء بينهم، وهي خاصة به صلي الله عليه وسلم. وأما ترتيب الشفاعة يوم القيامة فقد ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً ((فَيُشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيَخْرُجُ

^١ القاموس المحيط باب العين فصل الشين ص ٩٤٧، والمعجم الوسيط ج ١ / ٤٨٧، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ج ٢ / ٤٨٥.

^٢ النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٢ / ٤٨٥.

^٣ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ج ١١ / ٤٤١.

^٤ سورة البقرة (٢٥٥).

^٥ سورة الأنبياء (٢٨).

أَقْوَامًا قَدَرِ امْتَحَشُوا فَيُلْقُونَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبِتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبِتُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ ..))^١.

وفي رواية لمسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً قال: ((قِيْلَ اللهُ تَعَالَى: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيَخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطًّا))^٢.

وفي شرح العقيدة الطحاوية: ((والناس في الشفاعة علي ثلاثة أقوال: فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا والمعتزلة والخوارج أنكروا أن يكون شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره في أهل الكبائر))^٣.

وأما عقيدة البرهانية في الشفاعة فتوضح من خلال النصوص التالية من أقوال محمد عثمان عبده البرهاني منها قوله: ((وإن أكبر شفاعة في معناها بعد شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم شفاعة ابنته البضعة الطاهرة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها .. فيأمر المولى تبارك وتعالى بكل من كان يحب أهل البيت أن يشع نور من أم رأسه بقدر محبته فيدخلون الجنة بشفاعة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها ثم يُشْفَعُ اللهُ تَعَالَى أَهْلَ الْبَيْتِ وَفِي مَقْدَمَتِهِمْ مَوْلَانَا الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ، وَالْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ (ابن علي بن أبي طالب) ، ومولانا الإمام أبو عبد الله الحسين (ابن علي بن أبي طالب) رضي الله تعالى عنهم . وكذلك يشفع الخلفاء الراشدون الأربعة والعبادة الأربعة والأئمة الأربعة والأقطاب الأربعة وباقي الصحابة الأولياء والصالحين والعلماء العاملين كل على قدر مقامه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين))^٤.

وتعليقاً على هذا النص فإنه يقال :

أولاً : القول بأن أكبر شفاعة بعد شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم هي شفاعة ابنته قول مخالف للنصوص الشرعية كما سبق في الحديث أعلاه من أن بعد شفاعة الأنبياء شفاعة المؤمنين عموماً من غير تخصيص والتخصيص يحتاج إلى نص، ولا نص شرعي صحيح يُعتمد عليه، ويجب المصير إليه .

ثانياً : ترتيب شفاعة المؤمنين على النحو المذكور يحتاج إلى دليل ولا دليل يجب المصير إليه فيبقى التعيين علمه عند الله تعالى.

^١ أخرجه مسلم ج ١ / ١١٥ - ١١٦ ، وأحمد في المسند ج ٣ / ٩٤ .

^٢ أخرجه مسلم ج ١ / ١١٥ - ١١٦ .

^٣ شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ، ص ٢٣٥ .

^٤ تبرئة الأمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٣١٢ - ٣١٤ وقبس من نور ، محمد عثمان عبده ص ١٤٩ - ١٥٠ .

وتحت عنوان: ((شفاعة سيدنا أويس القرني)) أورد محمد عثمان عبده عدداً من الأحاديث الضعيفة والموضوعة المتعلقة بشفاعة ذلك التابعي الجليل، أويس القرني، منها ما نقله عن عمر رضي الله عنه قوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((يَدْخُلُ فِي شَفَاعَتِهِ مِثْلُ رِبِيعَةَ وَمُضَرَ))^١ . ويقول محمد عثمان عبده: ((وروي أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في شأن أويس: يَا أَيُّكُمْ رَجُلٌ مِنْ قُرْنٍ أَشَعَثَ أَعْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاسْأَلُوهُ الدَّعَاءَ لِي وَلَكُمْ وَفِي كُمْ سَيَشْفَعُ مِنْ أُمَّتِي... وَإِذَا بَسَدْنَا عَلَيَّ بَنِي طَالِبٍ يَقُولُ لِسَيِّدِنَا عَمْرٍ: أَتْرَكَهُ إِنَّهُ سَيَشْفَعُ فِي أُمَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ حَبَاتِ هَذِهِ الرَّمَالِ فَبِكَيِّ سَيِّدِنَا عَمْرٍ بَنِي الْخَطَابِ))^٢ .

والحق أنه لم يثبت التعيين في شفاعة أحد من آل البيت ، وأما ما ورد في شفاعة الشهيد فهو عام من غير تسمية شهيد بعينه، وتصدير الحديث الأخير بلفظ (روي) يدل على ضعفه عند المحدثين ، وهي صيغة التمريض الدالة على الضعف وعدم معرفة الراوي ، وكذلك يثبت حديث صحيح في شفاعة أويس القرني بل الأحاديث الواردة في هذا الشأن بلفظ: ((إِنْ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِأَكْثَرِ مَنْ رِبِيعَةَ وَمُضَرَ))^٣ ولفظ: ((لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيِّ مِثْلِ الْحَيِّينِ أَوْ مِثْلِ أَحَدِ الْحَيِّينِ رِبِيعَةَ وَمُضَرَ ..))^٤ ولفظ: ((لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ))^٥ قلنا سؤالك يا رسول الله؟ قال سواي ..))^٦ ، من غير تعيين لاسمه في كل الأحاديث كما أنه لم يرد ما يفيد القطع بتعيينه في واحد منها ، فوجب رد علمه إلى الله تعالى .
وذكر الذهبي^٧ في ترجمة أويس القرني ، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يدخل بشفاعة رجل من أمتي أكثر من مضر وتميم ، قيل ومن هو يا رسول الله ؟ قال : ((أويس القرني)) . قال الذهبي تعليقا على هذا الحديث : ((هذا حديث منكر تفرد به الأعيان

^١ أويس القرني، هو : أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني، من بني قرن بن رمدان بن ناجية بن مراد ، أحد النساك العباد المتقدمين ، ومن سادات التابعين ، أصله من اليمن ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يره ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مستجاب الدعوة، وقد على عمر بن الخطاب ، وسكن الكوفة ، وشهد وقعة صفين مع علي بن أبي طالب ، توفي سنة ٢٧هـ / ٦٤٧م . ((سير أعلام النبلاء ج ٤ / ١٩ - ٣٣)) و ((الأعلام ج ٢ / ٣٢)) .

^٢ الحديث بهذا اللفظ ضعيفه الإمام الذهبي رحمه الله .

^٣ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ١٥١ . والحديث أخرجه مسلم ج ١٦ / ٨١ بدون زيادة وفي كم سيشفع .

^٤ الباعث الحديث شرح علوم الحديث الحافظ ابن كثير ، أحمد محمد شاكر ص ٤٢ .

^٥ أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (١٧٥٥٢) .

^٦ أخرجه أحمد في المسند برقم (٢١٨٤٠) .

^٧ الحديث أخرجه أحمد في المسند برقم (١٥٥٥٣) والنزدي في كتاب صفة القيامة ج ٧ / ١٢٩ حديث رقم (٢٤٨٥) هـ وابن حبان ج ٦ / ٤٠٩ برقم (٧٢٦٢) وابن ماجه ج ٢ / ١٤٤٤ والدارمي برقم (٢٨٠٧) .

^٨ هو محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الذهبي ، محدث ، مؤرخ ، أحد كبار المحققين في شتى الفنون ، ولد بدمشق سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٤م ، له مصنفات كثيرة منها : ((سير أعلام النبلاء)) و ((تذكرة الحفاظ)) و ((العلو للعلي الغفاري)) ، توفي بدمشق سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م ، ((شذرات الذهب ج ٦ / ١٥٣ - ١٥٧)) .

وهو ثقة ((قال المحقق : ((الأعين هو محمد بن عتاب البغدادي .. وعلة الحديث شيخ الأعين أبو صالح واسمه عبد الله بن صالح وهو ضعيف لكثرة غلظه))^١ .
شفاة الأقطاب :

يقول محمد عثمان عبده البرهاني : ((ومما روي عن أمر شفاة الأقطاب الأربعة أن سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه في عالم الأرواح قيل له أنك ستشفع في سبعين ألف مثلك كمثل السيد أحمد الرفاعي والسيد عبد القادر الجيلاني ، ولكن سيدي أحمد البدوي طلب من الحق سبحانه وتعالى أن يملأ فمه على قدر اتساعه فوسّع فمه حتى شفّع في أكثر من سبعين ألفاً أضعافاً مضاعفة وطلب سيدي إبراهيم الدسوقي أن يزداد له في جسمه فزيد له ثم طلب أن يزداد أكثر وأكثر فزيد وهكذا حتى سأله الحق جل وعلا عما يريد من كبر جسمه وهو أعلم به . فقال : يا رب إنك قلت وقولك الحق في كتابك العزيز : ((وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمَلَانَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))^٢ وأنا أريد أن أملأ جهنم بجسمي هذا حتى لا يصلها أحد فقال الحق تبارك وتعالى له: أنتكرم علي كريم يا إبراهيم ؟ إنا شفّعناك في سبعين ألفاً مع كل فرد منهم سبعون ألفاً وكل هؤلاء من غير من أخذ طريقك أو دخل مقامك وزارك فله مزيد الحمد والمنة وفي هذا يقول أحد المريدين متوسلاً بسيدي الشيخ إبراهيم القرشي الدسوقي من قصيدة طويلة:

مُتَشَفِّعاً يَوْمَ الْجَزَاءِ مِنْ سَائِرِ الْـ
وَكَذَلِكَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا قَدْ عَصَوْا
أَتْبَاعَ مَع زُورِهِ مِنْ غَيْرِ حَدٍ
كُلُّ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا بِالْعَدْدِ

ومع هذه القصة وقفات :

أولاً: مصدر القصة يدل على كذبها وهو (يروى) (في عالم الأرواح) فيروى صيغة تمريض تدل على عدم معرفة الراوي، وعالم الأرواح من الأمور الغيبية التي لا يعلم حقيقتها إلا الله تبارك وتعالى .

ثانياً: على فرض صحة القصة فإنها قد تضمنت علي كثير من الأمور الباطلة منها ما يلي:

(أ) الدعاء المذكور بتوسيع الفم وكبر الجسم فيه نوع من الحمافة فهل لم يجد هؤلاء أن يسألوا الله سبحانه إلا بهذا الأسلوب؟! فإن الله تعالى قادر علي إجابة دعائهم وقبول شفاعتهم في نفس العدد المذكور وأكثر منه بمجرد الطلب .

^١ سير أعلام النبلاء ، الحافظ الذهبي ، ج ٤ / ٢٣ .

^٢ المصدر السابق هامش الصفحة المذكورة .

^٣ سورة هود (١١٩) .

^٤ تبرئة الذمة ، محمد عثمان عبده ص ٣١٣ - ٣١٤ ، وقبس من نور ، محمد عثمان ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(ب) دعاء إبراهيم الدسوقي بدخول النار وملئها اعتداء في الدعاء والله سبحانه يقول:
 ((ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ))^١، والاعتداء في الدعاء قال فيه
 الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: ((والمعتدي هو المجاوز للحد ومرتكب الحظر))^٢،
 وقال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد أن ذكر أنواعاً للاعتداء في الدعاء: ((فكل سؤال
 يناقض حكمة الله، أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، و يتضمن خلاف ما أخبر به فهو
 اعتداء لا يحبه الله ولا يحبه رسوله))^٣، ولا شك في أن ما دعي به إبراهيم الدسوقي
 يتضمن كل ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى، فهو أي إبراهيم الدسوقي يطلب من الله
 تعالى حصول ما دلَّ السمع علي نفيه، فإن الله سبحانه قضى وحكم بملء النار من الجنة
 والناس أجمعين ولا مُعقب لحكمه ولا راد لقضائه، والحكم بذلك يقتضي عدم وقوع
 خلافه، ومحمد عثمان عبده بنقله لهذا الكلام ينسب شيخه إلي الجهل إذ كيف يسأل الله
 هذا السؤال بعد علمه بهذه الآية وهي قوله تعالى: ((وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمَلَانَ جَهَنَّمَ
 مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))^٤.

(ج) ليس من شأن المؤمن أن يسأل الله تعالى دخول النار، بل المشروع الاستعاذة بالله
 منها .

(د) لو فرض أن الله سبحانه استجاب دعاء إبراهيم الدسوقي للزم من ذلك أمور باطلة منها
 شفاعته في الكفار، وعدم تعذيبهم، وعدم عدله سبحانه بمساواة الكافرين بالمؤمنين، وهو
 القائل سبحانه: ((لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَبْسَرِ عَيْنٍ مَّا لَمْ تُحِطْ بِهَا إِنَّهُمْ لَكَافِرُونَ))^٥ وللَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
 عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَيَسُوسُ الْمُصِيرُ))^٦، والقائل: ((أَفَنَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْمُجْرِمِينَ))^٧، والقائل:
 ((أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ
 كَالْفُجَّارِ))^٨، والقائل: ((أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا

^١ سورة الأعراف (٥٥) .

^٢ الجامع لأحكام القرآن ، محمد أحمد القرطبي ، ج ٧ / ٢٢٦ .

^٣ بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ج ٣ / ١٣ .

^٤ سورة هود (١١٩) .

^٥ سورة الملك (٦) .

^٦ سورة الفلم (٣٥) .

^٧ سورة ص (٢٨) .

فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابِ
النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)) وغيرها من الآيات .

(هـ) القول بأن الله سبحانه وتعالى قبل شفاعته إبراهيم الدسوقي في تسعة وأربعين مليوناً من
غير أتباع طريقته وزوار قبره ، قول باطل، وفيه دعوة لدخول الطريقة البرهانية لكن
لمن ؟ الجواب لمن يُصدَّق بأنه مشفوع له طالما دخل الطريقة من السُدج وضعاف
العقول. ويبقى الناس تجاه هذه الدعوة ثلاثة أقسام :

- (١) قسم دخل الطريقة فهو يرجو الشفاعة .
- (٢) قسم من المحبين وزوار القبر يرجو الدخول في التسعة وأربعين مليوناً المشفوع لهم.
- (٣) قسم يُكذب بهذا الوعد ويَعُدُّه باطلاً وسداجةً ، وقد فاتته هذا الخير المزعوم بغير دليل
شرعي يُستند إليه .

المطلب الرابع

عقيدة البرهانية في الحياة البرزخية

قبل إيراد عقيدة البرهانية في الحياة البرزخية لا بد من التعريف بها، فالحياة لغة : ضد الموت ، والحي ضد الميت^١.

وأما اصطلاحاً : فهي صفة توجب للموصوف بها أن يعلم ويقدر^٢.

والبرزخ لغة : هو الحاجز بين الشئيين، وهو أيضاً ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلي البعث فمن مات فقد دخل البرزخ^٣. وعلى هذا فمعناه الاصطلاحي مأخوذ من معناه اللغوي.

وعلي هذا تكون الحياة البرزخية هي الحياة بعد الموت بعد مفارقة الدنيا وقبل البعث كما قال الله تعالى : ((حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ))^٤.

وقد أنكر البرهانية الحياة البرزخية ودلت علي ذلك نصوص كثيرة منقولة عنهم منها ما أورده محمد عثمان عبده في كتابه انتصار أولياء الرحمن ، حيث يقول : ((قال تعالى : ((وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)) وهذه الآية اغتر وضل في فهم معناها الكثير من الضالين إذ يقولون بأن بين الحياتين الدنيا والآخرة حياة برزخية وهم لا يفهمون معني البرزخ وحقيقته وهو الحائل بين الشئيين بقدرة ربه سبحانه إذ يقول تبارك وتعالى : ((مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ))^٥ فظن هؤلاء أن البرزخ حياة بين الحياتين وهم مخطئون في عقيدتهم غافلون عن فهم ما جاء في الكتاب والسنة وفاتهم قوله تعالى : ((وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))^٦ ((فمن أني لهم القسم الثالث وهو الحياة البرزخية))^٧.

واستدل البرهانية علي إنكار الحياة البرزخية بما يلي:

(أ) تعريفهم الموت بأنه عدم الحركة والحياة بالحركة.

(ب) أنه لا فاصل بين الحياتين بل ينتقل الميت من حياة إلي حياة أرقى منها، ومن قول محمد عثمان في ذلك : ((.. حياة الآخرة التي هي أحياء من حياة الدنيا بصريح كلام رب

^١ مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، ص ١٦٦

^٢ التعريفات ، الشريف الجرجاني ، ص ١٢٦ .

^٣ مختار الصحاح ص ٤٨ ، وتفسير القرءان العظيم ، الحافظ ابن كثير ج ٣ / ٤٠٩ - ٤١٠ ، والتعريفات ص ٦٣ - ٦٤ .

^٤ سورة المؤمنون (٩٩ - ١٠٠) .

^٥ سورة الرحمن (١٩ - ٢٠) .

^٦ سورة الذاريات (٤٩) .

^٧ انتصار أولياء الرحمن علي أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

العالمين وبيان سنة سيد الأولين ولا فاصل ولا فارق ولو لحظة بين الحياتين بل ينتقل من حياة الدنيا إلي حياة أرقى منها متصلاً بها اتصال اليقظة بالنوم والجوع بالشبع^١ .
 (ج) إن الموت والحياة ترقى في الوجود بدليل : ((أنه ما تعلق قدره الحق عز وجل بإيجاد موجود إلا وهو يترقى في الحياة أبداً لا يلحقه العدم بالمشاهدة والعيان وذلك في كل شئ بحسبه بمعنى أن ترقيه في الوجود بالانتقال من حالة إلى حالة أرقى منها إذ الموجد جل وعلا ما أوجده إلا بمقتضى كماله ، وكمالاته سبحانه وتعالى لا تنتهى إذ ما من كمال إلا وعند الله أكمل منه وأيضاً أنه ما تعلق صفته تعالى به وهو حي بالموجود ولو انعدم هذا الوجود لتعطلت الصفة التي هو أي الموجود بها حي، وصفات الله تعالى لا تتعطل^٢)).

(د) أدلة نقلية من القرآن والسنة علي حياة الموتى، وأن حياتهم أرقى من حياة الدنيا ، منها قوله تعالى : ((مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))^٣ . وقوله تعالى : ((أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا))^٤ . وقوله صلي الله عليه وسلم : ((إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ))^٥ .
 وتعليقاً علي ما سبق فإنه يقال :

(أ) الآية التي استدلت بها البرهانية علي نفي الحياة البرزخية، وهي قوله تعالى : ((وَمِنْ وَّرَائِهِمْ بَرَزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)) فيها إثبات للحياة البرزخية، قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيرها : ((قال أبو صالح وغيره في قوله : (ومن ورائهم) يعني أممهم . وقال مجاهد : ((البرزخ الحاجز ما بين الدنيا والآخرة ، وليسوا مع أهل الدنيا فيأكلون ويشربون ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم))، وقال أبو صخر: ((البرزخ المقابر لا هم في الآخرة ، فهم مقيمون إلى يوم يبعثون))^٦ ، وهذا يدل علي أن البرزخ حياة بين الحياتين، وهذه أقوال سلف الأمة وحسبك بها من أقوال .

^١ المصدر السابق ص ٣٤٧ .

^٢ المصدر السابق ص ٣٤٨ .

^٣ المصدر السابق ص ٣٤٨ .

^٤ سورة النحل (٩٧) .

^٥ أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ج ٢ / ١٠٣ ، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ج ٨ / ١٦٠ .

^٦ تفسير القراءن العظيم ، الحافظ ابن كثير ج ٣ / ٤٠٩ - ٤١٠ .

(ب) الاستدلال بقوله تعالى : ((وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))^١ علي نفي الحياة البرزخية استدلال في غير محله ومجانب للصواب ، إذ لا يلزم من خلق الزوجين خلق أشياء أخرى غير متزاوجة ، بل ومختلفة في الصفات كما هو الزرع فقد قال الله تعالى عنه : ((وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ))^٢ ، والإنسان يمر في مراحل خلقه بأطوار مختلفة من نطفة إلي علقه ثم مضغة ثم يخلق فيكون عظماً ولحماً ، كما قال سبحانه : ((يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ))^٣ ، ولو كان لكل شيء زوج فما هو زوج الهواء، وزوج الجبال ، وزوج الماء، وزوج الأرض؟! .

(ج) تعريف الموت بأنه عدم الحركة ،تعريف قاصر ، فالموت لغة ضد الحياة، وقد سبق تعريف الحياة ، وأما اصطلاحاً : فهو صفة وجودية خلقت ضداً للحياة، وهو مأخوذ من التعريف اللغوي، والإنسان أو الحيوان قد لا يتحرك وهو حي لعدم إرادته أو لعجزه .

(د) كون الإنسان ينتقل من هذه الحياة إلى حياة أرقى لا يلزم من ذلك إنكار الحياة البرزخية التي لا تعلم حقيقتها، فالميت ينتقل للبرزخ ورقى حياته أو عدمه لا يعلمه إلا الله سبحانه. (هـ)القول بأن الموت ترقى في الحياة قول باطل إذ لا يمكن للميت أن يعلم ويقدر ويتكلم ويبصر ويتحرك، مثل ما هو حي، فصفات الميت غير صفات الحي، كما أنه لا يقطع بأن الميت انتقل إلى حياة أفضل من حياته الدنيا ،كما أن القول بأن صفات كماله سبحانه تنتقص برد مخلوق إلى رتبة أحط مما هو عليه وأن صفاته تتعطل بذلك قولاً ظاهر البطلان فقد قال سبحانه : ((قُلْ أَللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدَلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))^٤ وصفات المخلوق غير صفات الخالق .

وحياة أهل الإيمان في البرزخ أرقى من حياتهم الدنيا، وكذلك حياتهم في الجنة أرقى من حياتهم في البرزخ ،كذا دار الكفار فإنها أحط في كل دار من التي قبلها، وكون حياة أهل الإيمان أرقى ، لا يلزم من ذلك علم حقيقتها، من حيث السمع والبصر والكلام واتصالهم بأهل الدنيا ، بل حقيقة الحياة البرزخية لا يعلمها إلا الله سبحانه.

(و) القول بأن كل موجود أوجده الله سبحانه إلا وهو يترقى في الحياة لا يلحقه عدم قول باطل يعرف ببداهة العقول، فإلي ماذا تترقى الأحجار والأشجار والبحار والحشرات وكثير من الكائنات المنقرضة كالطيور والحيات والفئران والقروذ ، بل الكثير منها انقرض و عدم.

^١ سورة الذاريات (٤٩) .

^٢ سورة الأنعام (١٤١) .

^٣ سورة الزمر (٦) .

^٤ سورة آل عمران (٢٦) .

(ز) ما ثبت من سماع الموتى ليس علي إطلاقه، بل سماع خاص في أحوال معينة ، والدليل علي أن الأموات لا يسمعون ولا يجيبون قوله تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ))^١ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به))^٢ .

(ح) التسوية بين حياة الدنيا وحياة البرزخ مما لا يقول به عاقل، وفي ذلك يقول الإمام ابن عبد الهادي الحنبلي^٣ : ((وفي الجملة رد الروح على الميت في البرزخ ، ورد السلام على من يسلم عليه ، لا يستلزم الحياة التي يظنها بعض الغالطين ، وإن كانت نوع حياة برزخية ، وقول من زعم أنها نظير الحياة المعهودة ، مخالف للمنفوق والمعقول ، ويلزم منه مفارقة الروح للرفيق الأعلى ، وحصولها تحت التراب قرناً بعد قرن ، والبدن حي مدرك ، سميع ، بصير ، تحت أطباق التراب والحجارة ، ولو لم يكن هذا الباطلة مما لا يخفى على العقلاء))^٤ . ويقول : ((وليعلم أن رد الروح بعد للبدن ، وعودها إلى الجسد بعد الموت ، لا يقتضي استمرارها فيه ، ولا يستلزم حياة أخرى قبل يوم النشور ، نظير الحياة المعهودة ، بل إعادة الروح إلى الجسد في البرزخ ، إعادة برزخية لا يزيل عن الميت اسم الموت))^٥ . ويقول الحافظ ابن رجب الحنبلي^٦ : ((فإن حياة الروح ليس حياة تامة مستقلة ، كحياة الدنيا ، وكحياة الآخرة بعد البعث ، وإنما فيها نوع اتصال الروح بالبدن ، وإحساس بالنعيم والعذاب وغيرهما ، وليس هي حياة تامة حتى يكون انفصال الروح موتاً تاماً ، وإنما هو شبيه بانفصال روح النائم عنه ، ورجوعها إليه ، فإن ذلك يسمى موتاً وحياة ، كما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)) ، وسماه الله - تعالى - وفاة .. ومع هذا فلا تنافي

^١ سورة فاطر (٢٢) .

^٢ سبق تخريجه ص ١٥٥ -

^٣ هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد المقدسي ، الحنبلي ، مقرئ ، فقيه أصولي محدث ، ونحوي ، وعاقل بالرجال ، ولد في رجب من سنة ٧٠٥هـ / ١٣٠١م ، تفقه على شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأخذ عنه خلق كثير ، له عدة مصنفات منها : ((الصارم المنكي في الرد على السبكي)) و ((تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق)) توفي سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م ((شذرات الذهب ج ٦ / ١٤١)) .

^٤ الصارم المنكي في الرد على السبكي ، محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ٢١٦ .

^٥ المصدر السابق ص ٢١٣ .

^٦ هو الإمام الحجة ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسين بن محمد البغدادي ثم دمشقي ، المشهور بابن رجب الحنبلي ، ولد ببغداد سنة ٧٣٦هـ / ١٣٥٣م ، له عدة مصنفات منها : ((جامع العلوم والحكم)) في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، و ((أحوال القبور وأحوال أهل القبور)) و ((فضل علم السلف على علم الخلف)) وغيرها . توفي ببغداد سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م . ((الصدر الكامنة فسي أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني ج ٢ / ٣٢١ - ٣٢٢)) .

أن يكون النائم حياً، وكذلك اتصال روح الميت ببدنه وانفصالها عنه، لا توجب أن يصير حياً حياة مطلقة^١ .

وأما المعاصرون من البرهانية فقد اضطربوا في معنى الحياة البرزخية ، والذي يظهر إنكارهم لها ، فقد ورد في كتاب أسانيد العلم البرزخي من الكتاب والسنة تحت عنوان ((الحياة البرزخية حقيقية)) : ((يجب الاعتقاد بأن الحياة البرزخية حياة حقيقية . وقد تصافرت الآيات والأحاديث والآثار عن الميت يسمع ويحس ويعرف))^٢ . فأن أريد بلفظ (حقيقية) بأنها كالحياة الدنيا وهو الأظهر لأن الصفات المذكورة السمع والإحساس والمعرفة من صفات الحي في الدنيا ، فالقول بهذا المعنى باطل ، إذ التسوية بين الحياتين لا يقول بها عاقل ، وحقيقة الحياة البرزخية لا تعلم إلا بنص شرعي ولا نص يفيد الخبر عنها ، فيبقي علم حقيقتها إلى الله تعالى . وورد تحت عنوان : ((سند المنكرين للبرزخ)) : ((يعتمد المنكرون أنه لا يمكن أبداً تنزل شئ من عالم البرزخ إلى الأرض أو لقاء الموتى بعد انتقالهم بالأحياء علي الآية القرآنية في سورة المؤمنون : ((حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ))^٣ ، ويقولون أن البرزخ هو الحاجز الذي يمنعهم من الرجوع إلى الدنيا لأن عالم البرزخ يحول بينهم وبين الرجعة .

واستناد الذين ينكرون تنزل شئ من عالم البرزخ إلى الأرض أو لقاء الموتى بعد انتقالهم بالأحياء علي هذه الآية استناد خاطئ مردود عليهم لأن هذه الآية نزلت في الكفار وليست في أولياء الله تعالى الذين قال فيهم المولي تبارك وتعالى: ((لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ))^٤ وقوله سبحانه وتعالى : ((لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))^٥ ، وقد أجمع المفسرون علي أن هذه الآية نزلت في الكفار و العاصين .

^١ أهوال القبور وأحوال أهل النشور ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م . من ٧٩ - ٨٠ .

^٢ أسانيد العلم البرزخي من الكتاب والسنة ، من مؤلفات الطريقة البرهانية ، لجنة التأليف والترجمة بالطريقة ، بدون تاريخ نشر ولا اسم مطبعة ، ص ٥ .

^٣ سورة المؤمنون (٩٩ - ١٠٠) .

^٤ سورة الزمر (٣٤) .

^٥ سورة يونس (٦٤) .

ولكن الرسل والأنبياء والأولياء لهم حياتهم البرزخية الخاصة بهم المختلفة تماماً عن عدم رجوع الكفار إلى الدنيا^١. ويظهر من قوله أن الرسل والأولياء يرجعون إلى الدنيا . وبالنظر إلى الكلام السابق فإنه يقال:

(أ) يوجد تناقض بين العنوان وهو ((سند المنكرين للبرزخ)) وبين ما ذكر من أنهم أثبتوا البرزخ بقولهم بأنه الحاجز المانع من الرجوع إلى الدنيا، فهم في الحقيقة ليسوا بمنكرين للبرزخ.

(ب) الآيات المستشهد بها علي نفي الحياة البرزخية تفيد العكس وهو إثباتها ففي قوله تعالى (عند ربهم) دليل على أنها حياة أخرى عند الله تعالى يعلمها ، وفي الآية الثانية في قوله تعالى : ((لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ))^٢ ففي قوله (وفي الآخرة) إثبات للحياة البرزخية إذ هي أول منازل الآخرة.

(ج) لو ثبت رجوع الأنبياء والأولياء إلى الحياة الدنيا لانتفت الحياة البرزخية ولكن ذلك لم يثبت لا شرعاً ولا عقلاً . كما أن جعل الفرق بين الحياة البرزخية للمؤمنين والكفار رجوع المؤمنين إلى الحياة الدنيا واتصالهم بها، وعدم حصول ذلك للكفار ليس بصحيح ، والحق أن الفرق هو أن حياة أهل الإيمان في سعادة ونعيم وحياة أهل الكفر في شقاء وجحيم.

(د) السلف الصالح رحمهم الله تعالى من أهل العلم الذين شهدت لهم الأمة بالقبول ذهبوا إلى إثبات البرزخ ، يقول العلامة ابن أبي العز الحنفي شارح العقيدة الطحاوية : ((واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب نال نصيبه منه ، [قبر أو لم يُقبر] إلى أن قال : ((والحاصل أن الدور ثلاث دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار . وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصّها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس ، وجعل أحكام الدنيا علي الأبدان ، والأرواح تبعاً لها ، وجعل أحكام البرزخ علي الأرواح والأبدان تبعاً لها ، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم - صار الحكم والنعيم والعذاب علي الأرواح والأجساد جميعاً))^٣.

^١ أسانيد العلم البرزخي من الكتاب والسنة ص ٦ .

^٢ سورة يونس (٦٤) .

^٣ شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ص ٤٠٠ .

المبحث الثالث

النبوات

المطلب الأول

عقيدة البرهانية في الأنبياء

اعتقاد البرهانية وجود كل أو بعض الأنبياء والرسل أحياء بعد موتهم :

نقل محمد عثمان عبده البرهاني عن جلال الدين السيوطي قوله : ((ولا يمنع رؤية ذاته الشريفة بجسده وروحه، وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم - وسائر الأنبياء - أحياء رُدَّت إليهم أرواحهم بعد ما قبضوا، وأذن لهم بالخروج من قبورهم والتَّصَرَّف في الملكوت العلوي والسفلي)).^١

كما نقل محمد عثمان عبده عن ابن عربي قوله في الفتوحات المكية:^٢
((والأرض لا تخلو من رسولٍ حي بجسمه فإنه قطب العالم الإنساني. ولو كانوا ألف رسول فلا بدُّ أن يكون الواحد من هؤلاء هو الإمام المقصود. فأبقي الله بعد رسوله صلى الله عليه وسلم ، من الرسل أحياء بأجسادهم في هذه الدار الدنيا ثلاثة وهم إدريس عليه السلام بقي حي بجسده وأسكنه الله في السماء الرابعة والسموات السبع هنَّ من عالم الدُّنيا وتبقي ببقائنها وتفتى صورتها بفنائها. فهي جزء من الدار الدنيا. فإن الدار الأخرى تبدل فيها السموات بغيرها . وأبقي في الدنيا أيضاً إلياس وعيسى وكلاهما من المرسلين . وهما قائمان بالدين الحنيف الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . فهؤلاء ثلاثة من الرسل المجمع على أنهم رسل . وأما الخضر عليه السلام وهو الرابع فهو من المختلف فيه عند غيرنا ، لا عندنا . فهؤلاء باقون بأجسامهم في الدار الدنيا)).^٣

وبالنظر إلي هذين القولين فإنه يقال :

أولاً: القول بخروج الأنبياء من قبورهم أحياء قبل القيامة ، قول باطل مصادم لصريح النصوص الشرعية التي تنفي ذلك فمنها قوله صلى الله عليه وسلم : ((أَنَا سَيِّدٌ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ))^٤ والأرض لا تنشق عن أحد قبل يوم القيامة ومن قال بغير ذلك فتلزمه الحجة الشرعية التي يُعتمد عليها. ومن ذلك قوله تعالي : ((وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ))^٥.

^١ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ، ص ١٠٥ .

^٢ الفتوحات المكية ، ابن عربي ج ٢ / ٧ .

^٣ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٢٣٣ .

^٤ أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب فضل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ج ٧ / ٥٩ .

^٥ سورة الأنبياء (٣٤) .

ثانياً: القول ببقاء بعض الأنبياء أحياء في الأرض مع القول بأنهم في السماء فيه تناقض وأما القول بحياة إلياس والخضر فلا يوجد نص صحيح يعتمد عليه في ذلك ، وأما عيسى فقد رفعه الله سبحانه إليه بعد أن توفاه^١.

ثالثاً: الله سبحانه يقول مخاطباً النبي صلي الله عليه وسلم : ((وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهْمُ الْخَالِدُونَ)) والرسول والأنبياء من البشر الذين سبقوه عليه السلام ، فما جعلهم الله خالدين في الدنيا ، بل قضى عليهم بالموت والانتقال عن هذه الدار .

رابعاً: بالمقارنة بين القولين فإن اعتقاد القول الأول المثبت لحياة الأنبياء بعد موتهم وخروجهم من قبورهم وتصرفهم في الكون ، يوصل إلى نفس النتيجة المرادة في القول الثاني وهي حياة الأنبياء إلا أن القول الثاني ينفي موتهم أصلاً، فالأول عمم والثاني خصص، وكلا القولين غير صحيح ، فلم يثبت دليل شرعي صحيح يدل على بقاء أو حياة أحد من الأنبياء بعد موته .

تنقيص البرهانية من قدر الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام :

فمن ذلك ما أورده محمد عثمان عبده البرهاني في ديوانه بطائين الأسرار وشراب الوصل ، في التعريض بموسى عليه السلام والتنقيص من قدره مع مدح نفسه وتفضيلها عليه في قوله :

وَأُوتِيَتْ الْوَاحِأَ حَمَلَتْ بِقُوَّةٍ	وَعَدْتُ إِلَى قَوْمِي بِأَحْمَدٍ عَوْدَةٍ
وَلَمْ أَلِقِ الْوَاحِأَ وَمَا كُنْتُ غَاضِبًا	وَلَسْتُ أَخَا أَسْفِ إِخْوَانَ نِعْمَتِي
قَتَلْتُ وَلَمْ أَمْرُ بِقَتْلِ نَفْسِكُمْ	لَأَنِّي سَيَافُ النَّفُوسِ بِرَاحَتِي
وَبَاطِلُ مُوسَى السَّامِرِيُّ بِسِنْفَةٍ	يَصِيرُ هَبَاءً تَسِيرُ مَسِيرَتِي
فِيحْمِلُ مِنْ أُنْثَرِ الرَّسُولِ ضَلَالَةً	وَإِنِّي فِي أُنْثَرِ الرَّسُولِ بِنِسْبَتِي
خَلَعْتُ نِعَالِي مَا أَمَرْتُ بِخَلْعِهَا	وَدَسْتُ بِسَاطِ الْحَضْرَتَيْنِ بِقُرْبَتِي ^٢

ويقول :

بَلَّكُمُ النَّارُ مِنْ هُدَايَ أَنْأَرْتُ جَانِبَ الطُّورِ فَاهْتَدَاَهَا الْكَلِيمُ^٣

والله سبحانه وتعالى يقول في شأن موسى عليه السلام : ((وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ))^٤ ويقول

^١ لقوله تعالى : ((إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي)) آل عمران (٥٥) .

^٢ شراب الوصل ، محمد عثمان عبده ص ٦٢ ، وبتائين الأسرار ، محمد عثمان عبده ، بدون جهة نشر أو تاريخ نشر أو رقم طبع ، ص ١٣ _ ١٤ .

^٣ شراب الوصل ص ٦٢ ، وبتائين الأسرار ص ٤٩ .

^٤ سورة القصص آيات ١٥-١٦ .

سبحانه لإخباراً عن موسى وهو يتحدث عن نفسه : ((قال ربّ إني قنلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلوني ...))^١ وقال سبحانه : ((وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله أمكثوا إني آنست ناراً لعلّي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودي بموسى إني أنا ربك فأخضع تعليك إنك بالو اد المقدس طوى))^٢.

وتعليقاً على الآيات السابقة فإنه يقال :

لا يخفي ما في هذه الآيات من تطاول على الأنبياء والتنقيص من قدرهم ، بل قائل هذه الآيات يدعى أن الله سبحانه اصطفاه بما لم يصطف به الرسل والأنبياء وذلك في قوله في ديوانه بطائن الأسرار :

قَدِ اصْطُفِيْتُ بِمَا لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ وَقَدِ اذْنُتِ لِأَلْقِي مَا تَأْقِيْتُ^٣

وكلمة (أحد) نكرة في سياق النفي وهي تفيد العموم عند أهل الأصول، فيدخل في من فضّل عليهم الأنبياء والرسل وغيرهم، وهذه دعوى باطلة، فدعوى النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر أكبر مخرج من الملة، لقوله سبحانه : ((مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا))^٤، هذا فضلاً عن دعوى مقام فوق مقام النبوة والرسالة .

ثانياً: أما موسى عليه السلام فيكفيه فضلاً أنه من رسل الله سبحانه بل من أولي العزم منهم ، بل هو كليم الله سبحانه ، فقد قال سبحانه : ((وَرَسُولًا قَدْ قَضَيْتَهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ نَقْضِ لَهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا))^٥ وقال سبحانه : ((قَالَ يَمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِّنَ الشَّاكِرِينَ))^٦.

ثالثاً: إن الله سبحانه قد برأ موسى عليه السلام ممن نسبوا إليه النقص والعيب وحذر المسلمين من أن يسلكوا سبيل الذين انتقصوه من اليهود في قوله تعالى: ((بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً))^٧.

رابعاً: أما ما وقع فيه موسى عليه السلام من ظلم النفس فقد غفر الله سبحانه وتعالى له ذلك في قوله : ((قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))^٨.

^١ سورة القصص (٣٣) .

^٢ سورة طه (٩ - ١٢) .

^٣ بطائن الأسرار ص ١٦١ .

^٤ سورة الأحزاب (٤٠) .

^٥ سورة النساء (١٦٤) .

^٦ سورة الأعراف (١٤٤) .

^٧ سورة الأحزاب (٦٩) .

تفضيل البرهانية الأولياء علي الأنبياء :

يفضل البرهانية الأولياء علي الأنبياء ،فمما يدل على ذلك ما نقله محمد عثمان عبده البرهاني عن عبد الكريم الحيلي من قوله : ((فالأولياء الكمل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لاحقون به صورته ومعنى. فهم خائضون بحر اللوح المحمدي ، بخلاف الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين، لأنهم إنما لحقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حكماً. فهم لاحقون من حيث المعنى، لا من حيث الصورة ، فلأجل ذلك وقفوا على ساحل بحر اللوح بالكمال المحمدي،لأنهم في الظاهر متبوعين لا تابعين لغيرهم ،علي أنهم في الحكم تابعون له صلى الله عليه وسلم ، والأولياء تابعون له لا متبوعون...))^١.

وللبرهانية وجه آخر في تفصيل الأولياء علي الأنبياء وهو أن الأولياء يأخذون علومهم من الله سبحانه مباشرة من غير حاجة إلي واسطة بخلاف الأنبياء فإنهم ينزل عليهم الوحي بواسطة الملك جبريل عليه السلام وفي ذلك يقول محمد عثمان عبده البرهاني :((أما الأولياء رضوان الله عليهم فيجمعون كل العلوم ظاهرها و باطنها علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ... إذ انهم يأخذون علومهم أولاً من الملائكة ثم من مشايخهم رضوان الله عليهم ، وأعلي من ذلك أخذهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلي من كل ذلك من الله وحده جل جلاله))^٢. ولا يخفي علي المسلم بطلان هذا القول وسابقه ، وأهل العلم من السلف الصالح رحمهم الله مجمعون علي بطلان هذه المقالة ، يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المسماة بالعقيدة الطحاوية: ((ولا نُفضِّلُ أحداً من الأولياء علي أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول : نبي واحد أفضل من جميع الأولياء))^٣. قال الشارح العلامة ابن أبي العز الحنفي : ((يشير الشيخ رحمه الله إلي الرد علي الانحادية وجهلة المتصوفة ... وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده في العبادة ، وتصفية نفسه ، ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم ؛ ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء ؛ ومنهم من يقول أن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء!!... وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق ، كابن عربي وأمثاله وهو لمَّا رأي أن الشرع الظاهر لا سبيل إلي تغييره قال النبوة ختمت ، ولكن الولاية لم تختم ؛ وأدعي من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين ، وأن الأنبياء مستفيدون منها ! كما قال :

^١ تيرنة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٤٩ .

^٢ المصدر السابق ص ٢٧٧ .

^٣ شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ص ٤٩٢ .

مقام النبوة في برزخ * فويق الرسول ودون الولي

وهذا قلب للشريعة ، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المنقين، كما قال تعالى : ((أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) والنبوة أخص من الولاية والرسالة أخص من النبوة)).^١

اعتقاد البرهانية أن الأنبياء يعلمون الغيب :

يقول محمد عثمان عبده البرهاني : ((كل الكمل من البشر من رسول ونبي وصحابي وولي يعلمون الغيب الذي لا يطلع عليه الملائكة ولا غيرهم))^٢.

وقد تقدّم الكلام علي بطلان هذا القول عند الكلام في عقيدتهم في الله سبحانه^٣ .

اعتقادهم بأن كل أمة مخلوقة من نبيها :

نقل محمد عثمان عبده البرهاني عن عبد الكريم الجيلي قوله: ((... اثبت المحبة لأتباع محمد صلي الله عليه وسلم ، لأن كل أمة مخلوقة من نبيها))^٤.

وهذا القول تحكم لا دليل عليه من الشرع ، بل الثابت أن مبدأ خلق الأمم من أبيهم آدم عليه السلام وأمه حواء ، ثم تتابع الخلق بعد ذلك بالتناسل بين كل ذكر وأنثى فقد قال سبحانه وتعالى: ((يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتَقُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً))^٥.

اعتقادهم بأن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة يشترط عدم التحدي :

نقل محمد عثمان عبده البرهاني عن جلال الدين السيوطي قوله : ((وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي))^٦.

وللوقوف علي صواب أو خطأ هذا القول لا بد من معرفة كل من المعجزة والكرامة والفرق بينهما .

معنى الكرامة لغةً واصطلاحاً :

يقال كَرُمَ الرَّجُلُ كَرْمًا وَكَرَامَةً فَهُوَ كَرِيمٌ ، فَتَكُونُ الْكَرَامَةُ مَصْدَرًا . وَيُقَالُ كَرَّمَهُ وَكَرَّمَهُ تَكْرِيمًا وَإِكْرَامًا وَكَرْمَةً . فَتَكُونُ إِسْمَ مَصْدَرٍ^٧.

^١ سورة يونس (٦٢ _ ٦٤) .

^٢ شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ص ٤٩٢ _ ٤٩٣ .

^٣ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٨١ .

^٤ أنظر ص ٢١٣ وما بعدها .

^٥ المصدر السابق ص ٥ .

^٦ سورة النساء (١) .

^٧ تبرئة الذمة ، محمد عثمان عبده ص ١٠١ .

فقد وردت فيها عدة تعاريف منها ما نقله الياضي^١ : ((والفعل الخارق الذي يظهر علي أحد من غير تحد يُسمى الكرامة))^٢.

وهذا التعريف قاصر غير مانع ، لأن من شأن الساحر أن تظهر علي يديه خوارق للعادة، من غير أن يتحدى لعلمه أن هناك غيره من السحرة والمشعوذين والمستدرجين.

وعرف الجرجاني الكرامة بقوله : ((هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة ، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً، وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة))^٣.

وأجمع تعريف للكرامة هو أنها : ((أمر خارق للعادة يجريه الله علي يد ولي من أوليائه قاصر عن النبوة في الرتبة، معونة له علي أمر ديني أو دنيوي))^٤.

المعجزة لغة واصطلاحاً:

لغة فهي من مادة(عجز)التي تدور حول الضعف والخور وعدم الحزم^٥. والمعجزة واحدة من معجزات الأنبياء الدالة علي صدقهم عليهم الصلاة والسلام.

وهي اصطلاحاً عبارة عن ((الفعل الذي يدل علي صدق مدعي النبوة في وقت تتأتي فيه . وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بما هذا سبيله ، فصار كأنه أعجزهم))^٦. وقد ذكر أهل العلم للمعجزة شروطاً وأوصافاً لا يدل الأمر الخارق علي صدق المدعي للنبوة إلا إذا تحققت فيه ، وهي ما يفرق به بين المعجزة والكرامة نجملها فيما يلي :

الشرط الأول : أن يكون الفعل الدال علي صدق دعوى النبوة مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه ، فلو ادّعي الرسالة ثم جعل معجزته القدرة علي الحركة والسكون ، والقيام والعقود ، لم يكن ذلك معجزة له ولا دالاً علي صدقه لقدرة الخلق علي مثله.

الشرط الثاني : أن تكون المعجزة خارقة للعادة المألوفة ، فلو قال المدعي للرسالة آيتي مجيء الليل بعد النهار ، وطلوع الشمس من مشرقها لم يكن فيما ادّعاه معجزة له ، لأن

^١ هو عبد الله بن أسعد بن علي الياضي ، متصوف ، شافعي المذهب، من أهل اليمن استوطن بمكة ، وبها توفي سنة ٧٦٨ هـ ، من مصنفاته (نشر المحاسن الغالية في) و (ومرأة الجنان) و (عبرة اليقظان) أنظر لترجمته : (الأعلام ج ٤ / ٧٢) و معجم المؤلفين ج ٦ / ٣٤) .

^٢ نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية، عبد الله بن أسعد الياضي، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر، ١٣٩٢م ، بدون رقم طبع ، ص ١٣٠ .

^٣ التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، حققه وقدم له ووضع فهرسه إبراهيم الأبياري ، طبع دار الكتب العربي بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ _ ١٩٩٢ م ، ص ١٨٤ .

^٤ شرح العقيدة الواسطية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، محمد خليل هراس ص ١٦٨ .

^٥ لسان العرب ، ابن منظور مادة عجز ، طبع دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ _ ١٩٩٠ ، ج ٥ / ٣٦٩ .

هذه الأفعال وإن كان لا يقدر عليها إلا الله لم تفعل من أجله ،وقد كانت قبل دعواه علي ما هي عليه في حين دعواه.

الشرط الثالث : أن يستشهد بها مُدعي الرسالة علي الله عز وجل فتقع عقب دعواه ، كأن يقول آيتي أن يقلب الله هذا الماء زيتاً أو تتحرك الأرض عند قولي لها تزلزلي فإذا فعل ذلك حصل المتحدي به .

الشرط الرابع : أن تقع علي وفق دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجزة له، فلو قال :أيه نبوتي ودلالة رسالتي أن تنطق هذه الدابة ، فإن نطقت بأن قالت كذب وليس بنبي، فإن ذلك الكلام دال علي كذب ذلك المُدعي ، إذا لم يقع علي وقف ما ادّعى.

الشرط الخامس : ألا يأتي أحد بمثل ما جاء به المتحدي علي وجه المعارضة ، فإنه لو قام من يعارض مُدعي النبوة ثم أتى بمثل معجزته وعمل بمثل عمله بطل كونه نبياً ،وخرج ذلك الأمر الخارق عن كونه معجزاً ولم يدل علي صدقه ، ولهذا يقول عز وجل عن معجزة نبينا الكبرى : ((فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ))^١.

الشرط السادس : أن ذلك المُدعي في زمن يصح فيه مجيء الرسل لأنه لو جاء رجل بعد محمد صلي الله عليه وسلم بخوارق الدنيا كلها وادّعى أنه نبي مرسل علمنا كذبه بمجرد دعواه ، إذا لا نبي بعده عليه الصلاة والسلام كما هو منصوص في القرآن والسنة^٢.

ومن الفروق بين المعجزة والكرامة هي أن الرسول يجب عليه إظهار المعجزة من أجل دعم دعواه إذا توقف إيمان قومه عليها ، بخلاف الولي لا يجب عليه إظهار الكرامة، بل يستحسن سترها ، فهو يدعو إلي شرع قد تقرر وثبت علي يد رسوله فلا يحتاج إلي إظهار كرامة.

قال الإمام القرطبي رحمه الله : ((والفرق بين المعجزة والكرامة أن الكرامة من شروطها الاستتار ، وقيل الكرامة تظهر من غير دعوى ، والمعجزة تظهر عند دعوى الأنبياء فيطالبون بالبرهان فيظهر أثر ذلك))^٣.

وبعد هذا فإنه يقال قولهم بأن : ((ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي))^٤. قول خاطئ ((فإن آيات الأنبياء عليهم السلام التي دلت علي نبوتهم هي أعلي مما يشتركون فيه هم وأتباعهم ، مثل الإتيان بالقرآن ، والإخبار بأحوال الأنبياء المتقدمين وأممهم والإخبار بما يكون يوم القيامة ، وأشراط الساعة ومثل إخراج الناقة من الأرض ومثل قلب

^١ سورة الطور (٣٤) .

^٢ سورة الأحزاب (٤٠) ، وصحيح البخاري حديث رقم ٣٥٣٥ ، وصحيح مسلم ج ٤ / ١٧٩١ .

^٣ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ١١ / ٣٠ .

^٤ نبرة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ١٠١ .

العصا حَيَّة ، وشق البحر، ومثل أن يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيكون طيرا بإذن الله ، وتسخير الجن لسليمان لم يكن مثله لغيره^١.

وكذلك إسرائ النبي صلي الله عليه وسلم ومعراجه فإنه لم يحصل مثله لا لسليمان عليه السلام ولا لغيره^٢.

ويلزم من قولهم ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدّي ، ((أن ما يظهر علي يد النبي صلي الله عليه وسلم في كل وقت من الأوقات ليس دليلاً علي نبوته لأنه لم يكن كلما ظهر شئ من ذلك احتج به وتحدّي الناس بالإتيان بمثله، بل لم ينقل عنه التحدّي إلا في القرآن خاصة ، ولا نقل التحدّي عن غيره من الأنبياء مثل موسى والمسيح وصالح ، ولكن السحرة لمّا عارضوا موسى أبطل معارضتهم . وهذا الذي قالوه يوجب ألا تكون كرامات الأولياء معجزات لنبيهم ، وهي من آيات نبوته وهذا هو الصواب))^٣.

((وهذا قول من اتبع جهماً علي أصله في أفعال الرب من الجهمية وغيرهم حيث جوّزوا أن يفعل كل ممكن فلزمهم جواز خرق العادات مطلقاً علي يد كل أحد ، واحتاجوا مع ذلك إلى الفرق بين النبي وغيره فلم يأتوا بفرق معقول ، بل قالوا هذا يقترن به التحدّي ؛ ثم هؤلاء جوّزوا كرامات الصالحين ولم يذكروا بين جنسها وكنس كرامات الأنبياء فرقاً ، بل صرّح أئمتهم أن كل ما خرّق لنبي يجوز أن يخرق للأولياء حتى معراج محمد ، وفرق البحر لموسى ، وناقاة صالح وغير ذلك))^٤.

((والتحقيق أن يُقال أن آيات الأولياء من جنس آيات الأنبياء وهي إنما حصلت لهم لاتباعهم لأنبيائهم ، وهي دليل علي صحة دين الأنبياء ، وأن كرامات الأولياء لا تبلغ معجزات الأنبياء ، ولكنهم أي الأولياء قد يشاركون الأنبياء في بعضها ، والكرامات معتادة ، وهي ليست خارفة لعادة الصالحين وآيات الأنبياء خارفة لعادات الصالحين، وهذه تتال بالصلاح بدعائهم وعبادتهم ، ومعجزات الأنبياء لا تتال بذلك)).

((فمن آيات الأنبياء ما لا يقدر أن يأتي به غير الأنبياء ، بل النبي الواحد له آيات لم يأت بها غيره من الأنبياء كالعصا واليد لموسى عليه السلام ، وفرق البحر ، فإن هذا لم يكن لغير موسى))^٥.

^١ النبوات ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، دراسة وتحقيق محمد عبد الرحمن عوض ، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ١٩٣ _ ١٩٤ .

^٢ المصدر السابق ص ١٩٥ _ ١٩٦ .

^٣ المصدر السابق ص ٢٠١ _ ٢٠٢ .

^٤ المصدر السابق ص ١٧ _ ١٨ .

^٥ المصدر السابق ص ٢٠ .

^٦ المصدر السابق ص ٣٣٠ .

((وآيات الأنبياء التي تثبت نبوتهم ، وبها وجب علي الناس الإيمان بهم فهي أمر يخص الأنبياء لا يكون للأولياء ولا لغيرهم ، بل يكون من المعجزات الخارقة للعادات الناقضة لعادات جميع الإنس والجن غير الأنبياء أما أتباع الأنبياء فما يأتون به من آيات الأنبياء ، مع أنه لا تصل آيات الأتباع إلي مثل آيات المتبوع مطلقاً ، وإن كانوا قد يشاركونه في بعضها ، فلا يشاركونه في القرآن وخلق البحر وانشقاق القمر، لأنَّ الله فضل الأنبياء علي غيرهم وفضل بعض النبيين علي بعض ، فلا بُدَّ أن يمتاز الفاضل بما لا يقدر المفضول علي مثله إذ لو أتي بمثل ما أتي لكان مثله لا دونه))^١.

((وكرامات الصالحين من آيات الأنبياء، ولكن ليست من آياتهم الكبرى ولا يتوقف إثبات النبوة عليها ، وليست خارقة لعادة الصالحين))^٢.

اعتقاد البرهانية أن الأنبياء مخلوقون من أسماء الله تعالى الذاتية:

نقل محمد عثمان عبده البرهاني عن عبد الكريم الجيلي قوله : ((إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خُلِقُوا من أسمائه (سبحانه) الذاتية))^٣.
وبالنظر إلي هذا الكلام فإنه يقال ما يلي :

أولاً : أن الأنبياء عليهم السلام مخلوقون مما خلق منه آدم وهو الماء والطين إلا أن الله سبحانه قد خصَّهم واصطفاهم بالوحي والنبوة .

ثانياً : أسماء الله سبحانه كليهما ذاتية باعتبار أنها دالة علي ذاته سبحانه وتعالى فليس في أسمائه سبحانه ما ليس بذاتي علي هذا المعنى ، وهي مترادفة بهذا الاعتبار لدالاتها علي ذات واحدة هي ذاته تعالى .

ثالثاً : لديهم من التناقض ما يدل علي بطلان هذه العقيدة وعدم ثباتها فمن ذلك ما نقله محمد عثمان عبده عن عبد الكريم الجيلي قوله : ((وقد علمت أن العالم كله مخلوق منه صلي الله عليه وسلم))^٤ وعلي هذا فإن الأنبياء خُلِقُوا من ذاته صلي الله عليه وسلم إذ الأنبياء خلق من هذه المخلوقات الموجودة في العالم ، وهذا شأن المبتدعة تتناقض أقوالهم لعدم أخذها من الكتاب والسنة.

رابعاً : أسماء الله سبحانه وتعالى أعلام وأوصاف وهي ليست مادة للخلق.

^١ المصدر السابق ص ٣٥١ .

^٢ المصدر السابق ص ٤٤٣ .

^٣ تبرئة الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٤٨ .

^٤ المصدر السابق ص ٤٨ .

نظرية الفيض من عقائد الملاحدة الفلاسفة^١، وحقيقتها الكفر بالله سبحانه، فالبرهانية هنا يربطون بين هذه النظرية وخلق الأنبياء ، فقد نقل محمد عثمان عبده عن عبد الكريم الجيلي قوله : ((.. وهذه الروح المحمدية المسماة (بالعقل الأول) هي مظهر الذات في الوجود ، فافهم ثم خلق الله تعالى بواسطة الروح المحمدية المسماة (بالعقل الأول) عقلاً كلياً هو مظهر الصفات سماه بالعرش ، وهو الذي تسميه الحكماء (بالعقل الثاني) وهذا العقل الكلي وهو حقيقة روح كل نبي وولي كامل))^١.
وتعليقاً علي هذا الاعتقاد فإنه يقال:

أولاً: تسمية الروح المحمدية (بالعقل الأول) مما لم يرد به كتاب ولا سنة بل هو من مصطلحات الفلاسفة الباطلة المخالفة للنصوص والمصطلحات الشرعية .

ثانياً: القول بأن الروح المحمدية هي مظهر ذات الله سبحانه، كفر بالله سبحانه ، إذ أن ذاته سبحانه لم تظهر في شيء من مخلوقاته ، وهذه هي عقيدة وحدة الوجود التي مفادها أن كل ما في الوجود ما هو إلا مظهر من مظاهر ذاته سبحانه وأن الوجود الحق هو وجوده سبحانه وما تمَّ غيره تعالى.

ثالثاً: القول بأن الله سبحانه خلق المخلوقات بواسطة روح النبي صلي الله عليه وسلم قول باطل لا دليل عليه من الكتاب والسنة ، والحق أنه سبحانه خلق كل مخلوق ابتداءً وذلك من كمال قدرته تعالى .

رابعاً: القول بأن العرش هو حقيقة روح كل نبي وولي قول ظاهر البطلان يعلم فساده عقلاً ونقلاً، فقد خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام أبلي البشر من طين ونفخ من روحه كما قال تعالى: ((إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سٰجِدِينَ))^٢ وأدم عليه السلام هو أول الأنبياء ، وأما أرواح ذريته ومنهم الأنبياء فهي تنفخ فيهم وهم بطون أمهاتهم لقوله صلي الله عليه وسلم : ((إِنْ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ خَلْقَهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِّثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِّثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفِخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيَوْمَئِذٍ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ يَكْتَبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ))^٣.

أما عقلاً فيقال لهم : إن أردتم بالعرش المخلوق المعلوم ، وحقيقته ذاته وعينه ، فمن الممتنع عقلاً أن يكون هو منفصل روحاً للأنبياء إذ الأرواح متصلة بالنفوس والأجساد، ولكنهم

^١ المصدر السابق ص ٤١ .

^٢ سورة ص (٧١ - ٧٢) .

^٣ تخريجه في ص ٢٥٣ .

أرادوا بالعرش معني آخر في قولهم : ((إذ عرشه العظيم عبارة عن الحقيقة الرحمانية-
فالحقيقة الرحمانية- المُعبَّر عنها بالعرش العظيم والمظهر الكَمالي هي عين الأسماء
والصفات الإلهية))¹، وعلي هذا المعني تكون أرواح الأنبياء هي الأسماء والصفات الإلهية ،
وهي الحقيقة الرحمانية، وهذا الكلام فيه من التناقض ما فيه ، فهم تارة يجعلون أرواح
الأنبياء مخلوقة من أسماء الله تعالي ، وتارة يجعلونها حقيقة سبحانه ، وتارة يقولون بأنها
العرش ، وتارة يقولون بأنها هي عين الأسماء والصفات الإلهية، والذي أوقعهم في هذا
التناقض هو أخذهم لكلام ملاحدة الفلاسفة وصبغه بالمصطلحات الإسلامية الواردة في القرآن
والسنة غير أن الفلاسفة أرادوا بها معني غير الذي أراده الشرع.

¹ تيرنة الأمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٤١ .

المطلب الثاني

عقيدة البرهانية في النبي صلي الله عليه وسلم

يعتقد البرهانية في النبي صلي عليه وسلم الكثير من العقائد المخالفة للعقيدة الإسلامية الصحيحة ، كما سيأتي بيان ذلك ، وهم يظنون بعقائدهم هذه أنهم يعظمون النبي صلي الله عليه وسلم ويوقرونه ، ولكنهم في الحقيقة يسيئون له بالخلو فيه والإطراء له، ووصفه بصفات الله سبحانه وتعالى ورفعته إلي مرتبة الألوهية، فمن هذه العقائد ما يلي :

عقيدة النور المحمدي :

يستدل البرهانية لهذه العقيدة بحديث موضوع ، فيقول محمد عثمان عبده البرهاني : ((وحدِيث سيدنا جابر رضي الله عنه يثبت أسبقية نوره صلي الله عليه وسلم فقد روي عن عبد الرزاق بسنده في كتاب (جنة الخلد) عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الأشياء . قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسّم ذلك إلي أربعة أجزاء .

فخلق من الجزء الأول القلم ومن الجزء الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسّم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسّم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول السماوات ومن الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسّم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد : لا إله إلا الله محمد رسول الله. ثم نظر إليه فترشح النور عرقاً فتقطرت منه مائة ألف وعشرين ألفاً وأربعة آلاف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول . ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم أرواح الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلي يوم القيامة ، فالعرش والكرسي من نوري ، والكروبيون من نوري ، والرحمانيون من نوري ، والجنة وما فيها من النعيم من نوري ، والشمس والكواكب من نوري ، والعقل والعلم والتوفيق من نوري ، وأرواح الأنبياء والرسل من نوري ، والسعداء والصالحون من نتائج نوري ، ثم خلق الله آدم من الأرض وركب فيه النور وهو الجزء الرابع ثم انتقل منه إلي شيث وكان ينتقل من طاهر إلي

^١ هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحافظ الكبير ، عالم اليمن ، أبو بكر الحميري ، مولاهم الصنعاني ، الثقة الشيعي ، ارتحل إلي الحجاز والشام والعراق ، حدث والده عبد الرزاق ، وهشام بن حسان ، وعبيد الله بن عمر ، وابن جريج ، ومعمر ، وحجاج بن أرطاة ، والأوزاعي ، وسفيان الثوري ، ومالك بن أنس وخلق سواهم ، قال عنه العجلي : عبد الرزاق ثقة كان يتشيع ، وأورده العقيلي في الضعفاء ، توفي سنة ٢١١هـ / ٧٦٩م . (سير أعلام النبلاء ، الذهبي ج ٩ / ٥٦٢ - ٥٨٠ .)

طيب إلي أن وصل إلي صلب عبد الله ومنه إلى وجه أمي أمانة ثم أخرجني إلي الدنيا فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين. هكذا بدء خلق نبيك يا جابر - حديث صحيح^١)).

ثم يستدل محمد عثمان عبده بحديث آخر موضوع فيقول : ((و علي هذا المنوال فقد قال صلي الله عليه وسلم : ((أَنَا مِنْ نُورِ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ رَشْحَاتِ نُورِي)) ومن ثم يقول : ((ومن ذلك أنه صلي الله عليه وسلم عندما سئل: ((مَتَى نُبِّئْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كُنْتُ نَبِيًّا وَأَدَمُ مُنْجِلٌ فِي طِينَتِهِ)) ومرة أخرى قال عليه الصلاة والسلام رداً علي سؤال سائل : ((كُنْتُ نَبِيًّا وَأَدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ)) ومرة ثالثة سئل صلي الله عليه وسلم : ((مَتَى نُبِّئْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ : ((كُنْتُ نَبِيًّا وَلَا مَاءَ وَلَا طِينًا))° .
وقد قالوا في ذلك :

أَدَمُ مِنْ أَجْلِهِ يَأْكَ مِنْ وَلَدٍ قَبْلَ أَبِيهِ كَوْنًا

والدليل المصحفي الثالث علي أسبقية نوره صلي الله عليه وسلم سورة الإنسان فقد قال تبارك وتعالى : ((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا))^٦ .
ثم يقول في وجه الاستدلال من الآية ((.. فإن المقصود بهذه السورة هي الإنسان الكامل سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ومن ثم فهي توضح أسبقية نوره صلي الله عليه وسلم))^٧ ، ويقرر محمد عثمان أن النبي صلي الله عليه وسلم مخلوق من النور الذاتي للذات الإلهية^٨ .
وبالنظر إلى الأدلة السابقة فإنه يجاب عليها بما يلي :

أولاً: الحديثان الأول حديث جابر في بيان أسبقية خلق نور النبي صلي الله عليه وسلم، والثاني حديث : ((أَنَا مِنْ نُورِ اللَّهِ...)) فإنهما موضوعان كما تقدم^٩ فلا تقوم بهما حجة .

^١ سبق تخريجه^{٩٧} تبرئة الذمة ، محمد عثمان عبده ص ٩ .

^٢ سبق تخريجه من ٩٧ .

^٣ أخرجه أحمد في المسند ج ٤ / ١٢٧ - ١٢٨ ، والحاكم في المستدرک ج ٢ / ٦٠٠ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

^٤ لا أصل له

^٥ الحديث بلفظه لا أصل له ، انظر الرد على البكري ، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٩ ، ومجموع الفتاوى ، شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٢ / ١٣٨ .

^٦ سورة الإنسان (١ - ٢) .

^٧ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٩ .

^٨ المصدر السابق ص ٣٦ .

^٩ انظر ص ٥٧ .

ثانياً: حديث جابر مع أنه مكنوب موضوع فإنه مخالف لصريح الكتاب والسنة ، فأما مخالفته للقرآن فقد قال الله سبحانه مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم وأمرأله بقوله : ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا))^١ وهو خلق مما خلق منه البشر ، ولم يخلق أحدٌ من البشر من نوره، فقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورٍ وَخَلَقَ إِبْلِيسَ مِنْ مَرِجٍ مِنْ نَارٍ وَخَلَقَ آدَمَ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ))^٢ فذكر أن الملائكة خلقت من نور ولم يقل من نور محمد فدل ذلك علي كذب حديث جابر، وفي هذا مغايرة بين ما خلقت منه الملائكة وما خلق منه البشر، أما آدم فقد وصف الله خلقه بقوله : ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ))^٣، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال: ((خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَبَثَّ فِيهَا الدُّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَخَلَقَ آدَمَ يَوْمَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ))^٤، فتبين من هذا الحديث أن خلق النور يوم الأربعاء و آدم خلق بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق .

والثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول ما خلق الله تعالى من الأشياء العرش أو القلم علي خلاف بين أهل العلم، وقد وقع الخلاف لثبوت النصوص الدالة علي الأمرين، فأما من قال بأن أول مخلوق هو العرش استدل بقوله صلى الله عليه وسلم : ((كُتِبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ : وَعَرْشُهُ عَلَي الْمَاءِ))^٥.

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث بني تميم ((.. كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَي الْمَاءِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ. وَكُتِبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ))^٦، ففي هذا الحديث بيان أنه كتب في الذكر ما كتبه بعد أن كان عرشه علي الماء وقبل أن يخلق

^١ سورة الكهف (١١٠) .

^٢ أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرفاق ج ٤ / ٢١٤٩ عن عائشة رضي الله عنها .

^٣ سورة الحجر (٢٦ - ٢٧) .

^٤ أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ج ٤ / ٢١٤٩ .

^٥ أخرجه مسلم في كتاب القدر ج ٤ / ٢٠٤٤ .

^٦ أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ج ٤ / ٧٣ .

السموات والأرض، وبه يتبين كذب حديث أن أول ما خلق هو نور النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما ما ورد في أن القلم أول المخلوقات قوله صلى الله عليه وسلم : ((.. إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ : أَكْتُبُ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)).^١ وقوله صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمَ وَأَمْرُهُ فَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ سَيَكُونُ)).^٢

وللجمع بين النصوص يقال : إن القلم هو أول مخلوق خلقه الله بعد خلق العرش ، قال الإمام البيهقي رحمه الله: ((وإنما أراد والله أعلم أول شيء خلقه بعد خلق الماء والعرش القلم))^٣ ، وعليه يترجح أن أول مخلوق هو العرش والله أعلم ، وبه يبطل القول بأن أول مخلوق هو نور النبي صلى الله عليه وسلم .

ثالثاً: إن مادة الخلق ليست سبب للتفضيل ، فقد أسجد الله سبحانه الملائكة المخلوقين من النور لآدم عليه السلام المخلوق من طين، فالقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم مخلوق من نور فهو مع بطلانه لا دلالة فيه علي تفضيله .

رابعاً: حديثي ((كُنْتُ نَبِيًّا وَأَدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ)) و ((كُنْتُ نَبِيًّا وَلَا مَاءَ وَلَا طِينَ))^٤ فهما بهذا اللفظ لا أصل لهما. ولم يروهما أحد من أهل العلم الصادقين ، ولا في شيء من الكتب المعتمدة ، بل هما باطلان ، فإن آدم لم يكن بين الماء والطين قط ، فإن الله خلقه من تراب وخط التراب بالماء حتى صار طيناً وبيس الطين حتى صار صلصالاً كالفخار ، فلم يكن له حال بين الماء والطين مركب من الماء والتراب^٥.

وفهم البرهانية لهذين الحديثين المذكورين، وقولهم بثبوت وجود ذات النبي صلى الله عليه وسلم ونبوية ثبوتاً ذاتياً حقيقياً، وقولهم بأزليته ، مبني علي أصل فاسد، وهو القول بأن

^١ أخرجه أبو داود في كتاب السنة ج ٥ / ٧٦ عن أبي حفصة حبش بن شريح ، والطبراني في مسنده ج ١ / ٣٠ ، والترمذي في كتاب التفسير ج ٥ / ٤٢٤ وفي كتاب القدر ج ٤ / ٤٥٧ ، وابن أبي عاصم في السنة ب رقم ١٠٥ .

^٢ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج ١٢ / ٦٨ ، ٦٩ ، وابن أبي عاصم في السنة ج ١ / ٥٠ عن ابن عباس ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ / ١٩٠ رواه الطبراني ورجاله ثقات ورواه البزار ورجاله ثقات .

^٣ هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ولد بيهق من خراسان ، سنة ٨٣١ هـ ، نصر مذهب الشافعي في مؤلفاته ، له عدة مؤلفات منها : (مناقب الشافعي) و (دلائل النبوة) و (الجامع المصنف في شعب الإيمان) أنظر لترجمته : (شذرات الذهب ج ٣ / ٣٠٤) و (الأعلام ج ١ / ١١٣) .

^٤ الأسماء والصفات ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ص ٤٨١ ، بواسطة الصواعق المرسله الشهادية علي الشبه الداحضة الشامية ، سليمان بن سحمان النجدي ، تحقيق عبد السلام بن برجس بن ناصر ، دار العاصمة ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، النشرة الأولى ١٤٠٩ هـ ، ص ٤٩ .

^٥ تقدم تخريجهما هـ ٢٥٠ .

^٦ مجموعة الرسائل والمسائل ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، ج ٤ / ٦ - ٨ .

المعدوم شيئاً، وأن علم الله للأشياء مستمد من ذواتها، وأن الوجود غير الماهية . وعلي ذلك جعلوا حقيقته ونبوته من جملة ما ثبتت ذواتها قبل وجودها.

((وإنما نشأ الاشتباه علي هؤلاء من حيث رأوا أن الله سبحانه يعلم ما يكون قبل كونه - وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون - فرأوا أن المعدوم الذي يخلقه يتميز في علمه سبحانه وإرادته وقدرته فظنوا ذلك التميّز ذات له ثابتة ، وليس الأمر كذلك وإنما هو متميز في علم الله وكتابتته، فالواحد منا يعلم الموجود والمعدوم الممكن والمستحيل ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، كما يعلم ما أخبر الله به من أهل النار .

هذه الأمور نعلمها نحن ونتصورها ، إما نافرين لها أو مثبتين لها في الخارج أو مترددين ، وليس لمجرد تصورنا يكون لأعيانها ثبوت في الخارج عن علمنا وأذهاننا... فثبوت الشيء في العلم والتقدير ليس هو ثبوت عينه في الخارج ، ولا شك أن الله قدّر الأشياء قبل خلقها كما ورد في صحيح مسلم : ((إِنْ اللهُ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ يَحْمَسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ))^١ . وفي سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الْقَلَمَ فَقَالَ : أَكْتُبُ قَالَ : رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : أَكْتُبُ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))^٢ .

وعلي هذا يفهم الحديث الصحيح ((.. يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى كُنْتُ نَبِيًّا وَفِي رِوَايَةٍ مَتَى كُنْتُ نَبِيًّا ؟ قَالَ : وَأَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ))^٣ . ولم يقل بين الماء والطين كما ورد في بعض الأحاديث الموضوعية ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه كان نبياً أي كتب نبياً وأدم بين الروح والجسد وهذا لأن هذه الحالة فيها يقدر التقدير الذي يكون بأيدي ملائكة الخلق فيقدر لهم ويظهر لهم ويكتب ما يكون من المخلوق قبل نفخ الروح فيه ، كما ورد في حديث ابن مسعود قال : ((حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : ((إِنَّ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ خَلْقَهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ الْمَلِكَ يَكْتُبُ فِيَوْمَرُ يَأْرُبِعُ كَلِمَاتٍ فَيُقَالُ : أَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَسُقْيِي أَوْ سَعِيدٌ ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ .. الخ الحديث))^٤ . فلما أخبر الصادق المصدوق أن الملك يكتب رزقه وعمله وأجله وشقي وسعيد بعد خلق الجسد وقبل نفخ الروح ، وأدم هو أبو البشر ، كان أيضاً من

^١ تقدم تخريجه ص ٤٥٤ .

^٢ أخرجه أبو داود في باب شرح السنة بلفظ مقارب ، حديث رقم ٤٦٢٩ ، وأحمد في المسند حديث رقم ٢٢٢٢٥ ورقم ٢٢٢٢٧ ، والترمذي ج ٦ / ٣٤١ حديث رقم ٢١٨١ وج ٩ / ٢٤٣ حديث رقم ٣٤٤٦ .

^٣ أخرجه أحمد في المسند ج ٥ / ٩٥ ، والحاكم في المستدرک ج ٢ / ٦٠٨ - ٦٠٩ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي رجال أحمد رجال الصحيح (مجمع الزوائد ج ٨ / ٢٢٣) .

^٤ أخرجه البخاري في بدء الخلق ج ٦ / ٣٠٥ حديث رقم ٣٢٠٨ ، ورقم ٢٣٢٢ ، ٦٥٩٤ ، ٧٤٥٤ ، ومسلم في القدر حديث رقم ٢٦٤٣ وأبو داود في السنة حديث رقم ٤٧٠٨ ، والترمذي حديث رقم ٢١٣٧ باب ما جاء في أن الأعمال بالحوادث .

المناسب لهذا أن يكتب بعد خلق جسده ، وقبل نفخ الروح فيه ما يكون منه ، ومحمد صلي الله عليه وسلم ولد آدم فهو أعظم الذرية قدراً وأرفعهم ذكراً ، فأخبر صلي الله عليه وسلم أنه كتب نبياً حينئذ ، وكتابة نبوته هو معني كون نبوته ، فإنه كون في التقدير الكتابي، ليس كوناً في الوجود العيني، إذ نبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس أربعين من عمره صلي الله عليه وسلم كما قال تعالى : ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا))^١ وقال : ((أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى))^٢ وقال : ((إِنَّمَا نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ))^٣ ، ولذلك جاء هذا المعني مفسراً في حديث العرياض بن سارية عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال: ((إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ مَكْتُوبٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَأَنَّ آدَمَ لَمُنْجَلٍ فِي طِينَتِهِ ، وَسَأَخْبِرُكُمْ بِأَوْلِيٍّ أَمْرِي ، دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى ، وَرُؤْيَا أُمِّي النَّبِيِّ رَأَتْ حِينَ وَضَعْتَنِي ، وَقَدْ خَرَجَ لَهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ : قُصُورُ الشَّامِ))^٤ . (فلم تكن حقيقته صلي الله عليه وسلم موجودة قبل أن يُخلق ، إلا كما كانت حقيقة غيره بمعنى أن الله علمها وقدرها ، لكن كان ظهور خبره واسمه مشهوراً أعظم من غيره فإنه كان مكتوباً في التوراة والإنجيل وقبل ذلك)^٥ ، وقد أمر الله أنبيائه السابقين بالتبشير والتصديق به : ((وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا) وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ))^٦ ، قال ابن عباس : ((ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد من أمر محمد ، وأخذ العهد علي قومه ليؤمنن به، ولئن بُعث وهم أحياء لينصرنه))^٧ .

وقد دلت نصوص القرآن والسنة علي أنه لم يكن للأرواح خلق قبل خلق الأجساد ، وأما التقدير والكتابة فلا تدل علي خلق أعيانها، فمن هذه النصوص قوله تعالى : ((فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ))^٨ ، فدللت الآية علي أن نفخ الروح كان بعد

^١ سورة الشورى (٥٢) .

^٢ سورة الضحى (٦) .

^٣ سورة يوسف (٣) .

^٤ أخرجه أحمد في المسند ج ٥ / ٢٦٢ ، والحاكم في المستدرک ج ٢ / ٦٠٠ وقال هذا حديث صحيح الإسناد وإن لم يخرجاه ووافقه الذهبي، وله طرق وروايات مختلفة ، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٥٤٥ ، ١٥٤٦ ، مجموعة الرسائل والمسائل ، شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٤ / ٩ - ١٠ بتصرف .

^٥ مجموعة الرسائل والمسائل ، شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٤ / ٧٣ .

^٦ سورة آل عمران (٨١ - ٨٢) .

^٧ مجموعة الرسائل والمسائل ، شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٤ / ٧٠ .

^٨ سورة ص (٧٢) .

التسوية والخلق ، وأما السنّة فحديث ابن مسعود الذي فيه : ((إِنَّ أَحَدَكُمْ لِيُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةٌ ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ الْمَلَكَ فَيُؤَمِّرُ يَأْرُبِعَ كَلِمَاتٍ فَيَقَالُ : أَكْتُبْ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَسَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ..))^١ . وفيه أن نفخ الروح كان بعد اكتمال خلق الجسد .

وفي حديث أبي هريرة السابق في خلق العالم الإخبار عن خلق أجناس العالم وتأخر خلق آدم إلى يوم الجمعة ولو كانت الأرواح مخلوقة قبل خلق الأجساد لكانت من جملة العالم المخلوق في ستة أيام فلما لم يخبر عن خلقها في هذه الأيام عَلِمَ أن خلقها تابع لخلق الذريّة^٢ .

خامساً: في الحديث الموضوع : ((أَنَا مِنْ نُورِ اللَّهِ ..))^٣ من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن نور الله الذي هو صفته غير مخلوق ، ليس من الله شيء مخلوق ، وإنما تكون الأشياء وتخلق بأمره وتكوينه وأفعاله سبحانه وبحمده إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون^٤ .

سادساً : بيت الشعر الذي أورده محمد عثمان عبده :

أَدَمٌ مِنْ أَجْلِهِ يَأْتِيكَ مِنْ وَلَدٍ قَبْلَ أَبِيهِ كُونَ

واستدل به علي أسبقية نور النبي صلي الله عليه وسلم ، أما عجزه فقد سبق الكلام علي معناه والإجابة عنه، وأما صدره فقد وردت في معناه عدة أحاديث موضوعة منها : ((لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الْأَفْلَاكَ))^٥ ، وأنه لولاه لما خلق الله عرشاً ولا كرسيّاً ولا سماء ولا أرض ونحو ذلك، فالمعلوم شرعاً أن الله سبحانه قد خلق الخلق لعبادته فقد قال سبحانه : ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ))^٦ ، وسخر الله سبحانه المخلوقات لبني آدم لمصالحهم ومنافعهم فقال سبحانه : ((أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ))^٧ .

^١ تقدم تخريجه ص ٢٥٣ .

^٢ الروح ، شمس الدين بن قيم الجوزية ، أعتنى به محمد علي قطب ، ووليد الذكري ، طبع المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، ص ٢٠٦ .

^٣ تقدم تخريجه ص ٢٦٧ .

^٤ الصواعق المرسله الشهائية على الشبه الداحضة الشامية ، سليمان بن سحمان النجدي ، ص ٤٥ .

^٥ قال الصغاني موضوع ، كشف الخفا ومزيل الإلباس ، ج ٥ / ١٦٤ ، حديث رقم ٢١٢٥ ، توزيع مكتبة الغزالي ، دمشق ، الناشر مناهل العرفان ، بيروت ، بدون تاريخ طبع ، والفوائد المجموعة في الأحاديث المجموعه ، محمد بن علي الشوكاني ، ص ٣٢٦ ، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، محمد ناصر الدين الألباني ج ١ / ٢٩٩ حديث رقم ٢٩٢ .

^٦ سورة الذاريات (٥٦) .

^٧ سورة لقمان (٢٠) .

سابعاً : أما الآيتان اللتان أستدل بهما علي أسبقية نوره صلي الله عليه وسلم وهما قوله تعالى ((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا))^١ ، فقد أجمع المفسرون علي أن المراد بالإنسان هو جنس الإنسان وفي الآيات بيان كيفية خلقه وتطوره ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ((يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه أوجد بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً)) ثم بين ذلك فقال جل جلاله: ((إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ)) أي أخلط ، والمشج والمشيج : الشيء المختلط بفضه في بعض ، قال ابن عباس في قوله تعالى : ((مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ)) يعني ماء الرجل والمرأة إذا اجتمعا واختلطا ، ثم ينتقل بعد من طور إلي طور وحال إلي حال ولون إلي لون وهكذا))^٢ .

الحقيقة المحمدية :

وهي عقيدة مرتبطة بعقيدتي وحدة الوجود والنور المحمدي . وتعريفها : ((هي الذات مع التعيين الأول ولها الأسماء الحسنى وهي الاسم الأعظم))^٣ ، فالنبي صلي الله عليه وسلم بهذا المعنى ليس بشراً ولا رسولاً ، وإنما هو الذات الإلهية في أسمى مراتبها .
وعنها يقول محمد عثمان عبده البرهاني : في تفسير قوله تعالى: ((وَأَلْفَجِرَ وَلِيَّالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حَجْرِ))^٤ يري بعض المفسرين أن المقصود بالليالي العشر في السورة عشرة أيام ذي الحجة وأن الفجر هو انفلاق الصبح المعروف عند الناس ولكن كبار المفسرين أهل البصائر يرون أن الفجر هو حالة قبضة نور النبي صلي الله عليه وسلم ، وأن الليالي العشر هي حجب الجلال .. وكان نور النبي صلي الله عليه وسلم ينتقل في هذه الحجب العشر من مرتبة إلي مرتبة .. وهذه هي الليالي العشر والشفع وإنما وجود الحقيقة الأحمديّة في الحقيقة المحمديّة أي وجود الحقيقتين معاً في حالة الإثنيّة والوتر جمع الحقيقتين في واحدة سيدنا ^{صلى} الله عليه وسلم أي ذاته إذ أن الوتر هو واحد الثلاثة وإلي هذه الحقائق يشير الرسول صلي الله عليه وسلم في حديثه الشريف: ((إِنَّ اللَّهَ فَرَدُّ يُحِبُّ الْفَرْدَ . وَإِنَّ اللَّهَ وَتَرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ . وَإِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ))^٥ والفردية إشارة إلي

^١ سورة الإنسان (١_ ٢) .

^٢ تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ج ٤ / ٧١٠ .

^٣ التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ص ١٢٢ .

^٤ سورة الفجر (١_ ٥) .

^٥ لم أجد له تخريجاً في كتب السنة بهذا اللفظ .

^٦ أخرجه أبو داود حديث رقم ١٤١٩ ، ١٩١٦ ، والترمذي حديث رقم ٤٥٣ ، والنسائي حديث رقم ج ٣ / ٢٢٨ ، وصححه الحاكم في المستدرک ج ١ / ٣٠٥ .

^٧ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ج ١ / ٥٦ .

الحقيقة الأحمدية والوترية إشارة إلي الحقيقة المحمدية والجمال إشارة إلي الذات المحمدية إذ هو لاهوت الجمال وناسوت الوصال.

والليل إذا يسر معناه كتم معرفة النبي صلي الله عليه وسلم فلا يمكن معرفته ما لم يعرف هو غيره به صلي الله عليه وسلم. وفي تأكيد عدم معرفته قالوا : يا طالباً عرفانه من غيره .. هيهات ذا صدت به فرسانه، ثم قال في قوله تعالى : ((قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ))^١ فأتببت هذه الآية أولية وجود نور النبي عليه الصلاة والسلام وأنه عبد المولي تبارك وتعالى في كل الحجب العشرة))^٢.

ونقل محمد عثمان عبده البرهاني عن عبد الكريم الجيلي قوله : ((...إنَّ المقام الحبي أعلي المقامات الكمالية وذلك أنه ورد في الحديث عن النبي صلي الله عليه وسلم ، أنه قال حاكياً عن الله تعالى ((كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيًّا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ ، فَخَلَقْتُ خَلْقًا ، فَتَعَرَّفْتُ إِلَيْهِمْ فَبِي عَرَفُونِي))^٣ فكان الوجه الحبي الأول الصادر عن الخطاب الإلهي في إيجاد المخلوقات، فالحب لبقية مقامات الكمال أصل، وهي كالفرع ، لأجل أن المقام الأول كان مخصوصاً بالموجود الأول الأصلي، فجميع الحقائق الإلهية إنما ظهرت بواسطة الحب، إذ لولا ذلك لما وجد الخلق، ولولا الخلق لما عرفت الأسماء والصفات ، والخلق إنما ظهوروا بواسطة الروح المحمدي كما سبق بيانه، فلولا الحقيقة المحمدية، لم يكن خلق، ولولا الخلق لم تظهر صفات الحق لأحد إذ لا أحد، فالحب هو الوسيلة الأولى لوجود المخلوقات والموجودات ومحمد صلي الله عليه وسلم هو الوسيلة الأولى لوجود الموجودات كما بيانه في ما سبق، وقد ورد عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال : ((إن الله تبارك وتعالى قال له في ليله الإسراء والمعراج : لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الْأَفْلَاكَ))^٤ فعلم بذلك أن محمداً صلي الله عليه وسلم وهو الذي كان مقصود بالتوجه الحبي للمعرفة بالكنز المخفي ، وأن جميع ما سواه كانوا عطفاً عليه، فهو الأصل في مقصود الحب الإلهي . وغيره كالفرع له. فمن أجل ذلك خصه الله تعالى باسم الحبيب دون غيره. وإنما أحب الله تعالى أمته الذين اتبعوه لقوله: ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ))^٥ لأنهم مخلوقون منه ، كما قال صلي الله عليه وسلم حيث سئل : ((أَنَا مِنْ نُورِ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ مِنِّي))^٦.

^١ سورة الزخرف (٨١) .

^٢ تبيرة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٨ .

^٣ تقدم تخريجه ص ٩٨ .

^٤ تقدم تخريجه ص ٩٩ .

^٥ سورة آل عمران (٣١) .

^٦ تقدم تخريجه ص ٩٧ .

وورد في شرح أورد الطريفة البرهانية المسمى بأنوار الأمين: ((وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سئل: ما أول ما خلقه الله؟ فقال (نور نبيك يا جابر) ^١ وهو حديث طويل رواه الإمام عبد الرزاق في جنة الخلد، ولهذا النور الأول الذي أشار إليه الحق في قرآنه حيث قال الله ((أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ)) ^٢ .

فهو النور النبوي الأول هو الخلق الأول في هذه الآية، والخلق الجديد هو تنزل هذا النور في مراتب فصلت الإجمال الأول ، وذلك لحكمة إلهية واردة عليها حيث قال الله في الحديث القدسي: ((كُنْتُ كَنْزًا مَّخْفِيًّا فَأَرَدْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ فِيَّ عَرْفُونِي)) ^٣ وهذا التفضيل هو المشار إليه بالمراتب حيث تعينت له أربعة مراتب ^{صلى} عظمى عليه فيها أهل الله بما هو أهل له في كل واحدة منها وبمقتضى كل واحدة منها ولذلك قلنا : إن تعدد صياغات الصلاة على النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم إنما هو لتعدد مراتب تنزلاته منذ كان صلى الله عليه وسلم نوراً في غيب الأودية - وهي الحضرة الإلهية التي خلق الله نوره صلى الله عليه وسلم منها وتسمى حضرة مصدر النور أو الحضرة الأودية فكان نوره صلى الله عليه وسلم مبهما في هذه الحضرة غير متعين ولذلك تسمى هذه المرتبة مرتبة اللاتينية أي قبل خلقه صلى الله عليه وسلم، ثم خلق نوره صلى الله عليه وسلم فكانت قبضة النور في فجر الوجود فحصل التعين في ذلك الحين وتسمى هذه المرتبة بالحضرة التعينية ثم ترحل النور في حجب الجلال العشر المعبر عنها بالليالي العشر في قوله تعالى: ((وَأَلْفَجْرٍ وَلَيَالٍ عَشْرٍ)) ^٤ فكانت تسميته صلى الله عليه وسلم من فجر الوجود وحتى ترحله في الحجب العشرة بالحقيقة الأحمدية ثم انعقد هذا النور لما تنزل في الحجاب العاشر وسمي في هذه المرتبة بالذات الأحمدية المعبر عنها بالياقوتة الحمراء في قوله صلى الله عليه وسلم: ((أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ يَاقُوتَةَ حَمْرَاءَ)) ^٥ ثم تخرجت الحقيقة المحمدية من الذات الأحمدية فكانت هذا الحقيقة المحمدية أصل الوجود ظاهره وباطنه وأرواحه وأجساده فكان الوجود كله مندرج في هذه الحقيقة اندراج الحروف في المحبرة وهي المرتبة التي صلى فيها سيدي عبد السلام بن بشيش رضى الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم من حيث الهوية النبوية بالحقيقة المحمدية التي انشقت منه كل الأسرار ولذلك سميت بحضرة اللاتسمية لأن الهوية إشارة لعدم التسمية مع الوجود التام ثم تجلى الله على هذه الحقيقة المحمدية فخلق منه الوجود عاليه وسافله..

^١ تقدم تخريجه ص ٩٧ .

^٢ سورة ق (١٥) .

^٣ تقدم تخريجه ص ٩٨ .

^٤ سورة الفجر (١ - ٢) .

^٥ ليس بحديث بهذا اللفظ وليس في شيء من كتب السنة .

كل ما سبق بيانه من مراتب ترحل نوره وتنزلاته صلى الله عليه وسلم اجتمعت في ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم حيث ظهر بشراً كاملاً سوياً في أرض مكة من أبويه الشريفيين صلى الله عليه وسلم أجمعين وسمى بالاسم الشريف محمد صلى الله عليه وسلم وسميت هذه الحضرة بحضرة التسمية حيث ظهرت في أرض الحجاز الذات المحمدية.

كل مرتبة من مراتب تنزله صلى الله عليه وسلم استوعبت أسرار المراتب التي تعلوها، فمثلاً: استوعبت الذات المحمدية أسرار الحقيقة الأحمدية. استوعبت الحقيقة المحمدية أسرار الحقيقة الأحمدية والذات الأحمدية. استوعبت الذات الشريفة أسرار هذه الحقائق والمراتب وسمى لذلك (الجامع المخصوص) فهو الأب الأكبر لجميع الموجودات والأنموذج الجامع في إفاضة الجود على الوجود لأنه مرآة الحق من الوجود))^١.

ويضيف قائلاً: ((وانعقد هذا النور (يعنى المسمى بالحقيقة الأحمدية) في الحجاب العاشر وسمى بالذات الأحمدية أو الياقوتة الحمراء، فقد سئل صلى الله عليه وسلم عن أول شيء خلقه فقال ((ياقوتة حمراء)) والتي كانت أصلاً لتتزلزلين هامين :
أ. روح القدس ب. الدرّة البيضاء

ولذلك قيل :

وَيَاقُوتَةُ الْأَزْزَالِ لَا زَالَ مُلْكُهَا إِلَىٰ أَبَدِ الْأَبَادِ فَوَقَّ الْعُنَاصِرِ

حيث كان روح القدس والدرّة البيضاء هما تفصيلاً عالم الأمر أى أنه من عالم الأمر المنتزل من الخلق الأول تخرج الروح والدرّة ، وسمى ذلك اصطلاحاً بالحقيقة المحمدية فهي أصل الوجود أرواحه وأجساده ظاهره وباطنه ظ، فروح القدس أصل كل الأرواح ، والدرّة البيضاء أصل كل الأجساد))^٢.

وفى شرح الأوراد : ((ويصبح الأمر وحده الأرواح وهو حقيقة محمدية تخرج من روح القدس...))

ومن ناحية ثالثة الأسماء الإلهية التي خلق الله بها الوجود ارتقت في الاسم الله غير متباينة ويكون هذا المعنى ب(وفيه ارتقت الحقائق) والياقوتة الحمراء وهي وحدة الوجود))^٣.
ويقول محمد عثمان عبده بعد أن ذكر حديثاً وهو قوله صلى الله عليه وسلم :
((حَتَّىٰ الشُّوكَةَ يَشَاكُهَا أَحَدُكُمْ فَأَتَأَلَّمُ لَهَا))^٤: ((فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْكُلِّ فَكَيْفَ يَتَأَلَّمُ لِلْبَعْضِ))^٥.

^١ أنوار الأملين في شرح الأوراد ص ١٢٣ - ١٢٥ .

^٢ المصدر السابق ص ١٢٧ - ١٢٨ .

^٣ شرح أوراد الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ص ٦٩ .

^٤ ليس بجديد بهذا اللفظ وليس في شيء من كتب السنة .

وتعليقاً على عقيدة الحقيقة المحمدية فإنه يقال :

إن هذه العقيدة عقيدة باطلة وهي مستمدة من عقيدة وحده الوجود الباطلة وما كان مبناه على باطل فهو باطل، وممن قال بها الحسين بن منصور الحلاج و محي الدين بن عربي، وفي ذلك يقول الحلاج: ((تجلى الحق لنفسه في الأزل قبل أن يخلق الخلق وقبل أن يعلم الخلق وجرى له في حضرة أحديته مع نفسه حديث لا كلام فيه ولا حروف وشاهد سبحات ذاته في ذاته في الأزل حيث كان الحق ولا شيء معه نظر إلي ذاته فأحبها وأنتى على نفسه فكان هذا تجلياً لذاته في ذاته في صورة المحبة المنزهة عن كل وصف وكل حد وكانت هذه المحبة علة الوجود والسبب في الكثرة الوجودية، ثم شاء الحق سبحانه أن يرى ذلك الحب الذاتي ماثلاً في صورة خارجية يشاهدها ويخاطبها فنظر في الأزل وأخرج من العدم صورة من نفسه لها كل صفاته وأسمائه وهي آدم الذي جعله الله صورته أبد الدهر ولما خلق آدم على هذا النحو عظمه ومجده فاختره لنفسه وكان من حيث ظهور الحق بصورته فيه وبه هو هو^١)).

فالحلاج هنا يؤكد مذهبه في الحلول في تقريره بأن الله قد حل في آدم عليه السلام والمقصود بآدم عند الحلاج النوع الإنساني ابتداءً بآدم واستمراراً بالأنبياء حتى محمد صلى الله عليه وسلم والحلاج يرى أن للنبي صلى الله عليه وسلم صورتين مختلفتين :

١. صورته نوراً أزلياً قديماً كان قبل أن يوجد العالم ومنه استمد منه كل علم وعرقان حيث أن الأنبياء السابقين عليه والأولياء اللاحقين به .

٢. ثم صورته نبياً مرسلًا وكائناً ومحدثاً تعين وجوده في زمان ومكان محددين والنبي المرسل إنما صدر في رسالته عن ذلك النور الأزلي القديم فيقول: ((سراج من نور الغيب... ما أخبر إلا عن بصيرته وما أمر بسنته إلا عن حق سيرته... أنوار النبوة من نوره برزت وأنوارهم من نوره ظهرت وليس في الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم سوي نور صاحب الكرم... همته سبقت الهمم ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم لأنه كان قبل الأمم... وهو سيد البرية الذي اسمه احمد... لم يزل كان مشهوداً الحوادث والكوائن والأكوان، ولم يزل كان مشهوراً قبل القبل وبعد البعد... هو الدليل والمدلول... العلوم كلها فطرة من بحر.. هو الأول في الوصلة وهو الآخر في النبوة...)).^٢

فالحلاج يؤكد قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأسبقيته علي وجود الكون بقوله : ((همته سبقت الهمم ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم لأنه كان قبل الأمم)) وبناء علي

^١ الطواسين ، الحسين بن منصور الحلاج ، ص ١٢٩ _ ١٣٠ بواسطة محبة النبي صلى الله عليه وسلم بين الإتياع والابتداع ، عبد الرؤوف محمد عثمان ، طبع دار الضياء جدة ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م ، ص ١٧٢ .

^٢ أخبار الحلاج ، الحسين بن منصور الحلاج ، ص ٨٢ بواسطة محبة النبي صلى الله عليه وسلم بين الإتياع والابتداع ، عبد الرؤوف محمد عثمان ، ص ١٧٢ .

ذلك ينكر الوحي ويزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بالرسالة عن ذاته ، وهذا مما يتمشى مع قوله بقدوم النور المحمدي، وأنه هو مصدر الإلهام لجميع الأنبياء والأولياء، ثم مع مذهبه في الحلول بأن الإله حل في آدم ثم في الأنبياء من بعده ، فلا حاجة مع ذلك للوحي . فهو يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم هو المظهر الذي حل فيه الإله أو الناسوت الذي حل فيه اللاهوت . ولم يكن هذا الحلول خاصاً بالرسول بل تعدى إلى الأولياء من بعده، وهذا كفر أشنع من كفر النصارى لأن النصارى خصوا الحلول بعبسى أما الحلاج فقد عممه في الأنبياء والأولياء علي السواء .

(وأما الحقيقة المحمدية عند ابن عربي فمبناها علي مذهبه في وحدة الوجود، ويقوم مذهب ابن عربي في وحدة الوجود علي أساس أن الوجود كله بما فيه ومن فيه- واحد هو الله ، وأن ما يوجد في الكون من مخلوقات فوجودها خيال أو وهم أو ظل بالنسبة لوجود الله))^١ . ولما كان الله تنزّه وتقدّس - عند ابن عربي - يتجلّى في صور المخلوقات باعتباره روح هذا العالم ، وكان الإنسان أعظم هذه المخلوقات ، كان تجلي الحق فيه أعظم وأكمل. فالإنسان-في نظر ابن عربي- أكمل مجالي الحق باعتباره أرقى الموجودات ، حيث جمع الصفات الحقية والخلفية، فصار صورة للعالم الأكبر، ولذلك يسميه ابن عربي بالمختصر الشريف، والكون الجامع لجميع حقائق الوجود ومراتبه ، فهو العالم الأكبر (الله) أو كمالات الحضرة الإلهية الأسمائية الصفاتية فأكمل الموجودات علي الإطلاق هو الحق، وأكمل مظهر للحق هو الإنسان الكامل))^٢ .

((فالحقيقة المحمدية في نظر ابن عربي- هي أكمل مجلى خلقي ظهر فيه الحق، بل يعتبرها الإنسان الكامل، وكمال الشيء عنده متوقف علي عدد الأسماء والصفات الإلهية المتجلية فيه والنبي صلى الله عليه وسلم -عند ابن عربي - قد انفرد بأنه مجلى للاسم الأعظم الجامع لجميع تلك الأسماء وهو الله . ولهذا كانت له مرتبة الجمعية المطلقة (جمع كمالات الأسماء والصفات) ومرتبة التعيين (التجلي) الأول الذي تعينت به الذات الأحدية ، وإن شئت قلت إنها الحق هي ذاته ظاهر لنفسه في أول تعين من تعيناته في صورة العقل الحاوي لكل شئ المتجلي في كل كائن عاقل))^٣ . والحقيقة المحمدية عند ابن عربي - شئ مختلف تماماً عن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم .

يقول ابن عربي: ((اللهم أفض صلة صلواتك وسلامة تسليماتك علي أول التعيينات المفاضة من العماء الرباني وآخر التنزلات المفاضة إلي النوع الإنساني المهاجر من مكة (كان

^١ فصوص الحكم ، ابن عربي ص ١٠١ .

^٢ فصوص الحكم ، ابن عربي ص ٥٤ - ٥٥ .

^٣ المصدر السابق ج ٢ / ٢٢٠ - ٢٢١ .

الله ولم يكن معه شئ ثانٍ) إلى مدينة (وهو الآن علي ما عليه كان)... سر الهوية التي في كل شئ سارية وعن كل شئ مجردة وعارية .. المظهر الأتم الجامع بين العبودية والربوبية .. الفيض الأقدس الذاتي الذي تعيّن به الأعيان واستمداداتها، مطلع شمس الذات في سماء الأسماء والصفات .. خط الوحدة بين قوس الأحدية والواحدية ... اللهم يا رب .. أسألك بك أن تصلي علي سيدنا محمد صلاة تكحل بها بصيرتي بالنور المرشوش في الأزل لأشهد فناء ما لم يكن وبقاء ما لم يزل، وأرى الأشياء كما هي في أصلها معدومة مفقودة، وكونها لم تشم رائحة الوجود فضلاً عن كونها موجودة^١ .

وفي هذا النص يتضح كفر قول ابن عربي وغلوه في الحقيقة المحمدية وجعلها كالحقيقة الإلهية حيث جعل المهاجر من مكة إلى المدينة الرسول صلي الله عليه وسلم كان الله، وأن الموجودات تعيّن وتحددت بفيضه عليها.

والحقيقة المحمدية – عند ابن عربي – هي أول مخلوق حيث يقول: ((بدء الخلق الهباء وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية))^٢ فهي من هذه الناحية مبدأ خلق العالم إذ هي النور الذي خلقه الله قبل كل شئ. وخلق منه كل شئ.

ومن ناحية صلتها بالعالم الروحي فيعتبرها مصدر كل وحي وإلهام وكشف للأنبياء والأولياء علي السواء فهي منبع الوحي والعلم الباطني، والأصل الذي يأخذ عنه الأنبياء والأولياء.

وفي ذلك يقول: ((وكل نبي من لدن آدم إلي آخر نبي ما منهم من أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين ، وإن تأخر وجود طينته فإنه بحقيقته موجود، وهو قوله صلي الله عليه وسلم ((كُنْتُ نَبِيًّا وَأَدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ))^٣ وغيره من الأنبياء ما كان نبياً إلا حين بُعث^٤ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى رداً علي مذهب ابن عربي ((... ومن قال أن النبي صلي الله عليه وسلم كان نبياً قبل أن يوحى إليه فهو كافر باتفاق المسلمين ... وكثير من الجهال المصنفين وغيرهم يرويه ((كُنْتُ نَبِيًّا وَأَدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ) (وَأَدَمُ لَا مَاءَ وَلَا طِّينَ) ويجعلون ذلك وجوده بعينه وادم لم يكن بين الماء والطين بل الماء بعض الطين لا مقابله^٥ .

^١ أفضل الصلوات علي سيد السادات ، يوسف بن إبراهيم النبهاني ، ص ٨٨ ، وما بعدها ، بواسطة محبة النبي صلي الله عليه وسلم بين الإتياع والابتداع ، عبد الرؤوف محمد عثمان .

^٢ الفتوحات المكية ، ابن عربي ج ١ / ١١٨ .

^٣ تقدم تخريجه .

^٤ فصوص الحكم ، ابن عربي ص ٦٣ – ٦٤ .

^٥ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٨ / ٢٨٢ – ٢٨٣ .

وإذا ثبت بطلان كون الرسول صلي الله عليه وسلم موجوداً بحقيقته قبل خلق الأرض فقد انهدم أكبر أساس بني عليه ابن عربي نظريته في الحقيقة المحمدية .
ثم إن قوله إن الحقيقة المحمدية هي أكبر مظهر تجلي فيه الإله ، أو أنها هي الله متعينا في أول تعيناته قول لا دليل عليه ، بل هو كفر ، والدليل قائم علي بطلانه عقلاً وشرعاً لأن الخالق غير المخلوق، ولو قلنا بأن الخالق هو المخلوق لما كان هناك خلق أصلاً. وهو الذي يؤمن به ابن عربي وحاصل كلامه إنكار الخلق والقول بقدوم العالم، وقوله عن الحقيقة المحمدية بأنها مبدأ العالم وسبب وجوده، قول مصادم للنصوص الشرعية التي بينت أن مبدأ خلق العالم هو الماء والعرش ، قال الله سبحانه: ((وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ))^١.

وقوله صلي الله عليه وسلم: ((كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ))^٢.

وقول ابن عربي بأن الحقيقة المحمدية هي التي أمدت الأنبياء والأولياء بالعلم الباطن قول ينفي الوحي والنبوة والرسالة، إذ النبوة والرسالة متوقفة علي الوحي الذي نزل به الملك علي كل نبي.

ويصل ابن عربي بنظريته في الحقيقة المحمدية إلي الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وذلك عن طريق الغلو في الرسول صلي الله عليه وسلم ، بمساواته بالله عز وجل ، تعالى الله عما يقول علواً كبيراً .

وقد أخذ البرهانية قولهم في الحقيقة المحمدية عن ابن عربي ومن قبله الحلاج ، وقد برزت لهم عبارات تشير إلي مذهب كل من الحلاج وابن عربي منها : قولهم في النبي صلي الله عليه وسلم: ((لاهوت الجمال وناسوت الوصال))^٣ وأنه ((الجامع المخصوص))^٤ و((الأب الأكبر لجميع الموجودات))^٥ ولا يخفى عدم دلالة الأدلة التي استدلوا بها علي ما أرادوا، فهي إما أحاديث موضوعة أو آيات أساءوا فهمها، ولم يذهب إلي ما ذهبوا إليه في تفسيرها أحد من أهل العلم المفسرين، الأئمة الأعلام الذين شهدت الأمة بفضلتهم وعلمهم .

وذهب بعض العلماء إلي أن الحقيقة المحمدية ترجع في أصولها إلي العقائد النصرانية حيث يقول الدكتور زكي مبارك: ((وعلي ذلك تكون نظرية الحقيقة المحمدية عند غلاة الصوفية مأخوذة من أصول نصرانية فعيسى هو ابن الله . ومعني ذلك فيما افترض أنه الصلة بين الله

^١ سورة هود (٧) .

^٢ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب وكان عرشه علي الماء ج ٩ / ١٥٢ .

^٣ تبرئة الأمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٨ .

^٤ أنوار الأمين في شرح الأوراد ص ١٢٥ .

^٥ المصدر السابق نفس الصفحة السابقة .

وبين الوجود . ومحمد هو أول التعيينات وليس فوقه إلا الذات الأحدية، كما لم يكن فوق عيسى إلا الأب . والنصارى يتمثلون الله ... ولكنه يتمثل في صورة البشرية، فعيسى لولاه لامتنعت الصلة بين الله وبين الوجود فانعدم الوجود . ومحمد صلي الله عليه وسلم .
لَوْلَاهُ مَا كَانَ أَرْضٌ وَلَا أَفُقٌ وَلَا زَمَانٌ وَلَا خَلْقٌ وَلَا جَبَلٌ

وعيسى هو الكلمة، وأتباعه من الرسل الذين بلغوا دعوته كلمات ومحمد عند الصوفية هو الكلمة وجميع الأنبياء كلمات لهم خصوصية، وبعض أتباع محمد لهم خصوصية. ثم يقول: والواقع أن الحقيقة المحمدية أسطورة من الأساطير وهي في رأينا مأخوذة من النظرية النصرانية، كما أن النظرية النصرانية مأخوذة من الفلسفة اليونانية التي تُقسَم القوى إلي عقول^١، وقد أفرزت عقيدة النور المحمدي عند البرهانية عدداً من العقائد منها أن: اعتقادهم بأن النبي صلي الله عليه وسلم هو الممد لكل الأنبياء والواسطة لكل متقرب إلي الله سبحانه :

يعتقد البرهانية هذه العقيدة وقد دلت علي ذلك عدّة نصوص منها قول محمد عثمان عبده تحت عنوان : ((فضل النبي صلي الله عليه وسلم وأسبقيه نوره وبيان أن كل الديانات مستمدة منه)) : ((.. أن النبي صلي الله عليه وسلم هو الممد الأول للأشياء حتى الملائكة ومن باب أولى الرسل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .. فالنبي صلي الله عليه وسلم هو الأصل ودينه أصل الديانات وكل الأنبياء والمرسلين عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام يُسلمون علي شريعته بدليل قوله تبارك وتعالى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا))^٢، وهم مؤمنون بل هم أكثر إيماناً من غيرهم ولذلك فالنبي صلي الله عليه وسلم أولي بهم من أنفسهم لقوله وتعالى: ((النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ))^٣ وهم المكلفون بتعريف أممهم بالنبي صلي الله عليه وسلم كما قال تعالى: ((وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ))^٤.

^١ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، زكي مبارك ج ١ / ٢١٠ - ٢١١ ، ٢٧٩ بواسطة مصرع الشرك والخرافة ، خالد محمد علي ، حققه وراجعته عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، من مطبوعات إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ص ٤٥٦ .

^٢ نبرنة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٥ .

^٣ سورة المائدة (٤٤) .

^٤ سورة الأحزاب (٦) .

^٥ سورة آل عمران (٨١) .

فاتضح من هذا وذاك أن أصل البداية وأصل النور وكل موثيق الدين عند النبي صلي الله عليه وسلم وهو الوسطة الممد لكل الأنبياء والمرسلين^١ .

ويقول محمد عثمان عبده في شأن قصة إبراهيم عليه والسلام : ((ولا يُعقل أن سيدنا إبراهيم عليه وعلي نبينا أفضل الصلاة والسلام في عمر الأربعين سنة أو يزيد لم ير نجماً ولا القمر ولا الشمس ولكن الواقع عليه وعلي نبينا أفضل الصلاة والسلام يراقب الأفلاك لسر عظمة الإلهية والحقيقة الأحمدية إذ أن النبي صلي الله عليه وسلم هو الوسطة العظمي لكل متقرب إلى الله من لدن آدم وحتى النفخ في الصور حيث أن المولى تبارك وتعالى قد أتاه صلي عليه وسلم إمدادات كل الأنبياء والرسل عليهم السلام كما قال تعالى: ((وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ.. الخ))^٢. وقال : ((مَلَّةٌ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمُّكُمْ الْمُسْلِمِينَ)) وقال: ((إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى))^٣ وذلك قبل ظهوره صلي الله عليه وسلم^٤.

وحيال هذه العقيدة لايد من وقفات :

أولاً: مما لا شك فيه أن القول بها تأليه للنبي صلي الله عليه وسلم بوصفه بصفات الله سبحانه فإن الممد لكل الكائنات هو الله رب العالمين خالقها ومدبّر أمرها جميعها بما في ذلك الأنبياء والملائكة .

ثانياً: ((الرسول ليس منهم من يأخذ من آخر إلا من كان مأموراً باتباع شريعته كأنبيا بني إسرائيل، والرسول الذين فيهم الذين أمروا باتباع التوراة وأما إبراهيم فلم يأخذ عن موسى وعيسى، ونوح لم يأخذ عن إبراهيم، ونوح وإبراهيم وعيسى لم يأخذوا عن محمد وإن بشروا به وءامنوا به))^٥، واتفاقهم في التوحيد لا يعني اتفاقهم في الشرائع فقد قال الله سبحانه: ((لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا))^٦.

ثالثاً: إن الآيات التي استدلت بها علي إثبات الاستمداد من الرسول صلي الله عليه وسلم لا تدل على ما استدلت به، بل وليس موضعها ذلك باتفاق أهل العلم بالتفسير، ولم يذكر أحد منهم ما قال المستدل .

^١ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ، ص ١١ - ١٢ .

^٢ سورة الأنبياء (١٠٥) .

^٣ سورة الحج (٧٨) .

^٤ سورة الأعلى (١٨ - ١٩) .

^٥ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ١١ - ١٥ .

^٦ مجموعة الرسائل والمسائل ، شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٤ / ٧٠ .

^٧ سورة المائدة (٤٨) .

رابعاً: القول بأن إبراهيم عليه السلام كان يشاهد الحقيقة الأحمدية قول باطل شرعاً، إذ ليس له صلي الله عليه وسلم وجود آنذاك . وتفسير الآية علي هذا النحو لم يقل به أحد من أهل العلم بالتفسير .

خامساً: تقدم بيان هذه العقيدة وأنها عقيدة باطلة قال بها الحلاج وابن عربي وعنهما أخذها البرهانية .

اعتقاد البرهانية بأن القرآن الكريم كان عند النبي صلي الله عليه وسلم قبل جبريل عليه السلام :

هذه العقيدة أيضاً من نتائج عقيدة الحقيقة المحمدية والنور المحمدي ، وقد قادت عقيدة وجود القرآن الكريم عند النبي صلي الله عليه وسلم قبل جبريل إلي القول بنفي أمية النبي صلي الله عليه وسلم مع التناقض في ذلك . فمما ورد من نصوص في ذلك قول محمد عثمان عبده : ((ويظن البعض أن سيدنا جبريل عليه السلام كان هو الواسطة بين الله تبارك تعالي وبين سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، ومن ظن هكذا فقد دل علي عدم معرفته، إذ لو صح أن سيدنا جبريلاً عليه السلام كان الواسطة بين الله تعالي ورسوله سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم لتعيّن وجود خلل في كلمة التوحيد فبدلاً عن لا إله إلا الله محمد رسول الله تكون: لا إله إلا الله محمد رسول رسول الله ... ثم سأل الرسول صلي الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عن المكان الذي يأتي منه بالوحي فقال: ((حيثما أكون في أقطار السماوات أسمع صلصلة جرس فأسرع إلي البيت المعمور فألتقي الوحي فأحمله إلي الرسول أو النبي)) فقال له صلي الله عليه وسلم: ((أذهب إلي البيت المعمور واتل نسبي الآن)) فذهب سيدنا جبريل مسرعاً إلي البيت المعمور وتلا نسب النبي صلي الله عليه وسلم قائلاً: ((محمد صلي الله عليه وسلم بن عبد الله بن عبد المطلب .. الخ)) فانفتح البيت المعمور ولم يسبق أن فتح له قبل ذلك فرأى جبريل عليه السلام النبي صلي الله عليه وسلم بداخله فتعجب فعاد مسرعاً إلي الأرض فوجد الرسول صلي الله عليه وسلم في مكانه كما تركه مع سيدنا جابر رضي الله عنه فعاد بسرعة خارقة إلي البيت المعمور فوجده صلي الله عليه وسلم هناك ثم عاد مسرعاً إلي الأرض فوجده صلي الله عليه وسلم ما زال جالساً مع سيدنا جابر رضي الله عنه فسأل جبريل عليه السلام سيدنا جابر رضي الله تعالي عنه قائلاً: ((هل ترك رسول الله صلي الله عليه وسلم مجلسه هذا؟)) فقال سيدنا جابر رضي الله تعالي عنه: ((كلاً يا أخا العرب فإننا لم ننته بعد الحديث الذي تركتنا فيه)). فقال جبريل عليه السلام للنبي صلي الله عليه وسلم: ((إذا كان الأمر منك وإليك فلماذا تعبي؟)) فردّ عليه صلي الله عليه وسلم قائلاً: ((للتشريع يا أخي

جبريل)) وتلا قوله تعالى: ((وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا))^١ . إلي أن قال : ((إن القرآن وهو أكبر معجزة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كان عند النبي عليه الصلاة والسلام قبل البيت المعمور وقبل جبريل وهو خلقه والخلق جزء من كل))^٢ .

ويقول محمد عثمان عبده البرهاني: قال عليه الصلاة والسلام: ((لِي سَاعَةٌ مَعَ رَبِّي لَا يَسَعُنِي فِيهَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ))^٣ . وهو صلى الله عليه وسلم الحجاب الأعظم القائم بين يدي الحق والخلق . وهو الوساطة الأولى بينهما . قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِذْ لَوْلَا الْوَسِيطَةُ لُدَّهَبَ الْمَوْسُوطُ))^٤ . وعليه يقع قوله تعالى: ((وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا))^٥ وهكذا يوضح أن القرآن كان عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل جبريل عليه السلام ويأتي به جبريل عليه السلام للتفصيل . وأما البيان فهو علي الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدليل قوله تعالى: ((لَنُنَبِّئَنَّ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ))^٦ . وقد قيل في هذا المعنى: ((هو الوحي والموحى إليه وموحيه))^٧ ويقرر محمد عثمان عبده هذه العقيدة في حوار له مع أربعة من الوهابية كما يسميهم والشاهد منه: ((.. ثم قلت لهم: من أين يتلقى سيدنا جبريل الوحي؟ قالوا: من البيت المعمور . قلت حسناً فالعلماء كلهم يتفقون في ذلك . ثم سألتهم: هل يجلس ربنا في البيت المعمور؟ قالوا: لا . قلت : إذا قلتم إن الله هو الجالس في البيت المعمور فقد كفرتم . وإذا لم يكن جالسا في البيت المعمور فعمن يا تري يتلقى سيدنا جبريل وحيه في البيت المعمور ؟ فتحيروا وبهتوا . فقلت لهم: من الحقيقة النبوية المحمدية وذلك عندما أخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن في موطن العقل الأول . أليس التوحيد لدي كل المسلمين هو: ((أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله؟ قالوا بلى . قلت لهم : إذا جعلتم جبريل رسول الله فسيكون هناك خلل في التوحيد ، ويكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو رسول رسول الله))^٨ .
وتعليقاً علي هذه العقيدة فإنه يقال:

^١ سورة طه (١١٤) .

^٢ ليس بحديث وليس في شيء من كتب السنة

^٣ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٨١ _ ٢٨٣ .

^٤ كشف الخفا ومزيل الإلباس، العجلوني ج ٢ / ١٧٣ حديث رقم ٢١٥٩ ، ولم يعلق عليه المصنف، وقال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله : ((لا أصل له)) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج ١ / ٩٦ .

^٥ ليس بحديث وليس في شيء من كتب السنة .

^٦ سورة طه (١١٤) .

^٧ سورة النحل (٤٤) .

^٨ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، ص ٢٨١ _ ٢٨٣ .

^٩ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ١١٢ .

القول بأن القرآن كان عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل نزول جبريل عليه السلام به قول باطل لأمر منها ما يلي:

أولاً: القول بذلك فيه مخالفة وللكتاب والسنة والإجماع ، فالإجماع منعقد من الأمة سلفاً عن خلف على أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن عنده القرآن قبل نزول جبريل به عليه من عند الله تعالى، ولم يكن يعلم شيئاً منه ، ولم يحفظ عن أحد من أهل العلم أنه قال بخلاف ذلك .

أما نصوص القرآن الدالة على أن القرآن لم يكن عنده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الوحي فهي كثيرة منها: قوله تعالى: ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نُّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))^١ ومن المعلوم أن أمين الوحي هو جبريل عليه السلام ولو كان القرآن عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل نزول جبريل عليه السلام لما قال الله تعالى له ذلك . وقوله تعالى: ((وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَبَ الْمُبْطِلُونَ))^٢ فما كان عليه الصلاة والسلام يتلو قرآناً ولا يعرفه قبل نزول جبريل عليه به. وقوله تعالى : ((وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ))^٣ وهي من أوضح الآيات وأدلتها على أن القرآن نزل به جبريل من عند الله تعالى إلي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والقرآن هو كلام الله تعالى ألقاه إلي جبريل فسمعه وحفظه ونزل به إلي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقراه عليه فسمعه منه وحفظه. وقوله تعالى: ((وَإِنَّكَ لَنُلْقِي الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ))^٤ وقوله تعالى: ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى))^٥ وشديد القوى صفة لجبريل عليه السلام وهو دليل واضح على أنه لم يكن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرف القرآن قبل نزول جبريل عليه وتعليمه إياه. وقوله تعالى: ((وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا))^٦، فلو كان القرآن عنده عليه الصلاة والسلام لما انتظر المجيء بالحق من عند الله تعالى ، وتوضح هذه الآية التي قبلها وهي قوله تعالى : ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ

^١ سورة الشورى (٥٢) .

^٢ سورة العنكبوت (٤٨) .

^٣ سورة الشعراء (١٩٢ - ١٩٤) .

^٤ مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، ص ٢٩ .

^٥ سورة النمل (٦) .

^٦ سورة النجم (٣ - ١٠) .

^٧ سورة الفرقان (٣٣) .

الْقُرْآنُ جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا))^١ ، وقوله تعالى : ((وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْتَبٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا))^٢ .

وأما دلالة السنة علي^{أن} القرآن لم يكن عند النبي صلي الله عليه وسلم قبل نزول جبريل عليه السلام به ، قوله عليه الصلاة والسلام عندما نزل عليه جبريل بالوحي وقال^{له} اقرأ قال: ((مَا أَنَا بِقَارِئٍ))^٣ فلو كان القرآن عنده لقرأ عليه الصلاة والسلام .

وأما الاستدلال بقوله تعالى: ((وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا))^٤ علي أن القرآن كان عند النبي صلي الله عليه وسلم قبل نزول جبريل به عليه ، فالحق أنه لا دلالة في الآية علي ذلك ، بل هي تدل علي حرص النبي صلي الله عليه وسلم علي حفظ القرآن وشدة معالجته للوحي ، فقد قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ((وقوله : ((وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ) كقوله تعالى في سورة لا أقسم بيوم القيامة ((لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ * فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ)) وثبت في الصحيح عن ابن عباس أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يعاني من الوحي شدة فكان كثيراً ما يحرك به لسانه ، فأنزل الله هذه الآية))^٥ يعني عليه السلام كان إذا جاء جبريل بالوحي كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه علي حفظ القرآن ، فأرشده الله تعالى إلي ما هو الأسهل والأخف في حقه لئلا يشق عليه فقال: ((لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ)) أي أن نجمعه في صدرك وتقرأه علي الناس من غير أن تنسى منه شيئاً : ((فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ)) وقال في هذه الآية: ((وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ)) أي بل أنصت فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقراه بعده))^٦ .

وأما الاستدلال بما ورد عن جابر رضي الله عنه فما ذكر ليس بحديث ولا حجة فيما كان كذلك . وقوله إن القرآن هو خلق النبي صلي الله عليه وسلم والخلق جزء من كل والاستدلال بذلك علي أن القرآن كان عنده صلي الله عليه وسلم قبل نزول جبريل به لا يصح ، فمعنى كان خلقه أي تأدب بأدابه وتخلق بأخلاقه وأحل حلاله وحرّم حرامه ، أي عمل بما فيه .

^١ سورة الفرقان (٣٢) .

^٢ سورة الإسراء (١٠٦) .

^٣ أخرجه البخاري في كتاب الوحي باب بدء الوحي باب رقم ٣ ، حديث رقم ٣ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١ / ٣٠ .

^٤ سورة طه (١١٤) .

^٥ سورة القيامة (١٦ - ١٩) .

^٦ أخرجه البخاري ج ١ / ٤ / ١ / ٢ / ٢٦٧ .

^٧ تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ج ٣ / ٢٦٧ .

وأما اعتقاد محمد عثمان بأن جعل جبريل واسطة بين الله تعالى وبين الرسول صلى الله عليه وسلم يحدث خللاً في التوحيد فباطل برده صريح القرآن الكريم فإن الله تعالى يقول ((اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ))^١ وقد اصطفى جبريل عليه السلام ليكون أميناً للوحي ورسولاً من الملائكة إلى من اصطفاهم من الرسل من البشر، وقال تعالى : ((وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ))^٢ وقال تعالى : ((الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَتَلَتْ وَرُبِعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))^٣.

وقد تناقض محمد عثمان عبده في قوله أولاً بأن جعل جبريل واسطة بين الله تعالى وبين النبي صلى الله عليه وسلم يحدث خللاً في التوحيد ثم قوله في نفس كتابه تبرئة الذمة : ((وأن الرسل أنفسهم جعل الله بينهم وبينه واسطة وهو أمين الوحي جبريل عليه السلام وكان من الممكن أن يوحي إليهم ويكلمهم تكلماً))^٤.

وبجمع قوليه يلزم من القول الأول أن وحي الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم يختلف عن وحيه لسائر الأنبياء والرسل الذين سبقوه، وفي هذا القول تكذيب للقرآن الكريم، فقد قال سبحانه وتعالى: ((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ))^٥، والخطاب من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم، وفيه بيان أن وحيه تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم كوحيه لسائر أنبيائه ورسله، وقال تعالى : ((قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ))^٦ والأمر للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد جاءت الآية في معرض الرد على من زعم من المشركين أن القرآن من افتراء النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها بيان أن ما جاء به صلى الله عليه وسلم وحياً أوحاه الله إليه، كما أوحى إلى من قبله من الرسل .

ولو صح أن جبريل عليه السلام يأخذ القرآن من البيت المعمور فلا يلزم من ذلك جلوس الله تعالى فيه، كما لا يلزم أنه أخذ^٧ الحقيقة المحمدية، فقد ورد عن الضحاك عن ابن عباس: نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم

^١ سورة الحج (٧٥) .

^٢ سورة الشورى (٥١) .

^٣ سورة فاطر (١) .

^٤ تبرئة الذمة في نصح الأمة، محمد عثمان عبده ص ٢٦٦ .

^٥ سورة النساء (١٦٣) .

^٦ سورة الأحقاف (٩) .

عشرين سنة فهو قوله: ((فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْعِدِ النُّجُومِ))^١ نجوم القرآن، وكذا قال عكرمة ومجاهد والسدي وأبو حذرة^٢.

وأما قوله في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه هو ((الوحي الموحى إليه ومُوحى)) يدل على اعتقاد باطل، فهذا القول معناه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو القرآن وهو الرسول وهو الله ولا يخفى ما في هذا القول من الكفر بالله تعالى الذي يشبه كفر النصارى. وبناءً على تلك العقيدة أي أن القرآن كان عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل نزول جبريل به عليه قالت البرهانية بعقيدة أخرى وهي :
التجرؤ الجسدي للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

يقول محمد عثمان عبده: ((وإذا ظن ظان أو قال قائل بعدم التجزؤ بأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون في البيت المعمور وفي الأرض، فقد قال تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ((قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا))^٣. وهذا دليل واضح على التجزؤ الجسدي لأن (قد) هنا للتحقيق، فكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاة الظهر (من أحد الأيام) بمسجد القبلتين وفي البيت المعمور وفي عرش الرحمن يطلب من المولى تبارك وتعالى قبلة يرضاها له ولأمته^٤.

ويقول محمد عثمان عبده: ((قال لي نفر من الوهابية وأنا في بورتسودان : إنكم تقولون: إن شيوخكم يقولون، من يقرأ القصائد ويحتفل بالمولد النبوي، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحضر. فقلت لهم نعم. فقالوا لي: وإذا كان الاحتفال في أماكن كثيرة فكيف يكون الاحتفال ؟ غضبت لذلك غضباً شديداً ثم قلت لهم : أين الشمس ؟ قالوا : لا ندري : قلت لهم : إنها في السماء الرابعة، وبدونها تظلم الدنيا كلها ، فكيف وهي مخلوقة من نور النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . إنه يحضر في كل مكان لأنه ليس مقيداً))^٥.
وتعليقاً على هذه العقيدة فإنه يُقال :

الآية التي استدلت بها على التجزؤ الجسدي لا تدل على مراده، فتَقَلُّبُ الْوَجْهِ لا يلزم منه التجزؤ الجسدي ولا يعني ذلك ، فلإنسان أن يُقَلِّبَ وَجْهَهُ إلى أي جهة أراد وهو مستقر في مكان واحد، ولم يُفسَّر أحد من أهل العلم الآية بما فسرها .

وقوله بأن الشمس مخلوقة من نور النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قول لا دليل عليه، وأما تشبيهه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشمس أو بالنور فلا يصح إلا من جهة ما جاء به من العلم

^١ سورة الواقعة (٧٥) .

^٢ تفسير القرآن العظيم للحافظ أبو الغداء إسماعيل بن كثير ج ٤ / ٤٦٤ - ٤٦٥ .

^٣ سورة البقرة (١٤٤) .

^٤ تيرنة الذمة في نصح الأمة، محمد عثمان عبده ص ٢٨٣ .

^٥ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ١٠٤ .

والخير الذي هو بمثابة النور المخرج من ظلمات الجهل ، أما ذاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهي كذوات البشر فقد قال تعالى: ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ))^١ وقال سبحانه: ((قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا))^٢ ولم يثبت لأحد من البشر من رسول أو غيره أنه تجزأ، ولو حصل ذلك لكان من سحر التخيل والرسول مُنْزَهُونَ، وهو من أعمال السحرة إخوان الشياطين.

ومن نتائج عقيدة وجود القرآن عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل نزول جبريل عليه: القول بنفي أمية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يقول محمد عثمان عبده البرهاني: ((أما الفرية التي افترها أصحاب العقائد الفاسدة والتي تدل على عمى بصائرهم فإنهم يرون أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن يعرف شيئاً قبل نزول سيدنا جبريل عليه السلام بالوحي عليه ويستدلون بدلائل واهية لا تستحق الرد عليها))^٣. ويقول في تفسير قوله تعالى: ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ))^٤. والأمي معناها الأصل ، أي نورهم من نوره وهديهم من هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن هذا القبيل فإن مكة أم القرى والفاطحة أم الكتاب والرأس أم البدن ولكن فاسدي العقيدة يدعون أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن يعرف شيئاً قبل جبريل. أما ذلك فقد رددنا عليه أما من حيث لفظة أمي معناها لا يحسن القراءة والكتابة فإن الحروف كانت تنطق له إذا أمسك بورقة مكتوبة، ويزعمون قائلهم الله . أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعرف المصحف وهو الذي نزل فيه قول الله تبارك وتعالى: ((لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ))^٥ فالبيان على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتفصيل يأتي به جبريل عليه السلام منه له صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))^٦.

ومع ذلك فقد ناقض محمد عثمان عبده نفسه وذلك بنقله لأقوال تجزم بأمية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن سبقوه من كبار الصوفية ، الذين يسميهم السادة الأعلام واعتمد على أقوالهم ، ولم يرد عليهم وفي نفس كتابه تبرئة الذمة ، فقد نقل عن جلال الدين السيوطي قوله في خصائص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اختصاصه بعموم الدعوة للناس كافة وبأنه أكثر الأنبياء تابعاً بإرساله إلي الجن بإجماع وإلى الملائكة في قول وبياتياته الكتاب وهو أمي لا يقرأ

^١سورة الكهف (١١٠) .

^٢سورة الإسراء (٩٥) .

^٣تبرئة الذمة في نصح الأمة، محمد عثمان عبده ص(٧) .

^٤سورة الأعراف (١٥٨) .

^٥سورة النحل (٤٤) .

^٦تبرئة الذمة في نصح الأمة، محمد عثمان عبده ص ١٦ .

ولا يكتب)) ونقل عن محي الدين بن عربي قوله وهو يتحدث عن إعجاز القرآن: ((فتضمن القرآن جميع ما تعرف الأمم أنه آية علي صدق ما جاء به وقد علموا منه بقرائن الأحوال أنه ما قرأ ولا كتب ولا طالع ولا عاشر ولا فارق بله بل كان أمياً من جملة الأميين. فأخبرهم عن الله بأمور يعرفون أنه لا يعلمها من هو بهذه الصفة التي هو عليها إلا بإعلام من الله))^١ . وعلى هذا إما أن يكون هؤلاء من فاسدي العقيدة الذين ردّ عليهم آنفاً وإما أن يكون هو متناقض والثاني أقرب .

وتعليقاً على هذه العقيدة فإنه يقال:

الحق الذي لا يُشكُّ فيه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أمياً، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة ، وأميته عليه الصلاة والسلام فيها من الحكمة والإعجاز على أن هذا القرآن الذي أوتيهِ وحياً من الله تعالى، وليس من تأليفه، ولو كان يكتب أو يقرأ لقال المشركون أنه من تأليفه، ولهذا قال الله تعالى : ((وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَبَ الْمُبْطِلُونَ))^٢ وقال تعالى : ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ))^٣ وقال تعالى : ((الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ))^٤ وقال تعالى : ((فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ))^٥ ولم يُفسِّر أحد من أهل العلم بالتفسير الأمي في الآيتين بالأصل، فقد قال الإمام ابن كثير رحمه الله : ((في تفسير قوله تعالى : ((وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَبَ الْمُبْطِلُونَ)) أي قد لبثت في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمراً لا تقرأ كتاباً ولا تحسن القراءة والكتابة بل يعلم كل أحد من قومك وغيرهم أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، وهكذا صفته في الكتب المتقدِّمة ، كما قال تعالى: ((الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ))^٦ الآية، وهكذا كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دائماً إلي يوم الدين لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرأً ولا حرفاً بيده، بل كان له كُتَابٌ يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم .. إلي أن قال: قال الله تعالى: ((وَمَا كُنْتَ تَتْلُو)) أي تقرأ ((من قبله من كتاب)) لتأكيد النفي ولا تخطه بيمينك، تأكيد أيضاً وخرج

^١ المصدر السابق ص ١٤٦ .

^٢ المصدر السابق ص ٢٤٥ .

^٣ سورة العنكبوت (٤٨) .

^٤ سورة الشورى (٥٢) .

^٥ سورة الأعراف (١٥٧) .

^٦ سورة الأعراف (١٥٨) .

^٧ سورة الأعراف (١٥٧) .

مخرج الغالب كقوله تعالى: ((وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ))^١ وقوله تعالى: ((إِذَا لَارْتَبَ الْأُمْبُطُلُونَ)) أي لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أُمِّي لا يحسن الكتابة^٢.
 وأما دلالة السنة على أميته، قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ ، الشَّهْرُ هَكَذَا ، وَهَكَذَا يَعْنِي مَرَّةً تَسْعَةً وَعِشْرِينَ وَمَرَّةً ثَلَاثِينَ))^٣.

وقد أشار البيهقي إلى أن أميته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من دلائل نبوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ((ومن دلائل نبوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان أمياً لا يخط كتاباً بيمينه ولا يقرأه))^٤.

اعتقادهم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بكتمان بعض ما أوحى إليه وخير في بعض: يعتقد البرهانية بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير في تبليغ بعض ما أوحى إليه وأمر بإخفاء وكتمان البعض الآخر من الدين، ويستدلون على ذلك بكلام مكذوب، يقول محمد عثمان عبده البرهاني: ((فقد ورد عن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ما معناه وهو يذكر قصة المعراج:))(عَلَّمَنِي رَبِّي عِلْمًا أَمْرَنِي بِتَبْلِيغِهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ وَعِلْمًا خَيْرَنِي فِيهِ وَهُوَ الْإِيمَانُ وَعِلْمًا أَمْرَنِي بِكُتْمَانِهِ وَهُوَ الْإِحْسَانُ))^٥، ويقول: ((.. ومن هنا يتضح لنا جلياً أن الدين هو مجموع هذه الثلاث مراتب . فمن عمل بمرتبة الإسلام دون مرتبتي الإيمان والإحسان فهو يعمل بثلاث الدين، كما وأن من يعمل بمرتبتي الإسلام والإيمان دون الترقّي إلى مدارج مرتبة الإحسان فهو يعمل بثلاثي الدين . ويشار إلى هذه المراتب أيضاً بعلوم الشريعة والطريقة الحقيقية))^٦. ويقول إبراهيم الدسوقي: ((فالشريعة جامعة لكل علم مشروع والحقيقة جامعة لكل علم خفي))^٧.
 ويخلص محمد عثمان عبده إلى أن هذا العلم الذي أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتمانه مما خُصَّ بمعرفته علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الصحابة وعلماء الصوفية، وهو المعروف بعلم الباطن^٨.
 وتعليقاً على هذه العقيدة يُقال:

^١ سورة الأنعام (٣٨) .

^٢ تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير ج ٤/٤٦٤ - ٦٦٥ .

^٣ أخرجه البخاري في كتاب الصوم حديث رقم ١٩١٣ ومسلم في كتاب الصوم باب الشهر تسع وعشرون ج ٣/١٢٤ .

^٤ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، الإمام البيهقي، قدم له وخرج أحاديثه أحمد عصام الكاتب نشر دار الأفاق الجديد بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٢٨٥ .

^٥ ليس بحديث، «لم يرد شيء من كتبهم» .

^٦ تبرئة الذمة في نصح الأمة، محمد عثمان عبده ص ٢٥٥ وأنظر ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

^٧ انتصار أولياء الرحمن علي أولياء الشيطان، محمد عثمان عبده ص ١٤٩ .

^٨ تبرئة الذمة في نصح الأمة، ص ٢٥٦ .

قُلْتُ: فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: الْعَقْلُ وَفِكَاكُ الْأَسِيرِ وَالْأَيُّ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ^١. وكل ما ينسب إلي علي رضي الله عنه بخصوص هذا العلم المكتوم إنما هو من افتراءات الباطنية .

ولفظ ((الإحسان)) من الألفاظ التي وردت في القرآن والسنة، والقول بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتمه، يقتضي نسبة النقص إلي القرآن الكريم، والكتمان فيه، وهناك نص يشير إلي أن هذه العقيدة عقيدة باطنية وهو: ((أنه لما كان الدين ظاهراً وباطناً قام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتبليغ الظاهر وصرف إلي وصية نصف الدين وهو الباطن))^٢، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية كفر من اعتقد ذلك في سياق كلامه على عقائد الرافضة فقال: ((وكذلك — أي الحكم بالتكفير — من زعم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك ، وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية ، ومنهم التناسخية ، وهؤلاء لا خلاف في كفرهم))^٣.

اعتقاد البرهانية أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم الغيب :

وقد دلت علي هذه العقيدة لدي البرهانية نصوص كثيرة وصريحة ، فمنها ما أورده محمد عثمان عبده في كتابه تبرئة الذمة إذ يقول : ((وحاصل الأمر أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرف الله حق المعرفة ويعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون إلي يوم القيامة لأنه متخلق بالأسماء الإلهية ولا يخرج عن دائرتها شيء))^٤ ، ويقول: ((كل الكمال من البشر من رسول ونبي وصحابي وولي يعلمون الغيب الذي لا يطلع عليه الملائكة ولا غيرهم))^٥، ويقول فيما نقله عن ابن عربي : ((فكان له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم مجلى إلهي علم به علم الأولين والآخرين))^٦ ، ويقول: ((أوتى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوامع الكلم والكلم جمع كلمة وكلمات الله لا تنفذ ، فأعطى علم ما لا يتناهى فعلم به^٧ لا يتناهى مما حصره الوجود وعلم ما لا يدخل في الوجود وهو غير متناه ، فأحاط علماً بحقائق المخلوقات وهي صفة إلهية لم تكن لغيره))^٨ .

وفي كتاب قبس من النور المبين تحت عنوان ((الرد على من ينكر معرفة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للغيب)) يقول محمد عثمان عبده: ((منذ فترة قريبة سمعت بعض الوهابية يقولون : أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم الغيب . قلت : هل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبيب الله .

^١ أخرجه البخاري في كتاب العلم باب كتابة العلم (٣٩) ص رقم ١١١ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١/ ٢٤٦ .

^٢ أربع رسائل إسماعيلية الرسالة الأولى (مسائل مجموعة من الحقائق والأسرار) ص ٣٠ بواسطة مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعه ، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، بدون تاريخ نشر ص ١٤٩ .

^٣ الصارم المسلول في الرد علي شاتم الرسول، شيخ الإسلام ابن تيمية ، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، بدون رقم طبع وتاريخ نشر، ص ٥٨٦ .

^٤ تبرئة الذمة في نصح الأمة، محمد عثمان عبده ص ٢٨٣ .

^٥ المصدر السابق ص ٢٨١ .

^٦ المصدر السابق ص ٢٤٠ .

^٧ المصدر السابق ص ٢٤٤ .

قالوا : نعم قلت : فكيف يكون عدوَّ الله عالماً بالغيب وحببيبه لا يعلم بالغيب ؟^١ . وقد تقدم الكلام على بطلان هذه العقيدة في مبحث سابق^٢ .

تأليه البرهانية للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

يعتقد البرهانية في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقائد تصل بهم إلى الغلو فيه ورفعته عليه والصلاة والسلام إلى درجة الألوهية . وقد دلَّت على ذلك نصوص عديدة منها قول محمد عثمان عبد البرهاني : ((لا خلاف عند المحققين أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منصف متحقق بجميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بالغا في ذلك الكمال مبلغاً لا ينبغي لأحد من المخلوقين سواه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه وسلم))^٣ ، وعلى حمل هذا الكلام على أحسن محمل ، فإن من صفات الله وأسمائه ما لا يجوز التسمي والاتصاف بها فمن الأسماء الله و الرحمن ومن الصفات العظمة والكبرياء والجبروت . ويقول : ((فانظر إلى هذا التحقق العظيم بصفات الله تعالى ، حيث أقامه مقامه في صفاته وأسمائه ، ومقام الخليفة مقام المستخلف))^٤ . ويقول فيما ينقله عن عبد الكريم الجيلي : ((وَصَلَّ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكن في حال ذكرك كأنك بين يديه في حياته ، متأدباً بالإجلال والتعظيم والهيبة والحياء ، فإنه يراك ويسمعك كلما ذكرته ، لأنه منصف بصفات الله تعالى والله جليس من ذكره))^٥ . وفي هذا النص تأليه ظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم لا يحتمل التأويل ، إذ أعطاه صفات الله سبحانه وتعالى . ويقول فيما ينقله عن عبد الكريم الجيلي : ((انتهاء مقام الخليل ابتداء مقام الحبيب لأن الحبيب الذاتي عبارة عن التعشق الاتحادي . فيظهر كل من المتعشقين على صورة الثاني . ويقوم كل منهما مقام الآخر ألا ترى إلى الجسد والروح لمَّا كان تعشقهما ذاتياً ، كيف تتألم الروح لتألم الجسد في الدنيا . ويتألم الجسد والروح لمَّا كان تعشقهما ذاتياً ، كيف تتألم الروح لتألم الجسد في الدنيا . ويتألم الجسد لتألم الروح في الأخرى . ثم يظهر كل منهما في صورة الآخر . وإلى هذا أشار سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ))^٦ أقام محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقام نفسه . وكذلك قوله : ((مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ))^٧ ثم صرح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي سعيد الخراز في النوم ، فقال له : يا رسول الله أعذرني فإن محبة الله شغلنتني عن محبتك . فقال له : ((يا مبارك إن

^١ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ١٢٢ .

^٢ أنظر ص ١٤٠ من هذا البحث .

^٣ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده البرهاني ص ٤٥ .

^٤ المصدر السابق ص ٤٦ .

^٥ المصدر السابق ص ٥٤ .

^٦ سورة الفتح (١٠) .

^٧ سورة النساء (٨٠) .

محبة الله هي محبتي . فلما كان محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنالك خليفة عن الله ، كان الله هنا نائبا عن محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . والنائب هو الخليفة . والخليفة هو النائب . فذاك هو هذا . وهذا هو ذاك))^١ .

وعلي هذا الكلام لا فرق بين مقام الله سبحانه ومقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الله ، والله هو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا يخفى بطلان هذا الكلام وخطورته ، فهو الكفر بالله سبحانه ، والشرك الذي لا يغفره الله تعالى ، ويخلد صاحبه في النار فقد قال الله تعالى : ((فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ))^٢ وقال تعالى مخاطباً النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ))^٣ .

ويذهب محمد عثمان عبده إلي جواز تسمية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسم (الله) تعالى الذي لا يشاركه فيه أحد حيث نقل عن عبد الكريم الجيلي قوله : ((كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متحققاً بجميع الأخلاق الإلهية ، وقد أوردت ذلك صفة صفة واسماً اسماً في كتابنا الموسوم (بالكمالات الإلهية في الصفات المحمدية) .. فمن ذلك اسم الله . الدليل علي أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مظهراً لهذا الاسم ، قوله تعالى : ((وما رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى))^٤ وقوله تعالى : ((مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ))^٥ . وهذا معنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أنا عبد الله) ، وهذه العبودية الخاصة عبارة عن تسميته باسم ربه))^٦ .

والله سبحانه وتعالى يقول : ((رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً))^٧ ، والإجماع منعقد علي منع تسمية غير الله بهذه الأسماء الخاصة به سبحانه وهي الله والرحمن .

وتعليقاً على العقائد السابقة فإنه يُقال :

كل ما ورد فيها يُعدُّ غُلُوًّا في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتأليهاً له ، ومجازة للمقام الذي يستحقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ورفعاً إلي مقام الإلهية ، وقد جاء عليه الصلاة والسلام بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده ، وعدم تأليه غير الله سبحانه ، بل نهى عليه الصلاة والسلام عن الغلو فيه ، وتأليهه ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((لَا تَطْرُقُونِي كَمَا أَطْرَقَ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ))^٨ .

^١ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٧٥ .

^٢ سورة البقرة (٢٢) .

^٣ سورة الشعراء (٢١٣) .

^٤ سورة الأنفال (١٧) .

^٥ سورة النساء (٨٠) .

^٦ تبرئة الذمة في نصح الأمة لمحمد عثمان عبده ص ٤٤ - ٤٥ .

^٧ سورة مريم (٦٥) .

^٨ أخرجه البخاري برقم ٤٣٤٥ .

والإطراء هو المبالغة في التعظيم والمدح ، ومجازة الحد . وقال عليه الصلاة والسلام لما قيل له أنت سيدنا وخيرنا وابن خيرنا ، فقال : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضَ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجْرِبَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنَزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ))^١.

وفي الأحاديث الصحيحة الثابتة في خصائص الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشمائله وفضائله غني عما يذكره هؤلاء من الأحاديث الموضوعية والضعيفة ، والأقوال والفلسفات المفضية إلي الغلو والإطراء المنهي عنه، فتعظيمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما هو بطاعته ، وامتثال أمره ، والانتهاز عما نهى عنه ، ولزوم متابعتة ، وتقديم قوله على قول كل أحد من الخلق .

وأما ما ذكره فليس من التعظيم المشروع في شيء ، بل هو من صرف خالص حق الله تعالى لغيره ، وقد قطع عليه الصلاة والسلام الوسيلة والذريعة المفضية إلي مجازة الحد بالغلو والإطراء في مدحه والتثناء عليه كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ورفعوه إلي مقام الألوهية بقولهم أن عيسى هو الله أو ابن الله تعالى عما يقولون علواً كبيراً .

^١ أخرجه أحمد في المسند ج ٣ / ١٥٢ - ٢٤١ والنسائي في عمل اليوم والليلة ص ٢٥٠ وتحفة الأشراف للمزي ج ١ / ١٣٠ .

الخطب الثالث

عقيدة البرهانية في الولاية والأولياء

يعتقد البرهانية أن الولي هو المسلم الذي يستجاب دعاؤه ، والذي سُخِّرَ له الملائكة ، وتصرف في الكون بالأمر والقدرة والمشئنة والإرادة . وفي ذلك يقول محمد عثمان البرهاني وهو يتحدث عن أصناف البشر الذين : ((يستجيب الله لدعائهم في الحين أي يعطيهم ما طلبوا .. والصنف الثالث: الأولياء رضي الله عنهم فلهم الكرامات وهي خرق العوائد ، وتسمى الكرامة كذلك لأن المولى تبارك يكرم أوليائه لمحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته بأن يُسَخَّرَ لهم الملائكة، وأن هؤلاء الملائكة يفعلون لهم ما يشاءون ، وأعلى الأولياء من يتصرف بكن كما يقولون :

أمرني يأمر الله إن قلت كن فيكن .

وأعلى ممن يتصرف بالقدرة (إن قلت كن يكن) من يتصرف بالمشئنة قوله تعالى : ((وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)) وقد قالوا في ذلك ((اللهم أجعل ما أشاء موافقاً لما تشاء كي لا أشاء إلا ما تشاء)) وأعلى ممن يتصرف بالمشئنة من يتصرف بالإرادة وأعلى منهم جميعاً من يتصرف بالأمر))^٢ .

وعلي هذا الكلام استدراقات وتعليقات وهي كما يلي :

أولاً : الكلام على معنى الولاية والولي : ((فالولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والقرب .. وقد قيل إن الولي سُمِّيَ ولياً من موالاته للطاعات ومتابعته لها ، والمعنى الأول أصح ، فالولي هو القريب ، فيقال هذا يلي هذا ، يقرب منه ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : ((الْحَقُّوْا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَمَا أَبْقَتِ الْفَرَائِضُ فِلْأَوْلَى رَجُلٍ دَكَرٌ))^٣ أي لأقرب رجل إلي الميت ، وقد قال سبحانه في صفات أوليائه : ((أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ))^٤ فولِّيَّ الله : ((هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهي عنه))^٥ وهو المؤمن التقى .
ثانياً : لا يلزم من الولاية إجابة الدعاء على الفور، فقد لا يجيب الله سبحانه دعاء وليه لحكمة يعلمها ، وقد يجيب الله سبحانه دعاء من ليس ولي له لحكمة كما هو الواقع في قبول دعاء إبليس فقد قال سبحانه : ((قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ

^١ سورة الإنسان (٣٠) وسورة النكوير (٢٩) .

^٢ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٣١٠ .

^٣ أخرجه البخاري في كتاب الفرائض برقم (٦٧٣٢) ومسلم في كتاب الفرائض (ج ٥ / ٥٩) برقم (١٦١٥) .

^٤ سورة يونس (٦٢ - ٦٣) .

^٥ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٦ / ٢٩ .

الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ))^١، وعلى هذا فاستجابة الدعاء على الفور ليست شرطاً من شروط الولاية ، ولا دليلاً عليها .

ثالثاً : سبق تعريف الكرامة ، وهي ليست شرطاً من شروط الولاية ، فقد لا تحصل لبعض الأولياء كرامات ، وذلك لعدم حاجتهم لها ، ولكمال إيمانهم ، فليس عدم الكرامة منقصة ، فللتابعين من الكرامات ما هو أكثر مما وقع للصحابة رضي الله عنهم ، ولا يخفي علو مرتبتهم وفضلهم علي التابعين^٢ .

رابعاً : ما ذكره من تصرف الأولياء بالقدرة والمشينة والإرادة والأمر، قول ظاهر الفساد والبطلان ، وهو دعوى مشاركة الأولياء لله سبحانه وتعالى في صفاته ، فإن التصرف في الكون بالصفات المذكورة من خصائصه سبحانه التي لا تطلق على غيره ، فالقول بحصول هذه الصفات للأولياء تأليه لهم وكفر بالله تعالى ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((وقول بعضهم أنه يُعطي كُنْ أي شيء له إرادة قال له : كُنْ ، فيكون . وقول بعضهم لا يعزب عن قدرته ممكن ، كما لا يعزب عن قدرته محال ، فإنه لما كثر في الغلاة من يقول بالحلول والاتحاد وإلهية بعض البشر ، كما قال النصارى في المسيح صاروا يجعلون ما هو من خصائص الربوبية لبعض البشر وهو كفر))^٣ .

خامساً: الدعاء المذكور هو : ((اللهم أجعل ما أشاء موافقاً لما تشاء كيلاً أشاء إلا ما تشاء)) لا يخفى ما فيه من الاعتداء في الدعاء وهو طلب حصول مستحيل إذ أن مشيئة الله صفة من صفاته وصفة المخلوق غير صفة الخالق، وهذا الدعاء يقتضي أن تكون مشيئة المخلوق مثل مشيئة الخالق، والله تعالى يقول : ((وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ))^٤ .

اعتقاد البرهانية أن الأولياء يعلمون الغيب :

من ذلك ما أورده محمد عثمان عبده البرهاني في كتابه تبرئة الذمة : ((.. فإن الكَمَل من البشر من رسول و نبي و صحابي و ولى يعلمون الغيب الذي لا يطَّلَع عليه الملائكة ولا غيرهم))^٥ . ويقول : ((ينكر أصحاب العقائد الفاسدة على الأولياء رضوان الله تعالى عليهم أجمعين علم الغيب ويقولون أن الله تبارك وتعالى الذي يعلم الغيب وحده))^٦

^١ سورة الحجر (٣٦ - ٣٨) .

^٢ الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان، شيخ الإسلام ابن تيمية ، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، ص ٦٩ .

^٣ النبوات ، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤٢٣ - ٤٢٤ .

^٤ سورة التكوير (٢٩) .

^٥ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٨١ .

^٦ المصدر السابق ص ٢٧٧ .

وفي شرح أورااد الطريقة البرهانية: ((ولكن عادة الولي يعرف علم ما كان وعلم ما لم يكون))^١ وقد سبق الكلام على علم الغيب في مبحث سابق^٢، لكن يبقى الكلام على ما استدل به على

أن الأولياء يعلمون الغيب ، وقد استدل بأمرين :

أولهما قوله: ((أنه ليس هناك غيب عليه تبارك وتعالى فالغيب والشهادة عنده في حد سواء إذ هو المحيط بكل شيء)) وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عتداً^٣ ((فلو كان هناك غيب عليه تعالى لتعين وجود إله آخر يعلم ذلك الغيب))^٤.

وتعليقاً على هذا القول يقال : سُمي الغيب غيباً باعتباره بالناس ونحوهم لا بالله عز وجل فإنه سبحانه لا يغيب عنه شيء ، لكن لا يجوز أن يقال إنه جلّ وعلا لا يعلم الغيب قصداً إلى أنه لا غيب بالنسبة إليه. لأن ذلك من إساءة الأدب^٥.

ثانيهما قوله : ((أن الآيات الواردة في القرآن الكريم عن الغيب إنما أنزلها جلّ وعلا في شأن الرسل والأنبياء والأولياء والعلماء العاملين ، فقد قال تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز: ((عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا))^٦.. فظاهر هذه الآية يؤيد بما لا يدع مجالاً للشك أن الله تعالى يمن بإظهار أنبيائه ورسله على غيبه ، ومن ثم نخلص إلى أنه يظهر أيضاً أولياءه على غيبه لأنهم ورثة أنبيائه ورسله كما قال الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى - صلى الله عليه وسلم : ((عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ))^٧ ولقوله صلى الله عليه وسلم : ((الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ))^٨.

وتعليقاً على هذا الكلام فإنه يقال :

أولاً : الاستدلال بالآية المذكورة على علم الأنبياء للغيب ليس صحيحاً ، فتعليمه تعالى رسله بواسطة الملك جبريل عليه السلام لا يُعد من علم الغيب الذي أتصف به سبحانه صفة

^١ شرح أورااد الطريقة البرهانية ص ٤٢ .

^٢ أنظر ص ١٤٤ من هذا البحث .

^٣ سورة الجن (٢٨) .

^٤ تيرنة الأمة ص (٢٧٧) .

^٥ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين الألووسي ج ٢٠ / ١٠ .

^٦ سورة الجن (٢٦ - ٢٧) .

^٧ تقدم تخريجه ص ٩٨ -

^٨ أخرجه أبو داود في كتاب العلم باب الحث على طلب العلم حديث رقم (٣٦٤١) وابن ماجة في المقدمة / باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، حديث رقم (٢٢٣) وصححه العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الجامع برقم (٦١٧٣) .

^٩ تيرنة الأمة في نصح الأمة ، محمد عثمان ص ٢٧٧

ذاتية ، فالأنبياء علموا فقط ما أوحى إليهم وغاب عنهم الكثير مما لم يوحى إليهم مما اختص به سبحانه بعلمه ولم يطلع عليه أحداً لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا. فقد قال سبحانه مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم : ((تلك من أنبياء الغيب نوحياً إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فأصبر إن العاقبة للمتقين)) ، وقال سبحانه في شأنه صلى الله عليه وسلم : ((قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي))^١.

ثانياً : قياس الأولياء على الأنبياء لا يصح ، إذا أن الله تعالى خص الأنبياء بالوحي دون الأولياء والحديث الأول المذكور ضعيف ، وأما الثاني فيفهم على أن الأولياء يرثون علم الأنبياء دون مشاركتهم في صفة الوحي.

اعتقادهم بعصمة الأولياء :

يقول أبو الحسن الشاذلي : ((للقطب خمسة عشر كرامة(وذكر منها أن يمد بمدد الرحمة والعصمة))^٢ ، والقطب من كبار الأولياء ، والقول بعصمة الولي قول ظاهر البطلان إذ أن العصمة من صفات الأنبياء ، فهي ليست لغيرهم من البشر .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((.. ومن هنا ضل كثير من الناس من النصارى وغيرهم ، فإن الحواريين وغيرهم كانت لهم كرامات كما تكون لصالح هذه الأمة ، فظنوا أن ذلك يستلزم عصمتهم كما يستلزم عصمة الأنبياء ، فصاروا يوجبون موافقتهم في كل ما يقولون ، وهذا غلط ، فإن النبي وجب قبول كل ما يقول لكونه نبياً ادّعى النبوة ، ودلت المعجزة على صدقه ، والنبي معصوم ، وهنا المعجزة ما دلت على النبوة ، بل على متابعة النبي ، وصحة دين النبي فلا يلزم أن يكون هذا التابع معصوماً))^٣.

اعتقادهم بأن عدد الأولياء محصور في عدد معين ثابت في كل عصر :

يقول محمد عثمان عبد البرهاني : ((.. فلما كان عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً كان عدد الصحابة كذلك مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً وكذلك عدد الأولياء في كل العصور مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً لا ينقصون ولا يموت منهم أحد إلا ويحل غيره محله))^٤.

^١ سورة هود (٤٩) .

^٢ سورة الأنعام (٥٠) .

^٣ الأربعة أهل السلسلة ص ٣٨ .

^٤ النبوات ، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٠ .

^٥ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ١٧ .

والحق أن تحديد عدد الأنبياء والصحابة بالعدد المذكور غير صحيح ، فعدد الصحابة يزيد على العدد المذكور كما أورده أهل التاريخ والسير^١ ، و تعيين عدد الأولياء يحتاج إلى نص شرعي يفيد ذلك ولا نص صحيح يجب المصير إليه فيبقى الأمر غيباً .

وعلى فرض صحة ما ذكر من عدد الأنبياء والصحابة فلا دليل في ذلك على تحديد عدد الأولياء بالعدد المذكور من غير زيادة ولا نقصان، فلولاية أعمال وأقوال وأعمال و أقوال قلبية لا يعلمها إلا الله سبحانه كما في قوله تعالى: ((أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ))^٢ فالإيمان منه عمل وقول قلبي وكذلك التقوى. ودعوى معرفة عدد الأولياء في كل عصر يلزم منه الإطلاع على القلوب ومعرفة ما بها من إيمان وتقوى ، وذلك من الغيب ، ودعوى علم الغيب كفر بالله تعالى لتضمنها دعوى الربوبية ، إذ علم الغيب من أخص صفات الربوبية .

اعتقادهم بأنّ أرواح الأولياء مخلوقة من أنفاس الأنبياء :

نقل محمد عثمان عبده البرهاني حديث جابر الموضوع في خلق نور النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيه: ((..ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم أرواح الأولياء))^٣ وهذا القول سبقته الإجابة على مثله مما أغني عن إعادة الكلام هنا^٤ .

اعتقادهم بأن للولاية مناشير يكتبها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

نقل محمد عثمان عبده البرهاني عن جلال الدين السيوطي قوله: ((وقال الشيخ صفى الدين^٥ في رسالته: قال الشيخ أبو العباس الحرار^٦ دخلت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة، فوجدته يكتب مناشير للأولياء بالولاية، وكتب لأخي محمد منهم منشوراً^٧)).^٨ ومع هذا الكلام وقفات :

أولاً : إيراد هذه القصة مع عدم التعليق عليها قبولاً أو رداً يُشعر بقبولها وتقرير ما فيها.

ثانياً : قول أبي العباس الحرار دخلت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحتمل أن يكون مناماً أو يقظة وعلي الأول فلا حجة في الرؤيا المنامية على ثبوت حكم من الأحكام الشرعية هذا

^١ انظر علي سبيل المثال الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ج ٢ / ١ .

^٢ سورة يونس (٦٢ - ٦٣) .

^٣ تبرئة الذمة في نصح الأمة، محمد عثمان عبده ص ٩ .

^٤ انظر ص ٤٤ من هذا البحث .

^٥ هو صفى الدين أبو عبد الله الحسين بن جمال الدين الأنصاري الخزرجي ، صوفي له كتاب (سير الأولياء في القرن السابع الهجري) (قص فيه كثير من الخوارق التي وقعت له مات (٦٥٧ هـ) أنظر ترجمته في مقدمة كتابه (سير الأولياء ص ٩) .

^٦ هو أبو العباس بن أبي بكر التجيبي، منشؤه بأشبيلية ، صوفي من أصحاب أبي مدين المغربي ، كان بينه وبين ابن عربي مكاتبات جاء في بعضها قول ابن عربي له : ((يا أخي أخبرني بما تجدد لك من الفتح)) . لم يذكر الخزرجي تاريخ وفاته أنظر : (سير الأولياء ص ٢١ - ٤٩) .

^٧ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده البرهاني ص ٢٠١ .

بغض النظر عن المرئي ، فإن كان شرعياً فحجته أدلة الشرع لا الرؤيا. لا سيما والمرئي هنا غير مشروع وقد تقدم الكلام على عدم حجية الرؤيا في إثبات الأحكام الشرعية في مبحث سابق .

وأما على الثاني فقد تقدم القول على بطلان القول برؤية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظة.

ثالثاً : القول بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكتب مناشير للأولياء بالولاية قول بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم الغيب، وأن من كتب له المنشور مات علي الإيمان ودخل الجنة ، والله سبحانه يقول مخاطباً النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ))^١. كما يقتضي أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب لجميع الصحابة رضي الله عنهم مناشير بالولاية لكونهم سادات الأولياء بعد الأنبياء بل الواقع خلاف ذلك ، بل كان عليه الصلاة والسلام أبعد الناس عن تزكية النفس فضلاً عن الشهادة لها بدخول الجنة، اللهم إلا من جاء الوحي بتبشيرهم بالجنة من أصحابه رضي الله عنهم كالعشرة المبشرين بالجنة ، وغيرهم من الصحابة كأهل بيعة الحديبية أهل بيعة الرضوان من الذين بايعوه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي الموت في سبيل الله لما ورد في فضلهم في القرآن الكريم والسنة النبوية ، في قوله تعالى ((لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا))^٢، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((... لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِّنْ بَايَعِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ))^٣.

وأما ما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النهي عن تزكية النفس تغييره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبعض الأسماء المتضمنة للتزكية كتغيير اسم برة لزَيْنَب وقال عليه الصلاة والسلام: ((لَا تَزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ)) فقالوا يَمَا نُسَمِّيهَا قَالَ : ((سَمُوهَا زَيْنَب))^٤. وعن أم العلاء امرأة من الأنصار أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا دَخَلَ عَلَى عُمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ وَقَدْ مَاتَ ، قَالَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ : رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أبا السَّائِبِ ، فَشَهِدَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ ؟))

^١ سورة الأعراف (١٨٨) .

^٢ سورة الفتح (١٨ - ١٩) .

^٣ أخرجه مسلم ج ٨ / ١٢٣ .

^٤ أخرجه مسلم ج ٨ / ١٢٣ .

فَقُلْتُ : يَا أَبِي وَأُمِّي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَنْ ؟ فَقَالَ : ((أَمَا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ))^١.

اعتقادهم بأن للأولياء إسرءات ومعاريج :

فمن ذلك قول محمد عثمان عبده البرهاني : ((كما أن ما يثبت قولنا من عروج عباد الله الصالحين وفيهم الخلفاء الراشدين الأربعة، والأقطاب الأربعة والأئمة الأربعة والعبادلة الأربعة ، وجمهور كبير من أولياء الله الصالحين، ومنهم أويس القرني رضي الله عنهم أجمعين ، نقول إن ما يثبت عروجهم ، التشهد الذي نتلوه في صلواتنا أكثر من عشر مرات يومياً، فعند دنو الرسول من المولي قال : ((التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ الزَّكِيَّاتُ لِلَّهِ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ))^٢ بمعنى السلام فجاء رد المولي جل وعلا عليه ((السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)) . فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يشير إلى أولياء الله الصالحين في قاب قوسين : ((السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)) .

وعندما صاح كل من هؤلاء الأخيار بأرواحهم : ((أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله)) . وتَوَجَّ أئمتنا . هذا التشهد بالصلاة على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ودليل آخر هو وارد في(موالد) كثير من الأولياء الصالحين من سماع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل صوت سيدنا أبي بكر ، والمعتمد أنه كان صوت روح سيدنا أبي بكر، إذ لا يدنو من هذا المكان ملك مُقَرَّبٌ ولا غيره^٣ .

ويقول محمد عثمان عبده : ((وأما إسرءاه ومعراجة بالروح ، فهذا ما حدث أكثر من ثلاثين مرة . وهو يحدث لكُمَل العارفين والأشخاص المحترمين))^٤ .
وتعليقاً على هذا الكلام فإنه يقال :

عروج المذكورين لم يثبت بدليل شرعي صحيح يعتمد عليه ، والاستدلال بالتشهد على عروجهم ليس بصواب إذ القول بأن القائلين : ((أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله)) هم عباد الله الصالحين تَحَكُّمٌ لا دليل عليه ، كما أن السلام على عباد الله الصالحين يصيب كل عبد صالح في السماء الأرض^٥ ، من الأتس والجن أو في السماوات من الملائكة . فقصر السلام على المذكورين والإشارة إليهم به تخصيص بلا مخصص ، كما

^١ أخرجه البخاري ج ٢ / ٩١ وأحمد في المسند ج ٦ / ٤٣٦ .

^٢ أخرجه مالك في الموطأ ج ١ / ٧٩ حديث رقم ٢٠١ باب العمل في الوضوء ، والبيهقي بسند صحيح ج ٢ / ١٤٤ .

^٣ تيرنة الذمة في نصح الأمة، محمد عثمان عبده البرهاني ص ٨٤ .

^٤ المصدر السابق ص ٨٢ .

^٥ الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب التشهد في الآخرة ، حديث رقم ٨٢١ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٢ / ٨٢١ .

أن سماعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصوت أبي بكر لا يدل على عروج روحه رضي الله عنه ،
إذ أن الله تعالى قادر على أن يسمعه ذلك من غير عروج لروحه .

وذكر محمد عثمان عبده أن الله سبحانه وتعالى قد خصَّ شيخه إبراهيم الدسوقي بأن
عرج به بجسده وروحه، فقال بعد أن ذكر قصة العروج هذه : ((مما تقدم يتضح لنا أنه ما من
نبي أو ولي عرج إلى السماء بجسمه غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيدي إبراهيم
وأبويه))^١ .

وقد تقدم الكلام على هذه القصة وبيان كفر من زعم ذلك عن القاضي عياض رحمه
الله^٢ ، مع أن محمد عثمان عبده نقل عن ابن عربي قوله : ((وأما الأولياء فلهم إسرائيات
روحانية برزخية يشاهدون فيها معاني متجسدة في صور محسوسة للخيال ويعطون العلم بما
تتضمنه تلك الصور من المعاني ولهم الإسرائ في الأرض وفي الهواء غير أنهم ليس لهم قدم
محسوسة في السماء وبهذا زاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الجميع بإسراء الجسم
واختراق السماوات والأفلاك حساً وقطع مسافات حقيقية محسوسة وذلك كله لورثته معنى لا
حساً من السماوات فما فوقها))^٣ .

درجات الأولياء ومراتبهم :

نقل محمد عثمان عبده البرهاني عن جلال الدين السيوطي قوله : ((وبعد فقد بلغني عن
بعض من لا علم عنده إنكار ما اشتهر عن السادة الأولياء، إن منهم أبدأً ونقباءً ونجباءً وأوتاداً
وأقطاباً))^٤ ثم ساق السيوطي جملة من الأحاديث الواهية والموضوعة في إثبات ذلك وفيما يلي
ذكر واحد من أجمع هذه الآثار التي ساقها لأوصافهم، فقد أخرج ابن عساكر والخطيب عن
طريق عبيد الله بن محمد العبسي قال سمعت الكناني يقول : ((النقباء ثلاثمائة ، والنجباء
سبعون ، والبدياء أربعون ، والأخيار سبعة ، والعُمد أربعة ، والغوث واحد فمسكن النقباء
المغرب ، ومسكن النجباء مصر ، ومسكن الأبدال الشام ، والأخيار سائحون في الأرض ،
والعُمد في زوايا الأرض ، ومسكن الغوث مكة فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها
النقباء ، ثم النجباء ، ثم الأبدال ، ثم الأخيار ، ثم العمد . فإن أُجيبوا إلاَّ ابتهل الغوث ، فلا تتم
مسألته حتى تجاب دعوته))^٥ .

أما ما جاء في ذكر بعض صفاتهم ففي النص الآتي : ((الصالحون كثير مخالطون
للعوام لصالح الناس في دينهم ودنياهم ، والنجباء في العدد أقل منهم ، وهم مخالطون للخواص

^١ قبس من نور، محمد عثمان عبده البرهاني ص ٢٠٧ .

^٢ أنظر ص ١٦١ من هذا البحث .

^٣ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده البرهاني ص ٢٥٠ .

^٤ المصدر السابق ص ٨٦ .

^٥ المصدر السابق ص ٩٤ .

وهم (الأقطاب) ومنهم أربعة وهم الأوتاد ومنهم واحد وهو (الغوث) وإنه يقيم بمكة، وأن أهل الأرض إذا نابتهم نائبة في رزقهم ونصرهم فزعوا إلى الثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وأولئك يفعرون إلى السبعين، والسبعون إلى الأربعين والأربعون إلى السبعة والسبعة إلى الأربعة والأربعة إلى الواحد. وبعضهم قد يزيد في هذا وقد ينقص في الأعداد والسماء والمراتب فإن لهم فيها مقالات متعددة حتى يقول بعضهم أنه ينزل من السماء على الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت واسم خضره - على قول من يقول منهم : أن الخضر هو مرتبة وأن لكل زمان خضراً فإن لهم في ذلك قولين - وهذا كله باطل لا أصل له في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قاله أحد من سلف (الأئمة) ولا أئمتها، ولا من المشايخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للإقتداء بهم. ومعلوم أن سيدنا رسول رب العالمين وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم كانوا خير الخلق في زمنهم وكانوا بالمدينة ولم يكونوا بمكة .

وقد روى بعضهم حديث في (هلال) غلام المغيرة بن شعبة، وأنه أحد السبعة والحديث باطل باتفاق أهل المعرفة وإن كان قد روى بعض هذه الأحاديث أبو نعيم في (حلية الأولياء) والشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في بعض مصنفاته، فلا تغتر بذلك فإن فيه الصحيح والحسن والضعيف والموضوع والمكذوب الذي لا خلاف بين العلماء في أنه كذب وموضوع، وتارة يرويه على عادة بعض أهل الحديث الذين يروون ما سمعوه ولا يميزون بين صحيحه وباطله، وكان أهل الحديث لا يروون قبل هذه الأحاديث، لما ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ وَهُوَ يَرِي أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ))^٢.

((وبالجملة فقد علم المسلمون كلهم أن ما ينزل بالمسلمين من النوازل في الرغبة والرغبة مثل دعائهم عند الاستسقاء لنزول الرزق، ودعائهم عند الكسوف، والاعتداء لرفع البلاء وأمثال ذلك إنما يدعون في ذلك الله وحده لا شريك له لا يشركون به شيئاً لم يكن للمسلمين قط أن يرجعوا بحوائجهم لغير الله عز وجل، بل كان المشركون في جاهليتهم يدعونه بلا واسطة فيجيبهم الله أفتراهم بعد التوحيد والإسلام لا يجيب دعائهم إلا بهذه الوسطة التي ما أنزل الله بها من سلطان؟ قال تعالى: ((وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))^٣ وقال تعالى: ((وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ)) وقال تعالى: ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِلَهُهُ تَدْعُونَ

^١ هكذا وردت في النسخة المنقول منها ولعل الصواب (الامة).

^٢ أخرجه مسلم في المقدمة باب وجوب الرواية عن النقات، والترمذي في العلم، باب ما جاء فيما روي حديثاً يرى أنه كذب برقم (٢٦٦٢).

^٣ سورة يونس (١٢).

^٤ سورة الإسراء (٦٧).

فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَتَّسِقُونَ مَا تَشْرِكُونَ))^١ وقال سبحانه : ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))^٢.

والنبي صلى الله عليه وسلم استسقى لأصحابه بصلاة وبغير صلاة وصلى بهم للاستسقاء وصلاة الكسوف وكان يقنت في صلاته فينتصر علي المشركين وكذلك خلفاءه الراشدين بعده ، وكذلك أئمة الدين ومشايخ المسلمين ما زالوا علي هذه الطريقة ولهذا يقال :ثلاثة أشياء ما لها من أصل (باب النصيرية) و(منتصر الرافضة) و(غوث الجهال) فإن النصيرية تدعي في الباب الذي لهم ما هو في هذا الجنس أنه يقيم العالم ، فذاك شخصه موجود ، ولكن دعوى النصيرية فيه باطلة وأما محمد بن الحسن المنتظر والغوث المقيم بمكة ونحو هذا فإنه باطل ليس له وجود .

وكذلك ما يزعمه بعضهم من أن القطب الغوث الجامع يمد أولياء الله ويعرفهم كلهم ونحو هذا فهذا باطل فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكونا يعرفان جميع أولياء الله ولا يمدانهم فكيف لهؤلاء الضالين المفترين الكذابين ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم إنما عرف الدين لم يكن رآهم من أمته بسيماء الوضوء وهو الغرة والتحجيل ومن هؤلاء من أولياء الله من لا يحصيه إلا الله عز وجل وأنبياء الله الذين هو إمامهم وخطيبهم لم يكن يعرف أكثرهم بل قال الله تعالى : ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ))^٣ .

وموسى لم يكن يعرف الخضر والخضر لم يكن يعرف موسى بل لَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ الْخَضِرُ : وَأَنْتَ يَا رِضْكَ السَّلَامُ ؟ فَقَالَ لَهُ أَنَا مُوسَى ، قَالَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ نَعَمْ . وكان قد بلغه اسمه وخبره ولم يكن يعرف عنه ومن قال أنه نقيب الأولياء أو أنه يعلمهم كلهم فقد قال الباطل))^٤ .

ويعتقد البرهانية أن القطب هو روح النبي صلى الله عليه وسلم وأنه الممد لجميع الأنبياء والرسول ، وذلك في ما نقله محمد عثمان عبده البرهاني عن ابن عربي من قوله : ((وأما

^١ سورة الأنعام (٤٠-٤١) .

^٢ سورة الأنعام (٤٢-٤٣) .

^٣ سورة غافر (٧٨) .

^٤ أخرجه البخاري كتاب العلم باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر إلي الخضر رقم (٧٤) ومسلم : كتاب الفضائل ن باب من فضائل الخضر عليه السلام رقم (٢٣٨٠) .

^٥ زيارة القبور والاستجداء بالمقبور ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، دار القاسم ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ، ص ٥٩ - ٦٤ .

القطب الواحد فهو روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو الممد لجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام والأقطاب من حيث النشء الإنساني إلي يوم القيامة^١ .
حصر الولاية في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم :

ورد في كتاب انتصار أولياء الرحمن لمحمد عثمان عبده : ((ثم أعلم أنه لا يوجد علي وجه الأرض ولي لله تعالى إلا وهو من آل البيت بدليل قوله تعالى: ((رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت))^٢ فالرحمة هي الإكرام لهم مستمرة إلي يوم القيامة^٣ .

والحق أن هذا القول لا يختلف في بطلانه اثنان ، فقد تقدم تعريف الولي بأنه كل مؤمن تقي في قوله تعالى : ((ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين ءامنوا وكانوا ينفون^٤)) ، والآية المذكورة لا دليل فيها على حصر الولاية في آل البيت ، فكون الله تعالى رحم أهل البيت لا يقتضي ذلك حصر الرحمة والولاية فيهم ، فقد قال سبحانه : ((وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)) . ويقول الله سبحانه وتعالى : ((يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعْرِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))^٥ . كما أن الآية لا تتحدث عن آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما تتحدث عن آل بيت إبراهيم عليه السلام ، والدليل على ذلك سياق الآيات التي قبلها وبعدها .

^١ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده البرهاني ص ٢٢٦ .

^٢ سورة هود (٧٣) .

^٣ انتصار أولياء الرحمن علي أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده البرهاني ص (٣٦٦ - ٣٦٧) .

^٤ سورة يونس (٦٢ - ٦٣) .

^٥ سورة الأعراف (١٥٦) .

^٦ سورة الحجرات (١٣) .

المبحث الرابع

مبادئ وتعاليم الطريقة في السلوك

المطلب الأول

تقرير مبادئ السلوك

تعريف السلوك :

هو عقد المبايعة بين الشيخ والمريد، ثم رعاية الأدب، ثم المجاهدة في الذكر والأوراد، ثم الطلوع إلى شهود الصفات ثم الكشف عن كمالات الذات^١.

ومبدأ ذكر العارفين ذكر اللسان ثم ذكر القلب ثم الفنا عن الذكر ثم الفنا عن الفنا^٢.

والسالك هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه وتصوره، فكان العلم الحاصل له عيناً لا يأتي من ورد الشبهة المضلة له^٣.

وعلى هذا فالسالك لم يتحقق بالعلم الحقيقي بل علمه شبهات مضلة .

وترتبط عبارة السالك بالمريد، فيقال مريد سالك، ومريد متبرك .

والمريد: هو المجرد عن الإرادة^٤، وهو الذي فتح له باب الأسماء ودخل في جملة المتوصلين إلى الله بالاسم^٥.

فالمريد السالك هو المندرج في سلك الطريقة المتعبد بالأوراد الملتزم بطاعة الشيخ المرشد، وأما المريد المتبرك فهو الذي يقرأ أوراد الطريقة دون زيادة أو نقصان من غير حاجة إلى مرشد ليترقى في السير^٦.

وهناك قيم وأركان رئيسة لا بد من وجودها في السلوك ، وهي :

(أ) الطريقة

(ب) الشيخ

(ج) المريد

(د) الأوراد

(هـ) البيعة .

^١ في طريق أهل الله والسير به ساهل ، إسماعيل بن الشيخ مكي الدقلاشي الملقب بصاحب الرابية ، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم ، طبع شركة دار الحكمة للطباعة والنشر المحدود ، السودان ، ص ٥٠ .

^٢ المصدر السابق نفس الصفحة السابقة .

^٣ التعريفات ، محمد بن علي الجرجاني ، ص ١٥٤ .

^٤ المصدر السابق ص ٢٦٩ .

^٥ معجم مصطلحات الصوفية ، عيد المنعم الحفني ، ص ٥ .

^٦ قبس من نور ، محمد عثمان عبده ص ٦٦ .

فبالبيعة يدخل المرید في الطريقة على يد الشيخ الذي يلقته الأوراد ، ثم يواصل في السير في الطريق تحت رعاية الشيخ وتوجيهاته ، فيما يتعبد به من أوراد ، والشيخ هو الذي يأذن للمرید بالانتقال من ورد إلى آخر ، و يحدد له ما يناسبه من أنواع السير ، وأنواع السير أربعة ، وهي :

(أ) السير بالشریعة ، وهو أن يتخلق الإنسان بأخلاق الشریعة بالضبط فلا يفعل أي شيء إلا إذا عرف حكم الله فيه ، بمعنى أن یزن أعماله كلها بمیزان الشریعة .

(ب) السير بالقسم^١ ، وهي جواهر ودرر استخلصها الأنبياء والمرسلون والصالحون من بحار الأسماء الإلهية بعد اجتهادهم في الغوص في هذه البحار .

(ج) السير بالاسم الإلهي الصرف .

(د) السير إلى الله بالمراقبة الصرفة^٢ .

والمقصود بالسير هو عروج روح المرید إلى الله سبحانه مجتازة السماوات ملتحقة بساكنيها^٣ .

وللسير أسماء منها اسم الجلالة (الله) ، وهو ما يعرف بالاسم المفرد^٤ .

أما المراقبة فهي مراقبة واستحضار صورة الشيخ أثناء الذكر ، وكيفيةها : أن يتوضأ المرید بعد صلاة المغرب ، ثم يستقبل القبلة مغمضاً عينيه ، مستحضراً صورة الشيخ أمامه ، متذكراً أن الشيخ قائده ، وهو الذي ينزل عليه المدد من الله سبحانه وتعالى ، ويعطيه إياه على قدر قابليته لذلك ، وبعد أن تصفو روح المرید بالذكر والإكثار منه ، يظهر له الشيخ أمامه حقيقة وليس صورة ، بل يراه بأب عينه ولكل ذكر أو اسم من الأسماء الإلهية عوالم سفلية وعلوية ، ووظيفة الشيخ أن يحبس عن المرید العوالم السفلية ، فربما ظهرت للمرید ضفدعة كبيرة الحجم أثناء الذكر كانت سبباً في جنونه لولا أن الشيخ حبس عنه هذه العوالم السفلية^٥ .

^١ الأقسام من الأسرار النادرة التي يحتفظ بها القوم (الصوفية) وتعطى للأحاد من المریدين المجتهدين في معظم طرق القوم ، هذه الأقسام كان أولوا العزم من الرسل يقضون بها حوائجهم ويزجرون بها الجن وهي عبارة عن أسماء الله الحسنى أو جزء منها فمثلاً الأسماء الإدرسية عبارة عن أربعين اسماً كانت خاصة بسيدنا إدريس و البرهنية عبارة عن ثمانية وعشرين اسماً وكذلك الجلجلونية والبرهنية واردة بالسرياني وكلها لها استفتاح وقل وزجر فكان سيدنا سليمان يستعمل القسم السليمانى وهو عبارة عن زجر الزجور فهي لما قرنت له فقراءة الأسماء إما لجلب المنفعة أو لدفع الضرر حسب مدلولات الأسماء ، وهذه الأسماء تعتبر من أذكار السير إلى الله : ((مجلة القوم ، العدد السادس ، لشهر صفر ١٤٠٦ هـ _ نوفمبر ١٩٨٥ ، رئيس التحرير يحيى العوض ومدير الإدارة النعيم محمد الأمين ، ص ٥٥)) .

^٢ أنوار الأمين في شرح الأوراد ص ١٨٩ .

^٣ المصدر السابق ص ١٩٠ .

^٤ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ١٦ .

^٥ المصدر السابق ص ٥٠ ومقابلته خمسة من الميراث والكم الأوراد .

فعلى المرید التسليم الكامل للشيخ حتى يترقى في درجات الولاية بهذه الأذكار و على يد هذا الشيخ.

وهناك مراقبة عامة للشيخ وهي أن المرید إذا هم بفعل معصية فعليه أن يتذكر الشيخ ويتخيل ويستحضر صورته كأنه يراه، حتى يذهب عنه هم تلك المعصية، وإذا وقع في المعصية فعليه أن يقرأ سورة الفاتحة وسورة الإخلاص ثلاث مرات، ويهب ثواب القراءة للشيخ معذراً له قائلاً : اللهم وهبت ثواب ما قرأت لشيخى ، معتقداً أن الشيخ في تلك اللحظة يسمعه ويقبل عذره ويغفر ذنبه

وإذا حصلت له كربة من الكربات فعليه أن يدعو الشيخ ويستغيث به، ويفعل معه ما فعله عند وقوعه في المعصية، معتقداً أن الشيخ يسمعه ويجيب دعاءه^١ .

يقول محمد عثمان عبده مبيناً أهمية المراقبة : ((فالمراقبة عند الصوفية مهمة أكثر من أي حاجة ثانية .. أكثر من الأوراد ذاتها))^٢ . وفي شرح الأوراد : ((إذا أردت أن تتعلم المعرفة الإلهية فاذهب للعارفين بالله ، من أراد السفر والسلوك إلى الله فعليه بالسالكين المسلكين فهم المستخلفون في فيوضات الأنوار الأسمانية الصفاتية الإلهية، فإذا راغبتم وسرت معهم بالأدب أعطوك النور الذي تراهم به لأن الله قد خلق فيك من العيون ما تتركهم به بشرط الأدب والمراقبة ..

فلما كانت أهمية المراقبة هكذا أعتمدها جميع مشايخ الصوفية لأهميتها التي تعلق كل شيء عند السائر إلى الله وفائدتها الكبرى تتضح جلية في قوله تعالى : ((وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ))^٣ فصرف السوء والفحشاء لم يحصل إلا برؤية برهان الرب، و أخطأ من فهم أنه برؤية الرب وشتان ما بينهما))^٤ .

ويقرر البرهانية أن مراقبة الله سبحانه وتعالى غير ممكنة لأنه لا يمكن تشخيصه وتجسيمه، حتى يراقب، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم إدراك صورته أمر صعب، وعليه: ((فلا بد من شيخ تراقبه ؛ فكان الحاج إبراهيم — يعني سيدي إبراهيم الدسوقي — فإن استطعت ذلك فيها ونعمت وإلا فتدرج حتى يصل الأمر إلى حده الشرعي وهو المضمون عند الصوفية جميعاً وهو العم المرشد بمعنى الشيخ الحي المربي الخبير؛ فتكون المراقبة لمولانا الشيخ إبراهيم رضي الله

^١ مقابلة شخصية مسجلة مع المرید قاسم أبو الحسن القاسم بمكان عمله بمدينة الدويم بتاريخ ٢٠/٦/٢٠٠١ م .

^٢ أنوار الأيمن في شرح الأوراد ص ١٩٢ .

^٣ سورة يوسف (٢٤) .

^٤ أنوار الأيمن في شرح الأوراد ص ١٩٢ .

عنه فهو وارث كمالات أهل السلسلة إلى جده المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال فيه والدته رضي الله عنه:

مَنْ كَمَالَ الْعَطَاءِ مِنْ فَيْضِ وَهْبٍ * * * أَيُّهَا النَّاسُ جَاءَكُمْ إِبْرَاهِيمُ
فتراقب العم المرشد المباشر))^١ .

ولأجل ما ذكرناه سابقاً كانت المراقبة كأهم شرط عند السالكين ، فإذا جمع المرید أصناف السير الأربعة سمي هذا النوع الفريد (السير الأقرب) وهو الظاهر في قوله تعالى : ((فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ))^٢ وهو السير الكامل وهو الأقرب ؛ ولهذا كانت أهمية المراقبة لأنها مفتاح الكل بمعنى لو كان التصوف مثلاً ألف أدب والمراقبة واحداً من الألف أدب فمن ترك ٩٩٩ واجتهد في المراقبة وحدها كان من الفائزين ، وذلك الذي فعل ٩٩٩ أدب من (الخيانيين) والعياذ بالله .

وليس للمراقبة موعد ؛ فهي جائزة في الصباح وفي الظهر وفي العصر وفي المغرب وهكذا ، ولكن المهم أن يكون للمرید وقت خالص مع الله في كل يوم))^٣ .

ولعل إطلاق وقت المراقبة جاء متأخراً ، وقد كانت في أول الأمر بعد صلاة المغرب .
وأما الأقسام فلا تعطى إلا لكبار المجتهدين من المریدين ، وللطريقة البرهانية من هذه الأقسام ،(ذو الطرفين) و (الجلجلوتية) و (الشعشعاني) ، وفي ذلك يقول محمد عثمان عبده : ((وفي اليوم التالي جاء سيدي إبراهيم فأشار إلى الملائكة بأن يذهبوا ثم أمرني أن أقرأ قسمي (ذو الطرفين) و (الجلجلوتية) فقممت بتوريدهما مرتبة من الليل وهي سبعون ألف مرة وبالنهارة ثلاث مراتب أو أربع))^٤ ، ويقول : ((الشيخ عبد المعروف هو أحد الإخوان القدامى الذين كانوا في طريقتنا ، وكان يقرأ قسم النور الشعشعاني وقد أعطيته هذا القسم مضبوطاً وعلمته كيفية قراءته))^٥ ، ويقول : ((قسم الجلجلوتية هو أحد الأقسام التي نقوم بقراءتها ، ويرجع سره إلى السطرين غير المكتوبين وغير الموجودين في أي كتاب، وهذان السطران قام بكتابتهما سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه، وهذان السطران يؤخذان بإذن عال وحدث أنني أعطيت هذا القسم لثلاثة من المریدين المجتهدين، أحدهم في عطبرة والثاني في حلفا والثالث في الخرطوم))^٦ ، ويقول : ((وفي يوم من الأيام أقبل أحد المجانين وعليه عارض (جن) فقرأت له قسم

^١ المصدر السابق ص ١٩٥ _ ١٩٦ .

^٢ سورة الذاريات (٥٠) .

^٣ أنوار الأمين في شرح الأوراد ص ١٩٧ .

^٤ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ١٦ .

^٥ المصدر السابق ص ٧٧ .

^٦ المصدر السابق ص ٧٩ _ ٨٠ .

البرهنية خمساً وأربعين مرة صباحاً ومساءً .. ومعرفتي بهذا القسم أن نتائجه سريعة، فمن يقرأ له هذا القسم لو كان عليه ألف جن لاحترقوا^١ .

فائدة القسم وشرطية الإذن به :

يقول محمد عثمان عبده: ((أي قسم يزجر الجن مهما كانت درجة هذا الجن ... فعندما يكون القسم لديك وتكون مأذوناً بقراءته فإن طارش ينادي (وهو الملك رئيس العوالم السفلية) يا معشر الجن يا معاشر العمار ، فلان ابن سيدي إبراهيم أخذ القسم الفلاني بإذن من شيخه من سيدي إبراهيم من النبي صلى الله عليه وسلم - لخدمة الطريقة أو لخدمة الإخوان أو لخدمة نفسه فبايعوه بالخدمة والطاعة، أما إذا أخذ الإنسان القسم بأن وجده في كتاب أو قرأه دون إذن سيأتي طارش ويقول يا معاشر الإخوان فلان يقرأ القسم الفلاني دون إذن معتمده لقد بارزنا بالعداوة فعادوه فيعادونه ، بأن يفرقوا بينهم وبين زوجته ويجعلوه حياته كلها أرقاً وغماً ... ويحسب أنه يحسن صنعاً.

فقسمكم أيها البرهانية قد أحسن إيقافه وتنزلت عوالمه وأحصيت جواهره ، ولذلك فالعمار كلهم يقومون بخدمتنا ، وكذلك العوالم العلوية كلها ، فما أجدرك أيها البرهاني الذي أخذت القسم أن تسهر على قراءته ليلاً وبمراتب^٢ .

ويقول محمد عثمان عبده : ((أحد المريدين قديماً جاءني بقسم لم أعطه أنا له قال لي انذن لي بقراءة هذا القسم ، فاستخرت فوجدته غير جدير بقراءة هذا القسم ، ولكنه خالف أمري فقلت له :من الأفضل أن لا تقرأ هذا القسم ، ولكنه صمم وخالف أمري بعد أن أسديت له النصيح مراراً ، ودخل خلوة وأخذ يقرأ القسم فرأى ضفادع كبيرة الحجم مربوطة بجنازير وتتدلى إلى الأرض ، ورأى أيضاً ثلاث بقرات وإذا بالضفدعة الأولى تصرخ فما كان من الضفادع إلا أن أسرعن وأكلن البقرة بعد أن مزقن جلدها ، ثم صرخت الضفدعة الثانية فانطلقن ليأكلن البقرة الثانية ثم أكلن البقرة الثالثة وإذا بهن يتجهن نحو هذا المرید ويصرخن ليفعلن به كما فعلن بالبقرات ، فما كان منه إلا أن هب من مكانه وانطلق مسرعاً نحو الباب فضربه برأسه فكسره ، وكنيت في هذه الأثناء جالساً في المقهى مع بعض الأصدقاء وجدته يسرع نحوي وهو يصيح (جاي) .. ومن هذه الواقعة تدرك أهمية الأذن لقراءة الأوراد والأقسام ووجوب تصحيحها^٣ .

وتعليقاً على ما سبق فإنه يقال :

^١ المصدر السابق ص ٨٢ .

^٢ المصدر السابق ص ٨٥ .

^٣ المصدر السابق ص ٨١ .

السير إلى الله تعالى يكون بما شرعه في كتابه الكريم أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنواع القربات ، والعبادات ، والطاعات ، وجماع ذلك الاستقامة على الشرع باتباع السنة واجتناب البدعة .

وأما السير إلى الله بذكر الأوراد والأقسام المبتدعة التي لم ترد في كتاب ولا سنة ، فلا يوصل إلى مرضاة الله تعالى ، بل هو بدعة من البدع المردودة ، المفضية إلى الضلال ، والخروج عن طريق الاستقامة ، وهذه الأقسام مع بدعيّتها ، فهي لم تشتمل على طاعة الله تعالى ، بل هي دعاء وطلب من الجن ، وتقرب لهم بالطاعة ، وما كان كذلك فهو عبادة للشيطان وليس للرحمن .

وأما القول بأن هذه الأقسام أسماء إلهية ، فمن الباطل المكشوف ، فأسماء الله تعالى حسنى ومصدرها القرآن والسنة ، وهي توقيفية ، لا يجوز أخذها من غير القرآن والسنة ، وأما هذه الأقسام فلا معنى لها ، ولا مصدر ، ولو قيل لرجل تسمى بها أو سمي بها ولدك لما قبل ذلك ، فكيف يسمى بها الرب تبارك وتعالى ، المنزه عن كل نقص وعيب؟! .

والقول بتسخير الجن قول باطل، لمخالفته لصريح القرآن والسنة، فقد قضى الله تعالى أن لا يسخرهم لأحد من عباده بعد نبيه سليمان عليه السلام، فقد قال سبحانه مخبراً عن سليمان عليه السلام : ((قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ))^١، وكان مما وهبه الله تعالى أن سخر له الجن، كما في قوله تعالى : ((فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ))^٢، وقوله تعالى : ((وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنَ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ))^٣ .

فمن ادعى تسخير الجن والتصرف فيهم بعد سليمان عليه السلام، فقد كذب، بل الجن هي المسخرة له، بما يملونه عليه من شروط غايتها الكفر بالله ، كما قال تعالى : ((وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشِرَ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ))^٤ ، وقال سبحانه : ((وَأَتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرءِ

^١ سورة ص (٣٥) .

^٢ سورة ص (٣٦ - ٣٧) .

^٣ سورة سبأ (١٢ - ١٣) .

^٤ سورة الأنعام (١٢٨) .

وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ))^١ .

ومعرفة أسماء الله الحسنى لا يستفاد منها معرفة أسماء الجن والشياطين، ولا العكس، فمن ادعى أن هذه الأسماء الموجودة في الأقسام استخلصها الأنبياء والمرسلون والصالحون من أسماء الله الحسنى فقد افتري على الله الكذب، وقال في دين الله بغير علم ولا برهان .

القول بأن هذه الأقسام كانت عند أولي العزم من الرسل، وكانوا يزرجون بها الجن، ويقضون بها حوائجهم، قول لا أساس له من الصحة، ولا دليل عليه من الشرع .

ومن الكذب الفاضح، دعوى أخذ هذه الأقسام من النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح ولا ضعيف، أنه أعطى أحداً شيئاً، يعرف بالقسم، بل هذه الأقسام بما فيها من مخالفات شرعية تدل على أنها غير مأخوذة من مشكاة النبوة، وإنما هي مقتبسة من الكهنة والعرافين، إخوان الشياطين .

وفيما يلي نموذج لأحد هذه الأقسام حتى يدرك المرء مدى مخالفتها للشرع، والدين، والقسم المذكور هو قسم (البرهنية)، وهو يحتوي على عبادات بدعية، وألفاظ شيطانية، فيها تقرب للجن والشياطين، ونصه: ((إذا أردت استعمالها فصم ٢١ يوماً ولا تأكل فيهن ما خرج من روح أما الأسبوع الأول لا تأكل فيه فطير من الخبز من غير خمير الزبيب المنقوع في الزيت الطيب أما بقية المدة فكل ما شئت، إلا ما خرج منه روح، وتتلو البرهنية منفرد وقبل أن تتريض تمكث قدر ٢١ يوماً تستغفر الله عقب كل صلاة ٩٢ مرة وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ١٠٠ مرة وصيغة الاستغفار أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي صيغة شئت ثم بعد الاستعمال تصرفها في أي حاجة أردت على هذا الشرح الآتي فإنها تجب في أقل من طرفة عين بإذن الله تعالى وهي: ((هذه الدعوة)) تقول أقسمت عليكم أيتها الأرواح الروحانية خدام هذا العهد الشريف بقدره الله وبعزة سلطان الله، وبحق العهد المأخوذ عليكم من سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام عند باب الهيكل الكبير ببايل فلا تخونون عهد الله وميثاقه أستحلفكم ببرهنية ٢ كرير ٢ تيلية ٢ طوران ٢ مزحل ٢ برحل ٢ كوتب ٢ برهش ٢ غلمش ٢ خوطير ٢ قلبود ٢ برشان كظهير ٢ تموشلخ ٢ برهيو لا ٢ بشكيلخ ٢ قرمتر ٢ أنغللتط ٢ قبيرات ٢ قياها ٢ كيدھولا ٢ شخماھر ٢ شخماھير ٢ بكهطھطولا هو رب النور الأعلى كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشياً تذروه الرياح .. توكلوا يا خدام هذا العهد الشريف

وافعلوا كذا بحق ما تلوته عليكم الواح ٢ العجل ٢ الساعة ٢ وآتوني بخادم هذا اليوم ليكون عوناً في قضاء حاجتي .

ويقرأ معها القسم المدهش وفيه : ((بالأسماء المحرقات والثواقب والصواعقات شلخوشاخ جيطعمالخ هطيلوش بمن استوى على العرش ودبر الأمر وفصل الأمر وفصل الآيات بمششلهيخ عقيل يريدون ليظفنون نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون مهر ما اقذف بهم أيها السيد ميظطرون بعزة من صورك وبالأسماء المكتوبة على حربة الطاعة التي خصك بها الله وأطاع لك بها الأملاك والأرواح افعل كذا وكذا وتذكر حاجتك))^١ .

وبالنظر إلى الأقسام ، فهي تحتوي على ألفاظ وأسماء غير مفهومة ، وليست باللغة العربية ، وهي أقرب إلى أسماء الجن ، وفي هذه الأقسام تقرب إلى هؤلاء الجن وطلب منهم ، ومن المعلوم أن أسماء الله الحسنى مفهومة المعنى ، وهي باللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، وبهذا يظهر كذب نسبة هذه الأقسام إلى الشرع فضلاً عن أن تكون طاعة من الطاعات وقربة من القربات .

وأما الذكر بالاسم المفرد فهو بدعة من البدع المخالفة للشرع ، والذاكر به أثم ، فهو لا يفيد معنى ولا يعد ذكراً ، فضلاً عن أن يكون طاعة لله تعالى يثاب عليها .

وأما المراقبة بالمفهوم والمعنى الذي ذكره البرهانية ، فهي ليست عبادة لله سبحانه ، بل هي تقديس للشيخ وعبادة له ، وعبادة الله تقتضي نفي الوساطة والشراكة ، كما قال تعالى : ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ))^٢ وفضل الله ورحمته لا يملكها أحد ، فلا راد لفضله ، ولا معطي لما منع ، ولا مانع لما أعطى ، وهو القائل سبحانه : ((مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))^٣ والقائل سبحانه : ((وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))^٤ ، فالرحمة والخير والغوث يأتي بمحض فضله سبحانه وتعالى ، لا يعطيه أحد غيره ، ولا يمنعه أحد إن أعطاه .

ولا يخفى الشرك الصريح بالله تعالى ، وذلك في اعتقاد أن الشيخ يغفر الخطايا والذنوب ، وهذا أشبه بصكوك الغفران لدى النصارى ، وأنه يعلم بحال المريدين حيثما كانوا وأينما حلوا ، ويجيب دعاءهم ويغيث مستغيثهم .

^١ الطب الرباني للجسم الإنساني في علم الحرف ، أبو حامد الغزالي ، طبع مكتبة القاهرة لصاحبها الحاج علي يوسف سليمان ، شارع الصناديق بالأزهر الشريف ، ص ٧٠ _ ٧١ .

^٢ سورة البقرة (١٨٦) .

^٣ سورة فاطر (٢) .

^٤ سورة يونس (١٠٧) .

وأما الاستدلال بقوله تعالى : ((وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ))^١ ، على شرعية المراقبة المذكورة ، استدلال خاطئ ، فلم يثبت دليل شرعي صحيح على أن يوسف عليه السلام كان يراقب صورة والده ولو على غير وجه التعبد ، قال الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى : ((والصواب أن يقال أنه رأى آية من آيات الله تزرجه عما كان هم به ، وجائز أن يكون صورة يعقوب وجائز أن يكون صورة الملك ، وجائز أن يكون ما رآه مكتوباً من الزجر عن ذلك ، و لا حجة قطعية على تعيين شيء من ذلك ، فالصواب أن يطلق كما قال الله تعالى))^٢ .

وقد جاءت الشريعة بتحريم الشرك ووسائله ، ومن وسائل الشرك الصور ، ولم يرد دليل شرعي على جواز استحضار صور الصالحين عند ذكر الله ، أو في وقت الشدة ، بل ذلك من الشرك بالله ، الذي يناقض التوحيد ، والذي حقيقته إفراد الله تعالى بالعبادة .

ومفهوم البرهانية للمراقبة وحقيقتها ، مفهوم لا يقول به عاقل ، والقول به خروج عن المنهج الحق في فهم المصطلحات الشرعية ، بل في تفسيرهم للمراقبة تلبس على العوام ، وتقرير للباطل ، الذي لا يمكن فواته على طلاب العلم ، بل مثل هذه المعاني لا تخفى على من له أدنى نظر ، فاعتراضهم على من قال ((راقب الله))^٣ اعتراض خاطئ ، فإله سبحانه يراقب لكن ليس على مفهومهم ، بأن يشخص ، ويجسم بأن يرى بأب العين ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . والمراقبة هي : ((دوام علم العبد ، وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه . فاستدامته لهذا العلم واليقين : هي المراقبة ، وهي ثمرة علمه بأن الله رقيب عليم ، ناظر إليه سامع قوله ، وهو مطلع عليه في كل وقت وفي كل لحظة وكل نفس وكل طرفة عين . والمراقبة هي التعبد لله باسمه (الرقيب الحفيظ السميع البصير) فمن عقل هذه وتعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة))^٤ .

وقد دلت على معنى المراقبة بهذا المفهوم الكثير من نصوص القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : ((وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ))^٥ ، وقوله تعالى : ((رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي سَمَاءٍ))^٦ .

^١ سورة يوسف (٢٤) .

^٢ تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ج ٢ / ٧٣٤ .

^٣ أنوار الأمين في شرح الأوراد ص ١٩٥ .

^٤ مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ج ٢ / ٦٥ - ٦٦ .

^٥ سورة البقرة (٢٣٥) .

السَّمَاءِ))^١ ، وفي حديث جبريل في بيان معنى الإحسان : ((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))^٢ .

وهذا هو المفهوم الصحيح لمعنى المراقبة ، لا ما ذكروه من أنها غير ممكنة لله سبحانه ، وأن معناها النظر إلى ذات الله تعالى ، وعلى هذا فيمتنع حصولها ، لامتناع رؤية الحق سبحانه وتعالى بالبصر في الدنيا . ومن شروط المراقبة عندهم التفرغ لها، وفي ذلك يقول محمد عثمان عبده : ((المراقب لا يتفرغ لطلب المكاسب))^٣ .

والحق أن الإسلام دين عمل ، وقد أمر بالعمل ورغب فيه ، فقال سبحانه : ((وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))^٤ ، والعمل يشمل عمل الدنيا والآخرة ، ولا يخفى ما في القول بالتفرغ للمراقبة غير الشرعية ، من مخالفة شرعية من جهتين :

من جهة الاشتغال والتعبد لله بما لم يشرعه ، ومن جهة الدعوة إلى ما يخالف الشرع من ترك العمل والخمول ، والدعوة إلى الكسل ، وترك العمل المشروع ، والنكسب الحلال الذي أحله الله سبحانه من زراعة وصناعة وتجارة ، وعماراة الأرض بما يعود بالنفع على الفرد والمجتمع ، بل العمل المشروع والمباح كله عبادة لله تعالى إذا استصحبت فيه النية الصالحة .

^١ سورة إبراهيم (٣٨) .

^٢ سبق تخريجه ص ٧٥٠ .

^٣ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ١٨١ .

^٤ سورة التوبة (١٠٥) .

المطلب الثاني

وسائل تقرير السلوك

علاقة المرید بالشیخ :

علاقة المرید بالشیخ مبنية على وجوب الخضوع والتسليم الكامل للشیخ ولما يأمر به أو ينهى عنه ، بل الأمر أشد من ذلك بحيث يفقد المرید إرادته مع الشیخ ، فيصير بين يدي شیخه كالميت بين يدي غاسله ، وقد تصل هذه العلاقة إلى درجة تقديس المرید للشیخ ، وتعظيمه التعظيم الذي لا يكون إلا لله تبارك وتعالى ، وقد دلت على ذلك العديد من أقوال البرهانية ، فمنها : قول إبراهيم الدسوقي : ((المرید مع شیخه على صورة الميت لا حركة ولا كلام ولا يقدر أن يتحدث بين يديه إلا بإذنه ، ولا يعمل شيئاً إلا بإذنه من زواج أو سفر أو خروج أو دخول أو عزلة أو مخالطة أو اشتغال بعلم أو قرآن أو ذكر أو خدمة في الزاوية أو غير ذلك ، هكذا كانت طريق السلف والخلف مع أشياخهم فإن الشیخ هو والد السر ويجب على الولد عدم العقوق لوآله ولا نعرف للعقوق ضابطاً نضبطه به إنما الأمر عام في سائر الأحوال وما جعلوه إلا كالميت بين الغاسل فعليك يا ولدي بطاعة والدك وقدمه على والد الجسم ، فإن والد السر أنفع من والد الظهر لأنه يأخذ الولد قطعة حديد جامد فیسبكه ويذیبه ويقطره ويلقي عليه من سر الصنعة سراً فيجعله ذهباً إبريزاً فاسمع يا ولدي تنتفع و كثيراً من الفقراء صحبوا أشياخهم حتى ماتوا فلم ينتفعوا لعدم الأدب وبعضهم مقتوا))^١ . ويقول : ((يا ولدي إن صح عهدك معي فأنا منك قريب غير بعيد وأنا في ذهنك وأيا في سمعك وأنا في طرفك ، وأنا في جميع حواسك الظاهرة والباطنة ، وإن لم يصح لك عهد فلا تشهد مني إلا البعد ... فإذا أخذت يا ولدي بالقبول ، وجهدت في شرك وراقبتة سمعت كلام شیخك ولو كنت بالمشرق وهو بالمغرب ، ورأيت شبح شخصه فمهما ورد عليك من مشكلات شرك أو شيء تستخير فيه ربك أو أحد يقصدك بأذى أو غير ذلك ، فوجّهه شیخك وصف شرك ، وأطبق عين حسك وافتح قلبك فإنك ترى شیخك وتستشيره في جميع أمورك ، وتطلب منه حاجتك فمهما قال لك فاقبله منه وامتثل له))^٢ ، ويقول : ((الشیخ حكيم المرید ، فإذا لم يعمل المريض بقول الحكيم لا يحصل له الشفاء))^٣ ، ويقول : ((رأس مال المرید المحبة والتسليم وإلقاء عصي المعاندة والمخالفة ، والسكون تحت مراد شیخه فإذا كان المرید كل يوم في زيادة محبة وتسليم سلم من القطع فإن عوارض الطريق وعقبات الإيرادات هي التي تقطع عن الإمداد وتحجب عن الوصول))^٤ ، ويقول : ((يا أو لادي

^١ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ١٨٧ - ١٨٨ .

^٢ المصدر السابق ص ١٧٨ .

^٣ المصدر السابق ص ١٧٢ .

^٤ المصدر السابق ص ١٥٩ .

لا تصحبوا غير شيخكم واصبروا على جفاه ... ليرقيكم بذلك إلى معرفة الله عز وجل فمن أشغل قلبه بمحبة شيخه رقيه الله عز وجل))^١ . وورد في كتاب رشفات المدام من كلام سيد الأنام : ((من آداب الذكر فيما يرى الشيخ رضي الله عنه ألا يتلو وردا إلا بإذن شيخه أو يلقنه إياه وأن يجلس في الذكر على هيئة المشاهد متوضئ مستقبل القبلة ما أمكن مغمضاً عينيه وأن يشتغل حال الذكر بالمذكور وأن يراقب صورة شيخه في جميع عباداته وأن يستمد بقلبه من شيخه وأن يلاحظ أن استمداده من شيخه هو الاستمداد من النبي صلى الله عليه وسلم وأن الشيخ نائب عنه))^٢ . ويقول أبو الحسن الشاذلي : ((تكون يد الشيخ على أصحابه تحفظهم أينما كانوا غائبين أو حاضرين))^٣ . ويقول إبراهيم الدسوقي : ((يجب على المرید أن لا يتكلم قط إلا بدستور شيخه إن كان جسمه حاضراً ، وإن كان غائباً يستأذنه بالقلب وذلك حتى يترقى بالوصول في حق ربه عز وجل ، فإن الشيخ إذا رأى المرید يراعيه هذه المراعاة ، ربه بلطيف الشراب وأسقاه من ماء التريية ولاحظه بالسر المعنوي الإلهي ، فيا سعادة من أحسن الأدب مع مربيه ويا شقاوة من أساء))^٤ . ويقول أحمد عربي الشرنوبى : ((يا أولادي الشيخ يحفظ المرید الصادق في قربه وبعده))^٥ . ويقول محمد عثمان عبده في شرح المراقبة ، تحت عنوان شدة التعلق بالشيخ تجعله معك : ((حدث أن كنت أرى أحد الصالحين في الرؤيا وأني أذهب إليه كي أعطيه الطريقة ولكنني بعثت إليه أحد الإخوان ليعطيه الطريقة بدلاً مني ، لأنني كنت مريضا فذهب إليه هذا الأخ وأعطاه الطريقة وعلمه الأساس والأوراد المربوطة ، وأخذ يشرح له المراقبة وكيف يتخيل الشيخ ... الخ فقال له : لن أقوم بعمل المراقبة هذه فقال المرید له لماذا ؟ فقال الشيخ له متعجباً : وهل غاب عني الشيخ حتى أتخيله ؟ إنه معي دائماً))^٦ . وفي الإجابة على سؤال نصه : ((هل احترام المرید لشيخه وثية ؟)) ورد ما نصه : ((.. وأنت جالس في مكان طاهر مظلم معظم مطيب بالروائح الزكية كجلوسك للصلاة واضعاً يدك على فخذك مغمضاً لأنه بتغميض العينين تنسد طرق الحواس الظاهرة وسدها يكون سبباً لفتح حواس القلب لابساً لثياب بيض حلال مطيبات بالروائح ، ... جاعلاً خيال شيخك بين عينيك ليكون رفيقك في السير إلى الله لا لكونه مقصوداً لذاته))^٧ .

^١ المصدر السابق ص ١٨١ .

^٢ رشفات المدام من كلام سيد الأنام انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ص ٥٨ .

^٣ الأربعة أهل السلسلة ص ٣٠ .

^٤ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ١٤٨ .

^٥ الأربعة أهل السلسلة ص ٧ .

^٦ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ٩٤ .

^٧ رشفات المدام من كلام سيد الأنام ص ٥٧ _ ٥٨ .

أساس الطريقة ومبناها في السلوك :

تقوم الطريقة الصوفية على مجاهدة النفس، حتى تصفو وتصل إلى مقام المشاهدة ، والفناء، حيث لا طاعة ولا عمل، بل تسقط الطاعات بالجوارح في مرتبة الفناء، وتصير في حق القائم بها في هذه المرتبة إثماً ، وتتقي المجاهدات التي كانت وسيلة في الوصول إلى مقام الفناء ، والواصل إلى هذه المقام لا يحتاج إلى طاعة لأن مطلوبه حصل ، وأدرك غايته ، وفيما يلي ذكر بعض هذه الوسائل والمجاهدات الموصلة إلى ذلك المقام ، فمنها على سبيل المثال .

الجوع والسهر والصمت والعزلة :

يقول إبراهيم الدسوقي : ((اعلم يا ولدي أن صحة هذا الطريق وقاعدتها ومجلاها ومحكمها الجوع فإن أردت السعادة فعليك بالجوع و لا تأكل إلا على فاقة فإن الجوع يغسل من الجسد موضع إبليس فيا ولدي تريد شربة بلا حمية هذا لا يكون))¹ ، ويقول : ((قوت المبتدئ الجوع ومطره الدموع ووطره الرجوع يصوم حتى يرق ويلين وتدخل الرقة قلبه وتفتح مسامع لبه ويزول الوقر من سمعه فيسمع بأذن وقلب كلام القرآن ومواعظه ، وأما من أكل ونام ولغا في الكلام وترخص وقال : ليس على فاعل ذلك ملام لا يجيء منه شيء والسلام))² ، ويقول : ((ما بنيت طريقتنا هذه إلا على التيار والنار والبحر الهدار والجوع والاصفرار، ما هي بمشذقتك ولا الفشار ، دعني فما وجدت من أولادي واحداً اقتفى آثار الرجال ولا صلح أن يكون محلاً للأسرار فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم من هذا الزمان الغدار))³ ، ويقول : ((الطريق إلى الله عز وجل تفني الجلاذ وتفنت الأكباد وتضني الأجساد وتدفع السهاد وتسقم القلب وتذيب الفؤاد فإذا ارتفع الحجاب سمع الخطاب وقرأ من اللوح المحفوظ الرموز واطلع على معاني دقت وشرب بأوان رقت فكان مع قلبه ثم يكون مع مقلبه لامع قلبه لأن الله يحول بين المرء وقلبه ، فإذا خرج عن الكل طال لسانه بلا لسان مع شدة اجتهاده وأعماله الظاهرة ، ثم الباطنة ثم بعد ذلك لا حركة ولا كلام ولا تسمع إلا همساً ، إنما هو صمت بلا حس ، ثم يصفو من صفاء الصفاء ووفاء الوفاء ويخلص من إخلاص الإخلاص في الإخلاص للإخلاص ، ثم يتقرب بما يكون به جليساً ، فإن المجالسة لها آداب أخر خاصة ، يعرفها العارفون))⁴ ، ويقول : ((طريقتنا هذه ما هي طريق تمليق بل هي طريق تحقيق وصدق وتصديق وموت وكد وجهد وشد وحزم وكدم وكسر نفس من غير دعوى))⁵ ، ويقول : ((واعلم أن الطريق لها سلوك وهي مرة فيها سباع فيها قطاع فيها عناء فيها مرارة فيها حرارة ، فيها عطش فيها ظمأ فيها

¹ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ١٨٦ .

² المصدر السابق ص ١٧٢ .

³ المصدر السابق نفس الصفحة السابقة .

⁴ المصدر السابق ص ١٥٧ .

⁵ المصدر السابق ص ١٧٣ .

عناء .. فيها مشقة ، فيها موت .. فيها قشف فيها عراء فيها أذى .. فيها سهر فيها ضرر .. فيها هلاك .. فيها تعب فيها كد ، فيها جهد فيها تقطع الأكباد فيها ذهاب الروح والجلاد .. فيها جوع))^١ .

وأورد محمد عثمان عبده فيما نقله عن جلال الدين السيوطي : ((قال سهل بن عبد الله صارت الأبدال أبدالاً بأربعة قلة الكلام ، وقلة الطعام ، وقلة المنام ، واعتزال الأنام))^٢ ، ويقول إبراهيم الدسوقي : ((كان السلف يخافون من آفات الاجتماع ولذلك آثروا العزلة إلا في صلاة الجمعة وحضـور مجالس العلم التي لا رياء فيها ولا جدال ولا عجب ولا مداراة ، والسلامة من هذه الأمور في زماننا هذا قل أن توجد ، فعليك بالوحدة بعد معرفة ما أوجب الله تعالى عليك فإنك في القرن السابع الذين أكثرهم يجعلون شريعة السالك قدحاً في الشريعة وحقيقة المحبة بدعاً في الطريق كأنهم ما علموا قط عطاء الله ومواهب مدد الله وخوارق عجائبه بل رأوا من سوء حالهم أن باب العطاء قد أغلق))^٣ . ويقول : ((والله لو وجدنا إلى الخلوة سبيلاً ، أو وجدنا إلى الانقطاع عن أعين الناس من سبيل لفلننا ، فإن القلب في هذا الزمان متعوب والكبد في كل وقت يذوب فأين الملجأ وأين المفر من أهل الزمان))^٤ . ويقول : ((وا غوثاه من أهل الزمان والله لو كان في العمر مهلة لسكنت في أكم الجبال وبطون أودية الوحوش فإن الرجل الآن بين هؤلاء الناس في أشد قلوب شاردة وأحوال مائلة ، وشهوات غالبية ، قد عدموا الصدق في الأحوال فكيف يقدر الضعيف على صون الروح من عشرتهم والود لهم وغض البصر عن عوراتهم ليلاً ونهاراً ويصبر معهم على كل فتنه وشهوة وأذى من غير أن يقابلهم بمثله ، وهذا لا يطيقه إلا الصالحون))^٥ .

وهناك بعض الأمور المتعلقة بالسلوك والتي طلب محمد عثمان عبده إلغائها من الطريقة وتمت له الموافقة من سيديه الحسين بن علي وإبراهيم الدسوقي حسب قوله : ((وهي على سبيل المثال لا الحصر :

- ١ _ ألا ينجذب أحد من أتباع طريقته ولا يسلب
- ٢ _ إلغاء الخلوة
- ٣ _ إلغاء السياحة
- ٤ _ أن يكون أتباعه من أوسط الناس))^٦ .

^١ الجوهرة المضيئة ، إبراهيم الدسوقي ص ٢٥٣ .

^٢ تيرنة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٩٧ .

^٣ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ١٦٩ .

^٤ المصدر السابق ص ١٦٢ .

^٥ المصدر السابق ص ١٧٤ .

^٦ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ١٩ _ ٢٠ .

وهذه الأمور الملغية كانت من السلوك الموجود في الطريقة بدليل ما ذكره محمد عثمان عبده عن نفسه : ((عندما خرجت للسياحة في الخلاء لم يخرجني غير البحث عن الإرشاد))^١ ، ويقول : ((ولقد جربت أحوال الصوفية وأحوالهم وتحملت كل ذلك دون أن أجد صعوبة فكنت أمكث عشرين يوماً دون كلام مطلقاً ، أمكث اليوم نهاره وليله دون نوم اللهم إلا نصف ساعة بعد الظهر وأنا ساجد حيث تأخذني سنة من نوم دون استغراق وكنت بعد صلاة المغرب أتناول كوباً من الشاي ومعه نصف رغيف وأستمر إلى اليوم التالي دون طعام أو شراب))^٢ . ويقول الشيخ سليمان بن صالح وهو أحد خواص أتباع أحمد عربي الشرنوبى : ((سألت أستاذي الشيخ أحمد عربي عند اجتماعي به بمدينة دمنهور البحيرة فقلت له يا سيدي : أتأذن لي في سؤال ورد علي ؟ فقال يا سليمان تسألني إلى أين انتهت بنا السياحة ؟ فقلت له نعم . قال : يا ولدي إلى المغرب الأقصى وجبال الزيتون وساحل البحر المحيط فقلت في نفسي إن الأستاذ لم يخبرنا عن جبل قاف فتبسم الأستاذ وقال يا مبارك ها هو فنظرت الجبل وما حوله ورأيت الأولياء والعباد يتعبدون هناك فعشي علي من ذلك))^٣ ، وورد في ترجمة أحمد عربي الشرنوبى : ((ثم إن الأستاذ غاب في السياحة سبع سنين حتى أن أهله لا يدرون أين توجه))^٤ ، ويقول أبو الحسن الشاذلي : ((وفي بعض سياحاتي جعت ثلاثين يوماً فخطر لي أن قد حصل لي من هذا الأمر شيء وإذا بامرأة خارجة من مغارة كأن وجهها الشمس حسناً وهي تقول : منحوس جاع ثلاثين يوماً فأخذ يدل على الله بعمله ولي ستة أشهر لم أذق طعاماً))^٥ ، ويخبر أصحاب أبي الحسن الشاذلي عنه فيقول : ((أقمت معه في جبل الزعفران أربعين يوماً أفطر على العشب وورق الدقلة حتى تقرحت أشداقي . فقال لي : يا عبد الله كأنك اشتهيت الطعام فقلت له : يا سيدي نظري إليك يغنيني عنه))^٦ . إلى غير ذلك من الأقوال الدالة على وجود هذا السلوك في الطريقة ولدى مشايخها .

وبالنظر إلى هذه الأقوال فإنه يقال :

أولاً: لا يخفى في ما ورد ذكره من أقوال في بيان علاقة المرید بشيخه ، من غلو المرید في شيخه حتى يصل هذا الغلو إلى درجة تعظيم الشيخ وتقديسه، وحتى يصل هذا التعظيم إلى تأليه الشيخ ووصفه بصفات الله سبحانه وتعالى، ولا شك أنه سلوك مشين مفض بصاحبه إلى الضلال والوقوع في الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام .

^١ المصدر السابق ص ١٥

^٢ المصدر السابق ص ٢١ _ ٢٢ .

^٣ الأربعة أهل السلسلة ص ٢ .

^٤ المصدر السابق نفس الصفحة السابقة .

^٥ المصدر السابق ص ١٨ .

^٦ المصدر السابق ص ٢٢ .

ثانياً : السلوك يجب أن يكون مبناه على الشرع، فكل ما خالف الشرع من سلوك يعد سلوكاً غير مشروع ، وسلوكاً بدعياً، فالسلوك الشرعي يكون بأداء الفرائض وترك المحرمات، وعبادة الله سبحانه على بصيرة، واتباع النبي صلى الله عليه و سلم في كل أمر من أمور الدين، لأن الله سبحانه وتعالى قال : ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا))^١ وقال سبحانه : ((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا))^٢ .

وأما ما ذكر من سلوك فلا يمكن إرجاعه إلى الشرع ، بل هو سلوك مبتدع مبني على عبادات بدعية ، وما كان كذلك فلا ينتظر أن يفضي بصاحبه إلى جادة الطريق ، بل هو قائد إلى طرق الضلال ، وموارد الهلاك .

^١ سورة الأحزاب (٢١) .

^٢ سورة الحشر (٧) .

المبحث الخامس

عقيدة البرهانية في العبادة وأصولها

المطلب الأول

مفهوم العبادة

التعريف بالأصول :

الأصول لغة : جمع أصل وهو عبارة عما يفتقر إليه ولا يفتقر هو إلى غيره .

وأما شرعاً : فالأصل عبارة عما يبني عليه غيره ، ولا يبني هو على غيره^١.

والعبادة لغة : هي الطاعة مع الخضوع^٢ .

والعبادة شرعاً : هي الانقياد والخضوع لله تعالى على وجه التقرب إليه بما شرع مع

المحبة^٣ .

وللعبادة ركنان وشرطان ، فأما الركنان فهما : كمال الخضوع والذل ، وكمال المحبة ،

وشرط صحة المحبة المتابعة التي لا بد فيها من الصدق والإخلاص .

وأما شرطي العبادة فهما : معرفة المعبود ومعرفة دينه الذي هو أوامره ونواهيه^٤.

وللعبادة شرطاً قبولاً ، وهما : الإخلاص والمتابعة، فإذا تخلف واحدٌ منهما لم تقبل

العبادة، ومعناهما : أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً، وأن لا يعبد إلا بما شرع، فلا يعبد

بالأهواء والبدع .

وللعبادة معنيان باعتبارها مصدرًا وباعتبارها اسماً، فباعتبارها مصدرًا، تعني التعبد وهو

فعل العابد، وتعريفها : ((التذلل لله محبة وتعظيمًا بفعل أوامره واجتتاب نواهيه على الوجه الذي

جاءت به شرائعه))^٥ ، وأما باعتبارها اسماً فهي تعني المتعبد به ، وتعريفها : ((اسم جامع لكل

ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال و الأعمال الظاهرة والباطنة))^٦ ، وهي على هذا تشمل قول

القلب ، وعمله ، وقول اللسان وأعماله، وأقوال وأعمال الجوارح الأخرى، فقول القلب باعتقاد

صدق ما أخبر الله سبحانه به على السنة رسله، وأما عمله فهو الإخلاص، والمحبة، والتوكل،

والخوف، وغيرها من أعماله، وأما قول اللسان فهو النطق بالشهادتين، وذكر الله تعالى من تلاوة

القرآن، والدعوة إلى الله عز وجل، وأما أعمال الجوارح الأخرى، فهي الصلاة والصوم والزكاة

والجهاد والإحسان إلى الخلق، ونحوها . وعلى هذا فإن جميع أمور الدين داخلة في مسمى

^١ التعريفات محمد بن علي الجرجاني ص ٤٥ .

^٢ لسان العرب ابن منظور ج ٣ / ٢٧٢ .

^٣ منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، د . خالد عبد اللطيف محمد نور ج ١ / ٥٦

^٤ منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى ج ١ / ٦٥ _ ٦٦ .

^٥ المصدر السابق ج ١ / ٥٨ .

^٦ المصدر السابق ج ١ / ٥٩ .

العبادة، قال الله تعالى : ((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ))^١.

وأصول العبادات الدينية هي الصلاة والصوم والقراءة ، ولما كانت هذه العبادات هي المعروفة، قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الخوارج : ((يُحَقَّرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتُهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامُهُ مَعَ صِيَامِهِمْ وَقِرَاءَتِهِ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ))^٢، ومن العبادات العظيمة الشأن في الإسلام كذلك الزكاة والحج والجهاد في سبيل الله تعالى .

والعباد درجات في عبادتهم لله تعالى، فمنهم الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، فالأول هو من قصر في أداء الواجبات، ووقع في بعض المحرمات، والثاني من قام بفعل الطاعات، وترك المحرمات، ولم يزد على ذلك، وأما الثالث : فهو من قام بأداء الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات، والمكروهات، وقد قال الله تعالى في بيان درجات العباد : ((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَلَمَ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير))^٣.

^١ سورة الأنعام (١٦٢ - ١٦٣) .

^٢ أخرجه البخاري في كتاب استنباط المرتدين حديث رقم ٦٩٣٣ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١٢ / ٢٩٠ .

^٣ سورة فاطر (٣٢) .

المطلب الثاني

الغاية من العبادة

الغاية من العبادة هي تعظيم الله تعالى ، بفعل أو امره واجتناب نواهيه ، فقد قال سبحانه :
((لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دَمَآؤَهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ))^١ .

والعبادة التي يعظم الله تبارك وتعالى بها مبناهها على المحبة والرجاء والخوف ، وقد دلل على ذلك القرءان الكريم ، فمن ذلك قوله تعالى : ((اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ))^٢ ، قرب العالمين فيه معنى المحبة ، فلا شك أن كل شخص يحب مربيه لما له من الفضل والإنعام عليه، والرحمن الرحيم فيه معنى الرجاء ، لأن العباد يرجون رحمة مولاهم سبحانه، لما علموا من صفات الرحمة والرأفة له سبحانه ، ومالك يوم الدين فيه معنى الخوف ، لأن الناس يخافون من يوم الحساب ويوم القيامة ، ومن هوله وما فيه من الشدة ، وفي قوله تعالى : ((اُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ اِلَىٰ رَبِّهِمُ اَلْوَسِيْلَةَ اَتَيْهِمْ اَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخْفَوْنَ عَذَابَهُ اِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا))^٣ ، ويقول سبحانه في بيان صفات الرسل : ((اِنَّهُمْ كَانُوْا يُسَارِعُوْنَ فِى الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُوْنَآ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوْا لَنَا خٰشِعِيْنَ))^٤ ، ويقول سبحانه في بيان صفات المؤمنين : ((تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضٰجِعِ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُوْنَ))^٥ ، ويقول سبحانه في بيان صفات المؤمنين : ((وَيُطْعَمُوْنَ اَلطَّعَامَ عَلٰى حُبِّهِ مَسْكِيْنًَا وَيَتِيْمًا وَاَسِيْرًا * اِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اَللّٰهِ لَا نُرِيْدُ مِنْكُمْ جِزَاًا وَلَا شُكُوْرًا * اِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيْرًا * فَوْقَهُمْ اَللّٰهُ شَرُّ ذَلِكَ اَلْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوْرًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوْا جَنَّةً وَحَرِيْرًا))^٦ وغيرها من النصوص الشرعية الدالة على أن العبادة مبنية على المحبة والرجاء والخوف .

ولو تخلف واحد من الثلاثة فقدت العبادة حقيقتها وغايتها ، وصارت معصية في حق فاعلها ، ولهذا قال بعض السلف : ((من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجيء ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبد الله بالخوف والرجاء فهو موحد))^٧ .

^١ سورة الحج (٢٧) .

^٢ سورة الفاتحة (٢ - ٥) .

^٣ سورة الإسراء (٥٧) .

^٤ سورة الأنبياء (٩٠) .

^٥ سورة السجدة (١٦) .

^٦ سورة الإنسان (٨ - ١٢) .

^٧ جامع الرسائل والمسائل ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م ، المجموعة الأولى ج ١ / ١١٢ .

وبعد هذه المقدمات في العبادة، يمكن الوقوف مع مفهوم البرهانية للعبادة، وأصول العبادات لديهم والغاية من العبادة ، وأمثلة لبعض العبادات والشعائر الدينية لديهم .

يعتقد البرهانية أن لكل مرتبة من مراتب الدين الثلاث – الإسلام والإيمان والإحسان – عبادة ، فالعبادة التي في مرتبة الإسلام تختلف عن العبادة التي في مرتبة الإيمان ، والعبادة في مرتبة الإيمان تختلف عن العبادة التي في مرتبة الإحسان ، وأن أهم عبادة هي ذكر الله تعالى ، وهي أصل من أصول العبادات عندهم ، ففي بيان ذلك ورد قولهم : ((مسألة فإن قال قائل : ما هو لب طريقة الصوفية من حيث الأعمال ؟ وهل يوجد ما يؤكد ذلك من نصوص شرعية؟ فالجواب في ذلك أن لب طريقتهم مبني من حيث العمل على ذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتبار أنهما نغلا أعلى الأركان الخمسة وهو الشهادتان ، فنقل الأولى ذكر الله ونقل الثانية الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإمامهم في ذلك قوله تعالى : ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ))^١ وكذلك الحديث الذي أخرجه الحاكم والترمذي عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً : ((أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ))^٢ فَالْوَا وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ذِكْرُ اللَّهِ))^٣ .

وكلمة الذكر لدى البرهانية المقصود بها معنى خاصاً زائداً على معناها العام ، وهو التزام تلاوة أوراد الطريقة المأخوذة من شيخ مرشد خبير ، والترقى على يد هذا الشيخ المرشد في مقامات العبودية والولاية ، ويقسمون هذه المراتب إلى ثلاث مراتب في الجملة على حسب مراتب الدين الثلاث، وهي مرتبة العبادة ومرتبة العبودية ومرتبة العبودة، وهي مراتب العمل في كل مرتبة من مراتب الدين الثلاث، الإسلام والإيمان والإحسان، ويسمونها بعلوم الشريعة، والطريقة، والحقيقة، ويعلم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين .

وقد شرح محمد عثمان عبده تلك المراتب بقوله : ((.. الإسلام – وهذا اسمه الشرعي – وهو العلم الذي أمر صلى الله عليه وسلم بتبليغه كما جاء في حديث الإسراء والمعراج وهو ((علم اليقين)) كما هو في المصطلح المصحفي والوقوف عند هذه المرتبة غير منح لمن أراد فكاك رقبته ، ولهذا قيل في هذا المعنى :

إِنَّ عِلْمَ الْيَقِينِ قَرَّبَ قَوْمًا فَهُمُ الْمُفْتُونُونَ مَالًا وَجَاهًا
حَسْبُوهُ عَيْنَ الْيَقِينِ كَأَعْمَى حَسِبَ الْفَهْمَ رُؤْيَا فَتَبَاهَى

^١ سورة الأعلى (١٤ - ١٥) .

^٢ أخرجه الترمذي ج ٥ / ٤٥٩ ، وابن ماجه ج ٢ / ١٢٤٥ ، صحيح سنن ابن ماجه ج ٢ / ٣١٦ ، صحيح سنن الترمذي ج ٣ / ١٣٩ .

^٣ أنوار الأيمن في شرح الأوراد ص ١٦ - ١٧ .

رَبَّمَا عَلَّمَهُمْ يَجُورُ إِلَيْهِمْ
 عِلْمُ إِبْلِيسَ كَانَ عِلْمُ يَقِينٍ
 لَوْ رَأَى الْحَقُّ مَا أَبِي مِنْ سُجُودٍ
 ثُمَّ مَاذَا يُفْتِيكَ عِلْمُكَ عَنْ عَيْنِكَ
 فَوْقَ مَا أَنْتَ فِيهِ رُتَبَةٌ كَشَفِ
 ثُمَّ مِنْ فَوْقَ ذَلِكَ رُتَبَةٌ حَقٌّ
 فَتَنَةَ الْكُفْرِ فَاحْذَرُوا مُبْتَدَأَهَا
 عَنْهُ عَيْنُ الْيَقِينِ أَخْفَتُ سَنَاهَا
 مَزِجَ الْعِلْمُ عَيْنَهُ مَعْنَاهَا
 يَا مَنْ بَعِزَّةَ الْعِلْمِ نَاهَا
 غَيْرَ كَشْفِ الْخَيَالِ يَخْلُو سَنَاهَا
 وَهُوَ إِيْتَاءُ كُلِّ نَفْسٍ هُدَاهَا^١

وعموماً فإن الإسلام هو علم الشريعة المعروف بعلم الأحكام وهو مرتبة العبادة ، وكل أعماله بدينية إذ أن العمل فيه بالجوارح فالنطق بالشهادتين باللسان ، وإقام الصلاة بالبدن ، كما وأن الذنب فيه ارتكاب المعاصي بالبدن كالسرقة وشرب الخمر ، والتوبة في هذه المرتبة الإقلاع في الحال والندم على ما فات والعزم على أن ألا يعود لذنب أبداً والتقوى فعل المأمورات واجتناب المنهيات والاستقامة أن يقيم ويستمر على ذلك^١ .

((مرتبة الإيمان)) الاسم الشرعي ((الإيمان)) وهو العلم الذي خير رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه في الإسراء والمعراج وهو عين اليقين في المصطلح المصحفي وفي المصطلح العام اسمه الطريقة، وهو موطن العبودية، والعمل فيه قلبي والذكر فيه قلبي والتقوى فيه تعظيم شعائر الله ((وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ))^٢ كما أنها أي التقوى زاد المسافر والمسافر هو سالك الطريقة لسيره إلى الله تعالى كما قال جل وعلا: ((وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى))^٣ . والذنب في هذه المرتبة الغفلة والتوبة فيه الرجوع إلى الذكر حيث قال جل من قائل ((إن الله لا يحب الغافلين))^٤ ...

والاستقامة في هذه المرتبة هي دوام الذكر كما قال تبارك وتعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَحْفَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نَزَّلْنَا مَنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ

^١ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

^٢ تبرئة الذمة في نصح الأمة ص ٢٥٨ .

^٣ الحج (٣٢) .

^٤ البقرة (١٩٧) .

^٥ لا توجد آية في القرآن بهذا اللفظ .

أَمْسَلِمِينَ))^١ والمقصود بالدعاة في هذه الآيات ساداتنا المشايخ أهل الطرق الصوفية وهم خبراء طريق الرحمن والخبير المطلوب وجوباً لقوله تعالى: ((الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا))^٢ ..
.. ولما كان المطلوب من الذكر الكثرة في العديد من أي الذكر الحكيم، فإن الكثرة لا تحصل إلا إذا وصل الذكر إلى القلب ثم إلى الروح فالاصطلام^٣ .

.. فلهذا كان ساداتنا الصوفية رضوان الله عليهم يفتنون ويبدلون جهوداً كبيرة في الذكر والصلاة على الحبيب المحبوب صلى الله عليه وسلم .. مع أن المولى تبارك وتعالى يطالب النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر في أربعة مواطن ، أولها في سورة المزمل في قوله تعالى: ((وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً))^٤ .. وثانيها في قوله تعالى: ((قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ))^٥ وثالثها في ذكر الله بالقلب في قوله تعالى: ((وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً))^٦ ورابعها في قوله تعالى: ((وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ))^٧ ..

ولا يمكن تطهير القلب كما أسلفنا إلا بكثرة الذكر وكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حيث ينصبغ القلب بنور الاسم ((الله)) فيتطور كما قال جل وعلا: ((اللَّهُ نُورُ أَسْمَوتِ وَالْأَرْضِ))^٨ وحينئذ ينظر بنور الله، ومن ينظر بنور الله لا يخفى عليه شيء، وإن هذه المرتبة كما وضح هي مرتبة عين اليقين ، وعين اليقين هي فتح البصيرة وموطن العلوم اللدنية ، وأول التقرب إلى الله تعالى ، وصاحب هذه المرتبة لم يبق له إلا مرتبة الإحسان^٩ .

الاسم الشرعي ((الإحسان)) وهو العلم الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم^{بكتمه} ليلة الإسراء والمعراج، وهو حق اليقين كما مصطلح المصحف، ويسميه السادة الصوفية ((بعلم الحقيقة)) وهو موطن العبادة، وهو مرتبة روحية وعبادة روحية ومن عظمته وعدم تقييده أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتمه، لأن كل مشاهد إنما يشاهد بقدر بصيرته .. كما في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: ((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ))^{١٠} فقد ربط في هذا الموطن بكاف التشبيه لأنه لم ينف الحواس من محلها بل مدها من خواص أسمائه العظيمة فمثلاً جعل في البصر شيئاً من نور

^١ فصلات (٣٠ - ٢٣) .

^٢ الفرقان (٥٩) .

^٣ الاصطلام . هو : الوله الغالب على القلب ، وهو قريب من الهيمنان ، وقيل هو غلبات الحق ، الذي يجعل كلية العبد مغلوبة له ، بامتحنان اللطف في نفي إرادته . ((معجم مصطلحات الصوفية ، عبد المنعم الحفني ص ١٧))

^٤ سورة المزمل (٨) .

^٥ سورة الأنعام (٩١) .

^٦ سورة الأعراف (٢٠٥) .

^٧ السورة السابقة نفس الآية السابقة .

^٨ سورة النور (٣٥) .

^٩ تبرئة الذمة في نصيح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٥٩ - ٢٦٢ .

^{١٠} سبق تخريجه ص ٢٧٥ ،

اسمه البصير حتى يرى الملك والملكوت والجبروت كله ومد السمع باسمه السميع كما تجلى بذلك على سيدنا موسى بن عمران عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فكان يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة في جنح الليل البهيم من مسيرة سبعين فرسخاً كما في الحديث^١، وهكذا يمد الله العبد المستحق من صفاته النفسية السبع المستعارة للصنف البشري وبها يفضل غيره ولولا هذه الصفات العالية لما صلح الصالحون لتنفيذ الأوامر الإلهية وهذه الصفات العالية هي كونه تعالى عالماً وقادراً ومريداً وحيماً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً ومعنى ذلك أن صفات العبد قد مدت بصفات الرب فيكون عبداً خالصاً لله .

.. وكل هذا دليل بين على استبدال صفات العبد بصفات الرب .. والذنب في هذه المرتبة الغفلة عن المشاهدة ، وهي رؤية النفس أي رؤية وجودها مع وجود الله سبحانه وتعالى .. كما وأن التوبة الرجوع إلى دوام المشاهدة والاستمرار على ذلك .. وأما التقوى في هذه^{المرتبة} أشدة المعرفة بالله وهي لا تتفك عنها أبداً إذ أن الخوف لا يكون^{إلا} من الذي عرفت ضرره ..

.. وكما قدمنا فإن مرتبة الإحسان مرتبة روحية ، والعبادة في هذه المرتبة روحية أيضاً وهي المحبة ، والذكر روحي وهو المعروف عند ساداتنا رضوان الله تعالى عليهم بالاصطلام كما قالوا :

إِذَا مَا ذَكَرْتَ اللَّهَ بِالذِّكْرِ نَفْسَهُ فَلَا هُوَ مَذْكُورٌ وَلَا أَنْتَ ذَاكِرٌ
وَذَاكَ أَنْتَ الذِّكْرُ فِي كُلِّ ذَاكِرٍ إِذَا لَمْ تَعْلَمْهُ مَا أَنْتَ خَائِرٌ
فَكُنْ عَيْنَ ذِكْرِ الذِّكْرِ إِذْ أَنْتَ ذَاكِرٌ يُوْجِهُ سِوَى هَذَا فَإِنَّكَ ظَاهِرٌ

.. ويرى ساداتنا الصوفية رضوان الله تعالى عليهم أجمعين في قوله تعالى : ((فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ))^٢ أن ((فَأَذْكُرُونِي)) بداية ، ((وَاشْكُرُونِي)) نهاية، إذ يرون أن بداية الذكر هو ذكر اللسان المعروف بذكر الغفلة ثم ذكر القلب المعروف بذكر الحضور وبعده ذكر الروح وبعده الاصطلام ثم ذكر الذكر وهو الجزاء على الذكر وبعده الحمد ، فحمد الحمد ، وهو أن يحمد صاحب هذه المرتبة الله تعالى في مواطن الحمد بموجب الحمد على مستلزمات الحمد وذلك بعد أن يجد الفيوضات الإلهية والتجليات الأقدسية فيحمد ربنا جل وعلا ما من عليه ويستمر في ذلك زماناً فإن استقام على هذا فتح له باب الشكر وهو المعروف بالشكر الصغير أو الشكر المزيد الظاهر في قوله تعالى : ((لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ))^٣ وما بعد هذا

^١ لم يثبت حديث صحيح عن نبينا صلى الله عليه وسلم في أن موسى عليه السلام كان يعلم الغيب بل ذلك سنان العقيدة المسيحية في أن الغيب لا يعلمه إلا الله .

^٢ سورة البقرة (١٥٢) .

^٣ سورة إبراهيم (٧) .

إلا الترقى إلى شكر الشكر وهو التخلق بأسماء الله تعالى والظاهر في قوله جل وعلا: ((أَعْمَلُوا
عَالِ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٍ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ))^١ وهذه المرتبة لا نهاية لها وصاحبها في ترقى
مستمر ..

وفي باطن هذه المرتبة- أي بعد المشاهدة -- يسقط الذكر لأن صاحب هذه المرتبة
مشاهد ، والذكر إنما يكون للغائب ويقولون في هذا المعنى :

بِذِكْرِ اللَّهِ تَزْدَادُ الذُّنُوبُ وَتَنْعَكِسُ الْبَصَائِرُ وَالْقُلُوبُ
فَتَرُكُ الذِّكْرَ أَفْضَلَ كُلِّ شَيْءٍ وَشَمْسُ الذَّاتِ لَيْسَ لَهَا غُرُوبٌ

.. عامة الناس مخاطبون بتنفيذ الأوامر الشرعية ، فإذا أتقنوها ارتقوا لمراتب الإيمان
، فإذا أتقنوه ارتقوا لمراتب الإحسان وباب كل ذلك الذكر الذي اختاره السادة الصوفية ويكون
أولاً باللسان كما قدمنا ، ثم بالقلب ، ثم بالروح ، ثم بجميع الجسد فإذا وصل الذاكر إلى هذه
المرتبة صار من أهل المشاهدة فيسقط عنه الذكر لأنه يصير من أهل المشاهدة أي أنه في
حضرة الله دائماً لأن ^{الذكر} إنشاء على المعبود ولا يجوز الذكر في حالة المشاهدة))^٢.

ويستأنس لذلك بقول أحد المريدين الكبار وهو مفوض لجنة الدعوة والإرشاد في الطريقة
البرهانية مخبراً عن السير وترقى المرید في درجات الولاية بما ملخصه : ((المرید ينتقل من
الظاهر إلى الباطن ، فلا إله إلا الله مقامها العرش ، والاستغفار ليس ذكر ، فالذكر يجب أن
يكون خالي المنفعة لا لدفع ضر ولا لجلب منفعة (لا إله إلا الله) ليس ذكر بل كلمة فيها التوحيد
، وأما قولك ((الله)) ذكر و(يا الله) نداء وطلب وليس ذكر لجلب منفعة أو لدفع
ضرر، بعد التهليل (لا إله إلا الله) يأخذ المرید الاسم المفرد (الله) ومحطه الررفرف
الأعلى، وإلى هنا ينتهي السير ، وليس بعد الاسم الله مرمى لرام وهنا يأتي الشيخ فيحمل المرید
حتى يبلغ به إلى ذكر الروح فتشتت منه الملائكة رائحة طيبة فلا تكتب له حسنة ولا سيئة،
فيطووا صحائفهم ويجلسوا حسنة حسنة، فيقولوا لربنا لا نعلم ما يقول هذا العبد فيقول لهم الرب
تبارك وتعالى ساعده وهذا يمشي بالسير، فسير بالشهود، فالحضرات الإلهية والنبوية متجلية
أمامه وهو سائر .

ومراتب الولاية عديدة وعلى الشائع هناك ثلاث مراتب : الإسلام، والإيمان، والإحسان،
فالإسلام باللسان، والإيمان بالقلب، والإحسان بالشهود، والسير بالشرعية، ثم بالاسم، ثم بالقلب،

^١ سورة سبأ (١٣) .

^٢ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٦٢ _ ٢٦٩ .

ثم بالروح، ثم الاصطلام، ثم الطمس^١، ثم السحق^٢، ثم المحق^٣، ثم الفناء، والفناء هو آخر مراتب السير، وفي كل مرتبة توجد سبعون ألف مرتبة من مراتب الولاية^٤ .
الغاية من العبادة عند البرهانية :

يرى البرهانية أن الغاية من العبادة، هي الوصول إلى درجة الشهود و الفناء في الله سبحانه ، وذلك بعد بلوغ العبد أسمى المراتب وهي مرتبة الإحسان ((مرتبة الشهود)) ثم الترقى بعدها إلى درجة الفناء ، وفي مرحلة الإحسان تكون العبادة بالمشاهدة فقط ، بل عبادات الجوارح تعد ذنوباً في حق فاعليها ، في هذه المرتبة ، وفي ذلك يقول محمد عثمان عبده : ((ولكي تتم الفائدة المرجوة فسنحدث هنا بإسهاب عن كل مرتبة من مراتب الدين الثلاث والأعمال التي فيها وأن ساداتنا الصوفية رضوان الله تعالى عليهم يقسمون العمل فيها إلى عبادة وعبودية وعبودة ، ويرون أن العبادة هي الشيء القائم من العبد لإرضاء سيده ليدخله الجنة ويزحزحه من النار وهي مرتبة الإسلام، ويرون أن العبودية هي عمل العبد لمرضاة مولاه من غير أن يطلب جزاءً عليه وهي مرتبة الإيمان كما يرون أن العبودة هي طاعة العبد أو عمله لإرضاء مولاه لأنه يستحق ذلك ويرى نفسه مقصراً في حق مولاه دائماً وأبداً وهي مرتبة الإحسان))^٥ وأما العبادة في مرتبة الإيمان فنكون بالمحبة فقط دون الرجاء والخوف وفي بيان ذلك يضيف محمد عثمان عبده : ((فإذا عمل العبد في مرضاة سيده من غير أن يطلب منه جزاءً على عمله بل لاستحقاقه العمل له من غير جزاء يسمى عمله حينئذ عبودية لوجود الإخلاص فيه ، شأنه شأن العابد في مرتبة الإيمان الذي يعبد الله مخلصاً له الدين دون خوف من ناره أو طمعاً في جنته لأنه أهل للعبادة))^٦ .

مراتب العباد عند البرهانية :

يقول محمد عثمان عبده : ((مراتب العبيد خمسة : وهي :

١/ عبيد الذات : وهم الرسل والأنبياء

٢/ عبيد الصفات : وهم الأولياء

^١ الطمس ، هو ذهاب سائر الصفات البشرية في صفات أنوار الربوبية ، أي نفى صفات العبد في صفات الحق تعالى . ((المعجم الصوفي ، د . عبد المنعم الحفني ، الناشر دار الرشاد ، القاهرة ، دار الرشاد ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، ص ١٦٠)) .

^٢ السحق ، هو : ذهاب تركيبك تحت القهر (الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ، اصطلاحات الصوفية ، إعداد وتقديم دكتور عبد الحميد صالح حميدان الناشر مرمكنية مديولي القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م ، ص ١٣) .

^٣ المحق ، هو فناء وجود العبد في ذات الله تعالى . المعجم الصوفي ، عبد المنعم الحفني ص ٢٢٤ .

^٤ مقابلة شخصية مسجلة مع مفوض لجنة الدعوة والإرشاد بالطريقة البرهانية ، حسين محمود مصطفي الملقب بجقود ، بمنزلة بأم درمان أبي كدوك بتاريخ ٢٠٠١/٦/٢٠م الموافق ١٤٢٢/٧/١٤ هـ . وبنفس الكلام قال مرشد الطريقة البرهانية ، إدريس عمر بلول في مقابلة شخصية معه مسجلة بمنزلة بمدينة عطبرة بتاريخ ١٤٢٢/٤/٩ هـ الموافق ٢٠٠١/٦/٢٩ م .

^٥ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٥٧ .

^٦ المصدر السابق نفس الصفحة السابقة .

٣/ عبید الفهم : وهم علماء الظاهر

٤/ عبید الوهم وهم الفلاسفة

٥/ عبید الدرهم : وهم عامة الناس^١.

والحق أن مراتب العباد الواردة في القرآن الكريم هي ما سبق ذكرها ، وهم الظالم لنفسه ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات ، وفي تقسيم آخر ورد في القرآن الكريم أيضا هم السابقون ، والمقربون ، وأصحاب اليمين ، وأما التقسيم المذكور فلم يرد به شرع ، ولا يؤيده أصل .

والتفريق بين الذات والصفات لا يصح ، فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، فلا يتصور ذات بلا صفات ، كما لا يتصور صفات قائمة بغير ذات ، وفي تسميته لعلماء الشريعة بعلماء الظاهر، ووصفهم بأنهم عبید الفهم فيه استخفاف بهم ، فكل الناس عباد لله تعالى إما عبودية اختيار وطاعة كما هي عبودية المؤمنين ، وإما عبودية ذل وقهر ، كما هي عبودية الكفار كما لا يصح إطلاق لفظ (عبید الدراهم) على عامة الناس ، فليس كل عامة الناس يعبد الدراهم ، فوجود البعض لا يلزم منه التعميم .

وبالنظر إلى ما سبق فإنه يقال :

(أ) الاعتقاد بأن الذكر وحده هو الطريق إلى الله تعالى ، ولو كان شرعياً اعتقاد خاطئ ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((وأما الاقتصار على الذكر المجرد الشرعي مثل قول لا إله إلا الله فهذا ينتفع به الإنسان أحياناً لكن ليس هذا الذكر وحده هو الطريق إلى الله تعالى دون ما عداه بل أفضل العبادات البدنية الصلاة ثم القراءة ثم الذكر ثم الدعاء والمفضول في وقته الذي شرع فيه أفضل من الفاضل كالتسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من القراءة ، وكذلك الدعاء في آخر الصلاة أفضل من القراءة))^١.

(ب) الاعتقاد بأن صفات العبد تستبدل بصفات الرب في مرتبة من مراتب العباد، وهي مرتبة الإحسان والشهود، وترتفع عنه العبادة البدنية، اعتقاد باطل مفض إلى الكفر بالله تعالى .

(ج) وقع تناقض في قول محمد عثمان عبده أن العبد ترتفع عنه العبادة (الذكر) في مرتبة المشاهدة مع قوله : أنه يظل عبداً لله لا يخرج عن العبودية لله تعالى ، فالعبد الذي رفعت عنه العبادة كيف يمكن إطلاق لفظ العبودية عليه؟! أما عبودية الاختيار والطاعة فلا، وأما أن تكون عبودية الذل والقهر التي يشترك فيها المسلمون والكفار فلا مانع من إطلاقها عليه.

^١ المصدر السابق ص ٢٧٠ .

^٢ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١٠ / ٤٠١ .

(د) اعتقاد الوصول إلى الحقيقة وهي الفناء في ذات الله تعالى، ووحدة الوجود والشهود، عن طريق الذكر وأن الذاكر يصل إلى مرتبة لا تخفى عليه خافية، وأنه يكتفم وارداته في تلك المرحلة كما أشار محمد عثمان عبده إلى ذلك ببيت من الشعر وهو :

وَفِي السَّرِّ أَسْرَارٌ دِقَاقٌ لَطِيفَةٌ تُرَاقُ دِمَانًا جَهْرَةً لَوْ بِهَا بَحْنَا^١

فمما لا شك أن هذا اعتقاد باطل مفض إلى الكفر والضلال ، فلو كان ما يضممه أمراً شرعياً لما خاف من البوح به، ولكنه لما كان يعلم أنه باطلاً، وأن البوح به يترتب عليه القتل، وهو حد الردة عن الإسلام امتنع عن البوح به .

ومن التمويه الذي يراد به ستر الباطل وترويج القول بأن الحقيقة علم خاص ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتمانه، وهو سر لا يطلع عليه إلا الخواص، والباطل لا ينفق إلا في سوق الجهل وتغليب الكفر بثوب الحق لا يستر قبحه ، فهو سرعان ما يكشف ويسفر عن وجهه كالح يراه كل من له أدنى نظر ، ولا يخفى على أحد .

(هـ) تقسيم العمل إلى عبادة وعبودية وعبودة في كل مرتبة من مراتب الدين لا يمكن إرجاعه إلى دليل شرعي ، فالعبادة عبادة في أي مرتبة من مراتب الدين الثلاث ، كما أن كلمة (عبودة) لا أصل لها في الشرع واللغة .

^١ ثبوتة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٦٢ .

المطلب الثالث

الاحتفال بالموالد والحواليات

يهتم البرهانية بإحياء وتعظيم العديد من الموالد والحواليات التي يعتبرونها من القربات إلى الله تعالى ، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الصوفية ، في اهتمامهم بتعظيم هذه المناسبات ، والاحتفال بها ، ويعتبر الصوفية عامة أن الاحتفال بالمولد النبوي من باب الطاعات ومن باب القربات إلى الله سبحانه ومن باب المحبة والتوقير للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا شك أن محبته صلى الله عليه وسلم وتوقيره من أعظم الطاعات ، وأجل القربات إلى الله تعالى ، لكن ما هو مفهوم هذه المحبة وهذا التوقير ، وبم تكون المحبة ؟ وبم يكون التوقير ؟ أيا الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم أم باتباعه في أعماله وأقواله ؟ الإجابة قطعاً هي الأخيرة .

ومن الموالد والحواليات التي يحتفل بها البرهانية ، حولية المولد النبوي ، وحولية الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وحولية مؤسس الطريقة الأول إبراهيم الدسوقي ، وحولية مؤسس الطريقة الثاني محمد عثمان عبده، وتعتبر هذه هي الحواليات الرئيسة التي يحتفلون بها، فالمولد النبوي يحتفلون به في عدد من المدن السودانية حسب وجودهم وإمكانياتهم المادية ، ومن أهم المدن التي يحتفلون فيها بالمولد النبوي، الخرطوم والخرطوم بحري، وأم درمان ، وحلفا الجديدة، وغيرها من مدن السودان .وأما حولية الحسين بن علي رضي الله عنه فتقام بالأبيض والدامر ، وأما حولية إبراهيم الدسوقي فتقام بعطبرة وبورتسودان وأم درمان، وأما حولية محمد عثمان عبده فتقام بالمقر الرئيس للطريقة بالخرطوم ، وكوستي ، وحلفا الجديدة ، ويتخلل هذه الاحتفالات مدائح وأناشيد فيها ذكر مآثر المحققين به ، ويعتبر البرهانية هذه القصائد والمدائح ذكراً لله تعالى ، كما للبرهانية ذكر أسبوعي يجتمعون في مساء كل يوم أحد وخميس من كل أسبوع يسمى ب (الحضرة) ، يذكرون فيه جماعة ، ويتخلله بعض القصائد والأناشيد، وتعتبر هذه الحضرة من شعائر الطريقة الدينية، ويهتم بها بعض المريدين ويعتبرونها قرابة وطاعة لله تعالى، ويزار في هذين اليومين قبر محمد عثمان عبده الكائن بالمقر الرئيس للطريقة بالخرطوم السوق الشعبي .

الاحتفال بالمولد النبوي :

يعتقد البرهانية أن الاحتفال بالمولد النبوي أولى من الاحتفال بعيد الفطر والأضحى فقد ورد تحت عنوان :مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي :((والقياس يعطي الأولوية في الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم على الاحتفال بالعيدين وذلك لأن عيد رمضان سببه انقضاء صوم رمضان فيحتفل المسلمون بأول شوال نظراً لأنهم أدوا عبادة عظيمة وهي صوم رمضان ، والعيد الثاني يكون صبيحة يوم عرفة لأن الحج عرفة فيكون اليوم الثاني لعرفة عيد وذلك لإتمام الفريضة وكل من رمضان وعرفة لم يخرجوا عن كونها ركنين أساسيين من أركان الإسلام وهما

فسي الرتبة بلا شك دون الشهادتين كما هو مبين بالكتاب والسنة وعليه إجماع الأمة ولم تكن إحدى الفريضتين من أركان الإيمان مباشرة كالنبوة ، ولم يعرف أحد فرضاً ولا سنة إلا بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا الوجه يكون الاحتفال بأداء الركن الأول من الإسلام له الأولوية على الاحتفال بأداء أي ركن آخر وذلك لوجوب إجلاله وتعظيمه صلى الله عليه وسلم كما أمرنا سبحانه في الآية الكريمة ((وَتُعَزَّرُوهُ وَتُقَرَّبُوهُ))^١ .

وبالنظر إلى ما سبق فإنه يقال :

اعتقاد أن الاحتفال بالمولد النبوي قربة من القربات، وعبادة من العبادات ، وأنها محبة وتوقير للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأن الاحتفال به أفضل من الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى ، اعتقاد خاطئ ، بل هو بدعة من البدع ، بل تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومحبته وتوقيره إنما يكون باتباع سنته علماً وعملاً ، وليس بمعصيته بإحداث عمل لم يعمله هو ولا أصحابه رضوان الله عليهم ، وقد أشد الناس حباً له ومع ذلك لم يثبت أنهم احتفلوا بمولده فضلاً عن أن يعتقدوا أن ذلك الاحتفال قربة من القربات وطاعة من الطاعات ، فمحبته صلى الله عليه وسلم في اتباع سنته ، والسير على هديه في العبادة .

^١ سورة الفتح (٩) .

^٢ رشقات المدام من كلام سيد الأنام انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ص ١٠٨ _ ١٠٩ .

المطلب الرابع الأوراد والأذكار

التعريف بالأوراد والأذكار :

يعرف البرهانية الأوراد بتعريفين، الأول: ((الورد إجمالاً هو إقامة الطاعات في الأوقات))^١، والثاني: ((الأوراد في معناها اللفظي كثرة ذكر الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم والمداومة على هذه الكثرة أو قراءة شيء من القرآن أو في دعاء))^٢.
وبالنظر إلى التعريفين فإن التعريف الثاني فالأوراد فيه مخصوصة بالذكر والمداومة عليه مع الإكثار، وأما التعريف الأول فالمقصود بالأوراد فيه عموم الطاعات، ومحل البحث هو المعنى الثاني.

تعتبر الأذكار والأوراد من الأمور الأساسية، والأركان والدعائم ^{التي} تقوم عليها الطريقة، ولكل طريقة من الطرق الصوفية أوراد يلقتها الشيخ للمريدين، ويأمرهم بالمحافظة عليها حسب الوقت المحدد لها والكيفية، وتعد المحافظة على الأوراد من أهم مظاهر الولاء للشيخ ولطريقته، والمحافظة على الأوراد من الأمور المهمة التي يحصل بها استمرار المرید وثباته على الطريقة، ويعول المریدون على هذه الأوراد في بلوغ المنازل والمراتب العليا من مراتب الولاية والصلاح، وتطهير النفس من شهواتها، ويجتهد المشايخ في رفع مرتبة أورادهم وتفضيلها بفضائل ينالها المرید بتلاوته لها، وهذه الفضائل للأوراد من دوافع المحافظة على الأوراد واختيارها من سائر الأوراد، والاشتغال بها دون غيرها من الأوراد الأخرى، ولكل طريقة أوراد تعرف بالأساس، ضمن أوراد الطريقة، وهذا الأساس من الأهمية بمكان، فهو أساس الطريقة الذي تقوم عليه، فيجب على المرید المحافظة عليه، وعدم تركه بحال من الأحوال، فهو لا يسقط بل يجب قضاءه إذا فات محله .

وللطريقة البرهانية كغيرها من الطرق الصوفية أوراد لها نفس الخصائص السابقة، وفي ذلك يقول محمد عثمان عبده: ((الطريقة شينان حسن عقيدة وأوراد))^٣، ويقول في بيان فضل أوراد طريقته على غيرها من أوراد الطرق الأخرى : ((وهذه الكنوز اختصنا الله سبحانه بها دون غيرنا من أهل الطرق والمسلمين جميعاً من سيدنا آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها))^٤، ويقول في حوار يرويه مع شيخه إبراهيم الدسوقي، في بيان فضل أوراد الطريقة البرهانية : ((قال (والقائل هو إبراهيم الدسوقي) أورادك أنت (يعني محمد عثمان عبده البرهاني)

^١ أنوار الأمين في شرح الأوراد ص ١٩ ، وانتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ٢٠٤ .

^٢ شرح أوراد الطريقة البرهانية ص ٣ .

^٣ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ١٣ .

^٤ المصدر السابق ص ١٠ .

من الملائكة الأعلى ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم - معتمدة من الحضرة الإلهية النبوية والإذن لديك أنت إلى أن قال (والقائل محمد عثمان عبده) وهذا يدل على أن من يقرأ الأساس يضاف إلى سيدي إبراهيم ويقوم بمهام عظيمة ويصبح من أهل الديوان^١). ويقول محمد عثمان عبده: ((وأود أن أوضح شيئاً وهو أنك إذا ارتقيت في أوردك واجتهدت في الذكر وسمعت الخطاب الإلهي فإنك تفقه نطق كل شيء ، والدليل على ذلك أن سيدنا سليمان سمع حديث الهدد ثم أرسله ليسمع حديث الناس ويخبره بما يقولون))^٢ ، ويقول : ((فطريقتنا والحمد لله فاقت كل الطرق ، فلا إذن مثل إذننا ولا أورد مثل أوردنا))^٣ ، ويقول : ((فالمرشد الناجح ليس بفصاحته ، ولكن بقوة أوراده ، فالطريقة قائمة على الأورد ، فالأورد ضرورة فلا بد من إتقانها ، وبقية الأنشطة من بسط واستفتاح وغيره من الكماليات))^٤ .

^١ المصدر السابق ص ٦٢ .

^٢ المصدر السابق ص ٦٧ .

^٣ المصدر السابق ص ٩٣ .

^٤ المصدر السابق ص ٩٤ .

المطلب الخامس

مصادر الأوراد

وردت أقوال متباينة في مصادر أوراد الطريقة البرهانية ، فمن هذه الأقوال قول محمد عثمان عبده : ((وأما الذي أقرأه أنا ونقرأونه أنتم الآن فهو خاص بالأجداد ، وقد وجدته في بيتنا)) ثم أضاف مبيناً ذلك بقوله : ((فأخرجت الأزيار التي قد دفنتها وإذا بها صناديق خشبية مملوءة كتباً فأخذت الكتب فقال لي سيدي إبراهيم إنه ما زالت هناك كتب وجلود . فأخرجتها جميعاً وجمعت منها الأوراد كلها ، وكونت نوتة الأوراد التي تسير عليها الطريقة إلى يومنا هذا ففيها الأحزاب والأوراد))^١ ، ويقول محمد عثمان عبده : ((تعلمت الأوراد من الأقطاب في الرؤيا))^٢ .

وأما أتباع محمد عثمان عبده فقد نقلوا عنه تأكيداً على أنه لم يأخذ أوراد طريقته من كتب بل أخذها من النبي صلى الله عليه وسلم فمما جاء في ذلك ما نصه : ((تنبه : يؤكد سيدي فخر الدين (يعني محمد عثمان عبده) رضي الله عنه على أنه لم ينقل ورثاً لمريديه من كتاب ؛ بل من الحضرة النبوية ، وفي هذا يقول رضي الله عنه :

الأصل عندي سنة من سنة
هو ذا لساني قد أفاد وأخبر))^٣

ويقول محمد عثمان عبده عن مصدر أحد أوراده وهو الحزب الصغير : ((لم يضعه سيدي إبراهيم رضي الله عنه في حياته وإنما نقل عنه رضي الله عنه بطريق التلقين في الرؤيا المنامية لأحد الصالحين بعد وفاة سيدي إبراهيم بحوالي مائة عام ، حيث روى سيدي فخر الدين رضي الله عنه أن هذا الرجل كان يهاجمه شعبان فأنك وهو يعمل في البحر فتوجه زائراً سيدي إبراهيم رضي الله عنه في الرؤيا وأملى عليه الحزب الصغير وقال له : (إذا قرأته ثلاث مرات فلن يصيبك مكروه))^٤ .

المحبة

وللبرهانية في مصادر الأوراد والأحزاب عموماً وتقطيع الآيات - خاصة أقوال هي :
أولاً : أنها أسرار اختص الله سبحانه وتعالى بها الصوفية ، فقد ورد عنهم تحت عنوان :
((المنبع الأصلي لتلقي الأوراد)) : ((وأقطاب الصوفية هم الذين انفرادوا بمعرفة أسرار القرآن ومكوناته لأنهم أخذوه من منبعه الأصلي وهو العرش^٥ الاسم الرحمن (الرَّحْمَنُ) عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)^٦ ومن تعلم القرآن من الرحمن صار نوراً مبيناً والصوفية هم أهل

^١ فبس من نور ، محمد عثمان عبده ص ٧ .

^٢ المصدر السابق ص ١٠ .

^٣ المصدر السابق نفس الصفحة السابقة .

^٤ أنوار الأمين في شرح الأوراد عن سيدي محي الدين ص ٢٥ .

^٥ المصدر السابق ص ١١١ .

^٦ سورة الرحمن الآية ٢٥ .

الاختصاص .. والولي الذي تعلم القرآن من الرحمن يصبح عارفاً بالإشارات القرآنية ومدلول الآيات ، ومعاني تأويلها ، فيجمع ما يشاء لقضاء الأغراض والاستعانة في أمور دينه ودينياه^١ .

ثانياً : قولهم : ((لقد حدث في زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم أن جمع سلمان الفارسي بعض آيات متفرقة من القرآن واتخذ ورداً له يقرؤه كل يوم ، فاشتكاها بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إن سلمان يخط في القرآن يا رسول الله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ؟ فقال سيدنا سلمان : يا رسول الله لقد قلت وقولك الحق : ((مَنْ لَا شِفَاءَ الْقُرْآنَ فَلَا شِفَاءَ لَهُ))^٢ وقلت : ((خذُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا شِئْتَ لِمَا شِئْتَ))^٣ ويقول الحق تبارك وتعالى : ((وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ))^٤ فأنما جمعت من القرآن ما يلزمني ، فأقره الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك قائلاً : ((يَا سَلْمَانَ أَذْهَبَ أَنْتَ الطَّيْبُ الْمُطِيبُ))^٥ وبناء على هذه القاعدة شرع السادة الصالحين أحزابهم وتحاصينهم^٦ .

ثالثاً : دليلهم على شرعية تقطيع الآيات ما ورد عنهم في قوله تعالى : ((وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ فَإِنَّهُمْ يَدْعُونَ بِذَلِكَ مَوْطِنًا يَرْجِعُونَ ، ثُمَّ قَالَ : ((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا))^٧ ولم يكمل الآية لو أكمل لأرجعهم الله إليه وهو يريد بعدهم عنه^٨ ، وردد عنهم أيضاً : ((وعلى هذا فتقطيع الآيات لقضاء الحوائج أمر ضروري، وضرب سيدي فخر الدين رضي الله عنه مثلاً على ذلك فقال : لو أردت أن لا يراك أحد وأنت تسير في الشارع وأردت أن تستعين على ذلك بالقرآن فيمكنك أن تقول : ((لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ))^٩ فهذا هنا حد اللطافة بمعنى أن

^١ شرح أورايد الطريقة البرهانية ص ٤ .

^٢ ورد بلفظ ((من استشفى بغير القرآن فلا شفاء الله)) قال الشوكاني هو موضوع ، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، محمد بن علي الشوكاني ، بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، أشرف على تصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف ، طبع مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م ، ص ٢٩٦ حديث رقم ٤ .

^٣ ليس بحديث بهذا اللفظ ، وليس في شيء من كتب السنة .

^٤ سورة الإسراء (٨٢) .

^٥ ليس بحديث بهذا اللفظ ، وليس في شيء من كتب السنة .

^٦ شرح أورايد الطريقة البرهانية ص ٤ - ٥ .

^٧ سورة النمل (٨٥) .

^٨ سورة الرحمن (٣٣) .

^٩ شرح أورايد الطريقة البرهانية ص ٥ .

^{١٠} سورة الأنعام (١٠٣) .

تكون كالهواء فلا يراك أحد، أما إذا أكملت فقلت ((اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)) فسيخبروك بسر الاسم (الخبير) وذلك لخاصيته في الفكرة والخيرة^١ .

رابعاً: وقد دليلهم على شرعية الذكر بالألفاظ المعجمة ورد قولهم: ((وأما بقية الألفاظ المعجمة في الأوراد فأصلها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مبنية على شيئين: السند الأول: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب من الله سبحانه وتعالى قال: (يا رب لقد جئت بأفضل الديانات لأفضل الأمم في خير الأزمنة، وأجلى محدود، وإبليس اللعين أجله ممدود، وكل الأنبياء جعلت من ظهورهم من يكمل الرسالة ويحافظ على الدين ويهدي الأمة، وأنا يا رب آخر الأنبياء والرسول فمن الذي سيخدم هذا الدين من بعدي) فنزل عليه قوله تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَلِيِّ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ))^٢ والسبع المثاني هم سبع من الرباعيات مخلوقون من نور النبي محمد صلى الله عليه وسلم من الأزل لخدمة الدين الحنيف وهم:

- ١- أربعة ملائكة الله المقربين
 - ٢- الأربعة الملائكة الفلكيين (جبريل، ميكائيل، إسرافيل، عزرائيل عليهم السلام).
 - ٣- أربعة أولو العزم من الرسل (سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم وسيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهم السلام).
 - ٤- أربعة رؤساء الصحابة (سيدنا أبو بكر، وسيدنا عمر، وسيدنا عثمان، وسيدنا علي رضوان الله عليهم).
 - ٥- أربعة عبادلة القرآن (عبد الله بن عمر، عبد الله بن الزبير، عبد الله بن مسعود، عبد الله بن عباس رضي الله عنهم).
 - ٦- أربعة أئمة الشريعة (الإمام أبو حنيفة، والإمام الشافعي، والإمام مالك، والإمام أحمد بن حنبل).
 - ٧- أربعة أئمة التصوف (السيد أحمد الرفاعي، والسيد عبد القادر الجيلاني والسيد أحمد البدوي والسيد إبراهيم القرشي الدسوقي رضي الله عنهم).
- وعلماء الشريعة يقولون إن السبع هي سورة الفاتحة، والصوفية قالوا إن الفاتحة تشير إليهم فقط في قوله تعالى: ((أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

^١ أنوار الأمين في شرح الأوراد ص ٨٩ _ ٩٠ .

^٢ سورة الحجر (٨٧) .

^٣ ليس بحديث بهذا اللفظ، وليس في شيء من كتب السنة .

عَلَيْهِمْ وَلَا أَلِضَّالِّينَ))^١ فهي إشارة إلى هؤلاء المثاني، وقد جاءوا اصطفاة لخدمة هذا الدين أزلاً بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم)^٢ .

((السند الثاني :

يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : ((أُوتِيْتُ جَوَامِعُ الْكَلِمِ لَمْ يُؤْتَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي))^٣ وجوامع الكلم هي الحروف الهجائية (الثمانية والعشرون) ونصف هذه الحروف نوارني ونصفها الآخر ظلماني سئل سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه عن الحروف النورانية فقالها مقيدة في عبارة : (صله سحيراً من قطعك)^٤ وهذه الحروف هي التي بدأت بها بعض السور مثل (الم ، حم ، طس ، طسم ، طه ، حمعسق ، كهيعص ... الخ) وهي حروف نورانية من قرأها يتحصل له نور في قلبه ، ولقد أخذها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تفضلاً ، فأعطى هذه الحروف للسبع المثاني كي يستعينوا بها على محاربة إبليس وهداية الأمة ، فصاغوها في أورادهم كل على بحسب رتبته وعلى قدر ما أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم لكل منهم .

وهذه الحروف المعجزة تسمى بدائرة الإحاطة وقد أخذها الأقطاب من باطن قلب النبي صلى الله عليه وسلم فإذا واطب المرید على قراءتها تدفعه طوعاً أو كرهاً إلى حضرة المصطفى فيلقى التأييد الذي يحميه من تجليات النور الإلهي ويعينه على دوام المشاهدة .

.. وسئل السيد أحمد البدوي فقال وجدت مكتوباً : ((طَهُورٌ بَدَعَقٌ مَحْبَبَةٌ صُورَةٌ سَقَاطِيسٌ سَقَاطِيمٌ صَيْلِصِيمٌ)) ووضعها في أوراده .

ولما سئل الإمام الشاذلي قال : وجدت ((طَهُورٌ بَدَعَقٌ مَحْبَبَةٌ صُورَةٌ سَقَاطِيسٌ سَقَاطِيمٌ أَحُونُ قِ أَدْمُ هَاءٌ آمِينُ)) ووضعها في أوراده .

وسئل السيد إبراهيم القرشي الدسوقي فقال : وجدت مكتوباً ما وجدته الشاذلي ثم وجدت خلع الجمال وخلع الجلال النبوية .

وخلع الجمال معبر عنها ب (بَهَا بَهَا بَهَيَّا بَهَيَّا بَهَيَّا بَهَيَّا بَهَيَّا بَهَيَّا) .. وخلع الجلال من الداخل وهي المعبر عنها ب (هَمْسًا هَمْسًا لَمْسًا لَمْسًا لَمْسًا لَمْسًا لَمُوسًا لَمُوسًا)^٥ .

وورد في شرح الأوراد : ((حم) كررت في القرآن سبع مرات وهي إشارة إلى السبع المثاني ، ورؤساء هؤلاء المثاني على الإطلاق هم سيدنا الحسن وسيدنا الحسين وسيدنا المهدي المنتظر رضي الله عنهم أجمعين .. وأما (حمعسق) فهي مقسمة إلى : (حم) كناية عن الحواميم

^١ سورة الفاتحة (٦ _ ٧) .

^٢ شرح أوراد الطريقة البرهانية ص ٦ _ ٧ .

^٣ سبق تخريجه ١٠١٥م .

^٤ لم يثبت هذا الأثر عن علي رضي الله عنه بسند صحيح .

^٥ شرح أوراد الطريقة البرهانية ص ٧ _ ٩ .

السبعة و (عسق) بمعنى الرؤساء الثلاثة رضوان الله عليهم))^١ ، وورد عنهم أيضاً : ((فإن قال قائل : إن الصوفية يذكرون بأسماء أعجمية أو حروف مقطعة ؛ فهل في ذلك نصوص أو ماثورات ؟ وكانت الإجابة على هذا السؤال بما ينتصه :

(أ) ((الجهل بالشيء ليس دليلاً على عدمه بل هو موجب لطلب العلم ، فليس عدم فهمك أيها المنكر للألفاظ الغريبة عليك في أورد السادة الأعلام أنهم غير عالمين بأسرارها ومكنوناتها .

(ب) الأدب عند الجهل بالشيء هو الصمت بل وحفظ الجوارح عن الإنكار .

(ج) القرآن عربي عند من آمن بالنبي العربي والعكس بالعكس كل على قدر حبه واتباعه وقربه ، فليس كل ما كتب بحرف عربي ينجلي معناه عند كل أحد وإلا ما وقف سواد المسلمين عند أوائل السور من الحروف المقطعة ، فالعبارة بحصول الإيمان وكماله .

(هـ) الإعجام من الرمز ، والرمز إخفاء والإخفاء لازم عند الداعي إلى الله لعله المخاطبة بقدر الأفهام والعقول .

(و) الدندنة لفظ حديثي معناه النطق بعبارة غير مفهومة ، فهذا هو الصحابي يسمع ما يدندن به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يفهم معناه ويسمع ذلك من سيدنا معاذ رضي الله عنه ولا يفهم^٢ ، وذلك من أكد الأدلة على جواز قراءة أحزاب الصوفية بما فيها من العبارات المعجمة سيما وإن كانت من إمام يقتدى به))^٣ .

وتعليقاً على ما سبق فإنه يقال :

أولاً : القول بأن هذه الأوراد بما فيها من ألفاظ معجمة مأخوذة من القرآن الكريم، وأن الأولياء من الصوفية خصوا بمعرفة أسرار القرآن ، لأنهم أخذوه من العرش ، وصاغوا منه هذه الأوراد ، من الباطل الذي يخفى على عاقل ، ولا يختلف فيه اثنان ، فمن المعلوم والمعروف ببداهة العقول أن القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وفسره ، لأصحابه رضي الله عنهم ، وعلمهم كيف يذكرون الله بأذكار وأوراد كثيرة ، وهي لهم ولسائر أمته إلى يوم القيامة ، وليس فيها شيء من أوراد الصوفية ، فمن شرع مع الله تعالى ، ولم يرض بأوراد النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو ضال مضل ، لأن الأمة مأمورة باتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عند الله سبحانه ، ولن يقبل الله تعالى عبادة لم يشرعها، لقوله صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا

^١ المصدر السابق ص ١٢ .

^٢ الحديث ورد بلفظ (لا أحسن) و (ما أحسن) ، أخرجه أبو داود حديث رقم ٧٩٢ ، وابن ماجه ج ١ / ٢٩٥ حديث رقم ٩٤٣ ج ٢ / ١٦٦٥ حديث رقم ٣٩٣٠ ، وأحمد ج ٤ / ٥١٩ ، حديث رقم ١٥٥٩١ ، وابن حبان ج ١ / ٢٠٦ حديث رقم ٨٤٤ ، وابن خزيمة ج ١ / ٢٨٥ ، حديث رقم ٧٢٨ .

^٣ أنوار الأئمة في شرح الأوراد ص ٢٢ - ٢٧ .

فَهُوَ رَدٌّ))^١، فضلاً عن أن تكون هذه الأدكار من الخير الذي فَضَّلَ اللهُ تعالى به علماء الصوفية على غيرهم من الناس .

ثانياً : القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم أقر سلمان الفارسي رضي الله عنه على اتخاذ آيات معينة ورداً لم يثبت في خبر صحيح، ولو ثبت لجاز فيما له معنى من الآيات، وما فهم معناه من الأوراد .

ثالثاً : تقطيع الآيات فيه مخالفة شرعية ، ففي قراءة الآية كاملة تدبر وفهم لمعناها، وأما حذف آخرها مما له تعلق بما قبله، بحيث لا تفهم إلا بما حذف ، فخطأ فاحش ، فالحذف يجعل الآية غير مفهومة المعنى، والله سبحانه أمر بتدبر كتابه فقال سبحانه : ((كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ))^٢، والتدبر لا يحصل إلا بقراءة آيات القرآن كاملة من غير حذف ، أو قطع لآخر الآيات ، والاعتقاد بأن الأغراض لا تقضى إلا إذا قطعت الآيات وحذف آخرها ، فيه نسبة نقص للقرآن الذي فيه الخير والهداية للناس بكامله كما أنزل من غير تقطيع ، ونفع الشيء ليس دليلاً على شرعيته .

رابعاً : ما استدلوا به على جواز الذكر بالألفاظ . المعجزة لم يثبت ، وتفسير السبع المثاني بما ذكروه لم يقل به أحد من أهل العلم بالتفسير ، وهو تفسير باطل ، وأما القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم طلب من الله سبحانه أن يجعل له من يخلفه في خدمة الدين، فلم يثبت حتى في حديث موضوع أنه طلب ذلك، بل الله تعالى تكفل بحفظ دينه، فقال سبحانه: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))^٣ .

خامساً : حيال السند الثاني للأوراد فإنه يقال :

(أ) تفسير جوامع الكلم المذكورة في الحديث النبوي، بأن المقصود بها الحروف الهجائية، تفسير غير صحيح ولم يقل به أحد من أهل العلم، والمعنى الصحيح لجوامع الكلم أن المقصود بها الفصاحة والبلاغة ، و هو الكلام القليل ذو المعنى الكثير، وقد نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله عن الزهري رحمه الله قوله أن المقصود بجوامع الكلم بأنه صلى الله عليه وسلم كان يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني^٤ .

(ب) القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الحروف النورانية لمن أوكلمهم بخدمة الدين من بعده لم يدل عليه دليل شرعي ، كما أن القول بأن بعضها يحصل نور لمن يقرأها قول عار

^١ سبق تخريجه ١٠٦٥ .

^٢ سورة ص (٢٩) .

^٣ سورة الحجر (٩) .

^٤ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١٣ / ٢٤٧ .

عن الدليل ، بل القرآن بما فيه من كلمات ذوات معانٍ مفيدة، يحصل به كله هداية للخلق وسعادة .

(ج) لم يعط النبي صلى الله عليه وسلم حروفاً منفردة ، بل أعطي القرآن بما فيه من كلمات ذوات معانٍ ، وهذه الحروف من جملة القرآن ، وهي لا تعطي معنى منفردة ، وتفسير هذه الحروف بما ذكره غير صحيح ، والذي عليه جمهور المفسرين في تفسير الحروف المفتوح بها أوائل السور ، أن فيها بيان إعجاز القرآن الكريم ، ووجه ذلك أن القرآن نزل بلغة العرب المؤلفة من كلمات المؤلفة من أحرف ، ومع هذا فقد تحداهم وأعجزهم على أن يأتوا بسورة من مثله أو بآية ، مع أنهم أهل هذه اللغة التي نزل بها القرآن ، وأهل الفصاحة والبلاغة^١ ، ومما يعضد صحة هذا التفسير ويدل على رجحانه ، أن أغلب السور المفتوحة بهذه الأحرف ورد بعد الأحرف مباشرة ذكر القرآن ، وصفاته ، فمن ذلك قوله تعالى : ((الْمَذَلَّةُ أَلْكَتَابُ لَا رَبِّبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ))^٢ وقوله تعالى : ((الر تِلْكَ آيَاتُ أَلْكَتَابِ أَلْمُبِينِ))^٣ وقوله تعالى : ((الر تِلْكَ آيَاتُ أَلْكَتَابِ أَلْحَكِيمِ))^٤ وقوله تعالى : ((طسّم * تِلْكَ آيَاتُ أَلْكَتَابِ أَلْمُبِينِ))^٥ وقوله تعالى : ((ص وَالْقُرْآنِ ذِي أَلذِّكْرِ))^٦ وقوله تعالى : ((ق وَالْقُرْآنِ أَلْمَجِيدِ))^٧ وغيرها كثير ، وأما تفسير البرهانية للحروف المفتوح بها أوائل السور لم يقل به أحد من أهل العلم بالتفسير .

(د) القول بأن هذه الأحرف أخذها أقطاب الصوفية من قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، أو أنه أعطاهم إياها لمحاربة إبليس وهداية الأمة، قول متهافت وتهافته يغني عن الرد عليه .

(هـ) فيما يخص ما أوردوه في أنوار الأمين من أجوبة عن شرعية الذكر بالألفاظ المعجمة، والحروف المقطعة فعلى ذلك جوابان أحدهما إجمالي والثاني تفصيلي ، أما الإجمالي فهو لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم دليل صحيح صريح أنه ذكر الله تعالى بلفظ معجم لا يفيد معنى ، وأما الجواب التفصيلي فهو :

- (أ) العلم بالشيء وفوائده و أسرارهِ ليس دليلاً على شرعيته .
- (ب) الأدب عند الجهل بالشيء السؤال عنه وطلب العلم به ، خاصة إذا تعلق بأمر شرعي ، والمأمور به شرعاً إنكار ما أنكره الشرع ، ومما أنكره الشرع الابتداع في العبادة والدين

^١ تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ج ١ / ٦٠ .

^٢ سورة البقرة (١ - ٢) .

^٣ سورة يوسف (١) .

^٤ سورة يونس (١) .

^٥ سورة الشعراء (١ - ٢) .

^٦ سورة ص (١) .

^٧ سورة ق (١) .

(ج) تقدم الكلام على أنه ليس في القرآن ما لا يفهم معناه من الألفاظ ، وقد نزل بلغة العرب ، وأمر الله تعالى بتدبره ، ولو سلم ذلك لسلم القول بأن الله سبحانه قد تعبد العباد بما لم يفقهوه ، كما أن الله لم يتعبدنا بأقوال العباد وإن كانت مفهومة إلا الرسل .

(د) لقد نفى الله سبحانه فقه العباد لتسييح مخلوقاته المسبحة بحمده ، فقال : ((وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ))^(١) ، ولو فرض جدلاً أن بعض العباد يفقه هذا التسييح ، لم يدل ذلك على أن الله تعبد عباده بذلك التسييح .

(هـ) مما يناسب مخاطبة الناس على قدر عقولهم إيضاح الكلام ، باستعمال العبارات السهلة الواضحة ، وليس باستعمال الرمز والإخفاء والكلمات غير المفهومة المعنى ، الغامضة ، فالقول بأن^{ذلك} من باب مخاطبة الناس على قدر عقولهم فيه من التناقض الذي لا يخفى على عاقل .

(و) الاستدلال بالحديث الذي ورد فيه لفظ الدندنة على شرعية الذكر بالألفاظ المعجمة استدلال غير صحيح ، إذا الحديث لم يرد بلفظ لا أفقه أو أفهم وإنما ورد بلفظ لا أحسن ، والفرق بين العبارتين واضح ، ولو فرض وجود رواية بلفظ لا أفهم لحمل ذلك على عدم سماعه للكلام لانخفاض صوت المتكلم ، لا لأنه يتكلم بكلام غير مفهوم ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ يسألان الله الجنة ويستعيذان به من النار ، بعد قراءة التشهد الأخير في الصلاة ، ومعلوم أن الصلاة ليس فيها ذكر أو دعاء بلغة غير العربية . ومن أكد الأدلة على عدم شرعية الذكر بالألفاظ المعجمة ، وأنها بدعة ، أنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه ذكر أو دعاء اشتمل على لفظة ولو واحدة معجمة ، وعليه فإسناد هذه الأوراد البدعية إلى الشرع دونه خرط القتاد .

وقد اشتملت بعض الأوراد على تسمية الله سبحانه بما لم يسم به نفسه أو يسمه به الرسول صلى الله عليه وسلم ، من الألفاظ المعجمة ، إضافة إلى التوسل بذوات بالمخلوقات ومنها البشر ، فمما ورد في ذلك ما يلي :

وَبِالْجُودِ يَا رَبَّ الْجُودِ وَالْهُدَى
يَا سَمَانِكَ الْحُسْنَى بِمَكْنُونٍ سَرَّهَا
بِسِرِّ طَهْرٍ بَدَعَتْ حَاءَ مَحَبَّتِهِ
بِمَحَبَّتِهِنَّ فَتَحَا لِقْفُلَ قُلُوبِنَا
وَيَا سَقْفَاطِيسُ صَاحِبِ الْحَمْدِ وَالثَّنَا
أَحْوُونَ وَقَافٌ مَعَ أَدَمٍ أَدَمٌ لَنَا
وَبِالْفَيْضِ يَا رَحْمَنُ أَجْزَلُ عَطِيَّتِي
بِأَعْظَمِهَا اللَّهُمَّ نَقَدْ مَقَالَتِي
مُفِيضُ الْعَطَايَا صُورَةٌ أَنْتَ عُدَّتِي
وَيَا نُورَ عَيْنِ النُّورِ حَقَّقْ عِبُودَتِي
عَظِيمٌ سَقَاطِيمٌ وَكَافِي السُّبْرِيَّةِ
رِضَاكَ وَهَبْنَا مِنْكَ فَيْضَ الدَّرَايَةِ^٢

^١ سورة الإسراء (٤٤) .

^٢ مجموعة أوراد الطريقة البرهانية ص ١١٠ - ١١١ .

ومما ورد في التوسل بذوات المخلوقات :

وَبِالْأَوْلِيَاءِ الْكَامِلِينَ وَسِرُّهُمْ
وَمَنْ رَفَعُوا ثَوْبَ الْجَبَابِ وَشَاهَدُوا
وَلَا سِيَّماً أَسْتَأْذِكُمْ كُلُّ مَكْمَلٍ
وَنَجَلِي أَبِي الْمَجْدِ الدُّسُوقِي إِمَامُنَا
هُوَ الْقَطْبُ إِبْرَاهِيمُ كَنْزُ حَقَائِقِ
وَيَالِغَوْثِ عَبْدُ الْقَائِرِ أَرْفَعُ مَقَامَنَا
يَكُلُّ الْمَجَالِي وَالْعَوَالِمِ وَالْقَلَمِ

وَأَهْلِي الْمَقَامَاتِ الْعُلَا وَالْكَرَامَةِ
وَمَنْ مَلَكُوا التَّضْرِيْفَ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ
ضِيَانَا أَبُو الْعَيْنِينَ سِرُّ الطَّرِيقَةِ
حَمِيدُ السَّجَايَا ذُو الْبَهَا وَالْمَهَابَةِ
وَمَنْبَعُ أَسْرَارِ الْعُلَا وَالْوَلَايَةِ
وَبَابِنِ الرَّفَاعِي أَحْمَدَ الْقَلْبِ ثَبَّتْ
وَلَوْحَ وَكُرْسِيِّ وَعَرْشِ وَسِدْرَةِ^٢

وبالنظر إلى هذه التوسلات لا يخفى ما فيها من مخالفات شرعية، تناقض العقيدة الإسلامية الصحيحة، إذ أن أسماء الله سبحانه الحسنى توقيفية ومصدرها القرآن والسنة، فلا يصح تسميته سبحانه بما لم يرد في الكتاب والسنة، ومن حسن أسمائه تعالى وضوح معانيها ، فهي أعلام وأوصاف فمن سوء الأدب معه تعالى، بل ومن الإلحاد في أسمائه، تسميته بما لم يسم به نفسه من الأسماء المعجمة غير مفهومة المعنى، التي يأنف الإنسان أن يسمي بها ولده فضلا عن ربه وخالقه، فمن قواعد الأسماء والصفات أن كل صفة كمال اتصف بها الإنسان فالخالق سبحانه أولى بها لأنه معطيها ومعطي الكمال أولى به ، وكل صفة نقص تنزه عنها المخلوق فتنزيه الخالق منها أولى، وقد توعد الله تعالى الملحددين في أسمائه بقوله : ((وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))^٣ .

وأما التوسل بذوات الأولياء الذين أسند إليهم التصرف في الكون ، فمن الباطل الصريح ، وفيه من الشرك بالربوبية ، فالتصرف في الكون لا يملكه أحد غير الله تعالى ، فمن ادعي مشاركته سبحانه في التصرف فقد ادعي الربوبية ، وقد قال سبحانه : ((وَقُلِ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا))^٤ .

فالوسيلة شرعاً هي : ما يتقرب به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة^٥ ، وليست ذوات المخلوقات من الأعمال، ولو فرض أن المقصود التوسل بمحتبهم، لما شرع ذلك لما ورد من الغلو فيهم المفضي إلى تأليههم، وذلك بوصفهم بالتصرف في كل بقعة من الكون ، وأما التوسل

^١ المصدر السابق ص ١٢٠ _ ١٢٣ .

^٢ المصدر السابق ص ١١٩ .

^٣ سورة الأعراف (١٨٠) .

^٤ سورة الإسراء (١١١) .

^٥ التوسل أنواعه وأحكامه ، محمد ناصر الدين الألباني ، طبع المكتب الإسلامي بيروت ، ١٤٠٦ هـ _ ١٩٨٦ م ، ص ١٥ .

ببقية المخلوقات ، اللوح و القلم و الكرسي ، فهي مما لا يصح التوسل بها لكونها ذوات وليست أعمال .

وللبرهانية كفيات في الذكر ، منها الذكر الجماعي في هيئة حلقة وهم جلوس أو قيام ، ويستدلون لذلك بنصوص من القرآن والسنة منها قوله تعالى : ((وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا))^١ يقول محمد عثمان عبده بعد ذكره لهذه الآية : ((بطريق الجمع في كل الآي كما من بيان حضرة من أسند الله تعالى إلى حضرته البيان والتبيين من قوله الشريف : ((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))^٢ وفي قوله : ((إِنْ لِلَّهِ مَلَائِكَةٌ يُلْتَمَسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجِدُوا حَلْقَةَ تَدَاعَوْا إِلَيْهَا هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ حَتَّى يَبْلُغُوا الْعَنَانَ))^٣ .. ومن قوله الشريف صلى الله عليه وسلم حين دخل مسجده فوجد حلفتين حلقة علم وحلقة ذكر فجلس في حلقة العلم وقال (إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا)^٤ .

ومن كفيات الذكر لدى البرهانية ، الذكر وقوفاً متمائلين ، فتحت عنوان : ((التمايل في الذكر والمدايح)) يقول محمد عثمان عبده : ((وأما تمايل الذاكر في الذكر فهو حالة طبيعية وعادة فطرية فطر الله الناس عليها وذلك إذا ما رأى شعيرة من شعائر الله تعالى أو آية من آيات عظيم قدرته أو بديع صنعته فإن الروح التي جعلها الله تعالى في عباده من المؤمنين تهيج وتحسن إلى تلك العظمة الربانية فلا يسعها إلا الاضطراب والاهتزاز الخارج عن حالته العادية))^٥ .

ويقول محمد عثمان عبده : ((وأما النشيد على الذكر فهو من باب تشجيع الذاكر على الذكر ليجمع همته ويطرب قلبه ويتعلق بالمذكور فتتحرك الروح في الجسد فيحصل له الوجل من الله تعالى والخشية منه تبارك وتعالى))^٦ .

ومن الكفيات في الذكر استعمال الطبل والبندار والطاس والصفير والمزمار ، يقول محمد عثمان عبده : ((وأما الطبل والبندار والطاس والصفير والمزمار فهي من قبيل الدعاية التي أمر الله بها في كتابه العزيز فقوله تعالى : ((وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

^١ سورة الأحزاب (٢٥) .

^٢ أخرجه مسلم ج ٨ / ٧١ حديث رقم ٦٨٠٣ وأبو داود حديث رقم ١٤٥٦ .

^٣ أخرجه البخاري ج ٥ / ٢٣٥٩ ، حديث رقم ٦٢٦١ ، وابن حبان ج ١ / ٢٠٤ ، حديث رقم ٨٣٣ .

^٤ أخرجه ابن ماجة ج ١ / ٨٤ حديث رقم ٢٣٣ ، والدارمي ج ١ / ٩٩ حديث رقم ٣٥٤ ، وقال البوصيري في الزوائد (ق ١٦ /

٢) (فيه داود وبكر وعبد الرحمن وهم ضعفاء) ، وقال العراقي في تخريج الإحياء (سننه ضعيف) وضعفه الألباني في سلسلة

الأحاديث الضعيفة ، طبع المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ، ج ١ / ٢٢ - ٢٣ حديث رقم ١١ .

^٥ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ٢٢٨ .

^٦ المصدر السابق ص ٢٣١ .

^٧ المصدر السابق ص ٢٢٩ .

ما يُنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ))^١ وفي قوله تعالى : ((وَعَظَّمْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا))^٢ وفي قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ))^٣ يعني كل كلام فيه تحريض وتشجيع وبيان لما سيكون فهو دعاية والدعاية إلى الذكر ذكر ، والدعاية إلى الخير خير ، فمن أراد أن يدعو إلى ذكر الله تعالى فليفعل بكافة طرق الدعاية من القول والإعلان عن ذلك بكافة طرقه وهو من عمل الخير .

هل رأيت مطبلاً أو مزمرأ يذكر ؟ كلا بل هم كل مشغغل بما في يده ملتفت لإتقانه مع النقم والحركة فهو دعاية للذكر وهو حسن مشجع محرض مهيج وليسوا هم في ذكر اللهم إلا أن يقال (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) وأما بيان السنة في نشر الدعاية وتعليم العباد لها فهو كثير وكان يكفينا أمر الله تعالى لحضرته صلى الله عليه وسلم في الكتاب والعزير وبيانه فيه فمنها إرسال حضرته صلى الله عليه وسلم _ الكتب للملوك _ وإرسال أصحابه إلى الجهات لنشر الدعوة الإسلامية))^٤ .

وبالنظر إلى كيفية الذكر السابقة فإنه يقال :

أولاً : النصوص المستدل بها على الكيفية الأولى ، وهي الذكر الجماعي في حلقات لا تنص عليه الأدلة المذكورة ، بل غاية ما فيها اشتراك المسلمين في صفة الذكر لا الاجتماع للذكر بصوت واحد ، أو بتداول الذكر ، فلو اجتمع عشرة من المسلمين في مسجد من المساجد وذكر كل واحد من الله تعالى على انفراد لجاز إطلاق لفظ ((ذاكرين)) عليهم مع عدم اجتماعهم على ذكر واحد ، ولو اشترك خمسة من المسلمين في المحافظة على الأذكار المقيدة بمناسبات مخصوصة كأذكار دخول المسجد والخروج وذكر دخول الخلاء وأذكار النوم وركوب الدابة ، مع اختلاف أماكنهم وزمانهم ، لجاز إطلاق لفظ ((ذاكرين)) عليهم ، فظهر بهذا أن إطلاق هذا اللفظ لا يلزم منه الاجتماع على الذكر فضلاً عن أن يكون في حلقة وبلفظ واحد .

ثانياً : مفهوم الذكر الوارد في قوله تعالى : ((وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ))^٥ أعم من ذكر الله بالتسبيح والتهليل والتحميد ، بل كل طاعة لله تعالى فهي ذكر له سبحانه ، يقول الإمام النووي^٦ رحمه الله تعالى : ((اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل

^١ سورة التوبة (٩١) .

^٢ سورة النساء (٦٣) .

^٣ سورة الأنفال (٦٥) .

^٤ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبيد ص ٢٣٥ .

^٥ سورة الأحزاب (٣٥) .

^٦ سبقت ترجمته .

والتحميد والتكبير بل كل عامل لله بطاعة فهو ذاكِر الله تعالى كذا قاله سعيد بن جبیر^١ رضي الله عنه وغيره من العلماء وقال عطاء^٢ رحمه الله: ((مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام ، كيف تشتري وتبيع وتصلي وتصوم وتتكح وتطلق وتحج وأشباه هذا ، ثم قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ((إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ)) إلى قوله تعالى: ((وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ))^٣ وروينا في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ)) قالوا وما المفردون يا رسول الله؟ قال: ((وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ)) قلت: روي المفردون بتشديد الراء وتخفيفها ، والمشهور الذي قاله الجمهور التشديد ، واعلم أن هذه الآية مما ينبغي أن يهتم بمعرفتها صاحب هذا الكتاب وقد اختلف في ذلك ... قال ابن عباس: المراد يذكرون الله في أدبار الصلوات وغداً وعشياً ، وفي المضاجع ، وكلما استيقظ من نومه ، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى ، .. وقال عطاء من صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله تعالى: ((وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ)) .

وقد ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا أَيَقُظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلِّ أَوْ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ))^٤ .

وسئل الشيخ أبو عمرو بن الصلاح^٥ رحمه الله عن القدر الذي يصير به من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، فقال إذا واطب على الأذكار المذكورة المثبتة صباحاً ومساءً في الأوقات والأحوال المختلفة ليلاً ونهاراً وهي مبينة في كتاب عمل اليوم والليلة كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات والله أعلم^٦ .

^١ هو سعيد بن جبیر هو أبو عبد الله سعيد بن جبیر بن هشام الأسدي مولى بني واليه ، كوفي أحد الأعلام التابعين ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ، قتله الحجاج بن يوسف في شعبان من سنة خمس وتسعين ، وقيل أربع وتسعين للهجرة بواسط ، ((وفيات الأعيان ج ٢ / ٣٧١)) .
٢٧١٤

^٢ سبقت ترجمته .

^٣ سورة الأحزاب (٣٥) .

^٤ أخرجه مسلم في الذكر والدعاء ، باب الحث على ذكر الله تعالى (٤ / ٢٠٦٢) ، و الترمذي ج ١٠ / ٥٦ ، حديث رقم ٣٧٣٨
^٥ أخرجه أبو داود ، حديث رقم ١٣٠٩ ، وابن حبان ج ١ / ٢٣٠ ، حديث رقم ٢٥٤٣ ، وابن ماجه ج ١ / ٤٢٤ ، حديث رقم ١٣٧٦ .

^٦ هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الشهرزوري ، المعروف بابن الصلاح ، الفقيه الشافعي ، كان أحد علماء عصره في التفسير والحديث والفقهاء ، ولد سنة ٥٧٧ هـ ، له عدة مصنفات منها : (التقييد والإيضاح) المعروف بمقدمة ابن الصلاح ، وهو في علم مصطلح الحديث ، توفي في دمشق سنة ٦٤٣ هـ ، (وفيات الأعيان ج ٣ / ٢٤٣) .
١١٨١
١٣٤٥

^٧ الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم ، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، طبع دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الخامسة عشرة ١٤٠٦ هـ _ ١٩٨٦ م ، ص ٩ _ ١٠ .

وقال ابن حجر^١ في شرح المشكاة : ((مجالس الذكر مجالس سائر الطاعات ، ومن قال هي مجالس الحلال والحرام أراد التخصيص على أخص أنواعه .. وفي المفهم للقرطبي مجلس ذكر يعني مجلس علم وتذكير ، وهي المجالس التي يذكر فيها كلام الله وسنة رسوله ، وأخبار السلف الصالحين وأخبار الأئمة الزهاد المتقدمين المبرأة عن التصنع والبدع والمنزهة عن المقاصد الرديئة والطمع))^٢ .

ثالثاً : الحديث المذكور للاستدلال به على مشروعية الذكر بالصفة المذكورة وهو أنه صلى الله دخل المسجد فوجد فيه حلقتين حلقة علم وحلقة ذكر ، لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بسند صحيح ، وأما التمايل في الذكر فلم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه رضي الله عنهم ، وكذا النشيد والمدائح ، وما ذكره محمد عثمان عبده من تغليل فليس بصحيح ولا متجه ، إذ العبادة توقيفية فلا يصح إدخال ما ليس منها فيها .

رابعاً : الأذكار والأوراد من العبادات والعبادات توقيفية ، لا تصح فيها الزيادة ولا النقصان فمن رتب لنفسه أو لغيره أذكراً وأوراداً لم يرد بها الشرع فقد ابتدع ، وعمله مردود غير مقبول ، لقوله صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))^٣ ((وَمَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ))^٤ ((وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ))^٥ .

والدليل على أن الأذكار والأوراد توقيفية ما ورد عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ((إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ، ثُمَّ قُلْ : ((اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَالْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ، فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ أَجْرًا تَتَكَلَّمُ بِهِ)) قَالَ : فَرَدَدْتُهُا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا بَلَغْتَ : ((اللَّهُمَّ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ)) قُلْتُ : وَرَسُولِكَ قَالَ : ((لَا وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ))^٦ فمنعه النبي صلى الله عليه وسلم من استبدال كلمة بكلمة مع استقامة المعنى فكيف بمن يبدل الأذكار الشرعية الثابتة بأذكار بدعية لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم .

^١ سبقت ترجمته .

^٢ الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، هامش ص ٩ .

^٣ سبق تخريجه من ١٠٦ .

^٤ سبق تخريجه من ٨٩ .

^٥ أخرجه مسلم ج ٢ / ٥٩٢ حديث رقم ٨٦٧ ، وأبو داود ج ٥ / ١٤ ، حديث رقم ٤٦٠٧ ، و الترمذي ج ٥ / ٤٤ حديث رقم ٢٦٧٦ ، وابن ماجه حديث رقم ٤٢ ، والحاكم ج ١ / ٩٥ - ٩٦ ، وابن أبي عاصم ج ١ / ١٧ ، ٢٠ ، ٢٩ ، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة ج ١ / ١٧ .

^٦ أخرجه البخاري ج ١ / ٣٧٥ حديث رقم ٢٤٧ ، وج ١١ / ١٠٩ ، ومسلم ج ٤ / ٢٠٨١ حديث رقم ٢٧١٠ .

يقول الحافظ ابن حجر في شرح الحديث السابق : ((وأولى ما قيل في الحكمة في رده صلى الله عليه وسلم على من قال : الرسول بدل النبي، أن ألفاظ الأذكار توفيقية ، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به .. فيقتصر فيه على اللفظ الوارد بحروفه ، وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف ، ولعله أوحى إليه بتلك الكلمات فتعين أدائها بحروفها))^١ .

خامساً : ما ورد عن البرهانية من تأثير وانتفاع بالأوارد غير الشرعية ، والاستفادة منها في تحصيل بعض الأمور المرادة والمطلوبة ، لا يدل على شرعية تلك الأوراد ، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى وهو يتحدث عن البدع : ((ومن نوادرها التي لا ينبغي أن تغفل ما جرى به عمل جملة ممن انتمى إلى طريقة صوفية من تربصهم ببعض العبادات أوقاتاً مخصوصة غير ما وقته الشرع فيها ، فيضعون نوعاً من العبادات المشروعة في زمن الربيع ونوعاً آخر في زمن الصيف .. وربما وضعوا لأنواع من العبادات لباساً مخصوصاً وأشبه ذلك من الأوضاع الفلسفية يضعونها شرعية، أي متقرباً بها إلى الحضرة الإلهية في زعمهم، وربما وضعوها على مقاصد غير شرعية، كأهل التصريف بالأذكار والدعوات ليستجلبوا بها الدنيا من المال والجاه والحظوة ، بل ليقتلوا بها إن شاءوا أو يمرضوا، أو يتصرفوا وفق أغراضهم فهذه كلها بدع محدثات بعضها أشد من بعض، لسبب هذه الأغراض عن مقاصد الشريعة الإسلامية المرفوعة عن مقاصد المتخرفين ، مطهرة لمن تمسك بها عن أضرار اتباع الهوى ، إذ كل متدين بها عارف بمقاصدها، ينزهها عن أمثال هذه المقاصد الواهية .

وهذا كله إن فرضنا أصل العبادة مشروعاً فإن كان أصلها غير مشروع فهي بدعة حقيقية مركبة كالأذكار والأدعية يزعم العلماء أنها مبنية على علم الحرف .. فإن ذلك العلم فلسفة أطف من فلسفة معلمهم الأول وهو أرسطوطاليس، فردوها إلى أوضاع الحروف ، وجعلوها هي الحاكمة في العالم ، .. فإذا توجهوا بالذكر والدعاء المفروض على الغرض المطلوب حصل ..

فإن قلت : فلم يحصل التأثير حسب ما قصدوا ؟ فالجواب إن ذلك في الأصل من قبيل الفتنة التي اقتضاها في الخلق ((ذلك تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ))^٢ فالنظر إلى وضع الأسباب والمسببات أحكام وضعها البارئ تعالى في النفوس يظهر عندها ما شاء الله من التأثيرات ، على نحو ما يظهر من المعيون عند الإصابة، وعلى المسحور عند عمل السحر، بل بالسحر أشبه لاستمدادها من أصل واحد .

^١ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١١ / ١١٢ ، ونحوه ج ١ / ٣٥٨ .

^٢ سورة الأنعام (٩٦) وسورة يس (٣٨) .

قدسه ، سبحوه برباب وعود سبحوه بدف ورقص سبحوه بأوتار ومزمار ، سبحوه بصنوج الهتاف))^١ .

ويقول الدكتور زكي مبارك : ((الرقص والتواجد في حلقات الذكر لا يمكن رجعه إلى أصول إسلامية صحيحة ، وإنما هو أسلوب قديم عرفه الناس في الديانات القديمة وكانت له صور شائعة في عهود الوثنية ، فبعض الآلهة كانوا ظرفاء ويحبون لأتباعهم أن يتقربوا إليهم بالرقص والغناء والمجون))^٢ .

^١ الكتاب المقدس العهد القديم الطبعة الأولى ١٩٩٣ م ، العهد الجديد ، الطبعة الرابعة ١٩٩٣ م ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، جمعية الكتاب المقدس في لبنان ، ص ٧٨٨ .

^٢ مصرع الشرك والخرافة ، خالد محمد علي ، حققه وراجعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، من مطبوعات إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، ص ٤٩٦ .

المطلب السادس

فضائل بعض أوراد البرهانية

فضل الأساس وأهميته :

ورد تحت عنوان : ((ما جاء في فضل الأساس وأهميته)) ما نصه : ((من الأمور البديهية التي لا يختلف فيها اثنان أن أي مشيد لبناء لا بد له من عمد وأساس يقوم عليها بناؤه وبدونها لا يكون ، وما دمت قد شرعت في البناء وهينت نفسك لإقامة الأساس فلا بد من استكمال البناء فلا يتصور بناء دون أساس ، و لا أساس لا بناء فيه ، هذا أمر غير معقول ، وكذلك الحال والشأن في طريقتنا هذه فأساسها الذي تركز عليه هو الأساس الوارد في أورادها))^١ .

والأساس يقرأ بعد الصبح وبعد العصر ، وصيغته : بسم الله الرحمن الرحيم مائة مرة ، واستغفر الله العظيم هو التواب الرحيم مائة مرة ، لا إله إلا الله مائة مرة ، يا دايم ثلاثمائة مرة ، اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم مائة مرة^٢ .

أما بقية أوراد الطريقة فهي : الفواتح ، وخاتم الصلوات ، والتحصين الشريف ، والحزب الكبير ، والصلاة المحمدية ، وصلاة ابن بشيش ، والحزب السيفي ، الحزب المغني ، وحزب البحر ، وحزب النصر ، والتوسل ، وتوسل السادة البرهانية ، والأوراد المربوطة بعد مرة بعد صلاة الصبح ومرة بعد صلاة العصر ، وهي من الأوراد السابقة^٣ .

والمقصود بالفواتح ، قراءة سورة الفاتحة وسورة الإخلاص وإهداء ثواب القراءة لسلسلة مشايخ الطريقة ، وللفواتح فوائد عديدة تعود المرید منها :

(أ) شرط لتحقيق المحبة الواجبة لمشايخ الطريق .

(ب) يدخل المرید تحت شفاعة المشايخ بقراءته الفواتح لهم .

(ج) يأمن المرید على نفسه وأهله .

(د) يكون المرید في معية الصالحين .

(هـ) تحصل للمرید الصلة بينه وبين ربه^٤ .

وأما الأوراد المربوطة التي تقرأ يومياً بعد الصبح وبعد العصر ، فهي : الأساس مرة واحدة ، والحزب الكبير مرة واحدة ، والتحصين الشريف مرة واحدة ، الحزب الصغير ثلاث مرات ، والصلاة المحمدية ، وصلاة ابن بشيش مرة واحدة^١ .

^١ شرح أوراد الطريقة البرهانية ص ١٧ .

^٢ أوراد الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ص ١٠ .

^٣ أوراد الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ص ١٣١ .

^٤ أنور الأمين في شرح الأوراد ص ٤٦ _ ٤٧ .

وتنقسم الأوراد عامة إلى أربعة أقسام وهي :

(أ) أوراد سير إلى الله تعالى ، وهذه يعطيها المرشد للمريد ، ويوضح لها صيغتها ، وعددها ، وينقله من ورد إلى آخر حسب ترقيه .

(ب) أوراد ضرورية بمعنى أن المريد إذا تركها وجب عليه قضاءها،منها الأساس .

(ج) أوراد اختيارية ،وهي تقرأ بمناسباتها ،وهي الأحزاب الخمسة ،ماعداحزب السيف .

(هـ) أوراد كمالية ، منها حزب السيف^٢ .

ويضاف للمريد في بعض الأوراد أسماء أعجمية ، يقولون أنها أسماء الملائكة الموكلة بهذا الورد أو الحزب ، يذكر بها المريد عندما يحتاج إلى حصول مطلوب ذي شأن ، نحو طلب الرزق ، والعمل ، والسفر ، والزواج ، فمن هذه الأسماء التي تذكر في الأوراد قولهم : ((أجب يا دهيائيل ويا مهيائيل ويا عصفهياييل ويا صفيهياييل توكلوا بعمل كذا وكذا))^٣ ، وتشتمل بعض الأوراد على هذه الكلمات المعجمة غير العربية ، وغير المفهومة ، فمنها ما ورد في التحصين الشريـف : ((من أراد لي سوء خذله الله همساً همساً لمساً لمساً لموساً لموساً مأموناً مأموناً أنا الأسد سهمي))^٤ وفي الحزب الكبير : ((اللهم أَمِنًا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَهُمْ وَغَمٍّ وَكَرْبٍ كَدِّ كَرْدٍ كَرْدٍ كَرْدٍ كَرْدِهِ كَرْدِهِ دَهْ دَهْ دَهْ دَهْ اللهُ رَبُّ الْعِزَّةِ))^٥ وفي نفس الحزب : ((وكان الله قويا عزيزا بها بها بها بهيا بهيا بهيات بهيات القديم الأزلي .. لمفقتل يا أرض خذهم))^٦ وفيه : ((ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ظهور محببة صورة محبيه سقاطيس سقاطيم أحون ق آدم حم هاء آمين))^٧ .

وقد اشتمل الحزب الكبير على آيات مبتورة الآخر ، غير مكتملة وحذفت منها آخر كلمة في الآية ، فمنها : ((وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَّا))^٨ فلم تكتب كلمة (ينطقون) الواردة في آخر الآية المكتملة لمعنى الآية ، وقوله تعالى : ((أَفحسبُكُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبثًا وَأَنَّكُمْ إِلينَا لَّا))^٩ والكلمة الناقصة (ترجعون) وقوله تعالى : ((وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً

^١ أوراد الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ص ١٢١

^٢ مقابلة شخصية مع مقوض لجنة الدعوة والإرشاد بالطريقة البرهانية ، حسين محمود مصطفى الملقب بجقود ، بمنزلة بام درمان ، أبي كدوك ، بتاريخ ٢٠/٦/٢٠٠١م ، الموافق ١٤٢٢/٧/١٤هـ .

^٣ مقابلة شخصية مسجلة مع المرید قاسم أبو الحسن القاسم بمكان عملة بالدويم ، بتاريخ ٢٩/٣/١٤٢٢ هـ الموافق ٢٠/٦/٢٠٠١م .

^٤ مجموعة أوراد الطريقة البرهانية ص ١٢ .

^٥ المصدر السابق ص ٢١ .

^٦ المصدر السابق ص ٢٣ .

^٧ المصدر السابق ص ٢٤ .

^٨ سورة النمل (٨٥) .

^٩ سورة المؤمنون (١١٥) .

فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُدْعُونَ^١ والكلمة الناقصة (يرجعون) وقوله تعالى : ((يَمْعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا يَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)).

الحزب السيفي وفضله :

يعتبر الحزب السيفي من أهم الأحزاب لما له من مزايا لا توجد في غيره من الأحزاب فمن هذه المزايا المختصة به ما يلي :

(أ) أنه يؤثر سلباً فيمن يقرأه دون إذن ، و لا يؤذن بقراءته إلا لطريقة واحدة ويخبر محمد عثمان عن بعض من قرأوا الحزب السيفي ولم يؤذنوا بقراءته فيقول : ((قالوا إنه يلهب أجسامنا من شدته))^٢ ويقول : ((فإذنا أيها الإخوة في قراءة الحزب السيفي إذن عال وعظيم ، من أجل هذا فإن قراءته لا يؤذن بها إلا لطريقة واحدة في وقت واحد))^٤.

(ب) ورد في شرح الأوراد في فضل الحزب السيفي : ((قال فيه سيدي فخر الدين (يعني

محمد عثمان عبده) أعظم ثناء على الله وقال أيضاً ما يفيد أنه للنبي صلى الله عليه وسلم فمنحه للإمام علي كرم الله وجهه وقال في ذلك ما معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى على سيدنا علي كرم الله وجهه الحزب السيفي فكتبه بخطه ثم لما انطوى سيدنا علي كرم الله وجهه جاء ملك من ملوك الجن فاستولى على المخطوط الذي هو بخط سيدنا علي ... لماذا ؟ لأن سبب نزوله أصلاً أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر سيدنا علياً كرم الله وجهه بأن يحارب به الجن في بئر العلمين واهتم بذلك كثيراً حتى أنه سأل سيدنا جبريل أن يأتيه بالحزب السيفي فجاءه به وعلمه لسيدنا علي كرم الله وجهه وسماه الحزب اليماني بمعنى الدرع الذي تمسكه باليمين .

وإنما سمي بالحزب السيفي لأن من قرأه أحاطته ملائكة بسيوف حوله من كل الجهات كأشعة الشمس حول قرصها فلا يستطيع أحد أن يؤذيه ..

(ج) قال صاحب إتحاف الخل الوفي بحل ألفاظ الحزب السيفي : ذكر الإمام الشناوي رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم : ((من قرأ هذا الدعاء (يعنى الحزب السيفي) ومرب بين يدي أعدائه لم يقدروا على ضرره أو إذايته وتنفر منه الجن والشياطين وقال : ((من داومه خلق الله تعالى له شخصاً على صورة حسنة فإذا انقضى أجله جاءه الشخص ويجلس عند رأسه فينظر ويتحير من حسنه وجماله فيسبح الله عز وجل ثم يقبض روحه

^١ سورة يس (٩) .

^٢ سورة الرحمن (٣٣) .

^٣ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ٧٥ .

^٤ المصدر السابق ص ٧٦ .

بلا تعب ولا مشقة ولا وجع ولا يحس بألم وإن دخل قبره هون الله عليه سؤال منكبر
ونكبر ، ويعطى في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ،
ويجعل وجهه يتلألأ بالنور وعليه هيبه ووقار حتى يتعجب الناس منه فيقولون : أي ولي
هذا ؟ فيقال عبد اشتغل بقراءة هذا الدعاء ، فيقولون يا ليتنا اشتغلنا به ويظله الله تعالى
تحت ظله ..))^١ .

(د) وذكر سيدي فخر الدين (يعني محمد عثمان عبده) في جواهره رضي الله عنه أن له (يعني
الحزب السيفي) أن له اثنتي عشرة ألف خاصية ستة آلاف منها في الدنيا وستة آلاف في
الآخرة ..

(هـ) ومن جملة فوائد الحزب السيفي في الدنيا أنه يقرأ بكيفية خاصة عند المرشدين في
طريقتنا على الملح وذلك ليعالج الحسد والسحر وضرب العين أو النظرة وغير ذلك .

(ز) وبعد ذلك هناك اسم الذات العلية وهو الذي نزل لرسول (الله صلى الله عليه وسلم) في
قوله تعالى : ((وَأذْكَر رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
وَالْأَصَالِ ..))^٢ وهو اسم لا يصح نطقه باللسان أصلاً ..

كل هذا الكلام لتوضيح نقطة وهي أنه لا شيء يعدل قراءة الحزب السيفي غير هذا الاسم
الأعظم الذي وضحته وهو ذاته مذكور في الحزب السيفي ٣٩ مرة))^٣ .

ويشترط في هذه الأوراد والأحزاب أن يكون مأذوناً بها من جهة الشيخ وإلا لم تحصل
الاستفادة منها ، بل أخذها دون إذن الشيخ يعود بأثار سلبية على المرید ، يقول محمد عثمان
عبده : ((.. إن السر إنما يكمن في الإذن بالأوراد))^٤ . ويقول في حوارله مع شخص يذكر الله
من غير إذن شيخ : ((الذي تفعله يوجب عليك أن تأخذ طريقة ، ويوجب عليك أيضاً أن تتخذ
لنفسك مرشداً يفهمك ويعلمك الأذكار ، وإلا فعليك أن تترك كل ما قرأته . فقال وهو في غاية
الدهشة ولماذا ؟ ثم سأل : ألا يؤدي الصوفية مثل ذلك ؟ قلت : بلى فهذا معروف لدينا ، ولكن
عندما يذكر الذاكر دون خبير فقد يصل به الأمر إلى الجنون . ألم يعلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيدنا أبا بكر وسيدنا علياً فن التجويد في قراءة أوراد الطريقة))^٥ . ويقول مخبراً عن أحد
المریدين : ((.. فجاءني بعد ذلك وطلب مني أن أعطيه ورد الصلاة على النبي صلى الله عليه

^١ ليس بحديث ولم يرد في شيء من كتب السنة .

^٢ سورة الأعراف (٢٠٥) .

^٣ أنوار الأمين في شرح الأوراد ص ١٧٨ .

^٤ قبس من نور ، محمد عثمان عبده ص ٦١ .

^٥ المصدر السابق ص ٦٥ .

وسلم ، فرفضت وقلت له : ليست الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم --- بالأمر الهين - ولكنه أصر كثيراً وبعد إلحاح منه قلت له : أحضر ورقة وقلماً وسوف أعطيك الإذن الآن ، ولكنني لن أغيرها لك حتى تنتضي ستة أشهر أتقبل ذلك ؟ فقال قبلت . فأعطيته الإذن بقراءة الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووضحت كيفية القراءة والمراتب ، وعندما مرور أربعة أيام كان عندما يسمع أي والد يقول لابنه يا محمد ويسبه أو ينهره يصرخ هذا المرید ويكي ، ويقول : كيف تسبون محمداً وهو النبي .. وضاق به الأمر حتى أثنائي بعد سبعة أيام يشكو حاله ، وما ألم به من ضيق فقلت له : ألم أنصحك ؟ ويدل هذا الحديث على أن من يأخذ الإذن بالصلاة على الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ بهذه الكيفية فلا بد له من خلوة ((وورد في كتاب قبس من نور لمحمد عثمان عبده عنوان نصه : ((لا يستطيع أحد أن يقرأ الحزب السيفي إلا أن يكون مأذوناً بقراءته))^١ ، ويقول محمد عثمان عبده وهو يتحدث مع بعض المریدين الذين ينتمون إلى طريقة أخرى : ((أما أنتم فمن الطبيعي من هذه الأسماء وبهذه الكيفية وهذه السرعة أن يكون الجنون المحقق من نصيبكم لولا أن المشايخ (الأولياء) سامحوكم . ولتعلموا أنه ليس هناك ما هو أكثر ضرراً على المرید من أن ينقل نفسه بنفسه من اسم إلى اسم آخر))^٢ .

وتعليقاً على ما سبق فإنه يقال :

(أ) ما يسمى بالحزب السيفي لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسند صحيح . بل سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن صحة حديث قتال علي رضي الله عنه للجن في البئر ، فأجاب : ((الحمد لله . هذه الأمور المذكورة كذب مخلوق باتفاق أهل العلم والإيمان ، لم يقاتل علي ولا غيره من الصحابة الجن ، ولا قاتل الجن أحد من الإنس ؛ لا في بئر ذات العلم ولا غيرها . والحديث المروي في قتاله للجن موضوع مكذوب باتفاق أهل المعرفة))^٣ .

^١ المصدر السابق ص ٦٩-٧٠-٧١ .

^٢ المصدر السابق ص ٧٣ .

^٣ المصدر السابق ص ٥٠ .

^٤ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٤ / ٤٩١ .

(ب) القول بأن من قرأ الحزب السيفي له ما ذكر من الثواب لم يثبت به نص شرعي صحيح يعتمد عليه .

(ج) الأذكار الشرعية تورث العبد الطمأنينة ، وأما غير الشرعية فهي التي تورث الجنون والقلق .

(د) القول بأن ذكر الله سبحانه يحتاج إلى إذن من شيخ قول غير صحيح إذ الدين والذكر من الشرع الذي أمر الله سبحانه بالتزامه ، وأذن فيه لكل مسلم ، فهو ليس ملك لأحد حتى يأذن فيه ويمنع ، والذكر من أيسر العبادات التي يسهل تعلمها من غير الحاجة إلى من يملكها ويعطيها من يشاء ويمنعها ممن يشاء .

المطلب السابع

فوائد الأوراد

أورد البرهانية العديد من الفوائد لأورادهم ، وقد تختص بعض الأوراد بفوائد لا توجد في البعض الآخر ، كما سبق في فوائد الحزب السيفي ، فمن الفوائد العامة للأوراد ، تسخير الملائكة والجن ، وقضاء الحوائج ، والترقي في درجات الولاية ، والتحصين من الشرور ، والرقية من الأمراض ، وغيرها من الفوائد ، ولا تحصل هذه الفوائد إلا لمن أخذ هذه الأوراد عن شيخ وأذن له في قراءتها ، وقد يلحق - المتعبد بها دون إذن الشيخ - أذى .

فمما ورد في فوائد الأوراد قول محمد عثمان عبده : ((.. فالمريد يأخذ الطريقة ويقرأ الأوراد على أساس من النظام من أول يوم ، وعندما يستمر في قراءته سنتين أو أكثر ينمى الله ثواب أوراده وتنتزل أنوار الاسم وتكثر ملائكة الاسم ثم تظهر له هذه الملائكة على هيئة لوائح من نور ثم يرى رئيس هذه الملائكة ويتحدث معه وهذا الرئيس وما معه من ملائكة يزجرون الملائكة الروحانية والروحانية يزجرون الجن والجن سبعة أصناف ، والجن يزجرون العفاريت وهم سبعة أصناف أيضاً))^١ ، وفيما يخص قضاء الحوائج بالأوراد يقول محمد عثمان عبده : ((منذ زمن بعيد قمت ببناء فرن ، وبعد تجهيزه رفض المسؤولون ، إعطائي الترخيص له بمزاولة العمل ، وعندما أعيتني الحيلة ، اهتديت إلى ما لدي من كنوز فأنتيت بالآية الكريمة : ((رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِيْنَ أَضَلَّلْنَا مِنْ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَ مِنَ الْآسْفِينَ))^٢ وعرفت عدد حروفها ونظمتها بطريقة خاصة ، وقرأتها بهذه الكيفية سبعمائة وسبعة وسبعين مرة ، ووضعت موضوع الفرن في تفكيري ونصب عيني ، وفي الصباح الباكر إذا برئيس التفقيش يأتي مع مجموعة من المفتشين والمأمورين والعمد ومفتشي الشوارع ، وهذا الرئيس كان إنجليزياً ... فقلت له : تفضل ، فجلس وقال لي ماذا تريد ؟ فقلت له : الترخيص لهذا الفرن فقال لي إنني موافق على كل ما تطلبه ؛ وفي خلال الأسبوع التالي ، ذهبت إليه وأعطاني الرخصة دون عوائد ودون أن أقدم مليماً واحداً))^٣ .

وعن الترقى بالأوراد في مراتب الولاية يقول محمد عثمان عبده وهو يتحدث عن أحد الأولياء : ((.. ومع ما هو فيه من نعيم الولاية فقد كان جسمه كله ذاكراً ، وشأنه شأن

^١ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ، ص ٨٩ .

^٢ سورة فصلت (٢٩)

^٣ قيس من نور ص ٩١ .

كبار الأولياء في أنهم لا يحتاجون إلى الأوراد))^١ ، ويقول عن بلغوا هذه المرتبة : ((ولوتركوا أوراد المريدين كلهم ما أثر في قلوبهم بقسوة ولا فترة))^٢ .

ويقول عن فوائد الأوراد في التحصين : ((.. أقول لكم أيها الإخوان : إن التحصين أعلى من أي شيء أعلى من الأموال أعلى من الولد لأنك أيها الأخ تستطيع عن طريق التحصين أن تحافظ على نفسك وتحافظ على أموالك وأولادك))^٣ . ومما ورد في فضل الحزب الصغير : ((إذا قرأته ثلاث مرات فلن يصيبك مكروه))^٤ ، ويقول محمد عثمان في بيان فضل الحزب الكبير : ((وكنتم أقرأ الحزب الكبير سبعين مرة صباحاً وسبعين مرة مساءً حتى أن الجن لا تستطيع الاقتراب مني))^٥ .

ويقول محمد عثمان عبده عن فوائد الأوراد في الرقية : ((.. كان بجنبي أحد المريدين أصحاب التتوير .. فإذا هو يسقط مغشياً عليه بجانب السرير وذلك لأنه أخذ نقطتين من السائل الذي يتساقط في صدري فجلست أقرأ له شيئاً من أورادي حتى أفاق))^٦ . ويقول : ((وبينما أنا منهمك في عملي سمعت صراخ أختي الصغيرة لأنها رأت رجلاً قطع الساقية رأسه أمامها ، وأصابها الجنون من هول المنظر ... وعندما حل المساء ضمنت أختي إلى صدري وأخذت أقرأ الحزب الكبير سبعين مرة حتى نامت ثم وضعتها في سريرها ، وعندما حان وقت صلاة الفجر ذهبت إلى المسجد وأديت الصلاة ، وعندما رجعت من المسجد وجدت أختي جالسة في اطمئنان وكأنها لم تمرض))^٧ .

ومن فوائد الحزب الكبير العثور به على الشيء المفقود ، ومن خفيت مكانه من الناس ، وفي ذلك يقول محمد عثمان عبده : ((.. فذهبت أبحث عن هذا المجدوب فلم أجده ، ثم جلست أقرأ الحزب الكبير بغية العثور على هذا المجدوب فوجدته قائماً يصلي العصر في الجامع))^٨ . ومن فوائد الحزب السيفي إعادة من تطف جسمه وصار كالهواء إلى حالته الطبيعية ، وفي ذلك يقول محمد عثمان عبده وهو يتحدث عن أحد المريدين : ((.. وفي اليوم التالي ذهبت إليه في بيته ، فناديته قائلاً _ يا محمد ثم طرقت الباب ، فإذا به يخرج من خلال الحائط ، وقد

^١ المصدر السابق ٥٣ - ٥٤ .

^٢ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ٢٠٥ .

^٣ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ١٦٢ .

^٤ المصدر السابق ص ١١١ .

^٥ المصدر السابق ص ١٠ .

^٦ المصدر السابق ص ٣٨ .

^٧ المصدر السابق ص ١٢ - ١٣ .

^٨ المصدر السابق ص ٢٠ .

تلطف جسده فقلت له ، لا بد من قراءة الحزب الكبير حتى تعود إلى حالتك الطبيعية وتصبح شخصاً سوياً^١ .

ومن فوائد حزب النصر أنه عدة وسلاح معين على النصر على الأعداء في الحرب الباطنية التي تقع بين الأولياء من أصحاب الطرق الصوفية ، وفي غيرهم من الأعداء ، يقول محمد عثمان عبده مخبراً عن بعض المريدين بقراءة حزب النصر عندما حصلت له مضايقة من مديرهم بالمدرسة : ((فأقبلوا إلي يشكون فقلت لهم اتركوا الفواتح واقرأوا حزب النصر فأخذوا يقرأون حزب النصر وبعد انقضت خمسة أيام إذا بناظر المدرسة ينقل إلى مدرسة أخرى))^٢ ، كما يعتبر الحزب السيفي من أهم الأسلحة في الحرب الباطنية وفي ذلك يقول محمد عثمان عبده حاكياً أمر جده له بقراءة الحزب السيفي : ((ولتسارع بقراءته قبل أن يأتي زمن الحرب الباطنية ، .. وقد سار إخواني على نهجي فكانوا يقرأونه إحدى وأربعون مرة إلى أن منعنا من قراءته بعد أن انتهت الحرب الباطنية))^٣ .

ويعتبر البرهانية أن هذه الحرب جهاداً في سبيل الله فقد أورد محمد عثمان عبده تحت عنوان : ((أبناء الشيخ إبراهيم منصور برهانية ولكنهم لا يدخلون في فضل الجهاد)) مخاطباً شيخه إبراهيم الدسوقي : ((قلت إذن أنت الذي أمرت الشيخ إبراهيم منصور أن يمنع هؤلاء المريدين من قراءة أورادي ؟ فقال : نعم . قلت : لماذا ؟ قال : أوردك أنت من الملاء الأعلى ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمدة من الحضرة الإلهية والنبوية ، والإذن لديك أنت وأي إنسان يأخذ طريقك ويقرأ الأساس والفواتح والمراقبة فحسب يضاف إلي وروحه تصل إلي ويكون معي باستمرار فأشركها معي في الحرب أما هؤلاء فأرواحهم لا تتحمل))^٤ .

ويذكر محمد عثمان عبده نموذجاً ومثالاً لهذه الحرب حيث يقول : ((.. حدث أن أحد أتباع السيد محمد عثمان الميرغني ذهب لزيارة سيدي جلال الدين السيوطي في أسيوط وبعد انتهاء زيارته كتب له سيدي جلال الدين السيوطي قصيدة مطولة يشرح له فيها المراقبة ويمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندما قدم السيد محمد عثمان الميرغني للزيارة مر بأسيوط فقابلته مريده هذا وقال له يا مولانا : بعد زيارتي لسيدي جلال الدين كتب لي هذه القصيدة وبعد أن قرأها السيد محمد عثمان الميرغني وجد سيدي جلال الدين قد شرح المراقبة وبين فضلها ونظامها فأخذته الغيرة إذ كيف يحرم من المراقبة وهو الرئيس بينما يعطاها وزير من الوزراء . فكتب قصيدة يهجو فيها سيدي جلال الدين السيوطي وأعطاها لمريده وأمره أن

^١ المصدر السابق ص ١٨ .

^٢ المصدر السابق ص ٢٣ .

^٣ المصدر السابق ص ٢١ .

^٤ المصدر السابق ص ٦١ - ٦٢ .

يسلمها لسيدي جلال الدين وبعد أن قرأها سيدي جلال الدين ذهب ليبحث عن السيد محمد عثمان الميرغني فوجده راكباً مركب في النيل يتجه إلى القاهرة فضرب سيدي جلال الدين النيل بيده فجمدت المياه فوقفت المركب ولم يستطع السيد محمد عثمان أن يتحرك فأخذ يقرأ أقسامه وأوراده دون فائدة مع أنه رئيس وسيدي جلال الدين وزير ولم يجد مناصاً إلا أن يستغيث بالرسول صلى الله عليه وسلم فأغاثه^١.

ومن فوائد الحزب السيفي أنه يمنع من وقوع الموت لمن حل أجله ، وفي ذلك يقول محمد عثمان عبده : ((.. وفي يوم من الأيام رأى هذا الأخ الذي أوصيته بالمحافظة على الفتى المريض سيدنا عزرائيل قادماً فقال إلى أين ؟ قال : أريد أن أقبض روح هذا المرید . فقال له : لا تقبض روحه لأن الشيخ أوصاني بالمحافظة عليه . فقال سيدنا عزرائيل : إذا لم ترد موته اقرأ له الحزب السيفي سبع مرات كل يوم ، فأخذ يقرأ له الحزب السيفي كل يوم سبع مرات حتى قرأ له ما يقرب من اثنين وثلاثين مرة فأصبح هذا الفتى ذا تنوير^٢ ، ومن فوائد الحزب السيفي رد كيد الكائدين ، يقول محمد عثمان عبده : ((وهذه العدة الكبيرة أيها الإخوة لم أستخدمها في حياتي غير مرة واحدة وسبب ذلك أن أحد الإخوان اسمه محمد علي كان يعمل مهندساً في مصنع ، وحدث أن اجتمع زملاؤه في المصنع وانفقوا على تقديم شكوى كيدية إلى إدارة المصنع لفصله .

وبعد انتهاء الحاضرة قدم علي أحد الإخوان وأخبرني بذلك فقلت له : لماذا لم تخبرني من قبل ؟ وعندما ذهبت إلى البيت اغتسلت حتى أجدد نشاطي ثم أكملت بعض أورادي وجلست أقرأ العدة الكبيرة للحزب السيفي تلك التي منحها سيدي أبو الحسن الشاذلي سيدي إبراهيم وبها خمسون سجدة مع التوجيه وجهت (بهال أهليول) . وكنت قد بدأت القراءة من الثانية عشر مساءً حتى الثامنة صباحاً قد قرأت في هذه الفترة ثلاث مراتب ... وفي اليوم التالي أخبرني محمد حسن بأن ثلاثة من زملائه هؤلاء الذين كادوا له قد ماتوا ثم نقل الباقون))^٣ .

ويعتقد البرهانية أن لهذه الأحزاب ملائكة موكلون بخدمتها ، يقول محمد عثمان عبده : ((فنظرت في السماء فوجدت ملائكة الحزب السيفي تملأ ما بين السماء والأرض))^٤ ويقول :

^١ المصدر السابق ص ١٨٧ .

^٢ المصدر السابق ص ٧٤ _ ٧٥ .

^٣ المصدر السابق ص ٧٦ _ ٧٧ .

^٤ المصدر السابق ص ٧٧ .

((.. وجدت الملكين يصغر حجم كل منهما ، فتحدثت إليهما وسألتهما ؟ فقال أولهما : أنا من الربوبية ، وقال الثاني أنا من الرحمانية . قلت : وماذا تخدمان ، قالوا : نخدم الحزب الصغير ، قلت لهما: إذن فأنتم الرئيسان لملائكة الحزب الصغير؟ قالوا: لا سيدي إبراهيم أتى بنا من وسط ملائكة الحزب الصغير وهناك ملايين أكبر منا بمراحل تقوم بخدمة الحزب الصغير))^١ .
وتعليقاً على ما سبق فإنه يقال :

(أ) ما ورد من مزايا للحزب السيفي ، لم تثبت بدليل شرعي صحيح ، بل الحزب السيفي نفسه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بدليل صحيح .

(ب) القول بأن لهذه الأوراد المبتدعة ، ملائكة مختصة بخدمتها ، وموكلة بها قول ظاهر البطلان ، فإنها لو كانت شرعية لاحتاج القول بأن لها ملائكة موكلة بها إلى دليل ، فكيف بها وهي غير شرعية؟.

(ج) القول بتنزل الملائكة عند الذكر بهذه الأوراد ، غير صحيح ، وما يرى من تنزل فلا يبعد أن يكون تنزلاً شيطانياً لإضلال متخذي هذه الأوراد والذاكرين بها.

(د) اتخاذ هذه الأوراد وسيلة لقضاء الحوائج ، من التوسل المبتدع غير المشروع ، فالوسائل قسمان شرعية وكونية ، والكونية منها ما هو شرعي وما ليس بشرعي .

(هـ) الترفي بهذه الأوراد إلى ولاية الله تعالى والقرب منه لا يصح ، إذ لا يتقرب إليه سبحانه إلا بما شرع ، وأما ما هو ليس بمشروع من الأعمال فغير مقبول فضلاً عن أن يقرب إلى الله تعالى .

(و) التحصين يكون بالأوراد المشروعة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(ز) الرقية الشرعية تكون بالأذكار المشروعة ، وليس بما لا يفهم معناه من الأوراد .

(ح) الاعتقاد بأنه توجد حرب باطنية بين الأولياء ، وأنها جهاد في سبيل الله تعالى ، مما لا يخفى بطلانه على عاقل .

(ط) الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

(ي) القول بأنه قراءة الحزب السيفي أو غيره من الأحزاب تمنع من وقوع الموت بعد حلول الأجل ، قول باطل مصادم للنصوص الشرعية ، فقد قال الله تعالى : ((وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ))^٢ ، وقال سبحانه : ((إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ))^٣ .

^١ المصدر السابق ص ٨٣ .

^٢ سورة المنافقون (١١) .

^٣ سورة يونس (٤٩) .

(ك) المحافظة على شخص من الموت قول لا يصح فكيف يحافظ عليه وقد تم أجله وانقضى عمره؟^١

(ل) من صفات الملائكة أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، فكيف يمتنع ملك عن أمر أمره الله به؟^٢

(م) لا يمكن التحقق من أن الذي قدم عليه هو ملك الموت ، فلا يبعد أن يكون شيطاناً ، يريد أن يضلّه بإيقاعه في الأوراد البدعية .

(س) الأوراد التي تؤدي إلى الجنون هي الأذكار غير الشرعية ، أما الأذكار الشرعية فتطمئن بها النفوس ، قال الله تعالى : ((الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ))^١ .

(ع) لا يوجد اسم من أسماء الله تعالى لا يصح ذكره باللسان ، بل أسماءه تعالى كلها يشرع ذكرها باللسان ، فقد قال الله تعالى : ((وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا))^٢ ، ومن قال بأن هناك اسم من أسمائه تعالى لا يشرع ذكره باللسان فتلزمه الحجة التي يعتمد عليها ، ولا دليل على ذلك .

(ف) حصول المطلوب والمرغوب بدعاء معين لا يدل على شرعيته ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((وليس مجرد كون الدعاء حصل به المقصود ما يدل على أنه سائغ في الشريعة، فإن كثيراً من الناس يدعون من دون الله من الكواكب والمخلوقين ويحصل ما يحصل من غرضه ، وبعض الناس يدعو بأدعية محرمة باتفاق المسلمين ويحصل ما يحصل من غرضه . فحصول الغرض ببعض الأمور لا يستلزم إباحته وإن كان الغرض مباحاً فإن ذلك الفعل قد يكون فيه مفسدة راجحة على مصلحته ، والشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها ... ولا يجوز أن يكون الشيء واجباً أو مستحباً إلا بدليل شرعي يقتضي إيجابه أو استحبابه ، والعبادات لا تكون إلا واجبة أو مستحبة ، فما ليس بواجب أو مستحب فليس بعبادة ، والدعاء لله تعالى عبادة إن كان المطلوب به أمراً مباحاً))^٣ .

(ص) القول بأنه لا شيء يعدل قراءة الحزب السيفي ، قول مناقض للنصوص الشرعية ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّ أَفْضَلَ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا

^١ سورة الرعد (٢٨) .

^٢ سورة الأعراف (١٨٠) .

^٣ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١ / ٢٦٣ ، وقاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع المكتبة العلمية بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ طبع ص ٩٨ .

الله))^١، وقال عليه الصلاة والسلام: ((أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ))^٢، فأفضل الذكر بعد القراءان ما ذكر، وليس الحزب السيفي، ولا يوجد دليل شرعي يدل على أن الحزب السيفي له فضل اختص به، فقراءة القراءان أعظم وأكثر ثواباً من غيره من الأذكار، فقد قال صلى الله عليه وسلم في ثواب قراءة القراءان الكريم: ((لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا))^٣.

^١ أخرجه الترمذي ج ٥ / ٤٦٢، وابن ماجه ج ٢ / ١٢٤٩، والحاكم ج ١ / ٥٠٣، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع ج ١ / ٣٦٢.

^٢ أخرجه مسلم ج ٣ / ١٦٨٥.

^٣ سبق تخريجه ص ١٠١.

الجمعة

رضاءةً لتزكية النفس .. وصحیح المسند

www.E7saan.com

الفصل الرابع

الأفكار التي تأثرت بها الطريقة

المبحث الأول

الأفكار الفلسفية

المطلب الأول : نظرية الفيض والعقول العشرة

المطلب الثاني : تقديس الأعداد والحروف

المبحث الثاني

الأفكار الشيعية

المطلب الأول : محبة آل البيت والانتساب إليهم

المطلب الثاني : التأييد الباطني

المطلب الثالث : تعظيم المشاهد والأضرحة

المطلب الرابع : تقديس الأشخاص

المطلب الخامس : التأييد الروحي

المبحث الثالث

الأفكار الأصولية

المطلب الأول : الإجماع

المطلب الثاني : القياس

المطلب الثالث : مسائل متفرقة

الفصل الرابع
الأفكار التي تأثرت بها الطريقة البرهانية
المبحث الأول
الأفكار الفلسفية

تأثرت الطريقة البرهانية كغيرها من الطرق الصوفية بأفكار عديدة ، منها الأصولية ، ويقصد بها الاستدلال بالشرع وفق الأدلة والقواعد الكلية التي تدرج تحتها الجزئيات الفرعية في المسائل الفقهية ، كما تأثرت بالأفكار الفلسفية ، غير أن الثانية كانت هي الغالبة على أفكار الطريقة ، وقد برزت هذه الأفكار في العديد من عقائد الطريقة ، المأخوذة أصلاً من فلسفات وافدة، وكانت هذه الفلسفات نتاج الديانات والفلسفات غير الإسلامية ، كالنصرانية، والهندوسية، والفلسفة اليونانية وغيرها، فمن العقائد المأخوذة من أصول غير إسلامية، عقيدة الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود التي سبق الكلام عنها عند الكلام على عقيدة البرهانية في الله سبحانه وتعالى، وعقيدة الفيض والنور المحمدي، وغيرها ، ومبدأ هذه العقائد الحديث عن أصل نشأة العالم ومكوناته وكنه مادته الأولى لدى فلاسفة اليونان^١ .

وقد دخلت هذه العقائد إلى الدين الإسلامي عن طريق فلاسفة المسلمين الذين أخذوها من فلاسفة الكفار، متأثرين بهم تأثيراً سلبياً، فمن هؤلاء ابن سينا، والحلاج وابن عربي وابن سبعين والسهروذي المقتول، وعبد الكريم الجيلي وغيرهم . وقد أخذ فلاسفة المسلمين مصطلحات الفلسفة اليونانية، وغيرها من الفلسفات، وحاولوا صيغها بالمصطلحات الإسلامية، لتأخذ الصبغة الشرعية، وأرادوا أن يجعلوا مراد الله ورسوله، ما أخذوه من معاني تلك الفلسفة، فخالفوا بذلك الفهم الصحيح للنصوص الشرعية^٢ .

^١ فلسفة وحدة الوجود ، الدكتور حسن الفاتح قريب الله ، الناشر الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى شعبان ١٤١٧ هـ — يناير ١٩٩٧ ، ص ٢٣ — ٢٤ ، وص ٥٧ — ٦٤ .

^٢ هو الحسين بن عبيد الله بن سينا ، أبو علي ، الفيلسوف ، الملقب بالشيخ الرئيس، صاحب التصانيف في الطب، والمنطق، والطبيعيات، والإلهيات، أصله من بلخ ، ومولده في بخارى سنة ٣٩٨ هـ ، طاب البلاد ، وناظر العلماء ، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همدان، ثم سافر إلى أصفهان، ثم رجع إلى همدان وبها مات سنة ٤٢٨ هـ ، له عدة مؤلفات منها : (الشفاء) و(المعاد) و(التنبيهات) وغيرها ، : ((الأعلام ج ٢ / ٢٤١ — ٢٤٢)) و ((سير أعلام النبلاء ج ١٧ / ٥٣١ — ٥٣٧)) .

^٣ بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والفراطة وأهل الاتحاد ، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٢٦ .

المطلب الأول

إيمان البرهانية بنظرية الفيض والعقول العشرة

نظرية الفيض نظرية فلسفية لأفلوطين وموضوعها الوجود الإلهي وخلق العالم ((قال أفلوطين في المقالة الخامسة : لم يكن للعالم وجود ، ولما وجد في ذات المبدأ فرق . فهو إذاً غير محتاج إلي العالم مع شدة احتياج العالم إليه، وغير أنه لا يتصور في القدرة إذا بلغت أشدها وأدركت من الكمال غايته ، أن تبقى في نفسها منحازة معطلة ، بل لا تأثير لها ولا فعل ، وهذا حال العلة الأولى ، فإنها لما لها من الكمال لا تبقى معطلة لابد أن تفيض قوتها فيضان الماء من العين الغزيرة وانتشار النور من الشمس . وما هذا إلا مثال، والحقيقة أرفع من ذلك وأفضل، فإن القوة الإلهية لما لها من كمال العقل لا تقف علي غاية، ولا تبلغ إلي حد النهاية)).^١

وقال : إن الوجود الأول هو الله ، وإن الله يتأمل ذاته فيعقل بذلك نفسه (أي يعلم أنه موجود) حينئذ يفيض أو يصدر عنه كائن واحد هو العقل الأول هذا العقل هو صورة الله ولكنه ليس الله نفسه . ويعود هذا العقل الأول فيتأمل ذاته فيصدر عنه كائن آخر هو (النفس الكلية) التي تملأ العالم وترجع النفس الكلية بالتأمل في العقل الأول فيفيض منها كوائن متعددة هي نفوس الكواكب ... ثم يستمر الفيض فيصدر عن كل كائن كائنات أخر أقل شبيهاً بالعقل الأول المطلق (البريء من المادة) وأكثر صلة بالمحسوسات حتى تفيض الهيولي، وهي أدنى دركات الفيض لأنها مادة مطلقة فوضي لا صورة لها البتة^٢

وأما عن البرهانية فينقل محمد عثمان عبده البرهاني عن عبد الكريم الجيلي ما يدل علي

إيمانهم بهذه النظرية فيقول ما ملخصه :

ثم أنه صلي الله عليه وسلم أول ما تنزل من حضرة الواحدية، إلي حضرة الألوهية تلقته منها إلي الحضرة العلمية^١ . ولهذا لما تنزل إلي الوجود الكوني ، كان هو صلي الله عليه وسلم صورة القلم المسمي (بالعقل الأول) ولهذا ورد عنه صلي الله عليه وسلم انه قال: (أول ما خلقه الله العقل)^٢ وورد عنه صلي الله عليه وسلم : (أول ما خلق الله القلم)^٣ وورد عنه صلي الله عليه وسلم في حديث جابر رضي الله عنه : (أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر)^٤ فعلم بذلك اتحاد هذه المعاني الثلاثة وأن اختلافها إنما هو من جهة التعبير فكان صلي الله عليه وسلم أول موجود

^١ الوجود الإلهي بين انتصار العقل وتهافت المادة في تاريخ المذاهب الفلسفية ، سانتلانا ، قدم له وحققه وعلق عليه د . عصام الدين محمد علي ، نشر مؤسسة ومكتبة الخافقين دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، ص ١١٣ - ١١٤ .

^٢ الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها ، الدكتور محمد أحمد الخطيب طبع عالم الكتب للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ص ٣٨ .

^٣ سبق تخريجه ص ٥٩٧ .

^٤ سبق تخريجه ص ١٠٠ .

^٥ سبق تخريجه ص ٥٩٧ .

خلقه الله تعالى بلا واسطة وهذه الروح المحمدية المسماة بالعقل الأول هي مظهر الذات في الوجود ، ثم خلق الله تعالى بواسطة الروح المحمدية المسماة (بالعقل الأول) عقلاً كلياً هو مظهر الذات سماه (بالعرش) وهو الذي تسميه الحكماء (بالعقل الثاني) وهذا الكلي حقيقة روح كل نبي وولي كامل .

ثم إن الله تعالى خلق بواسطة هذا (العقل الثاني) المسمى (بالعقل الكلي) عقلاً ثالثاً. هو مظهر الأفعال، وسماه بالكرسي فهو مظهر الأسماء الفعلية . وهذه النفس الكلية هي محتد سائر النفوس الناطقة . فظاهرها الكرسي الأعلى ، وباطنها اللوح المحفوظ وهو النفس الموجود هذا العقل فيها لظهوره . واسمها (النفس الكلية) ولهذا لم يجد أحد من المخلوقات نسخة العالم كله في نفسه إلا الإنسان . لأن اللوح المحفوظ فيه علم كل ما كان أو هو كائن إلي يوم القيامة . فإن الإنسان يحد ذلك جميعه من حيث أن باطن حقيقته ، هو المسماة بالنفس الكلية واللوح المحفوظ . لأن حقيقته المسماة بالنفس الكلية هي مظهر الأمر والنهي المعبر عن مجلاه (بالكرسي) . وهو العقل الثالث . ثم إن الله تعالى خلق بواسطة هذا العقل الثالث عقلاً رابعاً هو روح السماء السابعة وخلق بواسطة الرابع عقلاً خامساً هو روح السماء السادسة . وخلق بواسطة هذا العقل عقلاً سادساً هو روح السماء الخامسة . وخلق بواسطة السادس عقلاً سابعاً هو روح السماء الرابعة ، وخلق بواسطة السابع عقلاً ثامناً هو روح السماء الثالثة ، وخلق بواسطة الثامن عقلاً تاسعاً هو روح السماء الثانية ، وخلق بواسطة التاسع عقلاً عاشراً وهو روح السماء الدنيا . ويسمي هذا العقل (بالعقل الفعال) . وجعل الله سبحانه تدبير العالم الأرضي معروفاً بقدرته تعالى إلي هذا العقل ، ثم أوجد بواسطة هذا العقل الفعال الأركان الأربعة . فأول مخلوق منها هو النار ثم الهواء ثم الماء . ثم التراب وتم التدبير بهذه الأربعة مع واسطة العقل الفعال بأمر الله وإرادته وقدرته علي حسب ما جري به القلم الأعلى في اللوح المحفوظ وهذه الأربعة الأركان المذكورة هي التي كنى عنها سبحانه وتعالى بالأيام بقوله تعالى: ((وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءً لِلسَّائِلِينَ))^١ واعلم أن الله تعالى أوجد من كل عقل نفساً تقوم بإظهار ما حواه ذلك العقل . فيظهر سره بها ، بل هي علي الحقيقة سر ذلك العقل فالنفس الأولى الموجودة في باطن العقل الأول هي المسماة (بروح الأرواح) لإطلاقها الكلي وحيطتها بنسخة الكمالات الإلهية ، علي ما هي عليه . وهي بعينها (تسمي بالروح الإضافية) المنفوخة في آدم وفي ذريته حال جزئيتها والنفس الثانية الموجودة في العقل الكلي ومنه هي المسمى بالروح الكلية المعبر عن اللوح المحفوظ به و لكل سماه من هذه السبعة نفس هي حقيقة الكوكب الموجود في سماه ذلك العقل فنفس العقل الرابع حقيقة (كيوان) . ونفس العقل الخامس حقيقة (المشترى) ونفس العقل السادس حقيقة (بهرام) وهو (المريخ) .

ونفس العقل السابع حقيقة (الشمس) ونفس العقل الثامن حقيقة (الزهرة) ونفس العقل التاسع حقيقة (عطارد) ونفس العقل العاشر المعبر عنه بالعقل الفعال حقيقة (القمر). فالأركان الأربعة آباء وهذا العقل الفعال في الوجود والأرض والمعدن والنبات والحيوان جميعه آباء هذه الأركان الأربعة و تم نظام العالم بوجود ذلك قال الله تعالى : ((هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ))^١ فالأيام هذه التي خلق الله السموات والأرض فيها هي الجهات الستة التي أوجد الله العوالم فيها واليوم السابع الذي استوي الله فيه علي العرش ، هو عدم الجهة المخصوصة له بحال دون غيره . فرتب الله الموجودات السفلية بواسطة الأركان الأربعة . ورتب الأركان بواسطة هذه العقول المذكورة. وترتيب موجودية هذه العقول العشرة ، كترتيب وجود العدد من الواحد . فإن الاثنين مثلا لا يوجد إلا بوجود الواحد ، والثلاثة لا توجد إلا بوجود الاثنين وهلم جرا فلا يوجد عدد إلا بعد وجود ما قبله في المرتبة . والكل موجودون من الواحد وليس الواحد من العدد لأن كل عدد تضربه في عدد يخرج منه عدداً أكثر من مثل أحدهما ولو ضربت جميع الأعداد في الواحد لا يخرج منه شيء . لأن الواحد ليس هو بعدد . فلو كان عدداً لخرج من ضربه في نفسه عدد . ولهذا كان العقل الأول الذي هو عبارة عن حقيقة الروح المحمدية، أصلاً لوجود العالم كله - عالم الأمر وعالم الخلق فهو علي الحقيقة عند المحققين علة العلة))^٢ .

وحيال هذه العقيدة فإنه يقال :

أولاً : إن عقيدة العقول العشرة عقيدة يونانية وثنية فلسفية حقيقتها الكفر بالله سبحانه وتعالى لما تضمنته من نفي خلق الله للمخلوقات وتشبيهه بالمخلوق وسلب صفتي الإرادة والحكمة

منه سبحانه ، وموجز هذه النظرية : ((أن معني الله واحد أنه لا يصدر عنه إلا واحد أي

لا يصدر عنه إلا واحد أي لا يصدر عنه كثرة فالله سبحانه لم يخلق إلا ما يسمي العقل

الأول الموصوف بأنه يشابه الله سبحانه ثم ينشأ عن هذا العقل الأول بأنه /أوسع علماً من

الله لأنه يدرك نفسه ويدرك الله أما الله فلا يدرك إلا نفسه ثم يستمر الصدور عن العقل

العاشر بعد ذلك إلي آخر سلسلة الوجود))^٣ .

وهي ما يعرف بنظرية الفيض الأفلوطيني وقد أخذها منه ابن سينا (فالله عند ابن سينا لم

يخلق بنفسه وبطريقة مباشرة إلا العقل الأول وأما بعد ذلك فيرى أنه خلق بالواسطة فالله

• ثم قال انه
قد نشأ عنه
هذه العقول
الأول بعقل
الثاني وهذا
حتى العقل
العاشر
المسمى
بالعقل الفعال
الذي يعتبره
ابن سينا
أوسع

^١ سورة الحديد (٤) .

^٢ تبرئة الذمة في نصح الأمة لمحمد عثمان عبده ص ٤١ - ٤٣ .

^٣ الغزو الفكري في المناهج الدراسية ، الأستاذ علي لبن ، طبع دار الوفا للطباعة والنشر بمصر الطبعة الأولى ١٩٧٤ .

بهذه الطريقة لم يخلق ولم يؤثر بنفسه في كل موجود إلا عن طريق العقل الفعال وهذا مخالف لتعاليم الإسلام التي تقرر أن الله تعالى هو خالق كل شيء))^١

ثانياً : هذه النظرية تلقفها الصوفية كالبرهانية مع ما تضمنته من كفر بالله والألفاظ التي جاءوا بها هي من أوضاع الفلاسفة ومن وافقهم من أهل الكلام وفي الحقيقة إنما هي خيالات شيطانية واصطلاحات و أوضاع فلسفية عبروا عنها بعبارات إسلامية يخاطبون بها من لا يعرف معاني هذه الأوضاع ويجعلون مراد الله ورسوله من الآيات والأحاديث علي ما أراد من معاني هذه الأوضاع التي تخالف كتاب الله وسنة رسوله وأقوال سلف الأمة وأئمتها .

وقد أبطل أهل العلم هذه النظرية لما دلت عليه من تنقيص لله سبحانه وتعالى والكفر بالله جل وعلا . وفي ذلك يقول الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في رده علي الفلاسفة: ((الوجه الثالث في استحالة كون العالم فعلاً لله تعالى علي أصله لشرط مشترك بين الفاعل والفعل وهو انهم قالوا : لا يصدر من الواحد إلا شيء واحد والمبدأ الأول واحد من كل وجه والعالم مركب من مختلفات فلا يتصور أن يكون فعلاً لله تعالى بموجب أصلهم .

فإن قالوا العالم بجملته ليس صادراً من الله تعالى من غير واسطة بل الصادر عنه موجود واحد هو أول المخلوقات وهو عقل مجرد أي هو جوهر مجرد قائم بنفسه . غير متحيز يعرف نفسه ويعرف مبدأه ويعبر عنه في لسان الشرع بالملك ثم يصدر منه ثالث ومن الثالث رابع وتكثر الموجودات بالتوسط ...

فيلزم من هذا أن لا يكون في العالم شيء واحد مركب من أفراد بل تكون الموجودات كلها أحاد كل واحد معلولاً لواحد آخر فوقه وعلّة لآخر تحتها إلى أن ينتهي إلي معلول لا معلول له كما انتهى في جهة التصاعد إلى علّة لا علّة لها و ليس كذلك ، فإن الجسم عندهم مركب من صورة وهولي، وقد صار باجتماعهما شيئاً واحداً والإنسان مركب من جسم ونفس وليس وجود أحدهما من الآخر ، بل وجودهما جميعاً من علّة أخرى والملك عندهم كذلك فإنه جرم ذو نفس لم تحدث النفس بالجرم ولا الجرم بالنفس بل كلاهما صادران من علّة سواهما فكيف وجدت هذه المركبات أمن علّة واحدة ؟! فيبطل قولهم : لا يصدر من واحد إلا واحد أو من علّة مركبة؟! فيتوجه السؤال في تركيب العلّة ، إلي أن يلتقي — بالضرورة — مركب بسيط فإن المبدأ بسيط وفي الآخر تركيب ولا يتصور ذلك إلا بالالتقاء وحيث يقع التقاء يبطل قولهم أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد))^٢

^١ المصدر السابق ص ٦٦ .

^٢ تهافت الفلاسفة أبو حامد الغزالي ، تحقيق وتقديم سليمان دنيا ، طبع دار المعارف ، الطبعة السادسة بدون تاريخ طبع ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

إلى أن يقول الغزالي : ((وأما البحث عن كيفية صدور الفعل من الله تعالى بالإرادة ففضول وطمع في غير مطمع والذين طمعوا في طلب المناسبة ومعرفتها رجع حاصل نظرهم إلي أن المعلول الأول من حيث أنه ممكن الوجود ، صدر منه فلك ، ومن حيث أنه يعقل نفسه صدر منه نفس الفلك وهذه حماقة لا إظهار مناسبة فلنتقبل مبادئ الأمور من الأنبياء صلوات الله عليهم وليصدقوا فيها إذ العقل ليس يحيلها وليترك البحث عن الكيفية والكمية والماهية فليس ذلك مما تتسع له القوة البشرية ولذلك قال صاحب الشرع صلوات الله عليه : ((تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ))^١ .

وقد ناقش شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فلاسفة الكفار، وفلاسفة المسلمين الذين أخذوا عصارات أفكار فلاسفة الكفار وألبسوها لباس النصوص الشرعية لتكون مقبولة لدى المسلمين لذا سيكون النقل من كلامه أكثر من غيره، ومن قوله في ذلك : ((وأما الألفاظ التي أنزل الله بها القرآن الذي تلاه رسول الله صلي الله عليه وسلم علي المسلمين وأخذوا منه لفظه ومعناه و تناقل ذلك أهل العلم بالكتاب والسنة بينهم خلف عن سلف فهذه لا يجوز أن يرجع في معانيها إلي مجرد أوضاعه فلا ريب أن القوم أخذوا العبارات الإسلامية القرآنية والسُّنِّيَّة وجعلوا يضعون لها معاني توافق معتقدتهم ثم يخاطبون بها ويجعلون مراد الله ورسوله صلي الله عليه وسلم من جنس ما أرادوا فحصل بهذا من التلبس علي كثير من أهل الملة ومن تحريف الكلام عن مواضعه من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته ما الله به عليم لهذا قد يوافقون المسلمين في الظاهر ولكن في الباطن زنادقة منافقون .

ثم ذكر رحمه الله تعالى أمثلة لما حرفوه من معاني القرآن منها : ((قولهم في الإبداع اسم مشترك لمفهومي ما ينشؤه الشيء لاعتن شيء ولا بواسطة شيء والمفهوم الثاني أن يكون للشيء وجود مطلق عن سبب ترتب بلا متوسط وله في ذاته أن لا يكون موجوداً وقد أفقد الذي في ذاته إفقاداً تاماً قالوا وبهذا المفهوم العقل الأول مبدع في كل حال لأنه ليس وجوده من ذاته فله في ذاته العدم وقد أفقد ذلك إفقاداً تاماً ومعلوم أن هذا المعني ليس هو المعروف في لفظ الإبداع في اللغة التي بها نزل القرآن كما في قوله تعالى (يَدْبِعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)^٢ ونحو ذلك ولفظ الخلق أبعد عن هذا المعني فإن مثل هذا المعني يعلم بالاضطرار أنه ليس المراد بلفظ الخلق في القرآن والسنة وقد فسروا لفظ الخلق بثلاثة معاني ليس فيها واحد هو المراد في كلام الله تعالى ورسوله والمؤمنين فإن ما يذكرونه من إفادة وجود الملائكة بالمعني الأول وما

^١ الحديث ورد بلفظ ((تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في الله)) له طرق عن ابن عباس وابن عمر وعبد الله بن سلام وأسائدها ضعيفة : تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث، عبد الرحمن بن الدبيع الشيباني ص ٦٨ .

^٢ تهافت الفلاسفة ، أبو حامد الغزالي ص ١٥٣ - ١٥٤ .

^٣ سورة البقرة (١١٧)

يذكرونه في اختراع الأفلاك والعناصر بالمعني لم يرد واحداً منها الأنبياء والمؤمنون وذلك معلوم بالاضطرار والتواتر والإجماع وأما المعني الثاني فكذلك فليس في كلام الرسل ما يثبت أن الخلق حاصل في أجسام هي مادة وصورة بل كلامهم ينفي ذلك وهذا بين فقد تبين أن أهل الملل المتفقين علي أن الله تعالى خلق الملائكة لا يريدون خلقهم بالمعني الأول وهو الذي يريده الفلاسفة ، إلي أن قال : ((إن قولهم بصدور العقول والنفوس عنه هو نظير قول من جعل له بنين وبنات كما قال تعالى : ((وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ))^١ .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((إن هؤلاء يدعون أن العقل الأول صدر عنه جميع ما تحته فصدر عنه عقل ونفس وفلك وعن العقل الأول عقل ونفس وفلك إلي العقل الفعال فإنه صدر عنه جميع ما تحته من المواد والصور ويسمون هؤلاء الأرباب الصغرى والآلهة الصغرى ومعلوم بالاضطرار من دين أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى أن شيئاً من الملائكة ليس هو فاعلاً لجميع المصنوعات ولا أنه مبدع لجميع ما تحت فلك القمر بل قد قال تعالى : ((وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ))^٢ .

ويقول رحمه الله : ((وما يوجد في كلام بعض الشيوخ والمتكلمين من الاطلاع عليه (يعني اللوح المحفوظ) فمبني علي ما اعتقدوا من ان اللوح هو العقل الفعال وأن نفوس البشر تتصل به كما يذكر ذلك أصحاب رسائل إخوان الصفا^٣ .

وقد يوجد في كلام أبي حامد الغزالي في مثل جواهر القرآن والإحياء فيظن من لا يعرف حقيقة هؤلاء ولا حقيقة دين الإسلام أن هذا من كلام أولياء الله المكاشفين ولا يعلم هذا الجاهل أن الفلاسفة الصوفيين تقول في العقل الفعال أن العالم السفلي يفيض عنه وأنه في الحقيقة ربه ومدبره وكذلك ما يقولونه في العقول العشرة من كون كل عقل يفيض عنه ما تحته وهو كفر

^١ سورة الأنعام (١٠٠)

^٢ بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية وأهل الإلحاد، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

^٣ سورة آل عمران (٨٠)

^٤ بغية المرتاد ، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٢٨ .

^٥ هم جماعة من الفلاسفة الشعبيين ، جمع بينهم الود والوفاء كما يفهم من اسمهم ((إخوان الصفا وخلان الوفاء)) ، دونوا إحدى وخمسين رسالة في الفلسفة بعنوان ((رسائل إخوان الصفا)) ، كانت موسوعة فلسفية شملت الرياضيات والمنطق والطبيعات ، والنفس والأخلاق والدين ، ينشرون بها آرائهم ويبدو فيها تأثيرهم بالأفلاطونية المحدثة والفيثاغورية ، والغنوصية وهم يسعون لتكوين دين عالمي يتجاوز كل الأديان ، فلسفتهم باطنية ، وهناك من الدلائل ما يثبت أنهم من الشيعة ، وأنهم قد ارتبطوا بطائفة الإسماعيلية ، ولم يعرف مؤسس جماعة إخوان الصفا وربما كان لعبد الله بن ميمون القداح يد في تأسيسها ، بل لم يعرف من أعضائها إلا القليلون بسبب أنها مذهب باطني ، وتعاليمها وكل شيء عنها سري . أنظر : ((موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية ، عبد المنعم الحفني ، الناشر مكتبة مديولي القاهرة الطبعة الثانية ١٩٩٩م ، ص ٣٧ - ٣٨ .

باتفاق المسلمين واليهود والنصارى وهؤلاء يأخذون لب الصائبة ويكسونه لحي الإسلام وهم من جنس الملاحدة المنافقين يلبسون علي المسلمين وإن كان منهم من قد تاب أو تلبس عليه مع أن أصل الإيمان معه^١.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو يتحدث عن الشيعة العبيديين^٢ : ((قال العلماء فيهم ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض وحقيقة أمرهم أنهم يكفرون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهم تارة يبنون قولهم علي مذهب المتفلسفة الطبيعيين وتارة يبنونه على قول المجوس الذين يعبدون النور وتارة علي غير ذلك من دين الوثنية ويتدرجون من كل ذلك إلي الرفض ويموهون علي العامة بالاحتجاج بتحريف الآيات والأحاديث أو بالكذب علي الله ورسوله . كما يزعمون كذباً أن ((أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ)) حديث . وهو من وضعهم وكذبهم علي قواعد الفلسفة اليونانية والهندية والمصرية القديمة القائلين أول الصادات عن واجب الوجود هو العقل الكلي وقد دخل كثير من باطلهم علي كثير من المسلمين وراج عليهم حتى صار في كتب طوائف منتسبين للعلم والدين وبالأخص الصوفية وإن كان العامة منهم لا يوافقونهم علي أصل كفرهم لأنهم لا يعرفون حقيقتهم ولو عرفوه تبرأوا منه^٣ ومن دخل عليهم هذا الباطل وراج البرهانية وقد أخذوه من فلاسفة المتصوفة كابن عربي وعبد الكريم الجيلي وأمثاله ، وقد أدخل متفلسفة المتصوفة علي تلك النظرية بعض الإضافات وفق معتقدتهم في النبي صلي الله عليه وسلم من أنه أول المخلوقات كما أضفوا عليها قليلاً من الأدلة الشرعية كالأيات المفسرة تفسيراً يوافق مذهبهم حتى تروج علي عوام المسلمين ولكن هيئات أن تروج علي عقلائهم والراسخين في العلم منهم فلا يمكن لعاقل أن يسلم بما زخرفوه من باطل ألبسوه ثوب الحق وصبغوه بصيغة الإسلام حتى يجد القبول فالتناقض ظاهر في كلامهم وشتان بين ما جاءت به الرسل والأنبياء و بين كلام الفلاسفة، والله جل وعلا يقول : ((وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا))^٤.

^١ مختصر الفتاوى المصرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن علي الحنبلي البيهلي صححه محمد حامد الفقي ، أشرف على تصحيحه عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية سابقاً ، ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر ، طبع دار ابن القيم بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م - الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ص ٢٦٣ .

^٢ العبيديون هم : الذين دعوا بدعوة الشيعة بولاية أولاد فاطمة بنت النبي صلي الله عليه وسلم ، واشتهروا في التاريخ باسم الفاطميين والعبيديين ونسبة إلى عبيد الله المهدي مؤسس دولتهم ، ولم يكن الجزم بما إذا كان عبيد الله المهدي ينتسب حقيقة لفاطمة وآل البيت ، أم أنه من نسل ميمون القداح، أحد المدعين الإسماعيليين ، يقول ابن حزم إن بني عبيد ولاة مصر قد ادعوا في أول أمرهم إلى عبد الله بن جعفر بن محمد فلما صح عندهم أن عبد الله هذا لم يعقب إلا ابنة واحدة اسمها فاطمة تركوه وانتموا إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد ، وقد باطنية لقولهم أن للأحكام الشرعية ظاهر وباطن ، ولدعوتهم السرية ، لهم عقائد باطلة غايتها إبطال الشرع وهدم أحكامه : ((موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب، عيد المنعم الحفني)) ص ٤٩٥ - ٤٩٨ . مختصر الفتاوى المصرية ص ١٧٤-١٧٥ .

٤ سورة النساء (٨٢) .

فمن التناقض البين الوارد في كلامهم حملهم المعاني المختلفة العبارات علي معني واحد كما هو وارد في الألفاظ التالية (العقل) و(القلم) و (روح النبي صلي الله عليه وسلم) فلم يثبت في اللغة أو الشرع علي أن هذه العبارات تفيد معني واحد والذي حملهم علي ذلك استدلالهم بالأحاديث الموضوعية المتناقضة والتي أرادوا بها إثبات ما لم يثبت شرعاً فقد وردت العبارات السابقة في الأحاديث الموضوعية عدا حديث القلم ، بأنها أول ما خلق الله فأشكل عليهم ذلك ، ولم يجدوا مخرجاً إلا القول باتفاق المعني والاختلاف في العبارات، حيث لا يمكن الجمع إلا بذلك . ومن أعظم الباطل تحريف معاني آيات القرآن الكريم لتوافق أهواءهم ومما حرفوه من معاني الآيات ما ورد في تفسير الأيام في قوله تعالى : ((وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَمَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءَ لِلْسَّائِلِينَ))^١ ، بالأربعة أركان وهي النار والهواء والماء والتراب ولم يفسرها أحد من أئمة التفسير بذلك بل فسروها بالأيام المعروفة والتفسير المذكور مثل تحريف الباطنية لمعاني القرآن الكريم ، ومثله ما ورد في تفسير الأيام الستة بالجهات الستة في قول محمد عثمان عبده : ((اليوم السابع الذي استوي الله سبحانه فيه علي العرش بعدم الجهة المخصوصة في قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ))^٢ ، وفلسفة الصوفية كابن عربي و عبد الكريم الجيلي وأمثاله ممن أخذ عنهم اليرهانية يجعلون العقل الأول هو روح النبي صلي الله عليه وسلم التي هي أصل لوجود العالم كله وفي هذا مضاهاة لفلسفة الكفار كأرسطو وأفلوطين وغيرهم الذين يجعلون العقل الأول هو أول مخلوق وخالق ما تحته من العقول وبذا فهو أصل المخلوقات وموجدها بالفيض ، وفي هذا تعطيل لله سبحانه من أن يكون خلق الخلق بإرادته وحكمته وأن يكون خلق غير العقل الأول الذي قام بخلق ما تحته من مخلوقات والعقل الأول عند الفلاسفة هو صورة الله وليس الله نفسه ، وهم متناقضون في ماهية هذا العقل الإله (الخالق) عندهم وهو علة العلل كما إن روح النبي صلي الله عليه وسلم هي علة العلل عند فلاسفة الصوفية ، بل العقل الأول نفسه عند فلاسفة الكفار لم يخلقه الله سبحانه الخلق المعلوم بل فاض عن الله سبحانه فيضاً ، وعلي هذا فلا يكون الله سبحانه قد خلق خلقاً من المخلوقات الموجودة في هذا الكون أصلاً.

وعلي المثال الأخير الذي ذكره فلاسفة الصوفية في قولهم بأن ترتيب موجودية العقول العشرة ، كترتيب وجود العدد من الواحد ، فإن الاثنين مثلاً لا يوجد إلا بوجود الواحد ... فلا يوجد عدد إلا بوجود ما قبله في المرتبة والكل موجودون من الواحد وليس الواحد من العدد ، وبتطبيق هذه النظرية علي روح النبي صلي الله عليه وسلم ، فإنه يلزم أن تكون كل الأرواح

^١ سورة فصلت (١٠) .

^٢ سورة الحديد (٤) .

^٣ تبرئة الذمة في نصيح الأمة، محمد عثمان عبده ص ٤٢ .

والمخلوقات منها وهي ليست من المخلوقات التي تليها على الترتيب المذكور، فيلزم أن يكون خلق منها مخلوق آخر وهكذا إلى المخلوق العاشر .

وتظهر من هذا الكلام أمور وهي :

أن تكون روح النبي صلي الله عليه وسلم هي أول المخلوقات خلقاً ووجوداً ، وهو قول طريق العلم به الشرع ، ولم يثبت فيه ما يدل على ذلك بدليل صحيح ، وعلي التسليم بصحة القول السابق فإن المخلوق الذي يلي الروح في الخلق والذي يليه إما أن يكون :

(أ) مماثلاً لها في الصفات .

(ب) أرقى منها في الصفات .

(ج) أدنى منها في الصفات .

والأول والثاني باطلان إذ الروح ليست من المخلوق الذي تليه بل وجوده متوقف على وجودها وهي علتها ، فيبقي القول الثالث ويلزم اطراده في كل مخلوق والذي يليه حتى المخلوق العاشر ، وهو عند الفلاسفة العقل الفعال ، فكيف يكون فعالاً وهو أضعف المخلوقات وأدناها في الصفات ؟ وعلي أصلهم يجب أن يكون العقل الفعال هو العقل الأول لأنه هو السبب في إيجاد ما تحته من عقول ، وبذلك يظهر تناقضهم ، ثم يقال لهم : سمو لنا هذه المخلوقات (العقول) وما مرادكم بها ؟ ثم إن تسمية (العرش) (بالعقل الثاني) وتسمية (الكرسي) بالعقل الثالث لم يرد بها نص شرعي ، وما هي أسماء ووظائف بقية العقول حتى العاشر؟! .

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أنهم (أي الفلاسفة) : ((يتعمدون وضع ألفاظ الأنبياء وأتباعهم علي معاني آخر مخالفة لمعانيهم ثم ينطقون بتلك الألفاظ مريدين بها ما يعينونه هم، ويقولون إنا موافقون للأنبياء؛ وهذا موجود في كلام كثير من الملاحدة المتفلسفة والإسماعيلية ومن ضاهاهم من ملا حدة المتكلمة والمتصوفة مثل وضع (المحدث) و(المخلوق) و (المصنوع) علي ما هو معلول وإن كان (عنده) قديماً أزلياً، و يسمى ذلك (الحدوث الذاتي)، ثم يقول : ((نحن نقول إن العالم محدث، وهو مراده ومعلوم إن لفظ المحدث بهذا الاعتبار ليس لغة أحد من الأمم، وإنما المحدث عندهم ما كان بعد أن لم يكن .

وكذلك يضعون لفظ (الملائكة) علي ما يثبتونه من العقول والنفوس وقوى النفس، ولفظ (الجن) و (الشياطين) علي بعض قوي ، قوي النفس . ثم يقول نحن نثبت ما أخبرت به الأنبياء وأقر به جمهور الناس من الملائكة والجن والشياطين، ومن عرف مراد الأنبياء ومرادهم علم بالاضطرار إن هذا ليس هو ذلك، مثل أن يعلم مرادهم بالعقل الأول وأنه مقارن عندهم لرب العالمين أزلاً وأبداً ، وأنه مبدع لكل ما سواه، أو بتوسطه حصل كل ما سواه، والعقل الفعال عندهم عنه يصدر كل ما تحت فلك القمر، ويعلم بالاضطرار من دين الأنبياء أنه ليس من الملائكة عندهم هو رب كل ما سوى الله ، ولا رب كل ما تحت فلك القمر، ولا من هو قديم

أزلي أبدي لم يزل ولا يزال ويعلم أن الحديث الذي يروي (أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ)^١ حديث باطل عن النبي صلي الله عليه وسلم ، مع أنه لو كان حقاً لكان حجة عليهم فإن لفظه: (أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ) بنصب الأول علي الظرفية (فَقَالَ لَهُ أَقْبَلُ ، فَأَقْبَلُ ، ثُمَّ قَالَ: أَدْبِرْ ، فَادْبِرْ . فقال: وَعِزَّتِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمُ عَلَيَّ مِنْكَ ، فَبِكَ آخِذٌ ، وَبِكَ أُعْطِي ، وَبِكَ الثُّوَابُ ، وَبِكَ الْعِقَابُ . وَرُوي ((لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ)) فالحديث لو كان ثابتاً كان معناه انه خاطب العقل في أول أوقات خلقه ، وأنه خلق قبله وغيره، وأنه تحصل به هذه الأمور الأربعة لا كل المصنوعات . و (العقل) في لغة المسلمين مصدر عقل بعقل عقلاً ، يراد به القوة التي بها بعقل ، وعلوم وأعمال تحصل بذلك ، لا يراد بها قط في اللغة جوهر قائم بنفسه ، فلا يمكن أن يراد هذا بلفظ العقل))^٢ .

وفلاسفة الصوفية متناقضون فتارة يجعلون أول ما خلق نور النبي صلي الله عليه وسلم وتارة يجعلون أول مخلوق روحه صلي الله عليه وسلم والفرق بين النور والروح ظاهر .

^١ سبق تخريجه ص ٩٧ .

^٢ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٨١ - ٨٢ .

المطلب الثاني

تقديس الأعداد والحروف

يعتبر تقديس الأعداد والاعتقاد فيها من عقائد الفلاسفة الكفار، حيث جاء عن فيثاغورس^١ (٥٧٢ - ٤٩٧ ق . م) أنه ادعى أن مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات، أو أن الموجودات أعداد ، وأن العالم عدد ونغم .. وكان من تعاليمه أن العدد (١٠) أكمل الأعداد لأنه حاصل جمع الأعداد الأربعة الأولى وحاصل على خصائص جميع الأعداد، وأن كل شيء عدد، وأن الأعداد متصلة بالأشياء، غير منفصلة عنها، بل هي التي تحدد العلاقات والنسب الموجودة بين الأشياء، وقال إن كل عدد له شكل هندسي يمثله^٢. وقد أخذ الشيعة الباطنية بهذا المبدأ، وفي ذلك يقول الإمام الغزالي: ((فقد قالوا (يعني الباطنية) إن الثقب على رأس الأدمي سبعة والسموات سبع، والأرضون سبع، والنجوم سبع أعني السيارة، وأيام الأسبوع سبعة فهذا يدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة وزعموا أن الطبائع أربع وأن فصول السنة أربعة، فهذا يدل على الأصول الأربعة وهي السابق والتالي الإلهان ، والناطق والأساس الإمامان، وزعموا أن البروج اثنا عشر فتدل على الحجج الاثني عشر ... وربما تأولوا من الحروف وأعدادها فقالوا قد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَابِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُواهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا قِيلَ وَمَا حَقُّهَا ؟ قَالَ مَعْرِفَةُ)) (حُدُودَهَا))^٣، وزعموا أن معرفة حدودها معرفة أسرار حروفها، وهي أن ((لا إله إلا الله)) أربع كلمات وسبعة فصول وهي قطع لا إله إلا الله ، وثلاثة جواهر فإن ((لا)) حرف، يبقى إله وإلا والله - فهي ثلاثة جواهر، والجملة اثنا عشر حرفاً وزعموا أن الكلمات الأربع دالة على المدبرين العلويين : السابق والتالي، والمدبرين السفليين: الناطق والأساس، هذه دلالاته على الروحانيات، فأما على الجسمانيات فإنها الطبائع الأربع ... وهكذا تصرفوا في قول محمد رسول الله وفي الحروف في أوائل السور))^٤، ويقول عبد القاهر البغدادي : ((ومن مسائلهم في القرآن سؤالهم عن معاني حروف الهجاء في أوائل السور كقوله الم وحم وطس ويس وطمه وكهيعص ، وربما قالوا ما

^١ فيثاغورس : فيلسوف يوناني ولد في (ساموس) سنة ٥٧٢ قبل الميلاد ، كان رياضياً بارعاً ، أنشأ فرقة دينية علمية مفتوحة للرجال والنساء ، يخضع أعضاؤها لقوانين خاصة ، وتدرس فيها الرياضيات والعلوم الموسيقية والفلكية والطب ، وقد هوجمت مدرسته وأحرقت ، ويذكر أنه هو الذي وضع لفظ (فلسفة) وقد برهن على أن قوة الأصوات تابعة لطول الموجات الصوتية ، فبين أن الأنغام تقوم خصائصها بنسب عديدة ، ويترجم عنها بالأرقام ، فوضع الموسيقى علماً أدخل عليه علم الحساب ، وربطه به ، والفيثاغورسية تؤمن بالتناسخ ، أنظر الوجود الإلهي بين انتصار العقل وتهافت المادة ص ٥٨ ، وموسوعة الفلسفة ج ٢ / ٢٢٨ - ٢٣٢ .

^٢ فلسفة وحدة الوجود ، الدكتور حسن الفاتح قريب الله ، ص ٢٦ ، وص ٥٧ - ٥٨ .

^٣ أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ج ١ / ٧٥ ، حديث رقم ٢٥ و مسلم في كتاب الإيمان ج ١ / ٥٣ ، و الترمذي في كتاب الإيمان باب (١) حديث رقم ٢٦٠٦ .

^٤ فضائح الباطنية ، أبو حامد الغزالي، ص ٤٢ ، ٤٣ .

معنى كل حرف من حروف الهجاء ولم صارت حروف الهجاء تسعة وعشرين حرفاً ؟ ولم عجم بعضها بالنقط وخلا بعضها عن النقط ؟ ولم جاز وصل بعضها بما بعدها بحرف))^١ .
وقد أخذ الصوفية ومنهم البرهانية بهذه العقيدة في الحروف والأرقام، بتقليدها والاستدلال بها واعتقاد أن لها معان، وتوسع البرهانية في الأخذ بها ، وحاولوا أن يؤصلوا لها بما يعرف عندهم بحساب الروح أو علم الروح، فقد ورد عنهم في شرح الأوراد: ((يبتدئ الكلام في علم الأرقام أو الحساب من النقطة التي أشرنا إليها في مجالس سابقة بالنقطة السوداء أو النقطة البيضاء، فالنقطة أصلاً إذا وضعت إمامها الرقم (١) تصبح (١٠) وهذا يعني حرف الباء، وإذا وضعت أمامه نقطتين يصبح (١٠٠) وهو يعني القاف، وإذا وضعت أمامه ثلاث نقاط يصبح (١٠٠٠) وهو يعني الغين ...

تحقيق: ويستفاد من دروس أخرى لسيدى فخر الدين ((يعني محمد عثمان عبده)) أن الأصل في هذا الموضوع أن جوامع الكلم – وهي الحروف الهجائية – نزلت على الأنبياء عليهم السلام بأنماط مختلفة طبقاً لمقتضيات معجزاتهم بمعنى أنها نزلت مثلاً على سيدنا عيسى عليه السلام رباعيات على نظام العناصر الأربعة النار والتراب والهواء والماء وذلك لمواجهة السحر الخارق للعادة في ذلك الزمان هكذا :

د	ج	ب	ا
ح	ز	و	هـ
ل	ك	ي	ط
ع	س	ن	م
ر	ق	ص	ف
خ	ث	ت	ش
غ	ظ	ض	ذ

ثم نزلت على سيدنا عيسى عليه السلام بالنظام الأبجدي هكذا :

ا ب ج د هـ و ز ح ط ك ل م ن س ع ف ص
ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠
غ								
١٠٠٠								

فإذا تأملت هذا النظام وجدت العمود الأول هو الذي أشار رضي الله عنه (ا _ ي _ ق _ غ)
[١ _ ١٠ _ ١٠٠ _ ١٠٠٠] وإليها أشار أيضاً فقال أن : الألف وعددها (١) تشير إلى ألف
الأحدية .

الباء وعددها (١٠) تشير إلى ياسين صلى الله عليه وسلم .

القاف وعددها (١٠٠) تشير إلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم .

الغين وعددها (١٠٠٠) تشير إلى غاية الحسابات .

ولما كانت هذه الحروف الأربعة على رؤوس الصفوف كلها تشير إلى خصائص في النبي
صلى الله عليه وسلم صاحب الأخلاق القرآنية فعندما سئل الإمام علي كرم الله وجهه عن عدد
آيات القرآن الكريم قال : (ا ي ق غ) $6 \times 6 = 36$.

وبالجملة فهذا العلم من أمهات العلوم ، ولذلك فهو ملحق بعلوم الأولياء ، ولا بد أن نذكر

في هذا المقام ذلك الحديث أو تلك الأحاديث والروايات المختلفة التي تؤكد كلها أنه علم سماوي

منزل في الكتب السماوية ، فلينظر من أراد ذلك تفسير قوله تعالى ((الم)) [سورة البقرة] في

تفسير ابن كثير حيث جاء اليهود - قاتلهم الله - إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحاجونه فقالوا له

: ((أتريدنا أن نتبع ملة عمرها واحد وسبعون عاماً [أي ألف = ١ ولام = ٣٠ وميم = ٤٠

فالمجموع ٧١] فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إني قد أنزل عليّ (المر)¹

و(كهيعص)² و(حم * عسق)³ و(حم)⁴ ...)) فقالوا لقد أشكل علينا أمرك يا محمد ، وتركوه

وانصرفوا ، فذلك إقرار وتقرير من النبي صلى الله عليه وسلم بأصولية هذا العلم .

¹ سورة الرعد (١) .

² سورة مريم (١) .

³ سورة الثوري (١) .

⁴ سورة ...

ثم واصل سيدي فخر الدين ما يفيد أن الأصل في هذا الباب إنما هو نقطة الباء وهي كناية عن الذات العلية فإذا أردت أن تكتب ألفاً فلا بد أن تضع القلم لتضع نقطة ثم نقطة أخرى حتى يتم الألف ، فكان الأصل في الوجود هو النقطة ومنها ظهر الألف المعبر عن ألف الأحدية ، فكان الواحد سر مرتبة الواحدية أو الأحدية أو الوترية ، وكان الاثنين (ب) سر مرتبة الزوجية فإذا أضفت النقطة صارت ٢٠ بمعنى (ك) وإذا أضفت نقطتين صارت ٢٠٠ بمعنى (ر) وكان الثلاثة (ج) سر مرتبة تعريف الوجود^١ .

وورد في شرح الأوراد : ((ومن هذه المشكاة (يعني مشكاة النبي صلى الله عليه وسلم) يقتبس المشايخ أسرار الحروف المعجمة وعلومها واشتقاقاتها ثم يعلمونها لأمة الحبيب صلى الله عليه وسلم لكي يواجهوا بها ويحاربوا بها إبليس وحزبه))^٢ .

ويعتقد بعض البرهانية في العدد (٣) ، ويقولون أن الكون كله قائم على هذا العدد، والله سبحانه يغير على هذا العدد، وفي الكيمياء لا يوجد رد فعل بدون فعل ولا يوجد فعل يحصل بواحد، فالفعل يحصل باثنين والثالث هو الناتج، فالثلاثة أول الحساب، وأصل الحساب الواحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم، فلما قبض الله سبحانه قبضة النور لمّا صلى الواحد على الواحد صار ضرب الواحد في واحد يساوي واحد فصاروا ثلاثة، والثلاثة في الثلاثة تساوي تسعة وهي آخر الحساب، ويستدلون على ذلك بآيات من القرآن الكريم، ورد فيها ذكر الثلاثة ومضاعفاتها منها قوله تعالى: ((مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ))^٣ ، وقوله تعالى: ((وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ سِنِينَ وَأَزْدًا ذُوًا تِسْعًا))^٤ ، وقوله تعالى: ((سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ))^٥ ، وأقصر سورة في القرآن تتكون من ثلاث آيات وهي سورة الكوثر ، وسورة الفاتحة قسمت بين العبد وبين الرب ثلاث آيات للرب وثلاث آيات للعبد ، وأن الخضر قام بثلاثة أعمال في قصته مع موسى الواردة في سورة الكهف ، وفي القرآن كله يتكلم الله سبحانه عن نفسه بالجمع إلا في ثلاث مواضع تكلم بالمفرد وهي في قوله تعالى : ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً))^٦ وقوله سبحانه : ((إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي))^٧

^١ أنوار الأمين في شرح الأوراد عن سيدي فخر الدين ، ص ٦٠ - ٦٤ .

^٢ المصدر السابق ص ٩٥ - ٩٦ .

^٣ سورة المجادلة (٧) .

^٤ سورة الكهف (٢٥) .

^٥ سورة الكهف (٢٢) .

^٦ سورة البقرة (٣٠) .

^٧ سورة طه (١٤) .

وقوله تعالى: ((قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى))^١. والثلاثة تدل على الفردية التي يحبها الله سبحانه^٢.

وبالنظر إلى ما سبق ذكره من القول بشرعية علم الأعداد والحروف، فإنه يقال: لا يوجد دليل صحيح يجب المصير إليه والأخذ به في ذلك، وكل ما استدلوا لم يثبت، ولا يصح أن يكون دليلاً، فالقول بأن هذه الحروف والأعداد نزلت على الأنبياء السابقين، للاستفادة منها في الدعوة، فقول غير صحيح لم يثبت به دليل من القرآن أو السنة، والقول بأن النقطة كناية عن الله سبحانه فيه مجازفة وقول على الله بغير علم، فمن الذي كناه سبحانه بذلك؟ ومن الذي قال بأن الألف كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومن الذي قال أن القاف وعددها يشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ وما هو الدليل الذي اعتمد عليه هؤلاء في إشاراتهم تلك؟. وأما حديث مجيء اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقد ضعفه الحافظ ابن كثير^٣ رحمه الله حيث قال: ((وأما من زعم أنها دالة على المدد (يعني الحروف المقطعة في أوائل السور) وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادّعى ما ليس له، وطار في غير مطاره، وقد ورد في ذلك حديث ضعيف.. ثم قال: فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به))^٤.

والحق الذي لا مرية فيه، والذي يجب أن لا يتمسك بسواه هو أن ذلك كله من تلبسات الباطنية، لخدعة العوام، وضعاف العقول والجهلة، بأن علومهم أسرار خاصة لا يعلمها سواهم، فيجب التسليم لهم فيما يقولون، وعدم الاعتراض عليهم، فيمررون باطلهم الذي أرادوه بهذا التمويه، وبحجة أن هذه من علوم الخاصة، التي لا يكمن إطلاع العامة عليها. ومعلوم أن التعامل بالحروف والأعداد مما يتعامل به السحرة والكهان، إخوان الشياطين وأئمة الباطل، كما أن التثليث مما قالت به النصارى فلا خير في كلا المسلكين.

^١ سورة طه (٤٦).

^٢ لقاء مع المرید علی مصطفی عریفی، بمنزله بالرياض، الخرطوم، بتاريخ ١٨/٤/١٤٢٢هـ الموافق ٩/٧/٢٠٠١م.

^٣ هو عماد الدين أبو الفداء، الحافظ، إسماعيل بن عمر بن كثير، الدمشقي، الشافعي، محدث حافظ مؤرخ ولد سنة ٧٠٠هـ/١٣٠١م، سمع بدمشق، ثم رحل إلى مصر وسمع من شيوخها، ودرس بها، له العديد من المصنفات منها: (تفسير القرآن العظيم) و (البداية والنهاية في التاريخ) وغيرها، توفي بالرملة سنة ٧٧٤هـ/١٢٧٣م (الدرر الكامنة ج ١ / ٣٩٩).

^٤ تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ج ١ / ١٦.

المبحث الثاني

الأفكار الشيعية

المطلب الأول

محبة آل البيت والانتساب إليهم :

من المعلوم أن لآل البيت منزلة عظيمة في نفوس المسلمين ، وقلوب المؤمنين ، لذا فإن الدعوة لهم أو ادعاء النسب فيهم ، تكسب الداعي مكانة عند الناس ، فيسهل عليه بث أفكاره ، والتدرج بالناس إلى اعتناق آرائه ، ومن ثم استقطاب أكبر عدد منهم حوله . ومن هنا فقد اتخذ الباطنية من حب آل البيت ستاراً لنشاطهم المعادي للإسلام ، ووسيلة من أجل الوصول إلى غاياتهم الخبيثة ، لهدم الإسلام ، وقد كشف الباطنية عن سبب التفافهم حول آل البيت بقولهم : ((إننا إن أظهرنا رأينا الذي نعتقد رُمينا بالكفر والزندقة وقد وجدنا أقواماً ينتحلون حب علي ويظهرونه ثم يقعون بمن شاءوا ، ويعتقدون ما شاءوا ويقولون ما شاءوا فنسبوا بذلك إلى الترفض فلم نر لمذهبنا اللطف من انتحال هذا الرجل ثم نقول ما شئنا ونقع بمن شئنا فلئن يقال لنا زنادقة كفار ، وما علي عندنا أحسن حالاً من غيره ممن نقع بهم))^١ . ويبين ابن الجوزي عمل الباطنية في التستر لآل البيت بقوله : ((إن القوم أرادوا الانسلاخ من الدين فشاروا جماعة من المجوس والمزدكية والثوية وملحدة الفلاسفة في استنباط تبرير يخفف عنهم إنكار الصانع وتكذيب الرسل وجدد البعث . ورأوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم قد استطار ما نابهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى أخرسوه عن النطق بما يعتقدونه من إنكار الصانع وتكذيب الرسل وجدد البعث .. ورأوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم قد استطار في الأفطار ، وأنهم قد عجزوا عن مقاومته ، فقالوا: سبيلنا إن ننحل عقيدة طائفة من فرقهم أزكاهم عقلاً، وأتحفهم رأياً، وأقبلهم للحالات وتصديقاً بالأكاذيب .. فنتحصن بالانتساب إليهم وتوددوا إليهم بالحزن على ماجرى على آل محمد صلى الله عليه وسلم . ثم قالوا: وطريقنا أن نختر، رجلاً ممن يساعد المذهب ويزعم أنه من آل البيت، وأنه يجب على كافة الخلق متابعتة ويتعين عليهم طاعته لكونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم))^٢ .

وقد أخذ البرهانية بهذا المبدأ وفي ذلك يقول محمد عثمان عبده البرهاني، وهو يتحدث عن تسلّمه للرئاسة والإمامة: ((.. ثم وقف الإمام الحسين (يعني ابن علي رضي الله عنهما) يخطب ويقول: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أما بعد فقد جمعناكم يا عباد الله المخلصين السيد إبراهيم الدسوقي أصبح بديلاً عن — النبي صلى الله عليه وسلم — ونريده أن يكمل المسيرة ، ونريد

^١ الرد على الجهمية ، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق بروكلمان، لندن، ١٩٦٠م ، ص ٩٨ — ٩٩ .

^٢ تلييس إبليس ، عبد الرحمن بن الجوزي ، ص ١٠٦ .

شخصاً ليكون بديلاً عن السيد إبراهيم الدسوقي ليكمل المسيرة أيضاً ، فمن يكون ؟ وأشار إليّ وأخذ يتحدث ثم جلس ، وعندما قام لينطق بخبر تسلمي الرئاسة أقبل سيدي إبراهيم))^١.

وقد حقق الولاء لآل البيت للباطنية غرضين في آن واحد :

الأول : الإمعان في التستر والحماية على موافقهم وعدم تعرضهم للنقد والاثام والانتقام .

الثاني : الإساءة لآل البيت من خلال إضفاء صفات عليهم لا يقرها الشرع^٢.

ومما يؤكد أن البرهانية قد ساروا على نفس الدرب ، وحققوا نفس الغرضين ما ورد عنهم من نصوص تدل على ذلك، منها انتسابهم إلى آل البيت ، وعلى وجه الخصوص لعلي رضي الله عنه، وأما ما نسبوه إليه من أقوال فهو برئ منها ، فقد ورد في كتاب تبرئة الذمة لمحمد عثمان عبده بعنوان خطبة الكوفة المنسوبة إلى علي رضي الله عنه ، وأنه قال فيها أنا الرحمن ، أنا مجري السحاب، أنا منزل الصافات ، وما أورده في تفسير سورة الفاتحة المنسوب إلى علي رضي الله عنه ، من أن الله سبحانه يتصف بصفات العبد ، بل أنقصها ، والتي منها الجوع والعطش والمرض ، وغيرها من صفات النقص تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^٣.

^١ قبس من نور ، محمد عثمان عبده ، ص ٣٣ .

^٢ الغلو والفرق الغالية ، د . عبد الله سلوم ، ص ١٦٤ ، بواسطة الشعبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة الإسلامية ، حسن حميد عبيد الغرابوي ، طبع ونشر دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٣ م ، ص ٨٢ .

^٣ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ص ٢٩١ .

المطلب الثاني

التأويل الباطني

عرفت الشيعة الباطنية في تاريخ المسلمين بتأويل النصوص ، وذلك بصرفها عن معناها الظاهر ، والحقيقي ، وذلك إمعاناً في هدم الشريعة ، وتفريغ النصوص الشرعية من مضامينها ، وتحريفها عن المعنى المراد بها ، وزعمت الباطنية أن كل كلمة وكل آية في القرآن لها معنيان : أحدهما ظاهر والآخر باطن ، وأن المعنى المراد هو الباطن ، وأول من قال به هو عبد الله بن سبأ اليهودي^١ ، ومنه تناقلته الباطنية ، فحرفوا معاني النصوص الشرعية : ((فقالوا أن الصلوات الخمس أدلة على الأصول الأربعة وعلى الإمام : فالفجر دليل السابق ، والظهر دليل التالي ، والعصر للأساس ، والمغرب دليل الناطق ، والعشاء دليل الإمام ، والصيام : هو الإمساك عن كشف السر ، والكعبة هي النبي ، والباب علي ، والصفاء هو النبي ، والمروة علي ، والميقات هو الأساس ، والتلبية إجابة الداعي ، والطواف بالبيت سبباً هو الطواف بمحمد إلى تمام الأئمة السبعة))^٢.

يقول عبد القاهر البغدادي : ((إن غرض الباطنية الدعوة إلى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة)) . ويقول ابن الجوزي عنهم : ((ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها إذ لو صرروا بالنفي المحض لقتلوا))^٣.

وقد أخذ البرهانية بالتأويل الباطني ، فأولوا معاني كثير من النصوص الشرعية في القرآن والسنة ، وخالفوا بذلك جمهور المفسرين من علماء الأمة من السلف الصالح ، وقالوا كما قالت الباطنية بأن لكل آية معنى ظاهر وآخر باطن ، وأن علم الباطن هو المراد ، وأن هذا العلم الباطن لا يعلمه غير الصوفية ، كما قالوا بأن للحروف معان لا يعلمها كثير من الناس ، بل والولاية عندهم لا تحصل إلا لمن علم معاني هذه الحروف ، وأن المفسرين السابقين لم يصلوا إلى معرفة معاني هذه الحروف ، وفي ذلك يقول إبراهيم الدسوقي : ((جميع المعبرين والمؤولين والمتكلمين في علم التوحيد و التفسير لم يصلوا إلى عشر معشار معرفة كنه إدراك

^١ هو عبد الله بن سبأ ، يلقب بابن السوداء ، وإليه تنسب فرقة السبائية ، من فرق الشيعة ، كان يهودياً فتظاهر بالإسلام ، ثم طاف ببلاد الإسلام بقصد الفتنة وإفساد الدين ، بدأ بالحجاز ، ثم البصرة والكوفة ، ثم دمشق ، وكان عبد الله بن سبأ في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى مثل ما قال في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم أظهر القول بالوهمية على رضي الله عنه ، وأنه حي لم يقتل ، وأنه سيعود فيملا الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً ، وأنه يجئ في السحاب ، وأن الرعد صوته والبرق سوطه ، وقد أحرق علي رضي الله عنه جماعة منهم ، لقولهم بالسوهمية . (الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادي ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤)

(الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ج ٤/ ١٣٨) و (الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ج ٢ / ١٢)

و (إعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، فخر الدين الرازي ص ٤٥) .

^٢ فضائح الباطنية ، أبو حامد الغزالي ، ص ٣٥ - ٣٦ .

^٣ الفرق بين الفرق ، عبد القادر بن طاهر البغدادي ، ص ٢٧٧ .

معنى حرف واحد من حروف القرآن العظيم^١ . وفي مقال بعنوان ماذا قال الشيخ محمد عثمان عبده في تفسير قوله تعالى : ((مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ))^٢ : ((..ولقد ورد عن الإمام فخر الدين الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني في تفسيره لسورة الرحمن قال تعالى : ((مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ)) أنه قال أن المروج معناه الامتزاج أما البحرين فالمقصود بهما سيدنا الإمام على كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم .

ويقول في تفسير اللؤلؤ والمرجان بالحسن والحسين يقول في ذلك شعراً :

بَحْرَانِ مُرْجَا بِكَيْفِ الْمُصْطَفَى عَبْدُ الْبَتُولِ عَقِيلَةُ الْعُدْنَانِ
وَاللُّؤْلُؤُ الْمَكُونُ وَالْمَرْجَانُ مِنْ نَبْتِ الرَّسُولِ كِلَاهُمَا الْحُسْنَانِ^٣

والتفسير المذكور للآيتين هو تفسير الشيعة^٤ ، وقد أخذه محمد عثمان عبده البرهاني منهم ، فهو ليس بجديد كما يبدو للبعض من البرهانية ، بأن شيخهم قد جاء بتفسير لم يسبق إليه من قبل ، وعلى كل حال فهو تفسير لم يقل به أحد من أهل العلم بالتفسير الراسخين في العلم ، بل هو تفسير غير صحيح ، فقد قال ابن كثير وقوله تعالى : ((مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ)) قال ابن عباس : أي أرسلهما . وقوله : ((يَلْتَقِيَانِ)) قال ابن زيد : أي منعهما أرء يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما ، والمراد بقوله البحرين الملح والمر^٥ .. وقوله تعالى : ((يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ)) أي من مجموعهما فإذا وجد ذلك من أحدهما كفى^٦ .

وبهذا يظهر بطلان تفسير اللؤلؤ والمرجان بعلي وفاطمة وتفسير يلتقيان بزواجهما ، أو

تفسير اللؤلؤ والمرجان بالحسن والحسين .

^١ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ، ص ١٥١ .

^٢ سورة الرحمن (١٩) .

^٣ سورة الرحمن (٢٢) .

^٤ مجلة البرهان الدولية ، مجلة التصوف الإسلامي الدولية ، تصدر شهرياً عن اللجنة الدولية للإعلام بالطريقة البرهانية ، العدد الأول أبريل ٢٠٠١ - محرم ١٤٢٢ هـ ، ص ١٨ - ١٩ .

^٥ بغية المرئاد ، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٥٧ . سورة الرحمن (٤٤) .

^٦ تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء الحافظ بن كثير ج ٤ / ٤٢٣ - ٤٢٤ .

المطلب الثالث

تعظيم المشاهد والأضرحة

عرفت الشيعة بتعظيمها للمشاهد والأضرحة ، بالبناء فوقها، وحجها، والطواف حولها ، والتبرك بجدرانها، ودعاء المقبورين فيها ، وألف لهم علماء هم كتباً في حج المناسك والمشاهد والأضرحة^١ ، فأحدثوا المشاهد الشركية ، والمزارات الوثنية في الأمة الإسلامية ، وشدوا الرحال إلى زيارة الأضرحة ، فهم يحجون إلى قبر الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بكر بلاء ، ويعتبرونها من الأماكن المقدسة والمحرفة ، كما أنهم يقدسون أماكن قبور أئمتهم ، ففي الوافي وهو أحد كتبهم المعتمدة : ((أن الكوفة حرم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وحرّم أمير المؤمنين وأن الصلاة فيها بألف صلاة^٢ ، ويروون عن جعفر الصادق^٣ : ((إن الله حرماً وهو مكة ولرسوله حرماً وهو المدينة ولأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة ولنا حرّم وهو قم سندفن فيه امرأة من ولدي تسمى فاطمة من زارها وجبت له الجنة))^٤ . وتعتبر زيارة قبور الأئمة والدعاء والصلاة عندها والتوسل والاستشفاع بهم أفضل عندهم من الحج إلى البيت الحرام ، ففي الكافي أتى رجل أبا عبد الله فقال له : ((قد حججت تسع عشرة حجة فادع الله أن يرزقني تمام العشرين قال هل زرت قبر الحسين ((ع)) قال : لا قال لزيارته خير من عشرين حجة))^٥ . وعن أبي يعفور قال سمعت أبا عبد الله يقول : ((والله لو أنني حدثتكم بفضل زيارته وبفضل قبره لتركتكم الحج رأساً وما حج منكم أحد ويحك أما علمت أن الله اتخذ كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يتخذ مكة حرماً))^٦ . وفي الوافي قال الصادق : ((من عرف عند قبر الحسين فقد شهد

^١ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٢٧ / ١٦٢ .

^٢ الوافي ، الفيض الكاشاني ، باب فضل الكوفة ومساجدها ، ج ٢ / ٨ / ٢١٥ بواسطة مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ، دار طبية للنشر والتوزيع ، الرياض ، بدون تاريخ نشر ، ج ١ / ٣٠١ .

^٣ هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ، المعروف بجعفر الصادق ، ولد سنة ٨٢ هـ ، ورأى بعض الصحابة ، قال الذهبي ، أحسبه رأي أنس بن مالك ، وسهل بن سعد ، وقال عنه ((وكان يغضب من الرافضة ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر ظاهراً وباطناً ، هذا لا ريب فيه ولكن الرافضة قوم جهلة)) وقال عنه : ((ثقة صدوق)) ، توفي سنة ١٤٨ هـ . ((سير أعلام النبلاء ج ٦ / ٢٥٥ - ٢٧٠)) .

^٤ البحار للمجلسي ، ج ١٠١ / ١٠٧ بواسطة مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، د . ناصر القفاري ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

^٥ الوافي ج ٢ / ٨ / ٢١٩ بواسطة مسألة التقريب ص ٣٠٢ .

^٦ البحار ، المجلسي ج ١ / ٣٣١ بواسطة مسألة التقريب ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

عرفة))^١. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((حدثني الثقات أن فيهم - أي الرافضة - من يرى الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى العتيق))^٢.

وقد أخذت الصوفية ومنهم البرهانية من الشيعة تعظيم المشاهد والقبور والأضرحة ، وشد الرحال إليها ، والطواف حولها ، وتعظيم قبور المشايخ ، وقصدها لقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، وسؤال أصحابها ما لا يسأل منه ولا يقدر عليه إلا رب الأرض والسموات ، وتقبيل أعتابها وجدرانها ، رجاء تحصيل البركات . وقد وردت عنهم نصوص كثيرة دالة على ذلك منها قولهم في قبر أبي الحسن الشاذلي : ((وقبره الشريف مشهور بها فلا زال قبلة الآمال وقبلة أرباب الوصال))^٣ وورد في فضل قبر عبد السلام بن بشيش : ((وبني عليه مقام وضريح وقبة قصيرة ومقامه من الأماكن التي يستجاب عندها الدعاء))^٤ . ويقول عبد السلام بن بشيش : ((من زار قبري حرم جسده على النار))^٥ . وأما قبر إبراهيم الدسوقي فيقول فيه محمد عثمان عبده وهو يخبر عن أحد المريدين والتجائه في الشدائد إلى قبر الدسوقي ، ويقره محمد عثمان على ذلك ، فيقول تحت عنوان : بعض فضل زيارة مقام سيدي إبراهيم : ((وحدث أن أحد الإخوان أصحاب الأعمال في مصر قال لي : يا مولانا الشيخ إنني أحب مولانا الحسين حباً جما وعندما تعتريني قضية من القضايا أو شدة من الشدائد اركب سيارتي وأذهب إلى دسوق بعد صلاة الصبح ، ثم أتوجه إلى سيدي إبراهيم في مقامه وأشكو له قضيتي وأحدثه كما أحدثك ، ثم أتوجه بعد ذلك إلى مقام مولانا الحسين فأتأجبه قائلاً : لقد ذهبت إلى سيدي إبراهيم وأخبرته بكذا فما قولك يا مولانا الحسين ؟ وكل عقدة حلت . فقلت له : فلنكن هكذا دائماً ثم قلت له نحن في السودان لا نجد ما تجدونه أنتم فليدركم مولانا الحسين وسيدي إبراهيم ، والطريقة فماذا تريدون بعد ذلك))^٦ . ولا يخفى ما في هذا الكلام من الشرك بالله سبحانه ، في تقرير الشيخ لمريده على الشرك بالله تعالى ، بل وحثه على ذلك في ترغيبه في دعاء غير الله تعالى ، والاستغاثة بغير الله تعالى في وقت الشدة ، والله سبحانه يقول : ((أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ

^١ الوافي ج ٢ / ٨ / ٢٢٢ بواسطة مسألة التفریب ص ٣٠٣ .

^٢ منهاج السنة النبوية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، الطبعة الأميرية ج ٢ / ١٢٤ .

^٣ الأربعة أهل السلسلة ص ٥٣ .

^٤ المصدر السابق ص ٦٣ .

^٥ المصدر السابق ص ٥٨ .

^٦ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَعْلَاهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ))^١ . ويدعو أحد المريدين الناس إلى

اللجوء إلى قبر الدسوقي في الشدائد ، لتفريج الكربات ، بقوله في ذلك شعراً :

لُذِّبَ بِالْمَقَامِ وَنَادَاهُ يَا سَيِّدِي يَا مُنْقِذَ الْمَظْلُومِ وَالْحَيْرَانَ^٢

إلى أن يقول :

وَإِذَا قَصَدْتَ مَقَامَهُ فِي حَاجَةٍ
أَوْ كُنْتَ فِي غَمٍّ وَجِئْتَ ضَرِيحَهُ
مَا أَمَّهُ أَحَدٌ وَنَادَى بِاسْمِهِ
مَهْمَا تَكُنْ فِي شِدَّةٍ وَقَصَدْتَهُ
قَضَيْتَ بِلَا شَكٍّ مَعَ الْإِيْقَانِ
تَجِدُ الْغِنَى يَأْتِي بِغَيْرِ تَوَانِي
إِلَّا أَتَاهُ بِسِرِّهِ يُسْرَانِ
تَجِدُ الشَّدَائِدَ بَدَلَتْ بِأَيِّانِ^٣

وهذا القول دعوة صريحة إلى الشرك بالله سبحانه ، والتوجه إلى قبر الدسوقي لكشف
الكربات وإجابة الدعوات ، ونيل المرغوبات والمطلوبات ، وترك دعاء رب الأرض
والسماوات .

^١ سورة النمل (٦٢) .

^٢ ديوان ابتسام المدامع ص ٣١١ .

^٣ المصدر السابق ص ٣١٢ .

المطلب الرابع تقديس الأشخاص

تقديس الأشخاص في الفكر الشيعي من أبرز العقائد الشيعية ، إذ الاعتقاد في الأئمة و عصمتهم من الأسس والأصول التي يركز عليها الشيعة في عقائدهم ، فالإمام هو محور العقيدة لديهم ، ويشغل حيزاً كبيراً عندهم ، وعرفت الشيعة بالغلو في الأئمة ، بل وصل الأمر ببعضهم إلى تأليه الأئمة ، وأن الله قد خص الأئمة بعلوم ليست لدى أحد من الناس سواهم ، وأن العلم لا يمكن أن ينال إلا عن طريقهم ، وتجب الطاعة المطلقة لهؤلاء الأئمة لأنهم معصومين من الخطأ في القول والعمل ، وفي ذلك يقول المجلسي وهو أحد علماء الشريعة لديهم : ((على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا لخطأ في التأويل ولا للإسهاء من الله سبحانه))^١ ، ويقول الخميني : ((وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقام لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل))^٢ ، ويقول : ((إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن لا تنهى جيلاً خاصاً وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر وإلى يوم القيامة يجب تنفيذها واتباعها))^٣ ويقول : ((فإن للإمام مقاماً محموداً أو درجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون))^٤ .

وقد أخذ الصوفية ، ومنهم البرهانية من الشيعة هذا الفكر والمبدأ ، فتقديس الصوفية لمشايخهم واعتقادهم فيهم وفي عصمتهم ، وتصرفهم في الكون ، وما خصهم الله تعالى به من علوم وأسرار ، مما طفحت به كتبهم ، يقول أبو الحسن الشاذلي : ((للقطب خمسة عشر كرامة (وذكر منها) أن يمد بمدد العصمة))^٥ . والمشايخ أنفسهم لا ينتظرون المدح من أحد بل يبادرون بمدح أنفسهم وتزكيتها ، فهذا هو الدسوقي يقول : ((أنا في السماء شاهدت ربي وعلى العرش خاطبته ، أنا بيدي أبواب النار غلفتها ، وبيدي جنة الفردوس فتحتها ، من زارني أسكنته جنة الفردوس))^٦ ، ويقول : ((أشهدني الله تعالى ما في العلى وأنا ابن ست سنين ونظرت في اللوح

^١ البحار ، المجلسي ج ٢٥ / ٢١١ بواسطة مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، الدكتور ناصر القفاري ، ص ٣٢٣ ، وأوائل المقالات ، المفيد ص ٢٧٦ بواسطة مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ص ٣٢٣ .

^٢ آية الله الخميني هو الرئيس السابق لدولة إيران ، وهو من أئمة الشيعة ومفكرهم ، وهو واضع كتاب ولاية الفقيه أو الحكومة الإسلامية الذي تلافى فيه الخلل الذي يقع بغيبة الإمام المنتظر ، فالفقيه نائب عن الإمام فيما يختص بأعماله ، وله عدة مؤلفات منها : ((كشف الأسرار)) و ((تحرير الوسيلة)) وغيرها ، توفي سنة ١٤٠٣هـ / يونيو من سنة ١٩٨٣م .

^٣ الحكومة الإسلامية ، الخميني ، ص ٣٥ بواسطة الشيعة في الميزان ، د . محمد يوسف النجرامي ، بدون أي بيانات أخرى ، ص ١٦٢ .

^٤ الحكومة الإسلامية ، الخميني ، ص ١١٣ بواسطة الشيعة في الميزان ص ١٦٢ .

^٥ الحكومة الإسلامية ، الخميني ، ص ٥٢ ، بواسطة الشيعة في الميزان ص ١٦٢ .

^٦ الأربعة أهل السلسلة ص ٣٨ .

^٧ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ، ص ١٨٨ ، و الجوهرة المضيئة ، إبراهيم الدسوقي ص ٣٧٧ .

المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين وفككت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين، ورأيت في السبع المثاني حرفاً معجماً حار فيه الجن والإنس ففهمته وحمدت الله تعالى على معرفته^١، ويقول وهو يتحدث عن فضل نفسه ومكانتها : ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأولياء العلماء بالله يا أولياء الله إن الله قد ولاه درك الثلث في السماوات والأرض ومن زاره فقد زارني ويكون كمن حج فلماذا قلت :

حُجُّوا إِلَيَّ فَذَاتِي كَعُوبَةٍ نَضِبَتْ وَالسِّرُّ فِيهَا كَسِرِّ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ

فإن للكعبة رجال يطوفون بها والله رجال تطوف الكعبة بهم))^٢، ويقول أحمد عربي الشرنوبلي : ((وقد علمني الله علوماً لم يعلمها لأحد في عصري حتى اطلعت على اللوح المحفوظ وعرفت طلاسمه .. ومن كراماتنا أن الله تعالى وهب لنا الدنيا وتصرفنا فيها جميعاً))^٣. وهذا قليل من كثير مما ورد عنهم في ذلك ، ولا يخفى على مسلم عاقل ما فيها من دعوى الربوبية والألوهية ، التي من ادعاها فقد كفر بالله ، وما فيها من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في أن من زار قبر إبراهيم الدسوقي قد حج حجة الإسلام ، وهذا هدم لركن من أركان الإسلام بتحويله إلى غير محله ، والله تبارك وتعالى يقول : ((إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ))^٤ ، ولا يخفى ما في قوله من دعوى سقوط هذه الفريضة عنه ، وهذا القول كفر لا يحتمل التأويل .

^١ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، ص ١٩٢ .

^٢ الجوهرة المضينة ، إبراهيم الدسوقي ص ٣٨٠ .

^٣ الأربعة أهل السلسلة ص ٣٨ .

^٤ البقرة (١٥٨) .

المطلب الخامس

التبني الروحي

التبني الروحي هو أحد عقائد الشيعة الباطنية ، وهو يقوم أساساً على العلاقة الروحية بين التلميذ وأستاذه ، ويوضحها برنارد لويس بقوله : ((إن الحركة الباطنية بما لديها من ميول غنوصية قوية وبتعويلها الشديد على النواحي الباطنية للأشياء دون المادية الظاهرية منها ، بلغت بسهولة ، وبشكل طبيعي جداً اعتبرت فيه العلاقة بين الأب والابن — وهي تتصل بالبدن التافه الزائل وحده — أقل أهمية وحقيقة من العلاقة الروحانية بين المعلم والتلميذ المنبعثة من النفس الخالدة ، وينتج عن هذه العقيدة، أن التلميذ أحرى بأن يكون الابن هو الوارث الحقيقي من النسل الطبيعي للإنسان، ويأتي برنارد لويس على صحة ذلك برواية عن رشيد الدين المؤرخ الفارسي: بأن جعفرأ أرسل حفيده محمد بن إسماعيل في صحبة أبي شاذان ميمون الديصاني المعروف بميمون القداح، إلى طبرستان ، وبعد وفاة جعفر أودع ميمون القداح ولده عبد الله إلى محمد بن إسماعيل قائلاً : إن الأبوة الجسمانية تكون من ولادة الطفل المادية ليس غير ، بينما تكون الأبوة الروحانية من شخص آخر معين، فنقول أن فلاناً ابن فلان لأنه تخرج عليه، أفلا يكون الذي تلقي العلم والمعرفة اللتين هما جوهر الحياة الروحانية من رجل آخر هو ابنه الحقيقي؟ فأنا مثلاً أنجبني جعفر بن محمد روحانياً، ثم أصبحت بما كشف لي من أسرار العلم أهلاً لأن أنتسب إليه وأن أعتبر نفسي ابنه، والخلاصة فإنه أنهى كلامه بقوله: ((عبد الله هو ابن محمد بن إسماعيل ووارثه الذي لا يتقدم عليه أحد، وقد أودعه إياي لأنثنه وأعصمه من مكائد أعدائه، ولما بلغ عبد^{الله} السابعة عشرة من عمره، نادي ميمون القداح بإمامته ، ولم يعترض الشيعة على ذلك))^١ .

وقد أخذ الصوفية ومنهم البرهانية بهذا المبدأ، وفي ذلك يقول إبراهيم الدسوقي: ((ولد القلب خير من ولد الصلب، فولد الصلب له إرث الظاهر من الميراث ، وولد القلب له إرث الباطن من السر))^٢ . ويقول: ((الشيخ هو والد السر ويجب على الولد عدم العقوق لوالده، ولا نعرف للعقوق ضابطاً نضبطه به إنما الأمر عام في سائر الأحوال، وما جعلوه إلا كالميت بين يدي الغاسل ، فعليك يا ولدي بطاعة والدك وقدمه على والد الجسم فإن والد السر أنفع من والد الظهر لأنه يأخذ الولد قطعة حديد جامد فيسبكه ويذيقه ويقطره ويلقي عليه من سر الصنعة فيجعله ذهباً وإبريزاً))^٣ .

^١ الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها ، محمد أحمد الخطيب ، ص ٦٢ .

^٢ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ١٥٠ .

^٣ الجوهرة المضيئة ، إبراهيم الدسوقي ، ص ٣٦٩ .

وفي إجابة سؤال عن علاقة المرید بالشیخ أجابت لجنة الدعوة والإرشاد بالطريقة البرهانية بما نصه : ((هي علاقة حميمة علاقة الأب بابنه، بل هي أقوى حيث إن الشیخ هو الأب الروحي والآسي والمؤاسي، فأساءة الجسم كثيرون ، ولكن أساءة الروح عزيز الوصول إليهم))^١. ويعتقد بعض البرهانية أن المرید ينادي يوم القيامة باسم والده الروحي أي شيوخه، لا باسم والده الجسماني^٢.

وبالنظر إلى هذه العقيدة فإنه يقال: لم يجعل الله سبحانه وتعالى حقاً بعد حقه تعالى أعظم من حق الوالدين ، من البر والإحسان إليهما والطاعة ، فقال سبحانه : ((وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا))^٣. وقال تعالى : ((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا))^٤ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِهِمَا))^٥ . فلا يمكن بعد هذا أن تتقدم طاعة أحد وبره والإحسان إليه ، على طاعة الوالدين وبرهما والإحسان إليهما، غير أن الباطنية لهم مآرب أخرى في هذه العقيدة وغرسها في نفوس أتباعهم منها :

١ _ تأليه المرید للأب الروحي المربي

٢ _ ربط المرید بأوثق رباط ، وهو اعتقاد الكمال والطاعة المطلقة للمربي .

٣ _ سلخ المرید عن والده الجسماني الذي ربما يكون مخالفاً لهم .

^١ مكتوب صادر عن لجنة الدعوة والإرشاد في الطريقة البرهانية .

^٢ مقابلة شخصية مسجلة مع المرید إدريس موسى أحمد بمنزله بمدينة عطبرة، بتاريخ ١٤٢٢/٤/٨ هـ الموافق ٢٠٠١/٦/٢٨ م .

^٣ سورة النساء (٣٦) .

^٤ سورة الإسراء (٢٣) .

^٥ أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عمرو ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ج ٣ / ١٧٨ ، حديث رقم

٣٥٠١ . وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٥١٥ .

المبحث الثالث

الأفكار الأصولية

تأثرت الطريقة البرهانية بالأفكار الأصولية ، ويظهر ذلك جلياً بالاستقراء لمصنفات ومؤلفات الطريقة ، ويمكن أن يقال أن لهذه الأفكار دواعي ملحّة أدت للأخذ بها منها ما يلي:

التأثر ببعض السابقين من علماء التصوف ممن عنوا بالأفكار الأصولية، واهتموا بها، وصنفوا فيها المصنفات كالإمام أبي حامد الغزالي وغيره .

ظهور وتفوق المنهج العلمي الأصولي في الساحة العلمية، وذلك لما له من مزايا أهمها أنه وسيلة لمعرفة كيفية أخذ الأحكام الشرعية من قواعدها الكلية، ومعرفة أدلة الأحكام الشرعية المتفق عليها والمختلف فيها ، ومعرفة التعامل مع النصوص الشرعية وفق هذه الأدلة والقواعد .

عناية العلماء من هذه الأمة بضبط قواعد العلوم الشرعية، واشتهار أئمة أجلاء ممن عنوا بهذه القواعد والأصول ، في مختلف العلوم الشرعية، أصول الفقه، ومصطلح الحديث، والتفسير وغيرها، والأمة تتق في علمائها ، والانتساب إلى أولئك العلماء لا يحصل إلا بالأخذ من علومهم والسير على منهجهم .

السعي لإقناع طلاب العلم ممن لهم دراية بهذه العلوم والقواعد والأصول ، إضافة إلى الدفاع عن تعاليم ومعتقدات الطريقة التي تتبناها أمام انتقادات الخصوم من أهل العلم بتلك الأصول .

الوعي العلمي الذي ساد المجتمع الإسلامي، والذي من مظاهره الاهتمام بالأدلة الشرعية ثبوتاً وفهماً ، فمن ذلك مثلاً الاهتمام بالسنة النبوية، ومعرفة الأخبار الصحيحة والضعيفة منها، وما يجوز الاستدلال به وما لا يجوز .

سهولة المنهج الأصولي وسلامته من التعقيد ، ووضوحه في الأحكام، مقارنة بالمنهج الفلسفية والكلامية، فالمنهج الأصولي هو منهج القراءان والسنة .

وفيما يلي بعض الأفكار الأصولية التي أخذت بها الطريقة البرهانية، ومدى صحة الاستدلال بها على الحكم المستدل عليه .

المطلب الأول

الإجماع

تعريف الإجماع لغة : هو العزم والاتفاق .

وأما في اصطلاح الأصوليين : ((هو اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته في عصر من الأعصار على أمر من الأمور))^١ .

وأما البرهانية فلهم مفهوم آخر خاص للإجماع، غير الذي عليه أهل الأصول من علماء المسلمين، ويتبين هذا المفهوم في النص التالي الذي ورد في كتاب أنوار الأمين في شرح الأوراد، وهو: ((ومسك الختام قول سيدي فخر الدين رضي الله عنه (يعني محمد عثمان عبده) عندما سئل هل: ((أوراد العارفين على غير ما ورد نصاً في السنة المطهرة مقبول شرعاً؟ هل هناك ما يفيد بأن ما ورد عن العارفين من أوراد لم تدون في كتب السنة مقبول ومعتمد في الدين؟ فأجاب رضي الله عنه بما يفيد أنها معتمدة ومقبولة لأنها إجماع وإجماع الناس على الخبر من الصالحين الذاكرين فيه الكفاية على الأتباع لقوله تعالى: ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَاهُ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)) [سورة النساء ١١٥]))^٢ .

وتعليقاً على هذا النص فإنه يقال: مما هو واضح في النص أن محمد عثمان عبده يستدل بالإجماع على شرعية الأوراد التي لم ترد بها السنة ، أي المبتدعة ، وإجماع من ؟ إجماع الناس! من يا ترى هؤلاء الناس؟ أهم جمهور الناس من المسلمين ؟ أم جمهور الناس من الصوفية؟ أم العلماء من الصوفية ؟ لم يخبرنا محمد عثمان تحديداً من هم ؟ أما علماء الإسلام المشهود لهم بالفضل والإمامة في الدين فلم يجمعوا على مشروعية الأوراد المبتدعة ، بل إجماعهم منعقد على بدعية وحرمة التعبد بهذه الأذكار إتباعاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))^٣ . وإن كان إجماع الناس منعقد على الثقة في العالم الذي ابتدع هذه الأذكار، فإنه يقال لهم: ما تقولون في قول الصحابي إذا خالفه غيره من الصحابة^٤ ؟ وما تقولون في عمل أهل المدينة النبوية؟ هذا و إن لم يخالف نصوصاً شرعية

^١ إرشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول ، محمد بن علي الشوكاني ، طبع دار الفكر ، بدون تاريخ نشر ورقم طبع ، ص ٧١ . ونهاية السؤل في شرح منهاج الأصول ، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي، طبع عالم الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ نشر ورقم طبع ، ج ٤ / ٢٣٧ .

^٢ أنوار الأمين في شرح الأوراد عن سيدي فخر الدين ص ٢٠ .

^٣ سبق تخريجه ١٠٦٠هـ .

^٤ الإحكام في أصول الأحكام ، سيف الدين أبو الحسن علي الأمدي ، راجعها ودققها جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، ج ٤ / ٢٠١ - ٢٠٩ .

مخالفة واضحة، ففي قبوله نزاع^١، فكيف بقول غيرهم من الناس، وسيأتي مزيد بيان لهذا الأمر في التعليق على النص التالي الذي ورد في الكتاب المذكور أنفاً، وهو: ((ومن أكد الأدلة على جواز قراءة أحزاب الصوفية بما فيها من العبارات المعجمة سيما وإن كانت من إمام يقتدى به على ما قرره الإمام الزرقاني من أنه لا خلاف في ذلك ما دامت متواترة عن أستاذ أجمع الأئمة على معرفته وعدالته، ولا يعترض عليه معترض بجهل إذ الجهل ليس حجة في القدرح، ولو كان حجة لألغينا كل علم لا يصل إليه الجاهل))^٢.

وتعليقاً على هذا النص فإنه يقال :

أولاً : إجماع الأئمة على عدالة شخص معين لا يعد إجماعاً شرعياً ، إذ الإجماع على ثبوت أونفي حكم من الأحكام الشرعية ، لا على عدالة الأشخاص أو عدمها ، فمحل الإجماع الأحكام الشرعية ، وقد تقدم تعريفه .

ثانياً : الحكم بعدالة شخص معين لا تقتضي عصمته من الخطأ ، ولا يلزم منها ذلك ، إذ العصمة من صفات الأنبياء ، وليست لأحد من البشر سواهم ، ولا يشك مسلم في عدالة الصحابة رضي الله عنهم ، ومع هذا فقول الصحابي لا يعتبر حجة شرعية إذا خالف نصاً صريحاً ، أو خالفه غيره من الصحابة ، هذا فضلاً عن غيرهم .

ثالثاً : يضاف إلى ما سبق أن الله تبارك وتعالى تعبد عباده بما جاء في القرآن والسنة ، وكل ما فيهما جاء بلغة العرب الواضحة المعاني ، ولم يتعبدهم بما سوى ذلك من الألفاظ المعجمة .

رابعاً : الأذكار من العبادة ، والعبادة توقيفية لا تشرع إلا بدليل شرعي .

وفيما يلي ذكر بعض أقوال أهل العلم في تحريم التعبد بالأذكار المبتدعة ، المخالفة للسنة النبوية ، يقول القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي في ذكر معنى الإلحاد في أسماء الله الحسنى : ((كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها البارئ بغير أسمائه و يذكرنه بما لم يذكره من أفعاله إلى غير ذلك مما لا يليق به فحذار منها ، ولا يدعون أحدكم إلا بما في الكتب الخمسة ... ، وذروا سواها ولا يقولن أحد :أختار دعاء كذا فإن الله قد اختار له وأرسل بذلك إلى الخلق نبيه))^٣ ، وبمثل هذا القول قال الإمام أبو عبد الله القرطبي .

ويقول القاضي عياض رحمه الله تعالى : ((أذن الله في دعائه ، وعلم الدعاء في كتابه لخليقته ، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء لأُمَّته ، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء : العلم بالتوحيد ، والعلم باللغة ، والنصيحة للأمة ، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه صلى الله عليه

^١ المحصول في علم أصول الفقه ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، دراسة وتحقيق الدكتور طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ج ٤ / ١٦٢ - ١٦٦ .

^٢ أنوار الأمين في شرح الأوراد عن سيدي فخر الدين ص ٢٧ - ٢٨ .

^٣ أحكام القرآن ، القاضي أبو بكر بن العربي ، ج ٢ / ٨١٦ .

وسلم ، وقد اختال الشيطان للناس في هذا المقام ، فقيض لهم قوم سوء يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي صلى الله عليه ، وأشد ما في الحال أنهم ينسبونها إلى الأنبياء والصالحين ، فيقولون دعاء نوح ، ودعاء يونس ، ودعاء أبي بكر الصديق ، فانتقوا الله في أنفسكم ولا تشتغلوا من الحديث إلا بالصحيح))^١ . ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((ومن أشد الناس عيباً من يتخذ حزباً ليس بمأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان حزباً لبعض المشايخ ، ويدع الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيد بني آدم ، وإمام الخلق وحجة الله على عباده))^٢ .

^١ الدعاء ومنزلته في العقيدة الإسلامية ، أبو عبد الرحمن خضر بن جيلان العروسي مكتبة الرشد الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، ج ٢ / ٥٧٨ .

^٢ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٢٢ / ٥٢٥ .

المطلب الثاني

القياس

القياس لغة هو : تقدير شيء على مثال آخر وتساويته به، ولذلك سمي المكيال مقياساً، وما يقاس به النعال مقياساً ، ويقال فلان لا يقاس بفلان، أي لا يساويه ، وقيل هو مصدر قست الشيء، إذا اعتبرته، أقيسه قياساً .

وأما اصطلاحاً: فهو حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما ، بأمر جامع بينهما من حكم أو صفة ^١ .

وقد وقع للبرهانية من الأخذ بالقياس الكثير، في مسائل العقيدة والعبادة والسلوك وغيرها، فمن ذلك استدلال محمد عثمان عبده على أن الأولياء يعلمون الغيب قياساً على معرفة ((الداية)) القابلة لنوع الجنين أهو ذكر أم أنثى، وهو في بطن أمه، لم يخرج بعد، ومعرفة ((الكلب البوليسي)) للمجرم، إذ يقول في ذلك وهو يرد على الذين يكذبون بمعرفة الأولياء للغيب: ((ويكفيهم كذباً أن الداية تعرف ما في رحم المرأة ناهيك الأولياء بل الكلب البوليسي ليكتشف المجرمين)) ^٢ .

ومن أمثلة القياس ما أورده محمد عثمان عبده ، في جواز تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وسلم قياساً على جواز تقبيل الحجر الأسود فيقول: ((أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يقبلون قبر النبي صلى الله عليه وسلم .. ولعلمهم أخذوه من بيانه الشريف صلى الله عليه وسلم من تقبيله الحجر الأسود لأنه ينسب إلى جهة المعبود سبحانه وقس على ذلك قبره صلى الله عليه وسلم)) ^٣ . ومنها استدلاله على جواز جعل الأنبياء وسائط بين الخلق وبين الله سبحانه لقضاء حوائج الخلق قياساً على توسط الله سبحانه لهم في تبليغ الشرائع، فيقول: ((.. وقد جعلهم سبحانه وسائط لنا في تبليغ شرائع دينه فوسطناهم له عز وجل لقضاء حوائجنا تبعاً له في توسطهم لنا في تبليغ شرائع)) ^٤ . ومنها استدلاله على جواز التوسل بالصالحين قياساً على جواز التوسل بالبهائم فيقول : ((فإذا كان التوسل بالبهائم نافعاً أفلا يكون بالصالحين أنفع)) ^٥ . ومنها استدلاله على جواز الطواف حول القبور قياساً على الطواف حول الكعبة في قوله : ((أما الطواف حول القبور فلا شئ فيه لأنه سنة الله في خلقه وقد أخذ قياساً من الطواف حول

^١ إرشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، طبع دار الفكر ، بدون تاريخ طبع ، ص ١٩٨ . ونهاية السؤل في شرح منهاج الأصول ، القاضي ناصر الدين بن عبد الله بن عمر البيضاوي ، شرح عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي ، طبع عالم الكتب ، بدون تاريخ طبع ، ج ٤ / ٢ .

^٢ تبرئة الذمة في نصح الأمة ، محمد عثمان عبده ، ص ٢٨٥ .

^٣ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ، ص ٣٠١ .

^٤ المصدر السابق ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

^٥ المصدر السابق ص ٣٢٦ .

الكعبة وإلا فما فائدة القياس في الدين))^١ . ومنها استدلاله على جواز الصلاة إلى القبور قياساً على صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة رضي الله عنها أمامه في قوله في الرد على من ينهى عن الصلاة إلى القبور: ((.. بل يعتقدون أن الصلاة بالمسجد الذي فيه ضريح باطلة وبعضهم يقول صلي ولا تجعل القبر أمامك وهل المصلي يقول الله أكبر أم ((القبر أكبر)) ما أجهلهم؟ أولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يصلي والسيدة عائشة معروضة أمامه كالجزاة فإذا سجد غمزها في رجلها فتقبضها))^٢ .

وتعليقاً على ما سبق من أمثلة للقياس فإنه يقال : هناك جوابان أحدهما إجمالي في الرد على كل الأمثلة ، والثاني تفصيلي لكل مثال على حدة ، فالجواب الإجمالي هو أن القياس لا يصح في الأمثلة المذكورة لسببين: أحدهما أن الأمثلة المذكورة من الأمور التعبدية و أمور العقيدة التي لا يسوغ فيها القياس ، و الثاني : أن الأمثلة وردت فيها نصوص شرعية ولا قياس مع النص، بل القياس يحتاج إليه في إثبات حكم لواقعة لا نص فيها .
أما الأجوبة التفصيلية فهي كما يلي :

في المثال الأول : القول بأن الصحابة كانوا يقبلون قبر النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح ولم يثبت نص شرعي يفيد ذلك، اللهم إلا ما كان ضعيفاً أو موضوعاً من الآثار، بل النصوص الصحيحة الصريحة تنافي ما ذكر فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد ثبت عنه النهي عن ذلك ، فعن سهيل بن أبي سهيل ((أَنَّهُ رَأَى قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَالتَزَّمَهُ وَمَسَحَ، قَالَ: فَحَصَّبَنِي حَسَنُ بْنُ حَسَنٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَتَّخِذُوا بَيْتِي عِيداً وَلَا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ [وَصَلُّوا حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي])) . ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما دفن في بيته ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : ((لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً ..))^٣ . وأما الحجر الأسود فإنه قد أمر الشارع بتقبيله وهو القائل: ((خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ))^٤ ، والطواف عبادة فلا يصح منها إلا ما أمر به الشرع في مكانه المخصوص وهو بيت الله المحرم .

^١ المصدر السابق ص ٢٦٦ .

^٢ الحديث أخرجه البخاري ، في كتاب الصلاة باب هل يغمز الرجل امرأته عند السجود لكي يسجد ؟ حديث رقم ٥١٩ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ١ / ٧٠٦ ، وحديث رقم ٥١٣ ، باب التطوع خلف المرأة ج ١ / ٧٠٠ .

^٣ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عيده ، ص ٣٧١ .

^٤ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه : ((٣ / ٥٧٧ / ٦٦٩٤)) و ابن عساکر في تاريخه ((٤ / ٢١٧)) و ((ابن خزيمة في صحيحه ٤ / ٤٨)) .

^٥ أخرجه ابن أبي شيبة ((٢ / ٨٢ / ٢)) و ((وأبي يعلى في مسنده ٢ / ٢)) و إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ((١ / ٨٩)) والضياء المقدسي في كتاب في الأحاديث المختارة ((١ / ١٥٤)) .

^٦ أخرجه مسلم في كتاب الحج وبيان قوله صلى الله عليه وسلم لتأخذوا مناسككم ، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر رابكبا ، ج ٩ / ٣٨ . وأحمد في المسند برقم ١٤١١٣١ ، وابن خزيمة باب إباحة رمي الجمار يوم النحر ج ٤ / ٢٧٧ حديث رقم ٢٨٥٧ .

المثال الثاني : القول بتوسيط الأنبياء عليهم السلام إلى الله تعالى في قضاء حوائج الخلق فإن أريد به التوسل بمحبتهم وطاعتهم ، لله ، فهو أمر مشروع ، وإن أريد به دعاءهم والاستغاثة بهم لمكانتهم وفضلهم فإنه أمر محظور بعث الله سبحانه الرسل من أجل هدمه ، والنهي عنه وأمرهم بالدعوة إلى التوحيد ، فقال سبحانه : ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ))^١ وقال سبحانه : ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الْدَاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ))^٢ .

المثال الثالث : إن التوسل بذوات البهائم فهو مما لا يعقل ، ولا يقول به عاقل ، إذ ليست البهائم مما يتخذ وسيلة شرعية إلى الله سبحانه وتعالى .

المثال الرابع : الطواف عبادة شرعها الله سبحانه في مكان معين وهو مكة المكرمة وحول مكان معين وهو الكعبة المشرفة بيت الله الحرام ، فمن أجازها في غير مكانها ، فقد شرع مع الله سبحانه وابتدع في دين الله تعالى ما لم يأذن به ، وتعدّ بعبادة لم يأمر الله سبحانه بها ، والطواف حول الكعبة طاعة لله سبحانه وتعظيم له بتعظيم أمره وامتناله ، أما الطواف حول القبر تعظيم للمقبور وعبادة لغير الله تعالى وشرك به .

المثال الخامس : الصلاة إلى القبور من المسائل التي ورد النص الصحيح الصريح في النهي عنها ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : ((لَا تُصَلُّوا إِلَيَّ قَبْرٍ وَلَا تُصَلُّوا عَلَيَّ قَبْرٍ))^٣ وعن أنس رضي الله عنه : ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ بَيْنَ الْقُبُورِ))^٤ . وقال صلى الله عليه وسلم : ((لَا تُصَلُّوا إِلَيَّ الْقُبُورِ وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا))^٥ .

ومن أمثلة قياسه (أي محمد عثمان عبده) ، قياس الإنسان على الكوب في عدم معرفته بصانعه^٦ .

وأما أتباع محمد عثمان عبده البرهاني فقد ورد عنهم الكثير في القياس فمن ذلك قولهم : ((وبالقياس تجوز الصلاة حول القبر كما تجوز حول الحمام ، وإلا ما كان لأحد أن يصلي في منزله))^٧ .

وقد تقدمت الإجابة عن هذا القياس في المثال الخامس أعلاه .

^١ سورة الأنبياء (٢٥) .

^٢ سورة البقرة (١٨٦) .

^٣ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣ / ١٤٥ / ٢) (٣ / ١٥٠ / ١) والبخاري في التاريخ الصغير ص ١٦٢ .

^٤ أخرجه البزار (٤٤١) و (٤٤٢) و (٤٤٣) وقال الهيثمي في المجمع (٢ / ٢٧) ((ورجاله رجال الصحيح)) ، والطبراني في الأوسط (٢٨٠ / ١) والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٢ / ٧٩) .

^٥ أخرجه مسلم (٣ / ٦٢) ، وأبو داود (١ / ٧١) ، والنسائي (١ / ١٢٤) ، الترمذي (٢ / ١٥٤) ، وأحمد (٤ / ١٣٥) ، والبيهقي (٢ / ٤٣٥) .

^٦ قيس من نور ، محمد عثمان عبده ، ص ٩٨ - ٩٩ .

^٧ رشفات المدام من كلام سيد الأنام ، من مؤلفات الطريقة البرهانية ، بدون اسم مؤلف ، ص ٤٤ - ٤٧ .

ومن أقيستهم في جواز بناء المساجد فوق قبور الأولياء قياساً على بناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فوق قبور المشركين المنبوثة، فهم يقولون: ((وفيما أخرجه البخاري _ كتاب الصلاة _ عند تأسيس المسجد النبوي أنه صلى الله عليه وسلم أمر بقبور المشركين فنُبِشت^١ فإذا كان المسجد النبوي فوق قبور المشركين فهل يحرم بناء سائر المساجد فوق قبور الأولياء))^٢ .

فيجاب عنه بأن تلك القبور نبشت فهل قبور الأولياء منبوثة؟! ثم يقال لهم: لقد جاءت في السنة المطهرة أربعة عشر حديثاً في النهي عن اتخاذ القبور مساجد، فمنها على سبيل المثال، قوله عليه الصلاة والسلام: ((.. أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ))^٣ . والنهي يفيد التحريم، وعن أبي سعيد الخدري: ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُبْنَى عَلَى الْقَبْرِ))^٤، وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك حمايةً لجناب التوحيد، وسدّاً لباب الشرك في التعظيم الذي يحصل للمقبور .

ومن ذلك قولهم: ((.. وأيهما أفضل أن أتوسل بأعمالي التي هي في حكم الرد أو القبول أو أتوسل بالنبي المقبول عند رب العالمين))^٥ . فيقال لهم: إن التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم أمر غير مشروع ولم يثبت بنص، والذي جاءت به النصوص مشروعية التوسل بالأعمال الصالحة، ومحبته عليه الصلاة والسلام من الأعمال الصالحة .

ومن أقيستهم قياس طلب المعونة من النبي صلى الله عليه وسلم أو أهل بيته أو أولياء الله الصالحين على طلبها من الحي في قولهم: ((كل كائن حي يطلب المعونة من أخيه وهذا شيء عادي ولكن إذا طلب معونة النبي (صلي الله عليه وسلم) أو أهل بيته أو أولياء الله الصالحين تنقلب الدنيا رأساً على عقب وكان هذا الطالب أتى بما يخالف الكتاب والسنة))^٦ .

وتعليقاً عليه يقال: طلب المعونة من الحي فيما يقدر عليه أمر مشروع ومعقول، وأما طلبها من الميت، وذلك نحو دعائه والاستغاثة به فهذا أمر محظور، وحتى طلب ذلك من الحي فيما لا يقدر عليه، ولا فرق في ذلك بين النبي صلى الله عليه وسلم وغيره إذ دعاء غير الله تعالى شرك

^١ أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد؟ حديث رقم ٤٢٨، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١ / ٦٢٤ .

^٢ رشفات المدام من كلام سيد الأنام، ص ٤٨ .

^٣ أخرجه مسلم (٢ / ٦٧ - ٦٨) وأبو عوانة (١ / ٤٠١) والسياق له، والطبراني في المعجم الكبير (١ / ٨٤ / ٢) .

^٤ أخرجه ابن ماجة (١ / ٣٧٣ - ٣٧٤) والبوصيري في الزوائد (ق ٩٧ / ٢) وأبو يعلى في مسنده (٢ / ٢٨٧) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ٦١) ((رجالته تقات)) .

^٥ رشفات المدام من كلام سيد الأنام ص ٦٧ .

^٦ المصدر السابق ص ٧٨ .

أكبر مخرج من الملة ، لقوله تعالى: ((ومن يدع مع الله إليها آخراً لا يرهبان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكفرون))^١ وقوله عليه الصلاة والسلام: ((الدعاء هو العبادة))^٢. ومنها قياسهم الإنسان على الحيوان في التأثر بسماع الإنشاد في قولهم: ((.. وقوله صلى الله عليه وسلم لأنجشة (رؤيدك أنجشة بالقوارير)^٣ وأنجشة هذا سائق الأبل التي تحمل النساء وكان يحدو عليها وهي تتحرك لتشتد في سيرها فأمره الحبيب بأن يرفق بالقوارير أي بالنساء فإذا كان الحيوان يحس الإنشاد ويسرع فما بالكم بالإنسان))^٤.

ولوصح هذا القياس ، وهو ليس صحيح ، فلا دلالة فيه على مشروعية اتخاذ الإنشاد عبادة ، وقربى إلى الله تعالى ، ويقول محمد عثمان عبده: ((فهو (أي النشيد) سنة قديمة وعادة مستقيمة))^٥ يشعر بأنه يريد بذلك اتخاذه قربي وعبادة لله سبحانه ، وإنشاد النبي صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه أحياناً لا يدل على الاستحباب بل غاية الدلالة على الإباحة ، وهي غير الاستحباب. وقوله (أي محمد عثمان): ((فإذا كان الحيوان الأعجم يهتز للذكر ويضطرب أفلا يهتز الإنسان للذكر))^٦، في الاستدلال على مشروعية التمايل في الذكر والمدائح ، استدلال غير صحيح ، فمتى كانت أفعال الحيوانات والبهائم دليل على مشروعية أفعال بني آدم المكرم بنعمة العقل ، فالاهتزاز في الذكر دليل على عدم الوقار ، والذكر الذي يصحبه اهتزاز بدعة منكورة لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولا التابعين لهم بإحسان من سلف هذه الأمة الصالح .

ومنها قياسهم الاحتفال بالمولد النبوي على الاحتفال بالعيدين ففي قولهم: ((والقياس يعطي الأولوية في الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم على الاحتفال بالعيدين وذلك لأن عيد رمضان سببه انقضاء صوم رمضان فيحتفل المسلمون بأول شوال نظراً لأنهم أوا عبادة عظيمة وهي صوم رمضان .

والعيد الثاني يكون صبيحة يوم عرفة لأن الحج عرفة فيكون اليوم الثاني لعرفة عيد وذلك لإتمام الفريضة ، وكل من رمضان وعرفة لم يخرجوا عن كونها ركنين أساسيين من أركان الإسلام وهما في الرتبة بلا شك دون الشهادتين كما هو مبين بالكتاب والسنة وإجماع

^١ سورة المؤمنون (١١٧) .

^٢ أخرجه أحمد في المسند ج ٤ / ٢٦٧ ، والترمذي ج ٥ / ٣٧٤ ، برقم ٣٢٤٧ ، والحاكم في المستدرک ج ١ / ٤٩٠ ، وابن حبان (موارد) ص ٥٩٥ برقم ٢٢٩٦ ، وابن ماجه ج ٢ / ١٢٥٨ ، برقم ٣٨٢٨ ، والنسائي في السنن الكبرى ج ٢ / ٢٥٣ ، برقم ٤٨٤ ، وأبو نعيم في الحلية ج ٨ / ١٢٠ ، والقضاعي في مسند الشهاب ج ١ / ٥٢ برقم ٣٠ .

^٣ أخرجه البخاري في كتاب الأدب (١١٦) بلفظ (رفقاً بالقوارير) باب ما يجوز من الشعر ، ج ١٠ / ٤٤٩ ، ومسلم في كتاب الفضائل باب رحمة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء ، (٢٣٢٣) (٧٣) .

^٤ رشقات المدام من كلام سيد الأنام ص ١٠٧ .

^٥ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ٢٣٠ .

^٦ المصدر السابق ص ٢٣٤ .

الأمة ولم تكن إحدى الفريضتين من أركان الإيمان مباشرة كالنبوة ، ولم يعرف أحد فرضاً ولا سنة إلا بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا الوجه يكون الاحتفال بأداء الركن الأول من الإسلام له الأولوية على الاحتفال بأداء أي ركن آخر وذلك لوجوب إجلاله وتعظيمه صلى الله عليه وسلم كما أمرنا الله سبحانه في الآية الكريمة ((وَتُعَزَّرُوهُ وَتُقَرَّوهُ))^١ الفتح ٢ .

وتعليقاً على هذا القياس فإنه يقال : إن الأعياد من العبادات ومن شعائر الإسلام المنصوص عليها ، ومسائل العبادات لا يسوغ فيها القياس كما تقدم ، وقد كان للمشركين أعياداً زمانية ومكانية ، فأبطلها الإسلام وعرّض عنها بعيدي الفطر والأضحى ، فقد أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ((قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ النَّحْرِ))^٢ .

فلا تجوز الزيادة على هذين العيدين بإحداث أعياد أخرى كأعياد الموالد وغيرها ، لأن ذلك زيادة على ما جاء به الشرع وابتداع في الدين ، ومخالفة لسنة سيد المرسلين ، وتشبه بالكافرين ، فلم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم الأمر بذلك ولم يفعله أصحابه رضي الله عنهم ولا التابعون لهم بإحسان ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، وذلك لمعرفة بشرائع الدين ، فهم خير القرون علماً وعملاً ، ولو كان الابتداع في دين الله سائغاً لقال قائل إن الاحتفال بيوم بعثته صلى الله عليه وسلم أولى من الاحتفال بيوم مولده ، ولكن الدين قد كمل والنعمة قد تمت ، وأما تعظيمه عليه الصلاة والسلام فهو باتباعه ، وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وقد كان أصحابه رضي الله عنهم أشد الناس توقيراً وتعظيماً له صلى الله عليه وسلم ، ولم يثبت عنهم أنهم احتفلوا بيوم مولده صلى الله عليه وسلم ، ولا هو أمرهم بذلك ، وإنما حدث الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم بعد القرون المفضلة الموسومة بالخيرية ، بفترة من الزمان طويلة ، فعلم بذلك أن الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم بدعة من البدع المحرمة شرعاً ، والتي يأتي فاعلها ، فضلاً عن أن يكون أولى من الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى .

^١ سورة الفتح (٩) .

^٢ رشقات المدام من كلام سيد الأنام ص ١٠٨ - ١٠٩ .

^٣ أخرجه أبو داود برقم (١١٣٥) وأحمد برقم (١١٧٥٠) والنسائي برقم (١٥٥٧) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح وأخرجه النسائي وابن حبان بإسناد صحيح عن أنس .

المطلب الثالث

مسائل أصولية متفرقة

منها استدلالهم بالإطلاق فيما لا يعتبر مطلقاً ، بل هو مقيد ، فمن ذلك قول محمد عثمان عبده فيما نقله في كتابه انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان : ((فلست أدري من أين لهم قصرهم الوسيلة على العبادة فحسب بعد إطلاق الحق عز وجل في قوله تعالى بعد أمره لعباده بالتقوى وملازمتهم لها بأن لا ينسوا الوسيلة ((وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ))^١ . وفي الإجابة على هذا الكلام فإنه يقال :

أولاً : نقل محمد عثمان عبده نصاً يناقض ما قرره — من أن الوسيلة غير مقيدة — وهو : ((وقد قال الإمام الفخر (يعني الرازي) : اعلم أن مجامع التكليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما أحدهما : ترك المنهيات و إليه الإشارة بقوله تعالى : ((اتقوا الله)) وثانيهما : فعل المأمورات و إليه الإشارة بقوله تعالى : ((وابتغوا إليه الوسيلة))^٢ ، وفي ذلك تناقض مع قوله أن الوسيلة ليست مقصورة على العبادة مع أن ترك المنهيات و فعل المأمورات هو العبادة نفسها ثانياً : الحق أن الوسيلة مقيدة بمعناها الشرعي ، قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسير الآية : ((يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله فيما أخبرهم ، و وعد من الثواب ، وأوعد من العقاب (اتقوا الله) يقول أجيئوا الله فيما يأمركم به ، وبنهاكم ، بالطاعة له في ذلك (وابتغوا إليه الوسيلة) يقول : القرية إليه بالعمل بما يرضيه))^٣ . وقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى الوسيلة في الآية القربى ، ونقل ذلك عن جمع من التابعين منهم : مجاهد وأبو وائل والحسن وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد ونقل عن قتادة قوله فيها : ((أي تقربوا إليه بطاعته ، والعمل بما يرضيه)) ثم قال : ((وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه .. والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود))^٤ .

ومن ذلك استدلاله فيما نقله على جواز التبرك بالأنبياء والصالحين — الذي هو ذريعة الشرك — بعدم اعتقاد المتبرك استحقاق الأنبياء والأولياء للعبادة ولا أنهم يملكون له نفعاً ولا ضرراً فيقول : ((فإن المؤمنين ما اتخذوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الأولياء آلهة .. ولا أنهم يملكون نفعاً ولا ضرراً وإنما قصدوا التبرك بهم لكونهم أحبباء الله المقربين الذين اصطفاهم

^١ سورة المائدة (٣٥) .

^٢ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ٣٢٢ .

^٣ المصدر السابق ص ٣٢٢ — ٣٢٣ .

^٤ جامع البيان في تأويل أي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، طبع دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م ، ج ٤ / ٢٢٦ .

^٥ تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ج ٢ / ٥٢ — ٥٣ .

.. فاعتقاد المسلمين أن الخالق النافع الضار هو الله وحده ، ولا يعتقدون استحقاق العبادة إلا لله وحده ، ولا يعتقدون التأثير لأحد سواه ^١ .

وبالنظر إلى هذا الكلام يظهر فيه التناقض فإن كان هؤلاء لا يعتقدون تأثير الأنبياء والصالحين فلم جعلوهم وسائط بينهم وبين الله تعالى ؟ فإن التبرك هو طلب البركة التي هي حلول الخير ودوامه ، وإنما يطلب ذلك من الله وحده ، ولا يطلب من غيره سبحانه ، وفي ذلك يقول الإمام الألويسي : ((ولا أرى أحداً ممن يقول ذلك – يشير إلى قولهم : يا سيدي فلان أغثني – إلا وهو يعتقد أن المدعو الحي الغائب أو الميت المغيب يعلم الغيب أو يسمع النداء ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الأذى ، وإلا لما دعاه ولا فتح فاه)) ^٢ .

والحقيقة التي لا مرأى فيها هي أن هؤلاء يعتقدون تأثير الأولياء والصالحين ، بل نفعهم وضررهم وإلا لما دعوه ، فإنه من عدم العقل أن يقوم الإنسان بعمل لا يرجو من ورائه جلب منفعة ولا دفع مضرة .

ومنها مسألة العمل بالحديث الضعيف ، يقول محمد عثمان عبده : ((إن الحديث عن الأحاديث المرسلة أو الأحاديث الضعيفة التي تتصل بمحسنات العمل وليس بالفرائض ، وهي لا تضر فريضة من الفرائض ، وإنما تجعل المسلم يزداد حباً بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وتعلقاً به ، وتوضح للمسلمين مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما أرجوه ويمثل أيضاً لب الدين)) ^٣ .

وورد في أنوار الأمين في شرح الأوراد : ((والضعيف ليس بموضوع كما يعتقد بعض الجهلاء وليس ذلك فحسب بل أجمع الكثير من العلماء على الأخذ به في فضائل الأعمال والمناقب ولم يشذ عن ذلك من يعتمد عليه في العلم)) ^٤ .

والحق أن العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال من المسائل المختلف فيها بين أهل العلم ، فبعض أهل العلم يرى جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ، وبعضهم لا يرى ذلك ، وبعضهم أجاز العمل بالحديث الضعيف بشروط ، فمن العلماء الذين منعوا العمل بالحديث الضعيف مطلقاً القاضي أبو بكر بن العربي ، حيث قال : ((أن الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقاً)) ^٥ ، وممن قال بعدم جواز العمل بالحديث الضعيف الإمام الشاطبي حيث يقول :

^١ انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، محمد عثمان عبده ص ٣٠٩ – ٣١٠ .

^٢ روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، العلامة شهاب الدين محمود الألويسي ج ٦ / ١٢٨ .

^٣ قبس من نور ، محمد عثمان عبده ص ١١٤ .

^٤ أنوار الأمين في شرح الأوراد ص ٣٨ .

^٥ صحيح الترغيب والترهيب ، الحافظ المنذري ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف الرياض ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م ، ج ١ / ١٧ .

((والأحاديث الضعيفة لا يغلب على الظن أن النبي صلى الله عليه وسلم قالها فلا يمكن أن يسند إليها حكم فما ظنك بالأحاديث المعروفة بالكذب))^١ .

وعلى هذا فالقول بأن من قال بعدم جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال فقد شذ عن العلماء ، وأنه لا يعتمد عليه في العلم ، قول باطل ، يرده قول كل من الإمامين الجليلين أبو بكر بن العربي المالكي والإمام أبو إسحاق الشاطبي ، وغيرهم من أهل العلم .

الحمد لله

رضاءة التزكية النفس .. وصحیح المسئل

www.E7saan.com

الخاتمة والتوصيات

من خلال دراستي للطريقة البرهانية تبين لي ما يلي:

استفاضة العديد من الدراسات السابقة والحديثة على أن الأصول الفكرية التعبدية والسلوكية للتصوف ليست بإسلامية وإنما هي وافدة من خارج الإسلام مما يرجح القول بأن التصوف ليس إسلامي النشأة والمصادر والأصول .

وحدة الأصول الفكرية والتعبدية والسلوكية لدى الصوفية، قديماً وحديثاً، فليس هناك طريقة صوفية يمكن أن يقال أنها شذت أو انفردت بأصول على غيرها من الطرق الأخرى، لكن قد يتفاوت الجانب العملي، وإظهار بعض ما لا تظهره الطرق الأخرى لدى طريقة ما، وهذا لا يعني مخالفتها للطرق الأخرى في الأصول ، فالجانب النظري شيء، والجانب العملي شيء آخر، فقد يفشي أحد المشايخ الأسرار فيباح دمه، كما وقع للحلاج والسهورودي المقتول وغيرهما .

يحاول الصوفية عامة وأتباع الطريقة البرهانية خاصة على التأصيل للتصوف وأنه موجود منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أول صوفي ، لأن التصوف في تعريفهم هو الزهد والإخلاص والصفاء، مع أن الزهد والإخلاص والصفاء شيء والتصوف الفلسفي شيء آخر، ولم يعرف هذا الاسم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، بل عرف متأخراً، ولم يعرف أحد من الصحابة رضي الله عنهم بأنه صوفي، مع اتصافهم بما ذكر من الصفات .

يحرص مشايخ الطرق الصوفية عامة والطريقة البرهانية خاصة على الانتساب إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، بحق وبغير حق، وذلك إمعاناً في جلب المريدين وطلباً للشرف ونيل التقدير والاحترام لدى الخلق .

انقسام الطريقة البرهانية إلى عدة طرق فرعية مثل الطريقة الفخرية، والبرهامية، وغيرها، يمكن إرجاعه إلى الصراع حول المشيخة، والتنافس عليها، وأن الخلاف بين هذه الطرق الفرعية ليس خلافاً دينياً وعقائدياً، بل دليل عدم وجود ذلك إلا نادراً .

تفرد الصوفية عامة والطريقة البرهانية خاصة، بمصادر للتلقي غير المصادر المنفق عليها بين سائر المسلمين، كالكشف والذوق والوجد والتلقي عن الموتى، مع مخالفة المسلمين في الفهم للعديد من نصوص الكتاب والسنة، مع الاعتماد على نصوص لم تثبت وما ليس بنص شرعي، والاعتماد عليها في إثبات مسائل في أصول الدين، لا تثبت إلا بالدليل الشرعي الثابت .

تقسيم الدين الإسلامي إلى شريعة وحقيقة، أو ظاهر وباطن منهج صوفي قديم، أخذت به الطريقة البرهانية وغيرها من الطرق، وهو منهج باطل، الهدف منه تسويغ المعاصي، والمخالفة للشريعة الإسلامية بدعوى أن الظاهر شيء والباطن شيء آخر.

فقدان المنهج العلمي القويم، في تلقي العلم، الدال على الحق، لدى مشايخ وأتباع الطريقة البرهانية، العلم القائم على اتباع القراءان والسنة، وفهمها على فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وعلماء هذه الأمة ممن شهدت لهم الأمة بالعلم والفضل وانفقت على إمامتهم في الدين .

فقدان المنهج العلمي في الاستدلال لدى الصوفية عامة والبرهانية خاصة، ويتبين ذلك من خلال استعمال الدليل في غير محله، والاستدلال بما لم يثبت، وما ليس بدليل شرعي، والمفهوم الخاطيء لبعض المصطلحات العلمية الشرعية، كتعريف الإجماع مثلاً، وما يسوغ فيه القياس وما لا يسوغ .

وجود الكثير من العقائد والتعاليم المخالفة للعقيدة الإسلامية الصحيحة، مخالفة صريحة لا تحتل التأويل، لدى أتباع الطريقة البرهانية، في الفكر والتعبد والسلوك .

تركيز مشايخ الصوفية عامة ومشايخ البرهانية خاصة أنفسهم، بل وادعواؤهم الألوهية بالتصرف في الكون ودعوى علم الغيب، والقدرة على فعل كل شيء .

تقديس الأشخاص والغلو فيهم سمة بارزة لدى الصوفية عامة ولدى أتباع الطريقة البرهانية بصفة خاصة، وذلك بصرف بعض العبادات لهم كالدعاء والتوكل، والخوف، واعتماد أقوالهم حجة شرعية، يلزم العمل بها، بغض النظر عن موافقتها أو مخالفتها للشرع، والتقليد الأعمى لهم من غير طلب دليل من الشرع، واعتقاد العصمة فيهم .

المنهج التربوي لدى الصوفية عامة والبرهانية خاصة، يقوم على تربية المرید على الخضوع والتسليم التام لشيخه، حتى يصبح لا إرادة له غير إرادة الشيخ، فهو بين يدي الشيخ كالميت بين يدي غاسله، مما يجعل المرید يدور في فلك الشيخ، ليس له أن يطلب الحق والهداية إلا عن طريقه، ويقوم على تقديس المرید لشيخه والغلو فيه إلى درجة تأليهه، كما يقوم على العبادات البدعية، التي لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والتي لا يمكن أن تهذب النفوس طالما كانت كذلك .

تساهل الصوفية عامة وأتباع الطريقة البرهانية خاصة في أمر العبادة وعدم الحرص على وقوعها موافقة للسنة، بطلب دليلها، وعدم الحرص على معرفة الكيفية التي تثبت بها، يدل على البعد عن المنهج القويم في الاتباع للرسول صلى الله عليه وسلم .

وجود بعض الكلمات والألفاظ المعجزة غير مفهومة المعنى في أذكار وأوراد الطريقة البرهانية، وغيرها من الطرق، يدل على تأثر التصوف بمؤثرات خارجية لا تمت إلى اللغة العربية التي نزل بها القرآن بصلة .

وجود بعض العقائد والفلسفات غير الإسلامية الوافدة على الدين الإسلامي، مثل عقيدة الحلول ووحدة الوجود ، والفيض والعقول العشرة، وتقديس الأعداد والحروف والاعتقاد فيها، ووجودها في منهج الطريقة البرهانية يدل على تأثر الطريقة بتلك الفلسفات .

الصلة بين التشيع والتصوف صلة وثيقة لا يمكن إنكارها، حيث يوجد العديد من الأصول العقدية و السلوكية المشتركة ، والأفكار المتوافقة، وهذا ما يلاحظه المطلع على كتب ومؤلفات كل من الرافضة والإسماعيلية من الشيعة الباطنية، وكتب ومؤلفات الصوفية، ومن تلك العقائد المشتركة تقديس الأشخاص فالشيعة يعتقدون في أئمتهم العصمة وكذا الصوفية يعتقدون في شيوخهم العصمة، وتعظيم المشاهد والقبور، والانتساب لآل البيت فقد قالت به الرافضة، وبه قالت الصوفية، وغير ذلك من المسائل المشتركة بين الشيعة والصوفية، وقد ظهر ذلك في تأثر الطريقة البرهانية بأفكار شيعية .

التوصيات :

دراسة التصوف دراسة عميقة ومتجردة، من غير غلو فيه ولا جفاء عنه، للوقوف على منشأه ومصادره، وأصوله الفكرية والتعبدية والسلوكية.

دراسة الطرق الصوفية المعاصرة، للوقوف على معرفة مدى تمسكها بأصول التصوف، واشتراكها في تلك الأصول، وهل حصل فيها تغيير سواء كان إيجابياً أو سلبياً ؟ .

دراسات تحليلية على ضوء الكتاب والسنة للأصول الفكرية والعقدية والسلوكية للتصوف لمعرفة مدى موافقتها وعدم موافقتها للكتاب والسنة .

دراسة المنهج العلمي والاستدلالي لدى الصوفية .

دراسة عميقة ودقيقة للألفاظ والكلمات المعجزة الواردة في أذكار وأوراد بعض الطرق الصوفية لمعرفة منشأها ومصدرها ومعانيها .

معرفة منهج السلف الصالح في تلقي العلم والاعتقاد والتربية والسلوك ، من خلال الوقوف على مصنفاتهم وسيرهم .

معرفة مدى تأثر التصوف بالفلسفات والمؤثرات الخارجية .

بحث الصلة بين التصوف والتشيع، خاصة الفرق الباطنية من التشيع .

الجمادى الأولى

رضاءة لتزكية النفس .. وصحح المسلك

www.E7saan.com

فهرس المصادر والمراجع

(حرف الألف)

- ١ - الإحكام في أصول الأحكام ، سيف الدين أبو الحسن على الأمدي ، راجعها ودققها جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٢ - الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، طبع دار الكتاب العربي ببيروت ، الطبعة الخامسة عشرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ٣ - الأربعة أهل السلسلة، وهو كتاب من منشورات الطريقة البرهانية بدون اسم مؤلف ولا اسم مطبعة .
- ٤ - الإحكام في أصول الأحكام ، سيف الدين أبو الحسن على الأمدي ، راجعها ودققها جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٥ - إرشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول ، محمد بن علي الشوكاني ، طبع دار الفكر ، بدون تاريخ نشر ورقم طبع .
- ٦ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح بمصر ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م بدون رقم طبعة .
- ٧ - أسانيد العلم البرزخي من الكتاب والسنة ، من منشورات الطريقة البرهانية ، بدون اسم مؤلف ، ولا اسم مطبعة ، أو تاريخ طبع .
- ٨ - الاستقامة ، شيخ الإسلام بن تيمية ، بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٩ - الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق الدكتور طه محمد الزيني ، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ١٠ - اصطلاحات الصوفية، د . عبد الحميد صالح حميدان ، مكتبة مدبولي القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م .
- ١١ - اصطلاحات الصوفية ، عبد الرازق الكاشي، طبع مجلس إشاعة العلوم ، المدرسة النظامية، حيدر آباد، الدكن ، بدون رقم طبع وتاريخ نشر .
- ١٢ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، طبع عالم الكتب بيروت بدون تاريخ ورقم طبع .

- ١٣ - الاعتصام ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار المعرفة، بيروت ، لبنان ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، بدون رقم طبع .
- ١٤ - الاعتقاد والهداية إلي سبيل الرشاد، الإمام البيهقي، قدم له وخرج أحاديثه أحمد عصام الكاتب نشر دار الآفاق الجديد بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ١٥ - الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة السابعة ، ١٩٨٦ م .
- ١٦ - أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ، حافظ بن أحمد الحكمي، خرج أحاديثه وعلق عليه مصطفى أبو النصر الشبلي ، الناشر مكتبة السوادي جدة ، الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
- ١٧ - أولياء الرحمن على أولياء الشيطان، محمد عثمان عبده البرهاني بدون اسم مطبعة أو تاريخ نشر .
- ١٨ - أنوار الأمين في شرح الأوراد عن سيدي فخر الدين والتحقيق والتدقيق في شرح أوراد الطريق ، من مؤلفات الطريقة البرهانية ، بدون أي بيانات أخرى .
- ١٩ - الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، عبد الوهاب الشعراني، حققه وقدم له طه عبد الباقي سرور والسيد محمد عبد الشافعي ، طبع المكتبة العلمية ومطبعتها بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٦٢ م .
- ٢٠ - أهوال القبور وأحوال أهل النشور، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، طبع دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

(حرف الباء)

- ٢١ - الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، الحافظ إسماعيل بن كثير ، أحمد شاكر ، عني به الدكتور بديع السيد للحام ، الناشر جمعية إحياء التراث الإسلامي الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .
- ٢٢ - البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي طبع دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٢٣ - بحوث في تاريخ السودان ، الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم، طبعة دار الجيل بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

- ٢٤ — بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، دار الفكر للطباعة والنشر، والتوزيع بدون تاريخ الطبع ورقم الطبع .
- ٢٥ — البداية والنهاية، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، مكتبة المعارف بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٤ م .
- ٢٦ — بطائن الأسرار ، محمد عثمان عبده البرهاني ، بدون جهة نشر أو رقم طبع .
- ٢٧ — بغية المرئاد في الرد على المتفلسفة والباطنية وأهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع دار القلم للطباعة والنشر بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .

(حرف التاء)

- ٢٨ — تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري ، دار القلم ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية، على نفقة السيد محمد عبد اللطيف وشركاه ، بدون تاريخ طبع .
- ٢٩ — تاريخ بغداد ، أبو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، بدون تاريخ طبع .
- ٣٠ — تاريخ التصوف في الإسلام ، قاسم غني ، ترجمه عن الفارسية صادق نشأت ، وراجعه أحمد ناجي القيسي، د . محمد مصطفى حلمي، مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده بدون تاريخ طبع .
- ٣١ — تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ طبع
- ٣٢ — تبرئة الذمة في نصح الأمة وتذكرة أولي الألباب للسير إلى الصواب، محمد عثمان عبده ، بدون اسم مطبعة ولا تاريخ نشر .
- ٣٣ — تحفة المودود بأحكام المولود، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية تحقيق وتعليق عبد اللطيف آل محمد الفواعير ، طبع دار الفكر عمان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .
- ٣٤ — التحفة السننية بشرح المقدمة الآجرومية ، أبو عبد الله بن محمد بن داورد الصنهاجي ، محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩ هـ — ١٩٩٩ م .

- ٣٥ — تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ، طبع عالم الكتب بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .
- ٣٦ — التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد بن عودة السعوي ، طبع شركة العبيكان للطباعة والنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .
- ٣٧ — التصوف الإسلامي، نصوص جمعها وقدم لها د . البير نصري نادر ، طبع المكتبة الكاثوليكية بيروت بدون تاريخ طبع .
- ٣٨ — التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير ، الناشر إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م .
- ٣٩ — التصوف بين الحق والخلق ، محمد فخر شقفة ، طبع الدار السلفية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .
- ٤٠ — تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ، محمد بن إسماعيل اليمنى الصنعاني ، طبع دار الفلاح للطباعة والنشر ، السودان ، الخرطوم ١٤١٣ هـ .
- ٤١ — التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، حققه وقدم له ووضع فهرسه إبراهيم الأبياري ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣ هـ — ١٩٩٢ .
- ٤٢ — وراجع أصوله وعلق عليه الأستاذ محمود أمين النواوي، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩ م، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية .
- ٤٣ — تفسير القراءان العظيم، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، كتب وهوامشه وضبطه حسين بن إبراهيم زهران، طبع دار الفكر بيروت لبنان ١٤١٢ هـ — ١٩٩٢ م .
- ٤٤ — تفسير القراءان الكريم الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة لبنان بدون تاريخ نشر ورقم طبع .
- ٤٥ — التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، طبع مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، بدون رقم طبع وتاريخ نشر .
- ٤٦ — تلبس إبليس ، الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية سنة ١٣٦٨ هـ ، إدارة الطباعة المنيرية بمساعدة بعض علماء الأزهر الشريف ، الناشر دار الندوة الجديدة ، بيروت .

٤٧ - تمييز الطيب من الخبيث في ما يدور على ألسنة الناس من الحديث، العلامة عبد الرحمن بن علي بن محمد المشهور بابن الديبع الشيباني ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، بدون تاريخ طبع .

٤٨ - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعية ، أبو الحسن علي بن عراق الكناني ، حققه وراجع أصوله وعلق عليه عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق ، طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٤٩ - تهافت الفلاسفة أبو حامد الغزالي ، تحقيق وتقديم سليمان دنيا ، طبع دار المعارف ، الطبعة السادسة بدون تاريخ نشر .

٥٠ - التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة ، تحقيق ودراسة د . عبد العزيز إبراهيم الشهبان ، دار الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٥١ - التوسل أنواعه وأحكامه، محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٥٢ - توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، طبع المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ ، الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ .

(حرف الجيم)

٥٣ - جامع البيان في تأويل أي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، طبع دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٥٤ - جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م، بدون رقم طبع .

٥٥ - جامع كرامات الأولياء، يوسف إسماعيل النبهاني، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، بمصر، ١٣٢٩ هـ .

٥٦ - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، حققه أبو إسحاق إبراهيم أطفيش ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م بدون رقم طبع .

٥٧ - جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ، محمود أبو الفيض المنوفي ، طبع مطبعة المدني ، ومؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

٥٨ - جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني ، علي حرازم بن العربي برادة المغربي الفاسي الطبعة الأخيرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م ، طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٥٩ - الجوهرة المضيئة، إبراهيم الدسوقي القرشي، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه، إبراهيم الرفاعي، مكتبة الرفاعي للنشر والتوزيع، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(حرف الحاء)

٦٠ - الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

٦١ - الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها ، الدكتور محمد أحمد الخطيب ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٦٢ - الحياة الروحية في الإسلام د . محمد مصطفى حلمي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، بدون تاريخ النشر .

(حرف الدال)

٦٣ - دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة، الدكتور أحمد محمد أحمد جلي ، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٦٤ - درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د . محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٦٥ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ .

٦٦ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الجيل بيروت ، بدون تاريخ نشر ورقم طبع .

- ٦٧ - الدعاء ومنزلته في العقيدة الإسلامية ، أبو عبد الرحمن خضر بن جيلان العروسي
مكتبة الرشد الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
- ٦٨ - الدلائل اليقينية في الفرق بين كرامة الأحياء والأموات للشيخ محمد الطيب بن إسحاق
الأنصاري الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ - طبع مطبعة الحكومة مكة المكرمة .
- ٦٩ - ديوان ابتسام المدامع ، من منشورات الطريقة البرهانية بدون اسم مطبعة أو تاريخ طبع
أو اسم مؤلف .
- ٧٠ - ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، عبد الغني النابلسي طبعة دار الفكر بيروت ١٩٨٦ م.
- ٧١ - ديوان الحلاج ومعه أخبار الحلاج وكتاب الطواسين، وضع حواشيه وعلق عليه محمد
باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة
الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(حرف الراء)

- ٧٢ - الرسالة القشيرية ، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، تحقيق
الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، الناشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة ،
الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .
- ٧٣ - الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق بروكلمان، ليدن ١٩٦٠ م .
- ٧٤ - رشفات المدام من كلام سيد الأنام انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ، من
منشورات الطريقة البرهانية ، بدون أي بيانات أخرى .
- ٧٥ - رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم ، عمر بن سعيد الفوتي بهامش جواهر
المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني ، علي حرازم بن العربي برادة
المغربي الفاسي الطبعة الأخيرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م ، طبع شركة مكتبة ومطبعة
مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- ٧٦ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين الألوسي
البغدادي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ نشر ورقم طبع .
- ٧٧ - الروح، شمس الدين بن قيم الجوزية، أعتنى به محمد علي قطب، ووليد الذكري ، طبع
المكتبة العصرية ، صيدا بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

(حرف الزاي)

- ٧٨ — زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن ابن الجوزي، طبع المكتب الإسلامي بيروت بدون تاريخ طبع أو رقم طبعة .
- ٧٩ — زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ، عبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السادسة والعشرون ١٤١٢ هـ — ١٩٩٢ م .
- ٨٠ — زيارة القبور والاستجداء بالمقبور، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار القاسم للنشر ، الرياض المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ — ١٩٩٦ م .

(حرف السين)

- ٨١ — سنن ابن ماجة، الناشر دار إحياء التراث العربي ، بدون تاريخ نشر ورقم طبع .
- ٨٢ — سنن أبي داود ، الناشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ نشر ورقم طبع .
- ٨٣ — سنن أبي داود ومعه معالم السنن للإمام الخطابي ، إعداد وتعليق : عزت عبيد الدعاس ، وعادل السيد دار الحديث ، بيروت ، بدون تاريخ نشر ولا رقم طبع .
- ٨٤ — سنن الترمذي المسمى بالجامع الصحيح، الناشر دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٤ م بدون رقم طبع .
- ٨٥ — سنن الترمذي المسمى الجامع الصحيح ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ، مطبعة الحلبي القاهرة .
- ٨٦ — سنن الدارمي بعناية عبد الله هاشم يماني، الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ ، القاهرة .
- ٨٧ — سنن الدارمي الناشر دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ نشر أو رقم طبع .
- ٨٨ — سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها ، محمد ناصر^(البر) الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م
- ٨٩ — سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ ، المكتب الإسلامي بيروت .
- ٩٠ — سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ، محمد ناصر الدين الألباني ، طبع المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـ .

٩١ - السنة، أبو بكر بن أبي عاصم، عمرو بن الضحاك بن مخلد، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ،

٩٢ - السيد إبراهيم الدسوقي، أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة التعريف بالإسلام، يشرف على إصدارها محمود توفيق عويضة، بدون تاريخ نشر أو رقم طبع .

٩٣ - سير أعلام النبلاء ، الإمام الذهبي ، تخريج وتحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

(حرف الشين)

٩٤ - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، محمد مخلوف ، بيروت دار الكتاب العربي عن طبعة السلفية ١٣٤٩ هـ .

٩٥ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، دار الميسرة بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٩٦ - شراب الوصل ، (وهو عبارة عن ديوان شعر) ، محمد عثمان عبده ، بدون اسم مطبعة أو تاريخ طبع ، أو جهة نشر المقدمة بدون رقم طبعة .

٩٧ - شرح السنة ، الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٠هـ .

٩٨ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم ، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق د . أحمد سعد حمدان ، دار طيبة للنشر والطباعة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

٩٩ - شرح أصول الإيمان نبذة في العقيدة، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

١٠٠ - شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي للعز الحنفي، حققها وراجعها جماعة من العلماء ، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعة التاسعة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م .

١٠١ - شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس ، محب الدين أبو الفيض السيد مرتضى الحسيني ، دار الفكر بدون تاريخ طبع .

١٠٢ — شرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، شمس الدين بن قيم الجوزية ، شرح الدكتور : محمد خليل هراس، دار الفاروق الحديثة للنشر بمصر ، بدون رقم الطبع وتاريخ النشر .

١٠٣ — شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان، طبع ونشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

١٠٤ — شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، محمد عبد الباقي الزرقاني، دار الطباعة المنيرية ، مصر ١٢٧٨ هـ ، بدون رقم طبع .

١٠٥ — شرح أورد الطريقة البرهانية، من منشورات الطريقة البرهانية، بدون أي بيانات أخرى .

١٠٦ — الشعوبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة الإسلامية، حسن حميد عبيد الغرباوي، طبع ونشر دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ١٩٩٣ م .

١٠٧ — الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تقديم وتحقيق طه بد الرؤوف سعد، خالد محمد عثمان ، الناشر مكتبة الصفا ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ — ٢٠٠٢ م .

١٠٨ — الشيعة في الميزان، د . محمد يوسف النجرامي، بدون أي بيانات أخرى .

(حرف الصاد)

١٠٩ — الصارم المنكي في الرد على السبكي ، محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .

١١٠ — الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول، شيخ الإسلام ابن تيمية ، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر، بيروت ، بدون رقم طبع وتاريخ نشر .

١١١ — الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار القلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٦ م ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤٥ م .

١١٢ — صحيح ابن حبان ، الناشر دار الفكر بيروت بدون تاريخ نشر ورقم طبع .

١١٣ — صحيح البخاري مع كشف المشكل ، للإمام ابن الجوزي ، حققه ورتبه وفهرسه ، الدكتور مصطفى حلمي ، طبع دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ — ٢٠٠٠ م .

- ١١٤ — صحيح الجامع الصغير وزيادته ، تخریخ وتحقیق محمد ناصر الدین الألبانی ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ طبع المكتب الإسلامي بیروت .
- ١١٥ — صحیح الترغیب والترهیب، الحافظ المنذري ، تحقیق محمد ناصر الدین الألبانی، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٨ م .
- ١١٦ — صحیفة رایات العز تصدرها الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية .
- ١١٧ — صحیح مسلم، أبو الحسین مسلم بن الحجاج ، الناشر دار إحياء الكتب العلمية ١٩٩١ م بدون رقم طبع .
- ١١٨ — صحیح مسلم طبعة إستانبول بدون رقم طبع أو تاریخ نشر .
- ١١٩ — صحیح مسلم بشرح الإمام النووي ، دار الفكر بیروت ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م ، بدون رقم طبع .
- ١٢٠ — الصوفية معتقداً ومسلماً ، الدكتور صابر طعيمة ، طبعة دار عالم الكتب للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .
- ١٢١ — صيد الخاطر ، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، دراسة وتحقیق محمد عبد الرحمن عوض ، الناشر دار الكتاب العربي بیروت، الطبعة الرابعة ١٤١٢ هـ — ١٩٩١ م

(حرف الطاء)

- ١٢٢ — طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها ، الدكتور أحمد محمد على ، طبع دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بیروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ — ١٩٩٢ م .
- ١٢٣ — الطب الرباني للجسم الإنساني في علم الحرف، أبو حامد الغزالي ، طبع مكتبة القاهرة لصاحبها الحاج علي يوسف سليمان ، شارع الصناديقية بالأرهر الشريف .
- ١٢٤ — طبقات الصوفية ، أبو عبد الرحمن السلمی تحقیق : نور الدين شريفة ، دار الكتاب النفیس ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م .
- ١٢٥ — طبقات الأخيار ، عبد الوهاب بن أحمد الشعراني ، طبع دار الجيل بیروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .
- ١٢٦ — الطرق الصوفية بين الساسة والسياسة في مصر المعاصرة دراسة تاريخية وثائقية ١٩٠٣ _ ١٩٨٣ م، للدكتور زكريا سليمان بيومي الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ _ ١٩٩٢ م ، رابطة الجامعات الإسلامية ، بدون تاریخ طبع .

١٢٧ — طريق الهجرتين وباب السعادتين ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، حققه وراجعاه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة الشيخ حمد بن فالح بن ناصر آل ثاني، مطابع الدوحة الحديثة ، بدون رقم طبع وتاريخ نشر .

(حرف العين)

١٢٨ — العهود الوافية الجليلة في كيفية صفة الطريقة الإسماعيلية ، إسماعيل بن عبد الله بدون اسم مطبعة ولا تاريخ نشر ،

١٢٩ — عوارف المعارف ، عبد القاهر بن عبد الله السهروردي، مطبوع بهامش، إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي، دار القلم بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ طبع .

(حرف الغين)

١٣٠ — الغزو الفكري في المناهج الدراسية ، الأستاذ علي لبن ، طبع دار الوفا للطباعة والنشر بمصر الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م .

(حرف الفاء)

١٣١ — فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب ، راجعه قصي محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٦ م

١٣٢ — فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي لشوكاني ، مكتبة البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ١٢٨٣ هـ — ١٩٢٤ م .

١٣٣ — فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ .

١٣٤ — الفتوحات المكية ، محي الدين ابن عربي ، طبع دار صادر ، بيروت ، بدون رقم طبع أو تاريخ نشر .

١٣٥ — الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منها، عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م .

١٣٦ — الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان، شيخ الإسلام ابن تيمية ، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان

١٤٢١ هـ — ٢٠٠٠ م .

- ١٣٧ — فصوص الحكم ، ابن عربي ، تحقيق د . أبو العلا عفيفي — دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م .
- ١٣٨ — الفصل في الملل والأهواء والنحل ، علي بن أحمد بن حزم ، مكتبة السلام العالمية ، بدون أي بيانات أخرى .
- ١٣٩ — فصول في التصوف ، حسن محمود عبد اللطيف الشافعي ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٩٢ م ، بدون رقم طبع .
- ١٤٠ — فضائح الباطنية ، أبو حامد الغزالي ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ — ١٩٩٣ م .
- ١٤١ — الفكر الصوفي في ضوء القرآن والسنة ، عبد الرحمن عبد الخالق ، خرّج أحاديثه محمد عيد العباسي ، نشر جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ — ١٩٩٩ م .
- ١٤٢ — الفلاسفة الهندية قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والإصلاحية ، الدكتور علي زيعور ، دار الأندلس ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٣ م .
- ١٤٣ — الفلسفة الصوفية في الإسلام ، الدكتور عبد القادر محمود ، دار الفكر العربي ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٦ م — ١٩٦٧ م .
- ١٤٤ — فلسفة وحدة الوجود ، الدكتور حسن الفاتح قريب الله ، الناشر الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى شعبان ١٤١٧ هـ — يناير ١٩٩٧ م .
- ١٤٥ — الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، محمد بن علي الشوكاني ، بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، أشرف على تصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف ، طبع مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ هـ .
- ١٤٦ — في التصوف الإسلامي وتاريخه : طائفة من الدراسات التي قام بها رين ولد ألن نيكولسون ، ترجمة د . أبو العلا عفيفي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ طبع .
- ١٤٧ — في طريق أهل الله والسير به ساهل ، إسماعيل بن الشيخ مكّي الدقلاشي الملقب بصاحب الربابة ، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم ، طبع شركة دار الحكمة للطباعة والنشر المحدود ، السودان .

(حرف القاف)

- ١٤٨ — قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع المكتبة العلمية بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ نشر ورقم طبع .
- ١٤٩ — القاموس المحيط ، الفيروز ابادي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م .
- ١٥٠ — قيس من نور ، محمد عثمان عبده البرهاني ، من منشورات مكتبة الدار الرئيسية للطريقة البرهانية بالخرطوم بدون تاريخ نشر ورقم طبع .
- ١٥١ — قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ترجمة محمد بدران ، طبعة الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٦٤ م .
- ١٥٢ — قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريقة المريد إلى مقام التوحيد ، أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي ، شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م .

(حرف الكاف)

- ١٥٣ — الكامل في ضعفاء الرجال ، ابن عدي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٨ م .
- ١٥٤ — كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان ، محمد النور بن ضيف الله س ، حققه وعلق عليه وقدم له الدكتور يوسف فضل حسن ، طبع دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم ، الطبعة الرابعة ١٩٩٢ م .
- ١٥٥ — كتاب الفهرست ، ابن النديم أبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بالوراق ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ، ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م .
- ١٥٦ — الكتاب المقدس ، طبع دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، العهد القديم الطبعة الأولى ١٩٩٣ م ، العهد الجديد ، الطبعة الرابعة ١٩٩٣ م .
- ١٥٧ — كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، إسماعيل بن محمد العجلوني ، الناشر مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ، توزيع مكتبة الغزالي ، دمشق ، بدون تاريخ نشر ورقم طبع .
- ١٥٨ — الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي ، قدم له وعلق عليه احمد شمس الدين ، من منشورات محمد

على بيضون لنشر كتب السنة والجماعة ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

(حرف اللام)

١٥٩ - لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ، بيروت ، دار صادر ، بدون
تاريخ طبع .

١٦٠ - لسان العرب ، ابن منظور، طبع دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

١٦١ - لواعم الأنوار البهية وسواطع الأنوار الأثرية شرح الدرّة المضية في عقد الفرقة
المرضية، محمد بن الحاج أحمد بن سالم السفاريني، مع تعليقات للشيخين عبد الرحمن أبّا
بطين وسليمان بن سمحان ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، بيروت ، المكتب
الإسلامي .

١٦٢ - الله ذاتاً وموضوعاً قضية الألوهية بين الفلسفة والدين، عبد الكريم الخطيب ، طبع دار
المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

(حرف الميم)

١٦٣ - مآثر مولانا أبي الفيض، جمع وتأليف جماعة من رجال الطريقة الفيضية ، عنهم حسن
الراعي يوسف، القاهرة دار نهضة مصر في آخر معالم الطريق، بدون رقم طبع وتاريخ
نشر .

١٦٤ - مجلة البرهان الدولية، تصدر عن اللجنة العليا للإعلام بالطريقة البرهانية العدد الأول
محرم ١٤٢٢ هـ - أبريل ٢٠٠١ م .

١٦٥ - مجلة القوم ، العدد السادس ، لشهر صفر ١٤٠٦ هـ - نوفمبر ١٩٨٥ ، رئيس
التحرير يحي العوض ومدير الإدارة النعيم محمد الأمين ، الخرطوم ، السودان .

١٦٦ - مجموعة أورااد الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ، من منشورات الطريقة البرهانية
، بدون أي بيانات أخرى .

١٦٧ - مجموعة الرسائل والمسائل، شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع المنار ، بدون رقم طبع
وتاريخ نشر .

١٦٨ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن
بن قاسم وابنه تصوير الطبعة ١٣٩٨ هـ .

- ١٦٩- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة، مكتبة المعارف ، الرباط المغرب ، بدون رقم الطبعة وتاريخها .
- ١٧٠- محبة النبي صلى الله عليه وسلم بين الأتباع والابتداع ، عبد الرؤوف محمد عثمان ، طبع دار الضياء جدة ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
- ١٧١- المحصول في علم أصول الفقه ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، دراسة وتحقيق الدكتور طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- ١٧٢- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، من منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٣ م .
- ١٧٣- مختصر التحفة الإثني عشرية ، شاه عبد العزيز الإمام ولي الله أحمد عبد الرحيم الدهلوي ، تعريب الشيخ غلام محمد بن محي الدين عمر الأسلمي ، أختصره وهذب السيد محمود شكري الألوسي ، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض المملكة العربية السعودية ١٤٠٤ هـ) .
- ١٧٤- مختصر الفتاوى المصرية، شيخ الإسلام ابن تیمیة ، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلبي، صححه محمد حامد الفقي ، أشرف على تصحيحه عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية سابقاً ، ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر، طبع دار ابن القيم بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م - الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ١٧٥- مختصر لوامع الأنوار البهية في شرح عقد الفرقة المرضية محمد بن علي بن سلوم ، حقيقه وضبطه ، ونسقه وصححه محمد زهري النجار ، مطبعة المدني القاهرة، بدون رقم طبع وتاريخ نشر .
- ١٧٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، بتحقيق محمد حامد الفقي، الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ١٧٧- مدخل إلى التصوف الإسلامي ، أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، طبع دار الثقافة للنشر القاهرة ١٩٨٣ م .

- ١٧٨- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، الدكتور ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ، دار طيبة للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية ، بدون تاريخ طبع .
- ١٧٩ - المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم ومعه التلخيص للحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ نشر ورقم طبع .
- ١٨٠ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ نشر .
- ١٨١ - المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً ، صادق سليم صادق ، مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .
- ١٨٢ - المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف القاهرة ، بدون رقم طبع وتاريخ نشر .
- ١٨٣ - مصرع التصوف أوتبويه الغبي إلى تكفير ابن عربي ، العلامة برهان الدين البقاعي، تحقيق وتعليق عبد الرحمن الوكيل ، طبع رئاسة إدارة البحوث والعلمية والإفتاء ، الرياض المملكة العربية السعودية ١٤٠٥ هـ .
- ١٨٤ - مصرع الشرك والخرافة ، خالد محمد علي ، حققه وراجعاه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، من مطبوعات إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر ١٣٩٨ هـ .
- ١٨٥ - معالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الجرشي ، دار الرياض ١٤٠٩ هـ .
- ١٨٦ - معالم الطريق إلى الله ، محمود أبو الفيض المنوفي ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، بدون تاريخ نشر ورقم طبع .
- ١٨٧ - المعجم الكبير ، الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي ، تحقيق حمدي السلفي ، طبع وزارة الأوقاف بغداد .
- ١٨٨ - معجم مصطلحات الصوفية، دكتور: عبد المنعم الحفني ، دار الميسرة بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
- ١٨٩ - معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
- ١٩٠ - المعرفة عند مفكري المسلمين ، الدكتور محمد غلاب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، دار الجيل للطباعة مصر بدون تاريخ طبع

- ١٩١ — المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، أحمد بن محمد بن عياد الشافعي الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ — ١٩٩٥ م ، الناشر مكتبة القاهرة لصاحبها على يوسف سليمان .
- ١٩٢ — المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد الكيلاني، بيروت ، دار المعرفة ، بدون تاريخ نشر ورقم طبع .
- ١٩٣ — مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م .
- ١٩٤ — مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح ، توثيق وتحقيق د . عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، طبع دار الكتب، وزارة الثقافة المصرية العامة للكتاب مركز تحقيق التراث، ١٩٧٤ م .
- ١٩٥ — مقدمة تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ١٤٥٠ — ١٨٢١ م الدكتور يوسف فضل، طبع ونشر دار السودان للكتب، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .
- ١٩٦ المقدمة: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون — دار القلم — بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م .
- ١٩٧ — الملل والنحل ، بهامش الفصل في الأهواء والملل والنحل ، علي بن محمد بن حزم ، محمد عبد الكريم الشهرستاني ، مكتبة السلام العالمية ، بدون أي بيانات أخرى/من أعلام التصوف الإسلامي الدكتور طه عبد الباقي سرور ، طبع مطبعة نهضة مصر ومكتبها بدون تاريخ طبع ، ٤٩٨
- ١٩٨ — المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، كتب هوامشه أحمد عبد الشافي ، طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ١٤٠٨ — ١٩٨٨ م
- ١٩٩ — المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام الرفض والاعتزال، وهو مختصر لكتاب منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية ، أختصره الإمام الذهبي ، بتحقيق وتعليق محي الدين الخطيب طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث بالمملكة العربية السعودية ، طبعة سنة ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م .
- ٢٠٠ — المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي ، حققه وعلق عليه الدكتور عبد الحلیم محمود ، طبع دار الطباعة بمصر بدون تاريخ طبع .

٢٠١ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د . محمد رشاد سالم ، ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٢٠٢ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، شيخ الإسلام ابن تيمية المطبعة الأميرية الكبرى ، القاهرة الطبعة الأولى ١٣٢٢ هـ .

٢٠٣ - منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، الدكتور خالد عبد اللطيف بن محمد نور، مكتبة الغرباء الأثرية المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

٢٠٤ - منهجية لدراسة التصوف ، أصول التصوف ، الدكتور عبد الله حسن زروق ، الناشر ، المركز القومي للإنتاج الإعلامي ، الخرطوم ، أبريل ١٩٩٥ - ذو القعدة ١٤١٥ هـ .

٢٠٥ - الموافقات في أصول الشريعة ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة بيروت ، بدون رقم الطبع وتاريخه .

٢٠٦ - موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة ، علي حسن الحلبي ، الدكتور إبراهيم طه القيسي ، الدكتور حمدي محمد مراد ، طبع مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد ، بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

٢٠٧ - موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية ، عبد المنعم الحفني ، الناشر مكتبة مدبولي القاهرة الطبعة الثانية ١٩٩٩ م .

٢٠٨ - موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٤ م .

٢٠٩ - الموضوعات ، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، الناشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

(حرف النون)

٢١٠ - النبوات ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، دراسة وتحقيق محمد عبد الرحمن عوض ، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٢١١ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، د. علي سامي النشار ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثامنة بدون تاريخ الطبع .

- ٢١٢ - نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية، عبد الله بن أسعد الياضي، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر، ١٣٩٢ م .
- ٢١٣ - نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام ، سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله ، طبع دار المنارة جدة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٩ م .
- ٢١٤ - نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول ، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي، طبع عالم الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ نشر ورقم طبع .
- ٢١٥ - النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات بن الأثير الجزري ، تحقيق محمود محمد الطناجي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون رقم طبع أو تاريخ نشر .

(حرف الواو)

- ٢١٦ - الوجود الإلهي بين انتصار العقل وتهافت المادة في تاريخ المذاهب الفلسفية ، سانتلانا ، تحقيق ، وتقديم ، وتعليق : الدكتور عصام الدين محمد علي، نشر مؤسسة ومكتبة الخافقين دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٢١٧ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ طبع .
- ٢١٨ - واقعا المعاصر، محمد قطب، الناشر مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م . (حرف الياء)
- ٢١٩ - اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ، عبد الوهاب الشعراني ، طبع ونشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

الجمعة

رضاءة لتزكية النفس .. وصحح المسئلة

www.E7saan.com

الملاحق

بسم الله الرحمن الرحيم

(مكتب شيخ الدارين الصوفية)

رقم : ١٨ / ١٩٨١

تاريخ : ١٩٨١ / ١ / ٣

مديخة الدارين الصوفية

بسمهورية السودان الديمقراطية

السيد الأستاذ الدكتور / وزير التعليم

بسمهورية السودان الديمقراطية

السليم عليكم ورحمة الله وبركاته ويحده :

أخترت بالاحكامه بأن الشيخ محمد عثمان عوده البرهانى الذى ان تابعنا للمدرسة البرهانية والذى
من منه تفرقت الشريعة الدائمة للدين الصوفية بالسودان عام ١٩٥٥م حين على الامور الصوفية
والتقاليد والمساكنات المصون بها من بسمهورية السودان الديمقراطية ، وبما ان يقوم بتنفيذ قرارات المجلس
الاعلى للدين الصوفية قام بالاعتراف والتكليف بالامر الذى نشأ بنا الى تحذير من عاقبة ذلك اقتصار
من قوة غير انه غير ان من نتج من اجزاء الشريعة البرهانية عيدا وعمرا رأيا .
وغيرنا على ذلك وانا انشاز الدارين بزمه عود بالعلمه ثم اننا من تركيل الشريعة الصوفية بالسودان
حيث أصبح لاخرقة له بهذا التفرق انما من تاريخه ولا يبقى له فى الحديث على أية طريقة ولا يمتثل
الاتفة فقد وأن القرار الذى يحمله أصبح لاعيا .

برهان التماس بالاحكامه والتنبيه بالعلمه بدلت واختار الجهات المسئولة بهذا القرار ، هذا
ومنتهى بسمينة الله وتوفيقه بالاسادة هذا الدين الصوفية بالسودان لا اختيار أحد العلماء الصوفيين
المشهور له بالحسن والادب ان الله يبينه رأيا تامهينة بدلا من السيد الدكتور .
وقنا الله وايام لنا فيه الخير والبرحمة وعدانا الى سبيل البرهان .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شيخ مشايخ الدارين الصوفية
بسمهورية السودان الديمقراطية
وشيخ المجلس الاعلى للدين الصوفية
بسمهورية السودان الديمقراطية
(مكتب شيخ الدارين الصوفية)

محمد عثمان عوده

ركنونه
 له ما
 ف ا
 وهي
 و
 ف
 الك
 ال
 الت
 ج
 وال
 و

سمي مطابقة للتسمية الموصولة بالعودة . وقد عبادته أنه تابع للطائفة
 شيخنا الذي على سبيل عايشور وأنه ليخدمه كل أوراثة وأنه يراكم
 أنه أنه من لياره ليرهايه - إلا أنه يتكلم بالتسمية الأثمة في بعدائه
 ربه في الرهاقية الرسومية الكاذبة ، وسيفرض الأمر على أتباعه
 أقاب ليدخل من سبيل عايشور يابده لخدمه بالتسمية كما أن من سبيل عايشور
 بوجه من الرهاقية على عبايشور في التسمية الموصولة من تاليفه للحلقة الرهاقية
 فافقه المذهب بالرهبان على ما اقتضاه لشيء محبة عثمان بن عبيدة بن ملاحم
 الرهاقية الرسومية الكاذبة ، إلا أن لشيء محبة عثمان بن عبيدة التاليفه للرهاقية
 لشيء الرهاقية الرسومية الكاذبة ، وذلك صفة على الرهاقية الرسومية
 لشيء الرهاقية الرسومية الكاذبة ، وقد رعت الشيخ محبة عثمان بن عبيدة
 سماقة شيخنا المصطفى في الرهاقية الرسومية الكاذبة ، بل ترجمه بالتقاليد
 عدو الرهاقية الرسومية الكاذبة

فقل المصطفى ساعة وتوتم به الجيب

الأعضاء
 الأعضاء
 الأعضاء

إنشاءه ل... الرهاقية الرسومية الكاذبة
 خريعتان على الرهاقية

شيخنا المصطفى
 شيخنا المصطفى
 شيخنا المصطفى

شيخنا المصطفى
 شيخنا المصطفى



شيخنا المصطفى
 شيخنا المصطفى

١٩٨١

وأكد أن سفولون يسألوا كيف نفسن المحتالين وطالبوا أبا دهم خطاب رسمي إلى الجهات المسؤولة لوقف نشاط هذه الطريقة !!
أما داخل الطريقة ، فقد أصيب المتطفلون بها بحالة من الزعر الفام ، وهذا بعضهم يشتمون على العنف ضد كل من يكاتب أخطاء طريقته !!

بما أن التحدي الذي شرهته ، اللهم إلا الإسلام في الجهد الهائل ليعزل الطريقة البرذوانية ويخلص العالم ، وقد كان يريد فعل واسعة ، فبقي الأزهري الشري ، أكد المسؤلون ضرورة جعل الطريقة ، وتلا ذلك ما طالب به العلماء ، خاصة فيما جمعوا على خروجها عن أصول العادة وتساويها ببعض المعتقدات هي الكفر الصريح بعينه !!

ردضا عكاشه

الأماسي لنا كخلفاء أو المشايخ الخاس من المسلمين المستعارة الذين يخشون الفكر الطريفة ويخشون ياسر القسطنطين عليها .. !!

ويشير الشيخ جزالي أن قرار الحل من الخاضعة التقديرية ليس أدينا كخلفاء في الأزهر ، ولكن يد الذين سعوا لها أن تكون السذين ويستكون الآن نشاها .. !!
ويذكر فضيلته ، أن طريق كسر البرهانية ليس لها فكر أو رأي محدد ، يمكن أن يسرى بغيره وسبق الناس ، ولكنه غير قادر على بردها ميمعة من المتكلمين وهذا يعني أن هذه الأقوال لا لها شأنه ، إذا ما أوقفنا الطريقة وكف المتكلمين عن الخطة .. !!

كلميات

وفي وزارة الأوقاف ، أمم المسؤلون أيضا ضرورة وقف نشاط الطريقة ، وأكد مسئول كحل ، أن الأوقاف أذمت به ضرورة كخلفاء ، وأكد كقول أبو السوفيا القسطنطين ، لا تخذ الإجراءات الفوضوية لهذا الغرض ، وتنقية المسؤل من هذه القضايا .. !!

الشيخ عبد الله أبو عبيد ، أمين عام المساجد الأهلية ، تطوونارة ، يطالب بنفس المطلب ، ويذكر أنه أعد أيام أن كان مسديرا للقمامة بالأوقاف ، ثميرا مفضلا عن .. !!

• بطان الأسرار ، الذي يدين رئيس الطريقة الحال أنه حل عليه من البرزخ .. ولقد نرى مخالفتها على الديوان ضمن ملاحظتنا ، أما شارك فيها كبار قيادات الأوقاف من ناحية ممثلين المسؤل ، يقول الشيخ عبد الله ، أن ككليات عديدة ، وأنه يقول ونحن الوجود التي اعتبرها جمهور المسلمين الشطينة الكبرى لشبهات المتصوفة ، كما وضع مضاف هذه الآيات نفسه في طريقة دونه كل البشر بما فيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، يقول في إحدى قصائده :
أني رفيع في مقام فيه ساد السيد .. !!

وعليه ساديه يسود ومته ساد الأضر .. !!
بل فيه يبدى ما يعيد الله وهو الواحد .. !!
أمر إذا صليت صل أحمد ومحمد .. !!
بل إنه وضع نفسه في مرتبة الألوحة .. يقول .. !!
لربن أهل الله عطين دارهم .. !!
وسعد الأزمان والأحلق .. !!
اللق الكسارل يرتجيني .. !!
راندسا .. ويغير هذا سنت الأوبان .. !!

ويقال الشيخ أبو عبيد أنه من

رئيس لجنة الأزهري

الأزهري حدد موقفه

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر

الطريقة خلفهم باطلة



الشيخ فتح الله جزر ، مارقة خرمات
الشيخ عبد الحميد الحلبي ، وادي شرمي
الشيخ عبد الحميد الحلبي ، وادي شرمي

الشيخ فتح الله جزر ، مارقة خرمات ، أكد في مجلس المدعو ، يوم 11 الذي كان المجلس ، في المجلس ، في المجلس .. !!

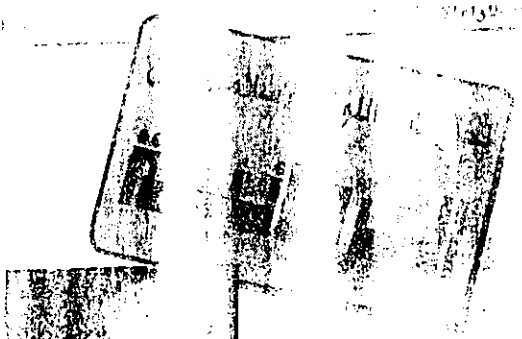
والشيخ عبد الحميد الحلبي ، وادي شرمي ، أكد في المجلس ، في المجلس ، في المجلس .. !!

والشيخ عبد الحميد الحلبي ، وادي شرمي ، أكد في المجلس ، في المجلس ، في المجلس .. !!

والشيخ عبد الحميد الحلبي ، وادي شرمي ، أكد في المجلس ، في المجلس ، في المجلس .. !!

الشيخ فاتي

الشيخ فاتي ، أكد في المجلس ، في المجلس ، في المجلس .. !!



الشيخ فاتي ، أكد في المجلس ، في المجلس ، في المجلس .. !!

الشيخ فاتي ، أكد في المجلس ، في المجلس ، في المجلس .. !!

الشيخ فاتي ، أكد في المجلس ، في المجلس ، في المجلس .. !!

الشيخ فاتي ، أكد في المجلس ، في المجلس ، في المجلس .. !!

الشيخ فاتي ، أكد في المجلس ، في المجلس ، في المجلس .. !!

الشيخ فاتي ، أكد في المجلس ، في المجلس ، في المجلس .. !!

الشيخ فاتي ، أكد في المجلس ، في المجلس ، في المجلس .. !!

الشيخ فاتي ، أكد في المجلس ، في المجلس ، في المجلس .. !!

بسم الله الرحمن الرحيم

(مكتب شيخ المشايخ)

مشيخة الديوبند السنية
بجمهورية مصر العربية



قرار رئيس المجلس الاعلى للديوبند السنية واتحاد المشايخ

رقم ٥ لسنة ١١٨٠

بعد الاطلاع على أحكام المادة ١٤ و ١٦ و ١٧ من أحكام القانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٧٦
والمادة ١٤ من قانون تنظيم المجلس الاعلى للديوبند السنية رقم ١٤ لسنة ١٩٧٦

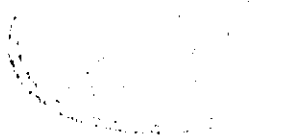
والمادة ١٤ من قانون تنظيم المجلس الاعلى للديوبند السنية رقم ١٤ لسنة ١٩٧٦

والمادة ١٤ من قانون تنظيم المجلس الاعلى للديوبند السنية رقم ١٤ لسنة ١٩٧٦
مشيخة الديوبند السنية بجمهورية مصر العربية من الديوبند السنية والسابق
مدير من المشيخة العامة للديوبند السنية واتحاد من جميع
الديوبند السنية واتحاد من جميع الديوبند السنية

والمادة ١٤ من قانون تنظيم المجلس الاعلى للديوبند السنية رقم ١٤ لسنة ١٩٧٦
والمادة ١٤ من قانون تنظيم المجلس الاعلى للديوبند السنية رقم ١٤ لسنة ١٩٧٦
هذا القرار من اجراءه

يكون هذا القرار نافذا من اليوم الاثنين ٢٠ سبتمبر ١٩٨٠م

شيخ المشايخ الديوبند السنية
بمصر ودية ناصر العبد
رئيس المجلس الاعلى للديوبند السنية
محمد سيد السعيد
(مكتب شيخ المشايخ)



Handwritten signature or name in Arabic script.

بسم الله الرحمن الرحيم

(مكتبه شيخ المشايخ)

رقم : ١١٨١ / ١١٧

تاريخ : ١١ / ١١ / ١٩٨١ م

الشيخة الداروق الصوفية

بجمهورية مصر العربية

السيد الاستاذ الكبير / وزير الداخلية

بجمهورية السودان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠٠٠ وبعد :

أشرف بالإنعام بأن الشيخ محمد عثمان سعيد الجبراني أحدى باننا للشيخه البهريه نبيه والذي سبق منحه توكيل المشيخة العامة للطرق الصوفية بالسودان عام ١٩٥٥ حين على الاصول الصوفية والتعليم والمخططات المعمول بها في جمهورية مصر العربية ، وبدلا من أن يقوم بتنفيذ قرارات المجلس الاعلى للطرق الصوفية قام باصدارها والتكرار لها الامر الذي حدا بنا الى تحذيره من عاقبة ذلك أكثر من مرة غير أنه تجاهل كل نصح ودخل من أبناء الطريقة البهريه شيعا وفرقا واحزابا .

وتربيا على ذلك أصدرنا القرار الدوق مؤتمره طيه باقتائه نهائيا من توكيل المشيخة الصوفية بالسودان حيث أصبح لاهلاقة له بهذا التوكيل اعتبارا من تاريخه ولا حق له في التحدث على أي طريقة ولا يمثل الأنفسه فقط وأن القرار الذي يصطله أصبح لاغيًا .

يريد التنقل بالاحاطة والتنبيه باعلانه بذلك واخطار الجهات المسئولة بهذا القرار كذا واستعمل بمشيئة الله وتوفيقه بالسادة سادة الطرق الصوفية بالسودان لاختيار أحد الصالح المتوفين المشهور له بالسلاح والاجتهاد لتعيينه وكيلًا للشيخه العامة للطرق الصوفية بدلا من السيد المذكور .

وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير والفضل وندانا الى سبيل الرشاد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ مشايخ الطرق الصوفية

بجمهورية مصر العربية

ورئيس المجلس الاعلى للطرق الصوفية

محمد محمود السطاوي

(محمد محمود السطاوي)

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخة الطرق الصوفية

بجمهورية مصر العربية

(مكتب شيخ المشايخ)

رقم : ١٨ / ١١٨١

تاريخ : ٣ / ١ / ١١٨١

السيد الاستاذ الكبير / وزير العدل المحامي

بجمهورية السودان الدائمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . وبجد :

أنتهز بالاحاطة بأن الشيخ محمد عثمان عبد البراني الذي كان تابعا للطريقة البرهامية والذي سبق منحه توكيل المشيخة الدائمة للطرق الصوفية بالسودان عام ١٩٥٥م خرج على الامم الصوفية والتقاليد والمصطلحات المعمور بها في جمهورية مصر العربية ، وبدلا من ان يقوم بتنفيذ قرارات المجلس الاعلى للطرق الصوفية قام باصدارها والتنازل لها الامر الذي حدا بنا الى تحذيره من عاقبة ذلك أكثر من مرة غير أنه تجاهل كل نصح وتعمد من أبناء الطريقة البرهامية شيئا وفرقا واضرابا . وترتينا على ذلك أصدرنا القرار المرفق صورته فيه باعتماده نهائيا من توكيل المشيخة الصوفية بالسودان حيث أصبح لا علاقة له بهذا التوكيل اعتبارا من تاريخه ولا يحق له في التحدث على أية طريقة ولا يمثل الا نفسه فقط وأن القرار الذي يحمله أصبح لاغيا .

برجاء التنقل بالاساطفة والتنبيه بالذلة بذلك وإخطار الجهات المسؤولة بهذا القرار . وسنتحمل بمشيئة الله وتوفيقه بالسادة علماء الطرق الصوفية بالسودان لاختيار أحد العلماء المشهود له بالصلاح والاجتهاد لتعيينه وكيلا للمشيخة بدلا من السيد المذكور . وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير والفلاح وهدانا الى سبيل الرشاد . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شيخ مشايخ الطرق الصوفية
بجمهورية مصر العربية
ورئيس المجلس الاعلى للطرق الصوفية
مصر زكي الخوري
(مستشار جمهورية السودان)

مستشار جمهورية السودان
مستشار المجلس الاعلى للطرق الصوفية

الجمعة الصوفية



بخدمته
عبد الحميد عبد اللطيف

قرارات المجلس الأعلى للطرق الصوفية

تعيينات

- اعتمدت المشيخة العامة للطرق الصوفية التعيينات الآتية
- ١ - الشيخ السيد محمود اليماني - نائبا للطريقة القادرية القاسمية من مدينة المحلة الكبرى
 - ٢ - الشيخ السيد دسوقي سليمان - نائبا عن الطريقة القادرية القاسمية قسم أول المحلة الكبرى
 - ٣ - الشيخ السيد رجيب فرحات لعمه نائبا للطريقة القادرية القاسمية من قسم لان المحلة الكبرى
 - ٤ - الشيخ السيد حسين حسين عبد العزيز خليفة خلفاء للطريقة القادرية القاسمية من محافظة كفر الشيخ
 - ٥ - الشيخ السيد حسين عبد العزيز خليفة خلفاء للطريقة القادرية القاسمية من مركز ويندر فوه
 - ٦ - الشيخ حامد احمد فودة - نائب الطريقة القادرية القاسمية من محافظة الدقهلية
 - ٧ - الشيخ علي رجب النادى نائب الطريقة القادرية القاسمية من مركز المنصورة
 - ٨ - الشيخ محمود فرحات مطاوع نائب الطريقة القادرية القاسمية من نقطة البقليسيه بالمنصورة
 - ٩ - الشيخ احمد محمد صابون - نائب الطريقة القادرية القاسمية من قسم أول بشند المنصورة
 - ١٠ - هند القادر محمد خالفاً نائب الطريقة القادرية القاسمية مركز العنوية بالنيا
 - ١١ - حمادى ابراهيم محمد خليفة خلفاء نائب من الطريقة القاسمية مركز العنوية بالنيا
 - ١٢ - الشيخ علي - نائب الطريقة القادرية القاسمية مركز طامة باليوم
 - ١٣ - الاستاذ مصطفى فهم حسن نائب الطريقة القادرية القاسمية بندر اليوم
 - ١٤ تعيين الشيخ احمد الابراهيم موسى - نائب الطريقة القاسمية من قسم بولاق الدرور محافظة الجيزة
 - ١٥ - الشيخ طه عبد النعمى نائب للطريقة الصوفييه - مركز الاسكندرية القريبة
 - ١٦ - الحاج عبد الاقهاروز فارس نائب للطريقة الصوفييه - منطقة الاسكندرية الشرقية



سوف تصدر نشرة دورية للسادة الشايخ والوالاد يلتزم بها الجميع حيث يرتب عليها لواب وعقاب وسوف نوالى همسية الله وتوفيقه في الصمدد القادم لتصيلات اهله القرارات .

اصدر سماعة شيخ المشايخ القرار رقم ٥ لعام ١٦٨٠ يقضى بعزل السيد/محمد عثمان عبده البرهاني من وليفتسيه كوكيل للمشيخة الصوفية بجمهورية السودان الديمقراطية والسابق مندوره من المشيخة العامة للطرق الصوفية واعفائه من جميع اختصاصاته وما فوضه فيه شيخ المشايخ بصفاته ، وقد اخطرت الامانة العامة للشئون الدينية بالسودان وفضيلة مدير عام الاوقاف بالسودان العليم وتفسيده كما اخطرت وزارة الداخلية بجمهورية مصر العربية واخطرت السيد المذكور بذلك حيث اصبح من الآن لا علاقة له بتوكيل المشيخة الصوفية بالسودان

انها : اصدر سماعة شيخ المشايخ القرار رقم ٦ لعام ١٤٠٠ يقضى بتعيين السيد احمد قطب مد الله وكيلاً للمشيخة العامة للطرق الصوفية من مركز دسوقي كما يحدد اختصاصات السيد / عبد السيد فتح الله شتا وكيلاً للمشيخة العامة من بندر دسوق ومحافظة كفر الشيخ واخطرت الجهات المختصة بذلك .

امين عام المجلس وانتهت اللجنة الى وضع تقرير يشتمل على توصيات تم عرضها على المجلس في جلسته المذكورة والرها المجلس مسع بعض التعديلات وستقوم اللجنة بصياغة هذه التوصيات الخاصة بوزارات الاوقاف والداخلية والحكم المحلى .

وبعضها خاص بالسادة مشايخ الطرق الصوفية في مجال طرهم ورجالهم والبعض الاخر بانشاء مجالس استشارية صوفية محلية بالمحافظات برئاسة وكلاء المشيخة العامة وعضوية بعض النواب الشهود لهم بالكفاءة والصلاح حيث تكون هذه اللجان نواه محلية تخلف العباء من المشيخة وتعرض اعمالها في تقارير شهرية يرفعها وكيل المشيخة العامة لدراستها وستعرض صياغة التوصيات على المجلس في الجلسة المقبلة حيث تلقن الى :

- ١ - اولاً : فيما يخص بالموارد ومجائس الذكر والواكب الصوفية فسوف تحرر مكاتبات لوزارة الاوقاف والداخلية والحكم المحلى كل فيما يخصه لوضع اسس ومبادئ وقواعد يلتزم بها الجميع وتكون موضع التنفيذ والمتابعة لترشيده الاحتسالات الدينية
- ٢ - نائبا : فيما يخص بالانشطة الصوفية من جميع الوجوه

اعتمد المجلس الاعلى للطرق الصوفية مساء يوم الثلاثاء ١٤ ذو القعدة عام ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٢ سبتمبر عام ١٩٧٠م وقرر الآتى بالنسبة للانجاسات التي اشار اليها المجلس في جلساته السابقة باجراء الدراسة اللازمة لوضع احكام القانون رقم ١١٨ عام ٧٦ موضع التنفيذ الفعلى بين كافة قطاعات الطرق الصوفية بالاتفاق والتنسيق مع الجهات المعنية والقائمة على وضع احكام القانون موضع التنسيق وخاصة في المجالات الآتية :

- ١ - كفاءة قواعد واصدول الاحتفال بالوالد والمناسبات الدينية .
- ٢ - بيان القضاء على مسور الانحراف في الدعوة والارشاد الدينى
- ٣ - تنسيق العمل بين الطرق الصوفية ووكلاء المشيخة العامة
- ٤ - تنسيق العمل بين المجلس الاعلى للطرق الصوفية وسائر الجهات
- ٥ - الامسلاحات الضرورية في جهات الخلاه والنواب والخلفاء الخلفاء وقد شكلت لهذا الغرض لجنة من السادة :
- ١ - احمد شمس الدين عضو المجلس
- ٢ - منيب ربيع المستشار القانونى للمجلس
- ٣ - عبد الحميد عبد اللطيف

تعيينات

ومجازاة الماكورين بعقوبة الوفاق لمدة سنة - زجرا لهم وعيسرة لغيرهم .

والقت اللجنة على هذا الجزاء مقدمة الشكر للسيد الاستاذ شيخ عموم السادة الرفاعية على ليرة سيادته وجديته نحوو الطريق الصحيح . ومعالجة كل منصرف .

رابعا : نظرت اللجنة في التظلم المقدم من الشيخ سليم صبيح عيد الفمازي من اهالي الخانكة لاعادته الى وظيفة خلالة فريخ الشيخ سويدان . وبعد الاطلاع على المستندات وشهادة السيد وكيل المشيخة المنتدب . قررت اجابة المتمس الى ملتسه واعادته الى خلالة الضريح الماكور .

خامسا : نظرت اللجنة شكوى الشيخ ابراهيم عبد البصير نائب السادة الرفاعية باليوم - ممن انحراف الوافن حمدي رفعت جاب الله خليفة خلفاء الطريقة الرفاعية حيث خرج على الاصول الصوفية وانتمى الى طريقة السادة الجنيدية الخلوئية وحصل على اجازة خلافة ونائب عن نقطة بتهود مركز ستورس وتكرر منه هذا الانحراف اكثر من مرة وما صاحب ذلك من تزوير وكشط في خلافته - وبعد الاطلاع على اوراق القضية - والقت اللجنة على ابعاد المذكور من عداد الطرق الصوفية لتلاصه بين الطريقتين الرفاعية والجنيدية - كما اوصت اللجنة بايقاف المدعو موسى هيد - الخليفة الجنيدى من ناحية زاوية الكرادسة لتسبب ذلك مع رفع امره للسيد شيخ السادة الجنيدية لانها ما يراه مناسبا بجزاء اشد

سادسا : بالنسبة لمشروع الاصلاحات الصوفية - اعتمدت اللجنة مشروعا سييمرض على المجلس الصوفى الاعلى في ضوء مشروع تنظيمى عام يمسند في صورة قرار من سماحة شيخ المشايخ للمصادقة عليه والذاتة على السادة المشايخ وكسلاء المشيخة العامة للعمل به .

اولا : لعن المشيخة العامة للطرق الصوفية - ان الحجاج

البيلى الشحات برهام ابو العطا - هو وكيل المشيخة عن بنسدر ومركز بيلا وخليفة مفسام حده العارف بالله سيدى سالم البيلى ابو هشام بمدينة بيلا .

ثانيا : كما لعن ان المدعو - ابو الفتح خليل ابراهيم - ليس بوكيل المشيخة الصوفية عن مركز بنى مزار . ولا علاة له بالمشيخة الصوفية اطلاقا - ومطلوب على ابناء الطرق الصوفية بالتعامل معه بهذه المسئلة - والسئول عن هذا المركز هو السيد / محمود عوبضة وكيل المحافظة .

اولا : اعتمدت المشيخة الصوفية تعيين السيد / محمد عبد العال احمد عيسى خليفة خلفاء للسادة المرازقة الاحمدية بجهة ابو صوير محافظة الاسماعيلية .

ثانيا : اعتمدت المشيخة الصوفية تعيين الشيخ حسن عيسوى عصمت شسيخا لبيت العيسوى التابع للطريقة الجوهرية الشاذلية .

ثانيا مكررا : كما اعتمدت المشيخة :

١ - تعيين السيد الحاج عبد الحميد هليان مشهور نائبيا للطريقة القادرية المارضية من مركز ابو حماد .

٢ - تعيين السيد الحاج محمد عثمان الالى خليفة خلفاء للطريقة القادرية المارضية من محافظة الشرقية .

٣ - تعيين السيد محمد محمد صبيح خليفة خلفاء الطريقة القادرية المارضية عن مركز منيا القمح .

٤ - تعيين السيد خيرى عبد العزيز خليفة خلفاء الطريقة القادرية المارضية عن بنسدر منيا القمح .

٥ - تعيين فكرى زكى احمد خليفة خلفاء الطريقة القادرية المارضية عن ميت ردين .

ثالثا : كما اعتمدت المشيخة تعيين كل من :

١ - الشيخ ابراهيم محمد البربرى من برهة شطانوف - نائبا للطريقة الصاوية الخلوئية عن مركز الشمون .

٢ - الشيخ صلاح جمعة سعيد خليفة خلفاء للطريقة الصاوية الخلوئية عن ساقية مكي محافظة الجيزة .

٣ - الشيخ مندى عبد الحكيم طلبة نائبا للطريقة الصاوية الخلوئية عن نقطة ابو قرقاص .

٤ - الشيخ محمد ابراهيم حسن خليفة خلفاء للطريقة الصاوية الخلوئية عن السرور مركز ابو قرقاص .

٥ - الشيخ احمد محمد بدوى نائبا مركز المنيا للطريقة الصاوية الخلوئية .

٦ - الشيخ زين محمد آدم - نائبا بنسدر المنيا للطريقة الصاوية الخلوئية .

٧ - الشيخ فخرى احمد حسين خليفة خلفاء صلفط الشرقية مركز المنيا .

رابعا : كما اعتمدت المشيخة العامة :

١ - تعيين الشيخ بيومى محمد محمود - نائبا للطريقة الشيبانية عن مركز ادفو .

٢ - تعيين الشيخ محمد محبوب محمد - خليفة خلفاء للطريقة الشيبانية عن البصيلية بحرى نجع الشمايخة - ادفو .

٣ - تعيين الشيخ سالم امام

محمد - خليفة خلفاء للطريقة الشيبانية عن مركز اسوان .

٤ - تعيين الشيخ سالم سم احمد - خليفة خلفاء الشيبانية عن مركز ادفو .

٥ - تعيين الشيخ نور الد حسين بهنساوى - نائبا للطريقة الشيبانية عن محافظة سوهاج

٦ - ولف كل من الشيخ - احمد حسن التابع للطريقة السعدية ونجله محمد سيد اح حسين التابع للطريقة الشيبانية - الجماعة المسماة

البرهانية النسوية الشاذلية جازنا من السيد / حامد حد محمد السليمى - وكيل المشيخة بمركز ادفو - ما يلى :

حاول بعض اتباع الجماعة السماة - البرهانية النسوية الشاذلية - بناحية بلدة العا سسوب - وارمئت الحيط استنجار دار وقاموا بوضع لاد تعمل هذا الاسم - فانصل وك المشيخة العامة بالمستولين بحر ادفو حيث عرض عليهم قراره النشاط الصوفى لهذه الجماعة ومدى مخالفة نشاطهم لنصوص القوانين الصوفية - وعض مشروعية هذا النشاط - فق السيد الامور مشكورا والس معاون المباحث - بتنفيذ القرار - وقرار العطر وتاكيد سيا القانون ودولة المؤسسات نعد عدم تمكن هذه الجماعة من بس سؤومها ومخالفتها للقانون واسرة المجلة شكر السيد الامور ورجال المباحث لتنفيذ القانون وتحقيق عوامل الانقياء

البقاء لله

١ - تمنى المشيخة العامة للطرق الصوفية الى رجال الصوف والى المواطنين - العارف بالله تعالى المفقور له السيد فكرى على منصور كريم شيخ طريقة السادة العروسية الشاذلية - ولذاكر لسيادته الصلاح والاجتهاد وحسن الخلق والجهاد في سبيل الطريق الصاعد الى الله تعالى جزاه الله خير الجزاء وتفهمه برحمته الواسعة واسكنه جنات الرضوان والهم آله ومريديه الصبر والسلوان .

٢ - كما تمنى المشيخة العامة للطرق الصوفية : المفلسور ل الحجاج محمد سليم حسن سكرتير الطريقة العامدية الشاذلية وتذكر له اصالة الراى والاجتهاد ولتانيه في خدمة الطريق الصاعد الى الله سبحانه وتعالى - وهومن الرعيل الاول في الطريق العامدى - تحمل مسئوليته مع ماسس الطريق سيدى سلامة الرافى وخليفته سيدى ابراهيم سلامة الرافى وللا منفاها شجاعا الى مبدئه الراشد المستنير - جزاه الله خير الجزاء ورحمه رحمة واسعة والهم آله واخوانه الصبر والسلوان .

عالم الطريق

البرهانية .. إلى متى؟!

- هل هناك من هدف لتكوين الهيئات والجمعيات الدينية سوى نشر رسالة الدين وفرس المسجديء القويمة في نفوس الاتباع والريدين ؟
- ثم اليس هناك قانون ينظم هذه الجمعيات ويحول دون انحرافها عن جادة الطريق ؟
- اذا كان الرد على ذلك بالاجاب فلماذا يسمح لبعض هذه الهيئات بمزاولة نشاط يتعارض مع الهدف الاسمي الذي تكونت من اجله ؟
- لقد نهت المشيخة العامة للطرق الصوفية الجهات المسئولة في عدة بيانات رسمية واتصالات شخصية ، الى المخالفات الدينية الصارخة التي ترتكبها باسم الدين وباسم الصوفية (الجماعة البرهانية) ومع ذلك لم تتخذ خطوات ايجابية لحماية الدين من هذا العبث الذي ترتكبه هذه الجماعة ..
- وتعل اصلى وصف لادعاء الصوفية ما قاله الامام الشيخ « محمد الغزالي » في حديثه المشهور بالعدد الماضي من مجلة التصوف الاسلامي - اذ قال :
« وتبين من سلوكهم انهم عشاشون مهرة ، ماتركوا حرمة لله الا انتهكوها ، وابعوا اختلاط الجنسين على نحو شائن ، وخلطوا العبادات باللغو والعبث .. ويؤسلفني ان « الجماعة البرهانية » و « ابو الغيط » واشباههم يقومون بدور خطير في افساد التصوف » ..
- ان السكوت على ما ترتكبه هذه الجماعات من عبث سوف يشجع غيرها من المستغفلين والانتهازيين على التستر تحت لواء الصوفية والافتداء بهذه الجماعة في استغلال البسطاء وخداعهم باسم الدين .
- اليس من حقنا ان نتساءل الآن . الى متى السكوت عن هذه الجماعة ؟
- ما قيمة القانون الذي اصدرته الدولة لتنظيم الطرق الصوفية اذا كان هذا هو مدى احترامه من امثال جماعة البرهانية ؟
- لمصلحة من تعمل هذه الجماعة باسم الصوفية اذا كان المجلس الصوفى الاعلى الذي اوكلت اليه الدولة وحده سلطة الاعتراف بتكوين الطرق الصوفية وقد اعلن مرارا الغاء هذه الجماعة وعدم انتماها للصوفية ؟
- مرة اخرى - ونرجو ان تكون الاخيرة - لمصلحة من السكوت عن هذه الجماعة ؟

ف . س

(بدون تعليق)

((لا تزال طائفة من امتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالهم حتى ياتي امر الله وهم ظاهرون))
حديث شريف

رجب ١٤١٥ هـ

وسلم ليس له علاقة وليس له من الامر شيء .. فهنا نحن الذين زوجناك يا محمد فكيف تحاسب سيدنا محمد على تصرف ليس منه .. وما ينطق عن الهوى « عسى ربه ان طلقك ان يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات » ربنا الذي يزوجه .. وما دام الله الذي يزوجه فكيف احاسب محمدا على تصرفاته ؟

موضوع آخر .. هل محمد صلى الله عليه وسلم قد ضيق عليه ام وسع عليه ؟ الناس لا يفرقون بين الاستثناء في العدد وبين الاستثناء في المعدود ومحمد لم يستثن في العدد انما استثنى في المعدود والفرق بين الاثنين ان محمدا اجتمعت عنده تسع زوجات ولم يبع له عدد تسعة لا .. ابيع له معدودات تسعة .. اذا ذهبت واحدة منهن ليس له ان يكهل العدد . قال تعالى في ذلك :

(لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبديل بهن من أزواج) اذن ليست خصوصية عدد انما خصوصية معدود . وما دام خصوصية معدود اذن فمحمد ضيق عليه لاننى ليس لي خصوصية معدود ولي خصوصية عدد انا اجمع اربعة انما اطلقهن الصبح والتزوج اربعة ثم اطلق والتزوج اربعة ويمكن ان يصرن مائة . !

وعندما تاتي لخصوصية العدد وتعطيها معدودات يطلع انه لا حصر للعدد الذي لكل انسان .. انما لرسول لا .. وايضا فالعدد كان موجودا وقيل لهم : ان الذي عنده اكثر من اربعة يمسك اربعة ويفارق الباقي فهب ان رسول الله اجرى عليه هذا الحكم .. اذن يمسك اربعة ، ويترك الباقي ويفارقهن والباقي من امهات المؤمنين .

اذن لا يتزوجهن احد .. وهذا هو السبب في خصوصية المعدود .

اما عن الطلاق فمعناه ان العشرة اصبحت مستحيلة ولو من طرف واحد .. فكيف تجبر واحدا على ان يعاشر واحدة بغير استعداد نفسى ؟ المفروض ان لو هنالك قانونا يلزم بعدم الطلاق .. ان نقول كيف ذلك هل تستطيع ان تعيش معها . كيف تكون سسكنا لى وانا لا استطلقها ؟ .. كيف تكون مأمونة على ؟ كيف تكون مأمونة على ذريتي ؟ كيف تكون مأمونة على عرضى وانا اكرهها ؟ كان من الواجب ان يبيح التشريع الطلاق لو لم يكن مباحا بدليل ان الذين لهم علاقة بالاسلام وحتميات الحياة ارغمتهم وضربتهم على رؤسهم اباحوه في عين الماتيكان !

وهذا دليل على انهم لم يجدوا غير هذا الحل . فاذا جاء الاسلام وابع الطلاق اساله . لم ايجت الطلاق الذي افوله للذى لا يبيحه : عش انت بغير انسجام ومودة مع زوجك .. كيف تستطعم الحياة اذن ؟

اذن فاباحة الطلاق يجب ان تؤخذ على انها حسنة من حسنات الاسلام .. فحتميات الحياة ارغمت خصومه على اباحته لان الزواج قائم على السكن والمودة والرحمة . فحيث ينعدم هذا الاصل .. فكيف ترغمني على ان اعاشها ؟



بيان من مشيخة عموم الطرق الصوفية

تعان مشيخة عموم الطرق الصوفية ورئيس المجلس الاعلى للطرق الصوفية بان الطريقة الزعمية البرهانية السوفية الساذية ليست من عسداد الطرق الصوفية الرسمية وان الشيخ محمد عبده البرهاني اعلى من منصب وكيل المشيخة الصوفية بالسودان وان المسئولين بالسودان ابلغوا بهذا القرار ، وما نشر بجريدة الجمهورية في صحيفه يوم السبت ٤ - ٤ - ١٩٨١

وهذا بيان من جهة رسمية لتوضيح الامن :
 تحريراً في ٥ - ٤ - ١٩٨١
 محمد محمود السطوحى
 شيخ مشايخ الطرق الصوفية
 بجمهورية مصر العربية
 ورئيس المجلس الاعلى للطرق الصوفية

الطريقة الأحمديّة الشعبية



سيدى أحمد البدونى وسيدى محمد شبيب بن سيدى شبيب بن سيدى الكان فريجه بزاوية الصياد بجمسان القرب وهو من سلالة بنى شيبة العهد سدد الكعبة المشرفة وسنة الى عبده الامام الحسن بن الامام على بن ابي طالب .»

• جاء من السيد / محمد السيد حسن الشعبى « شيخ الطريقة الشعبية كلمة قال فيها التصوف هو حياة القاتب العى بالله كما جاء فى كتابم الدينى « الفن كان ميتسا فاحييناه وجمالنا له نوراً يمشويه فى الناس» وقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » ولذا فان التصوف الروحى هو قرب القاتب الى القريب .»

• وقال عن حبه ولما الله سيدى محمد شبيب الجيسالى الكان فريجه بالموسكى بالقاهرة والتولى سنة ٧٢٠ هـ والذى اخذ الطريقة الاحمدية عن شيخه سيدى عبد الرحمن النهيدى الكان البرهانه بالامام الإجمدى من شيخه القطب العيسوى الكبير

- يوسف خليل الزاهد - نائب عام الطريقة الزاهدية الاحمدية ووارث حال والده .»
- ١١ - حسين فهمم الجسارى شالى - نائب مركز السنطة فريية عن الزاهدية الاحمدية
- ١٢ - عبد العزيز نعم سليمان نائب مركز طهطا - سوهاج عن الزاهدية الاحمدية
- ١٣ - فرحات فرج شادى - خليفة خلاه المعصرة المحطسة عن الزاهدية الاحمدية
- ١٤ - السيد مصطفى السيد الخليفة - نائب مركز أمبابة عن الزاهدية الاحمدية
- ١٥ - بركات محمد حسنين - خليفة خلاه على الاولاده بدائرة المعصرة حلوان

أنشطة صوفية

- ١ - تم بناء دار للطريقة المرغنية الختمية ببلدة صناديد مجلس ادارة مكون من السادة : مركز طهطا فريية وتشكل لهسا لبيب حسين غلام نائب الطريقة ومعه خلفاء الخلفاء والخلفساء بالناحية المذكورة .»
- ٢ - احتفل ابناء الطريقة المذكورة بعولد العارف بالله تعالى السيد محمد سر الختم المرغنى الشيخ وذلك بدار الطريقة بتكية بسان الوزير ولد احميا الليلة انشاء الطريقة من مختلف المحافظات

الطريقة الجوهرية الأحمديّة

انطل السيد الاستاذ الحسن ابو الحسن الجوهرى شيخ الطريقة الجوهرية الاحمدية بذكرى مولد جده العارف بالله سيدى ابو الحسن الجسورى بالساحة الجوهرية بلفاس . وقد وجه فصيلته الدعوة الى جيم للمشاركة فى الاحتفال بذكرى ابناء الطريقة الجوهرية الاحمدية شيخهم وقد اقيمت الكلمات الدينية والوطنية من وعاظ الطريقة والقيمت الاذكار الشرعية والتفحة النبوية من مشاهير المشددين والقراء واختتمت الاحتفالات كما بسدت بالقران الكريم

- ١ - احتفل بمولد الشيخ اشرف الرفاعى والشيخ عبد المسال على عبد الرحمن بمنطقة سيدى عبدالله التوسى قسم الخليفة بالقاهرة بالاذكار والنسبوات والسيرة الصوفية تحت اشراف الحاج ابو الليل سليمان وكيل المشيخة الصوفية

- فنى محمد طلبة الحداد نائباً عن ابي فرغاس بالنيا .»
- ٥ - اعتماد تعين الشيخ مبد الحليم على ابراهيم نائباً لنقطة الفتى مركز الشين
- الطريقة الجوهرية الاحمدية
- ١ - اعتماد تعين الشيخ ابراهيم ابراهيم البرادى وشهرته الشيخ خليل البرادى نائباً للطريقة الجوهرية الاحمدية عن مركز بلفاس دقهلية
- ٢ - تعين الشيخ ابراهيم ابو عمارة عطية نائباً للطريقة الجوهرية الاحمدية عن مركز شربين دقهلية
- ٣ - تعين الشيخ موسى عسكر الرفاعى ابو الحسن نائباً للطريقة الجوهرية الاحمدية عن نقطة ٦ أكتوبر مركز بلفاس دقهلية

- ٤ - اعتماد تعين الشيخ سيد سليمان ابو طمة خليفة خلفاء بمركز منوف
- ٥ - اعتماد تعين الشيخ على ابراهيم فوال خليفة خلفاء بندر منوف
- ٦ - اعتماد تعين السيد محمد عبدالقصور على عصاميس خليفة خلفاء محافظة المنوفية
- ٧ - اعتماد تعين الشيخ محمد المرسي اللدى نائباً عن بندر منوف
- ٨ - اعتماد تعين الشيخ جوهري بيومى مسلم نائباً عن مركز منوف
- ٩ - اعتماد تعين الشيخ ابو الزيد محمد السيد الرفعى نائباً لمحافظة المنوفية
- أبناء الزاهدية الاحمدية
- ١ - سلامة عطية حسنين - خليفة خلفاء نقطة منافيس من بيت الديبكي الزاهدى الاحمدى
- ٢ - ابو خليل عطية فطاس - نائب بندر طلخا عن الزاهدية الاحمدية
- ٣ - ابو الفتوح بيومى البيومى - نائب نقطة ميت الكرما عن الزاهدية الاحمدية
- ٤ - بدير عبد العزيز احمد شارودة - خليفة خلفاء نقطة ميت الكرما عن الزاهدية الاحمدية
- ٥ - المتولى سعد دلال - خليفة خلفاء قسم اول النصرورة عن
- ٦ - حسن احمد حسن شرف الدين - نائب بندر الصل عن ميت منصور الزاهدى الاحمدى
- ٧ - صديق حسين سالم - خليفة خلفاء مركز اسيوط عن الزاهدية الاحمدية
- ٨ - عبد النبي محمد فراج - نائب نقطة بنى حسين اسيوط
- ٩ - محمد صديق محممسد الشهير بشعبان - خليفة خلفاء نقطة بنى حسين اسيوط
- ١٠ - حسن السيد حسن

قرار هام لوزير الأوقاف

بقية: وفق الجمهورية

وزارة الأوقاف

الإدارة العامة للإرشاد الديني والأوقاف

إدارة السكرتارية والتبليغ

الحضرة

مزل السيد / محمد عثمان البرهاني، ومطابقته كوكيل
للطريق المسوومة بالسودان

السيد صاحب التبليغ

مخاطبة مني من ائمة دار الأوقاف ورتبوا المجلس الأعلى للدار الأوقاف

تحية طيبة وبعد

تخاطبكم أن الدكتور وزير الأوقاف قد وافق على قرار المجلس الأعلى للطريق المسوومة رقم
لسنة ١٩٨٠ بمزل السيد / محمد عثمان البرهاني، ومطابقته كوكيل للمهجة للتأجير المسوومة

بالسودان، وأمر بإبلاغ سوا فتمت له للمهجة

بسرعة التفضل بالأحاطة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٩٨١/٥/١٨

ن

المدير العام للإرشاد الديني والتبليغ

ومطابقته المجلس الأعلى للطريق المسوومة

١٩٨١/٥/١٨

بعد التفتي شاك الدين

الدين وذلك بالمسورة التي رسمها
القرآن

● وما هي حدود اختلاط اللتيات
بالرجال في المدارس والمعاهد
والجامعات ؟

- إذا خرجت المرأة من بيتها ..
حسبما تقدم في الآيات السابقة ،
والأولى أن يكون للمطالعات مكان خاص
في الجامعة ، وأن يكون للطلبة مكان
آخر وحتى يتيسر ذلك فإنه يجب أن
تتفرد الطالبات بإمكان في المدرجات
لا يجلس بينهن الطلبة حتى لا تتزاحم
أجسادهم مع أجسادهم وهم ومن في
قوة الشباب الذي يدفعهم كما يدفعهم
إلى أمور أخرى وكذلك ألتشأن في
العمل إذا خرجت المرأة إليه لا يجوز
لها شرعا أن تتفرد مع رجل في مكان
مغلق عليها لأن هذه خلوة محرمة
شرعا فإن العوامل النفسية والجسدية
دائما تطفو والشيطان يعمل عمله كما
جاء في الأثر الشريف .

ما التفرد رجل وامرأة إلا كان

- لا يجوز شرعا وكيف ذلك والشرع
يحرم على المرأة أن تطلع غطاء رأسها
فكيف تعري رأسها ليصقله الكواكير أو
ليعبث بشعرها رجل ولكن يجوز أن
تصفف شعرها في بيتها وأن تتزين وأن
تلبس الملابس الشفافة وأن تتحلل بأغلى
والعن الحلى ، وأن تتعطر داخل بيتها
لزوجها وأن لا تظهر بكل هذا على أي
رجل غير محرم عليها كما هو مبين في
القرآن الكريم .

● وما حكم الشرع أيضا في مدرس
البنات الخصوصي ؟

- من حكم الإسلام أن لا يخلون رجل
بامرأة ، ومن هنا يمنع شرعا أن ينفرد
مدرس بطلبة مدرسة أو طالبة وحدهما
فإن كان ولا بد فيجب أن يجلس معهما
رجل محرم .

● وعمل المرأة ؟

أما نزول المرأة أو الفتاة إلى العمل
فالإسلام يجيزه متى كانت في حاجة
إلى العمل أو كان العمل في حاجة إليها
على أن تخرج إلى عملها في حشمة
ووقار ، دون تبرج يلفت إليها الانتظار
ويجلب إليها الإساءة التي لا ترضاهما

لعل في هذا القول الكريم بهانا للعبة
التي من أجلها كان أمهاغ المرأة
ملايسها ساتره لجميع جسدها وهو
حتى لا يتعرض لها أشرار الرجال
بالإيذاء كما يجري في شوارعنا الآن
في التعرض للنساء لأمسيما أولئك
اللاتي يرتدين الثياب الضيقة
والبنطلونات المحزقة التي تبرز تفاصيل
أجسادهن ويتشبهن بالرجال في ارتداء
ملايسهم وهذا ولاشك تفريق وبعد عن
التمسك بحسبوك الله وقد يقابله في
الجانب الآخر ذلك الإفراط الذي يرتكبه
بعض السيدات والفتيات من تغطيه
وجوههن بطريقة قد تكون ملفسة
لا تعطي صورة مقبولة عن زى المرأة
كما طلبه الإسلام .. ولاشك أن الشر
كل الشر في التفريط وفي الإفراط سواء

● وهل يمح للفتاة أن تلبس
الثبوت في الضادى النساء التدريبات
الرياضية ، وكذلك المايوه في حمام
السباحة والمصيف ، وماذا إذا كان
المدرج رجلا ؟ ويجب فضيلة الملقى :

وإذا كان هذا مبدا الإسلام وحرصه
على كرامة المرأة ودعوتها إلى أن
تصون نفسها عن التبدل والابتذال
فلا تعرض جسدها للعين الشريرة
التي حرم الله أن تتعرض لها

ولا يوجد أي عذر مبرر لارتكاب المرأة
أو الفتاة الذي لا يقره الإسلام فلا يجوز
أن تظهر بالثبوت أو أن تزل بحمام
السباحة بين الرجال أو في حضورهم
فإذا كان المجتمع كله نساء لا يطلع عليه
الرجال أبدا ربما يكون جائزا ولكن
الأولى أن تستتر المرأة حتى عن المرأة .

● وهل من حق المرأة أن تذهب إلى
طبيب رجل في حالات المرض والولادة ؟
ويجب فضيلته :

إذا اضطرت المرأة للتداوى من
مرض أو جراحة فإن الأولى أن تتولى
ذلك طبيبة فإذا كان ولا بد من الذهاب
إلى الطبيب فنك ضرورة للجبيب
أن يلبسها لأجراء اللحص الذي يقوم
به أو الجراحة التي يجريها على أنه
يجب عليه بحكم الإسلام ألا يتجاوز من
جسدها الواضع التي تمتدعي اللمس
أو النظر لتمساح اللحص لأن ذلك حان
ضرورته والضرورة تقدر بقدرها كما
هو حكم الإسلام .

وهل يجوز أن تذهب المرأة للكواكير
الرجل ليصفف شعرها ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وعلي الله تعالى شهدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم}

أما بعد أيها الأسياب فقد قال سبحانه وتعالى في محكم تنزيله "لو انفتحت ماة
الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم" صدق الله العظيم
اللهم ألف بين قلوبنا وحببتك - اللهم ألف بين قلوبنا وحببتك اللهم ألف بين قلوب
أمين وقد قال الشيخ رضي الله عنه .
"وشأنني تأليف القلوب وجمعها" وقال رضي الله عنه:
ليجمع الشمع امدادا ومرصعة ويعمل الكحل بمدودا بهجتنا

وغير ذلك من الأحاديث والآثار وأقوال الشيخ " مما يؤكد علي (وحدة الصف عند
عمدة الدين) وان هذا الرباط المتين هو الصروة الوثقى واحببت ان اذكركم ونفسي بذلك
لانه كما تلاحظ ولفترة طويلة فان هناك فرقة بين الاخوان وشتات بل وهناك قطيعة بين
بعضهم وكما كان يقول مولانا الشيخ رضي الله عنه ان الفرض من الطريق هو ر
الشاردين الي الله فانه كذلك من اغراضنا لما الجمع والتألف بين الاخوان كلما بدر
بوادر شتات وفرقة وقد ادي الي تلك الحال القليل والقال وقد سبق لمولانا ان قال رضي
الله عنه :

وانسن اهل القليل والقال انما تكب علي النيران بس الحصاد

مشيرا الي حديث المصطفى صلي الله عليه وسلم (هل تكب الناس علي رجولي
في النار الا حصاد السنهم) . ولا بد ان اذكر بعض الامثلة فقد بلغني ان احد الاخوان
نقل الي اخ آخر ان الشيخ وصفه بانه كلب وابن كلب والعياز بالله وان آخر نقل الي اخي
ان الشيخ يامر ان لا تدع فلان يجلس لديك وان آخر بلغ به الحد انه عندما وجد ابن
الشيخ في منزل شخص غير ابن طريقة عاتبه في استقبال ابن الطريقة هذا لانه متارود
فيما جعل صاحب المنزل يثور عليه ويذكره بانه لا دخل له بما يدور في طريقته .

وان احدهم قال ان ابن احد ابناء الطريقة سرق اوتادا من المقام بهتانا وان بعض ابنا
الطريقة عندما يزوروا المقام يسمعوا فيه من شاذ الالفاظ ونابيهها مالا يليق بالمقام ولا
بزائره وان بعضهم يلتمزون ويغمزون باستفزاز شديد الي آخر ذلك وبهذه المناسبة القرية
لا تطرد احدا قط انما عديم الحظ هو الذي يدير ظهره للطريقة فحاصل الامر ان بعض

الاخوان يسرقون لسان الشيخ وبعضهم بجهل شديد يتصرفون مع الآخرين بما يريدون الصدور ويخلق الحساسيات ويزيل الصفاء بين ابناء الشيخ ولا اطيل في هذه الناحية وقد اريد ان انبه الي انه ليس من ادب الطريق ولا المشايخ نقل اي كلام يودي الي قطع همة الاخوان وانه من ادب الجلوس مع الشيخ ان لا ينقل ما يسمع وانه ينبغي ان لا ينقل ا شيئا من شأنه ان يخلق جفوة بين الشيخ و احد مرديه وان لا يظن ان ذلك يفيدها حظوة بل عليه ان يسعى بنفسه لاصلاح ما سمع والا فليصمت ويدعو الله الهدايا ولاخيه ومن هنا ومنذ الآن فانا شخصيا مسامح وصافح عن كل ما وصلني وداعيا باطلا لكل اخ اصابته عثرة في هذه الناحية واطلب كذلك من كل الاخوان ان يسامحوا بعض البعض وان يتصافحوا وان يبادر كل منهم في استسماح اخيه متي ما شعر بانذ اخذها خاطرة والسباقون هم السابقون وان يتمثلوا قول الشيخ رضي الله عنه (امامنا المصطفى والصفح شيمتنا) وقوله (الا ان مولانا الحسين لشاهد نهود عيان كم اجود بصفحتي كيف لا وهو وارث المسامح الاكبر صلي الله عليه وسلم (اذهبوا فانتم الطلقاء) وان كذلك اناشد بعض الاخوان القدامى الكبار في السن والذين عاصروا الطريقة منذ عهد الاول ان يعاودوا زيارتهم المستديمة للمقام وللقاء الاخوان وانه باذن الله لن يصيبهم من الان من كل الموجودين الا المودة والتوقير ونحن اولي من سوانا من نصيحة المهتلفين صلي الله عليه وسلم في ضرورة ان يوقر صغيرنا كبيرنا .

وطبعا تعلمون ايها الاحباب ان السبب الرئيسي لكل ذلك وغيره هو الكسل في الاوراد والاوراد هي حصن ابن الطريق الحصين نعمصمه من كل زلل تنير له الطريق في السلوك وفي كل انواع المعاملات وترتبط بينه وبين الاخوان برباط المودة وقد اسر الشيخ رضي الله عنه بذكر اسم (الوردود) عدد ثمانين وعشرين مرة (٢٢٠) وردا بليلها المودة وتشبيتها فكل من اصابه غم او شعر بانقباض او جفاء نحو اخوانه فليرجع الي اوراده وينظر اين حصل التراخي والكسل واين حصل الخطا وان يتفاكر في ذلك مرشده .

وهذا يقودني الي الحديث عن ضرورة دور المرشدين فهم اصحاب المسؤولية المباشرة في تفقد احوال الاخوان المعاشية والسكنية والاجتماعية بجانب الطريقة واني باذن الله ساجتمع بهم قريبا لغرض ذلك التنشيط وسنعين مرشدين لاماكن السكن الجديدة وفي محل الذين شغرت اماكنهم ممن اغترب او توفاه الله الي رحمته وساجتمع بهم مرة كل شهر وكذلك النواب وندعوا الله ان يجعل في ذلك تجديدا للعزم وشجدا للهمة وربطنا للطريقة بابنائها .

من المأثور عن سيدى ابراهيم رضي الله عنه انه قال : (ما دمتم صابرين اصحابي بان

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلح الله على سيدتنا محمد وآله وسلام

إلى كل من يهمهم الأمر - رسالة
وإلى الاخوة الكرام
مشايخ الطرق الصوفية على وجه الخصوص

تقود وثابته

الطريقة الجبرهانية الدسوقية الشاذلية

(البيان)

الشيخ محمد عثمان عبده

المكنى بغفر الدين

أن تعلن أن المدعين الآتية أسماؤهم:

- نجيب صالح
- محمود حسن أبازيد
- أحمد محمد إسماعيل
- محمود محمد سليمان

وإن منهم لا يمتون لهذه الطريقة بأي صلة وإن
أي عمل يقومون به لا علاقة له بهذه الطريقة.

وبهذا لزم التوضيح حتى يكون الجميع على
بينة من أمرهم حين التعامل معهم.

والله ولي التوفيق والسلام

اللجنة العليا للطريقة

الرهانية الدسوقية الشاذلية

مرحلة من
أن خلف
التي ادت
كانت في
توجيه
أسمالية
وحكومة
بعض
العدالة
اجتمع
سعوب في
وعلنا نذكر
سحده نالوا
بعد اتساع
في عام
نالوا هذا
المرأة في
تويت بعد
هي تمثل
الولايات
التصويت
أن دستور
خمسة
نتخبين
م 1787
حترقي
من ملاك
واحد من
أرهم، ولم
النظام
تشير
تصويت
ورية مما
صحيفة
ين إذ يري
ب مظهر
هو عادة
سريكين
التمين
العالم
غير من
سوي
سوف
عندما
أثر كبير
أصاب
أكرأنهم
نعرون
بألهم.

بيان همام

الطريقة الفخرية البرهانية الدسوقية الشاذلية «أبناء فخر الدين»

- إلى كل من يهمهم الأمر من رجال التصوف والسنة عامة .
- إلى رجال الطرق الصوفية والإخوان في الله خاصة .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. فليعلم جميع الإخوان في الله أننا ما كنا نود أن نبرز الخلافات بيننا والمدعو إبراهيم لولا بيانه الذي نشره في جريدة «السودان الحديث» بتاريخ ١٥ ربيع الأول ١٤١٥ هـ الموافق ١١ أغسطس ١٩٩٥ م.

فلا يعلم المدعو إبراهيم بيان الطريقة وكما أكده فضيلة الشيخ محمد عثمان عبده في دروسه أنه لا عزل في الطريق إلا بترك الأوراد وترك الذكر أو أن يرتد عن الإسلام أو إنعزل عن نهج الشيخ الروحي والزهد واستغل الطريقة للأغراض الدنيوية والكل يعلم من منا مارس ما نهى عنه الشيخ وباع نفسه للدنيا وزخرفها الفاني.

إننا نعلم جيدا أن الطريقة سلوك وعمل وجهاد في سبيل الله التزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

الله يقول: (والذين جاهدوا فينا لنتهديهم سبلنا) والتصوف هو الاستمسك بالكتاب والسنة ليصل الإنسان الي سمو الروح والسودان قاطبيا ومصر والإخوة في جميع أنحاء العالم ورجال الطرق الأخرى يعلمون من هم هؤلاء الأربعة ومكانتهم في الطريق ويكفيهم فخرا ما قاله الشيخ محمد عثمان فيهم وأشاد بهم واختار الشيخ أبازيد ليكون ملازمه ساعة وفاته وأن يسلم روحه الطاهرة وهو الذي كلف الشيخ نجيب أن يكون مرشدا للطريقة ويدرس علوم الشريعة أما الشيخ محمود فتكفيه إجازة الشيخ المكتوبة وتكليفه بإنشاء زوايا داخل السودان وخارجه.

أما الشيخ الرابع أحمد محمد اسماعيل فيكفيه فخرا أنه أختير شيخا من المجلس الصوفي المصري شيخا للطريقة ونحن نطالب وإحقاقا للحق المدعو إبراهيم أو أي فرد من جماعته إبراز مثل هذه الشهادة الموقعة من الشيخ محمد عثمان عبده نفسه بتوقيعه إذا كان لديهم إجازة كإجازة الشيخ محمود وليعلم الجميع أننا تركنا المدعو إبراهيم وهم يعلمون جيدا كيف تركناهم وهرينا بديننا وطريقنا إرضاء لله ورسوله ﷺ وقد عجبنا لهذا البيان الذي جاء متأخرا جدا وتسأل عن أسبابه.

هل لأن الأحباب والمريدون إنحازوا إلينا أم كان التجمع الذي حدث بخيمتنا بام درمان بذكر المولد النبوي الشريف كان إستفتاء لجميع أبناء الطرق حولنا وكذلك مشايخ الطرق الصوفية رغم المنشورات التي وزعت علي كل الطرق والتجمعات ولكن لا يحيق المكر السيء إلا بأهله.
إن التزامنا بالدين الحنيف يفرض علينا عدم نشر ما يسيء إلي الطريقة ونحذر من دفعنا لذلك

"بسم الله الرحمن الرحيم"

وبه نستعين



Handwritten text in a rectangular box at the top left, including the date 11/5/15.



شيخة عموم الطرق الصوفية
لقاهرة - ميدان الامام الحسين

أول شارع أم الغلام

ن.ب: ٩٩٢ ت: ٥٩٠٥٣٩٢

مكتب

تلغرافيا: التصوف بالقاهرة

التاريخ: ١٣ صفر ١٤٢٢ هـ

ساحة شيخ المشايخ

الموافق: ١/٥/٧

شهادة

عهد الامانة العامة للمجلس الاعلى للطرق الصوفية ان السيد /

محمد اسماعيل الحسيني - السوداني الجنسية قد اعتمد نائبا عن الطريقة

برهامية عن - أبناء الشيخ / محمد عثمان عبده البرهاني - بجمهورية السودان

مجلات المشيخة العامة للطرق الصوفية تحت رقم ٧٥٤ ص ٣٢٦

و نالت نواب بتاريخ ١٩٩٥/٢/٤ .

هذه الصفة اصبح هو الممثل الوحيد بجمهورية السودان للطريقة البرهامية

ابناء الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني .

تحررت هذه الشهادة لتقديمها لمن يهمه الامر

الامين العام

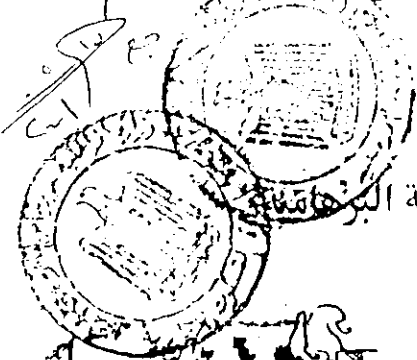
"عبد الحميد عبد اللطيف"

الطريقة

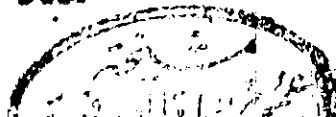
برهانية

مكتب

Vertical handwritten text on the left side, possibly a list or index.



Vertical handwritten text at the bottom left, including the date 15/5/15.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

NATIONAL COUNCIL FOR
ZIKR & ZAKREEN
GENERAL SECRETARIAT



المجلس القومي
للذكر والذاكرين
الأمانة العامة

النمرة م ق / ذ ذ / ا ع

التاريخ ٢٠٠١/٧/١٤

شهادة

يشهد المجلس القومي للذكر والذاكرين بأن / الشيخ احمد محمد اسماعيل هو الخليفة
الثاني لشيخ الطريقة البرهامية بالسودان ومؤسسها وله اسهامات دينية واسعة ونشاط دعوى
امتد الى كافة بقاع السودان .

وحررت له الشهادة بناء على طلبه

وجزاك الله خيراً



وزارة التضامن الاجتماعي
طه الشيخ الباقر
الأمين العام للمجلس القومي
للذكر والذاكرين

بصحة توقيه
وصحة قلم
التوقيع
التاريخ

وتتبعه تاريخية ارضون الطريقة البرهامية
من السودان (مؤلفه سيدي ابراهيم القرشي الدسوقي)

ولد رضي الله تعالى عنه في ليلة تالية للتاسع والعشرين من شهر شعبان سنة ٦٥٣ هجرية ببلدة دسوق بجمهورية مصر العربية وله بها مسجد كبير ولقد اشتهرت طريقته البرهامية على يد شقيقه سيدي موسى الملقب بشرف الدين موسى ابن العمران والذي ينتسب اليه نيس السجادة الحالي الشيخ محمد علي عاشور وهو موجود في جمهورية مصر ، وكان سيدي ابراهيم القرشي الدسوقي يشترط على المريدين اتباع الكتاب والسنة وجميع الأوامر المشروعة .

اشتهرت الطريقة في السودان على يد الشيخ ادريس بن الأرباب سنة ٩١٣ هـ - ١٠٦٠ م ولقد أخذ عهد هذه الطريقة من يد الشيخ أحمد زروق فضل الذي نشر الطريقة البرهامية في شمال أفريقيا إلى بلاد المغرب وقد سافر الشيخ ادريس بن الأرباب ومعه الشيخ الحاج فضل قاصدين طرابلس الغرب حيث كان يقيم الشيخ أحمد زروق وأخذ عليه العهد وعادا معهم الشيخ حسوبة راجل سوبا الذي دفن بها وهو جد المغاربة الموجودين في تلك المنطقة وكان نشرها قليلاً مما جعل توقف نشرها فترة طويلة من الزمن واختفت هذه الطريقة من أواسط السودان تماماً على مدى زمن طويل إلى أن انتشرت مرة أخرى في السودان عقب الغزو الثنائي بواسطة جدي الشيخ عبدالحميد الذي حضر إلى السودان سنة ١٩٠٢ م .

ومن تلامذته الأوائل الشيخ الطاهر والشيخ ابراهيم خطاب والشيخ يوسف مصطفى حسن والشيخ سليم التماس والشيخ عبد الرضي والشيخ فضل ادريس من سكوت المحس وكان طباحاً للحاكم العام ومن تلامذته الشيخ أحمد عرابي الذي كان مرشد للطريقة بالخرطوم بحري وله صوان بالموالد بالخرطوم بحري سنة ١٩٢٠ م وكان يقيم الحوليات أمام منزلة بشارع الشلالية بالخرطوم بحري وأيضا من تلامذة الشيخ عبدالحميد محمود الشيخ توفيق طباح مدرسة السناعية وكان قطب الطريقة البرهامية في ذلك الوقت والشيخ صديق خليل المحسي الذي مازالت عصاته وركوته بمنزلنا بجزيرة توتي سلمت للوالد سيد اسماعيل عند تخليفه خليفة للطريقة البرهامية بالسودان وهو عمره ١٤ سنة وكان الشيخ المري التعم محمد عثمان عبده موجود وكذلك كان عمره ١٤ وقال الشيخ محمد عثمان الصديق أنت اعطيت أخي محمد اسماعيل الخلافة وماذا تعطيني أنا ، فقال الشيخ الصديق أنت نظامك لوحده وكان في هذه العبارة سر عظيم وقد تحقق ، وقد صحب الشيخ محمد عثمان عبده البرهامية منذ العاشرة من عمره ولقد درس الفقه بمسجد الخرطوم على يد الشيخ دفع الله النذير وتفقه على آثار الصوفية ثم قام بسياحة روحية مدة عشرين عام طاف فيها على معظم البقعة المباركة في السودان وقد عاد من السياحة وتعاهد مع الوالد محمد اسماعيل على نشر الطريقة البرهامية وقد تم ذلك وقد اشتهرت الطريقة في عهده وعمت القطرين السوداني والمصري بأسرها بل تعدتهما إلى دول أوربا وأمريكا ولاعجب فقد قال سيدي ابراهيم الدسوقي منذ زمنه قولته المشهورة .

ولانتهي الدنيا ولا أيامها حتى تعم المشركين طريقتي وفي سنة ١٩٦٣ سافر الشيخ محمد عثمان عبده إلى مصر والتقى بالشيخ علي محمد عاشور شيخ السجادة البرهامية بالقطر المصري والعالم الاسلامي وكان له معه بخصوص الاسم للطريقة من برهامية إلى برهانية وكان حديثاً واسعاً وأيضا تحدث معه عن سري الأوراد والمزج الذي تم فيها من أوراد البرهامية مع أوراد الشاذلية مثل ما هو موجود اليوم رهيل ذلك كانت الأوراد البرهامية فقط ، وهي اجازات سيدي ابراهيم الدسوقي فقط ، وبعد ذلك تم الموافقة على طباعة الكتاب الذي فيه أداء الطريقة البرهامية الان .

ثم سافر الشيخ محمد عثمان إلى مصر سنة ١٩٧٤ وقال امام المجلس الصوفي أنه برهامي الطريقة ويتبع للشيخ محمد علي عاشور وكل إجازاته وأوراقه المعتمدة تكون باسم البرهامية وتم هذا الحال إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين



مجلس الشريعة
العلمية
القاهرة
١٩٥٣

مكتب
الشيخ المشايخ

تلفرايبا : التصوف بالناهرة
التاريخ ١٤١٦ / ٢٧ / ١٤١٦
المرافق ١٩٤٤ / ٢ / ١٩٤٤
٩٤٤٧

الموضوع: قرار المجلس الاعلى للطرق الصوفية بجلسة ٢٨ / ٦ / ١٩٤٤
بشأن حظر نشاط الشيخ ابراهيم محمد عثمان عيسى
البرهاني واتباعه بمصر.

ضرة صاحب الفضيلة السيد الاستاذ / مدبر عام ادارة المساجد الحكومية
وزارة الاوقاف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ...

نرفق لسيادتكم - رفق خطاينا هذا - صرة القرار الصادر من المجلس الاعلى للطرق الصوفية
أن حظر نشاط الشيخ ابراهيم محمد عثمان عيسى البرهاني وجماعته التابعين لبيت البرهاني
سوقية الشاذلية التابع للطريقة البرهانية لشيخها السيد / محمد علي عماشور وذلك لما نسب
من خروجه على قواعد واداب واحكام التصوف برزت من خلال بعض الاعمال المنشورة
زار نشرهم لكتايبى (شهرة الذمة فى نصح الامة ، وبطائن الاسرار) المحظور نشرها
تداولهما لما استقر عليه رأى الجهات الدينية وعلما الاسلام بمصر من تضمنها مخالفات
لصحة لصحيح احكام الدين وما يترتب على نشرهما وتداولهما من اثاره للبلية بين الناس ،
تعمد المذكور بمنع نشرهما أو تداولهما .

ويضاف الى ما تقدم ان المذكور وتابعيه لم يكفوا بما تقدم بل نشروا كتابا اخر تحت عنوان
شباب الرهمل تضمن الكثير من المخالفات والباطل الذى تسبى الى اذنين والتصوف واجه
رأى علماء مجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف رأى فضيلة الاستاذ الدكتور أحمد عثمان
اللجنة الدينية بمجلس الشعب ونائب رئيس جامعة الازهر على ان ما تضمنه هذا الكتاب
من مخالفات يترتب على نشرها بين الناس اثاره الخلاف حول صحيح العقيدة ، ومن ثم يجوز
حده عن النشر والتداول .

ورغم ما انتهت اليه التحقيقات مع المذكور وتعمده باصلاح امور نفسه وجماعته الا ان
لم على تحقيق ذلك الامر الذى ادى بالمجلس الى القيام على مسؤولياته باصدار قرار
المرء بحظر نشاط المذكور والتابعين له من ابناء البيت المذكور .

المر الذى نأمل تطبيقها لاحكام القانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٦٦ بشأن نظام الطرق الصوفية

مجلس الشورى
مكتب
شيوخ المشايخ

تأهارة

١٠٥٢٩٢

مكتب

شيوخ المشايخ

تلفرافيا : التصوف بالتأهارة

التاريخ ١٤١٩/٥/٢٦ هـ

الموافق ١٩٩٤/٢/٢٨ م





الموضوع : قرار المجلس الاعلى للطرف الصوفية بجلسة

بشأن نشاط الشيخ

ابراهيم محمد عثمان عبد البرهان

واتباعه بعصره

السيد اللواء / نائب الادارة العامة لمباحث
امن الدولة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ..

نرفق لسيادتكم - رفق خطابنا هذا - صورة القرار الصادر من المجلس الاعلى للطرف الصوفية
بشأن حظر نشاط الشيخ ابراهيم محمد عثمان عبد البرهان وجماعته التابعين له بيت البيوت
الدسوقية الشاذلية التابع للطريقة البرهانية لشينها السيد / محمد على عاشور وذلك لما
اليه من خروجه على قواعد واداب واحكام التصوف برزت من خلال بعض الاعمال الصادرة
لتكرار نشرهم لكتابي (تهرئة الذمة فى نفع الامة ، وبطائن الاسرار) المحذور نشرهم
أو تداولهما لما استقر عليه رأى الجهات الدينية وعلما الاسلام بمصر من تصنيفها مخالقات
لصحيح احكام الدين وما يترتب على نشرها وتداولها من آثاره السلبية بين الناصب وورثهم
المذكور بمنع نشرهما أو تداولهما .

ويضاف الى ما تقدم ان المذكور وتابعيه لم يكتفوا بما تقدم بل نشروا كتابا اخر تحت عنوان
شراب الوصل تضمن الكثير من المخالقات والباطيل التى تنسئ الى الدين والتصوف واجهت
رأى علماء مجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف ورأى فضيلة الاستاذ الدكتور احمد عورت
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب ونائب رئيس جامعة الازهر على ان ما تضمنه هذا الكتاب
من مخالقات يترتب على نشرها بين الناس آثاره المخالفة حول صحيح التصوف ومن شأنه
يجب حجب عن النشر والتداول .

ورغم ما انتهت اليه التحقيقات مع المذكور وتعهد به باصلاح امور نفسه وجماعته الا ان
لم يتم على تحقيق ذلك الامر الذى ادى بالمجلس الى القيام على مسؤولياته باصدار
المرئى بلحظا نشاط المذكور والتابعين له من ابناء البيت المذكور .

الامر الذى نأمل تطبيقا لاحكام القانون رقم ١١٨ لسنة ٢٦ بشأن نظام المطبوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

بلاغاً : التصوف بالقطر

التاريخ / / ١٤
الموافق / / ١٤



الجمهورية العربية السورية
الوزارة العامة للطرق الصوفية

القضاء
١٠٥٢٦٣

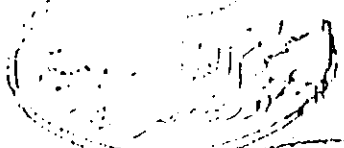
سنة ١٤٠٥ هـ

(٢)

بإذنه تعالى :
توسيع اللجنة المختصة لتنفيذها طبقاً للمادة ١٠

شيخ مشايخ الطرق الصوفية
والعلماء
الوزير / احمد عبد الهادي

الأمين العام
عبد الحميد عبد اللطيف



الوزارة العامة للطرق الصوفية
١٩٦٩ / ١٠ / ١٤
١٤٠٥

١٩٦٩ / ١٠ / ١٤

١٩٦٩ / ١٠ / ١٤

١٩٦٩ / ١٠ / ١٤



الأمين العام
الوزارة العامة للطرق الصوفية

وزارة خارجية جمهورية مصر

مكتب تصديقات المهتمين

١٩٦٩ / ١٠ / ١٤

١٩٦٩ / ١٠ / ١٤

المقرن والمأمور
بإصدار القرار
الذي أقره
الوزير
عبد الحميد
عبد اللطيف
في
١٤٠٥ هـ

وبه تفضلت

تلفرافيا : التصوف بالتاهرة

التاريخ : / / ١٤

الوافق : ٢ / ٧ / ١٩٦٤



الطريق الصوفي

العدد : ٩٠٥٢٩٣٥٥

مجلس الشيوخ

١٩٦٤

المجلس الاعلى للطرق الصوفية بحدار النشاط الصوفى للشيخ ابراهيم محمد عثمان عبده البرهاني شيخ بيت البرهانية الدسوقية الشاذلية بجمهورية مصر العربية واتباعه .

المجلس الاعلى للطرق الصوفية :

بعد الاطلاع على المواد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ من القانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٢٦
الذي ينظم الطرق الصوفية ، وعلى المشكورة المقدمة من الشيخ محمد علي عاشور شيخ الطريقة
البرهانية .

وعلى التقرير المقدم من الاستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر
بمعرض المجلس في شأن كتاب شراب الوصل ، وعلى خطاب مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر
الشرعي (الادارة العامة للتأليف والبحوث والترجمة) في شأن ذات الكتاب .

وعلى القرار السابق للمجلس الاعلى للطرق الصوفية بوقف نشاط الشيخ ابراهيم محمد
عثمان عبده البرهاني لمدة ستة أشهر ، ثم لمدة ستة أشهر اخرى .

وبعد الاطلاع على ما انتهى اليه رأى المستشار الدكتور منيب محمد زبيح المستشار
للمجلس ، وعلى وحضر اجتماع المجلس الاعلى للطرق الصوفية المشار اليه .

تقرر

مادة أخرى :
حدار النشاط الصوفى للشيخ ابراهيم محمد عثمان عبده البرهاني السـودا
البحرانية شيخ بيت البرهانية الدسوقية الشاذلية وجميع أتباعه من أبناء البيت
المدكور بجمهورية مصر العربية ، وفي اى مقر له سواء في شارع الباب الاخضر
بمصر او الاقلام الحسين او غيره من المقار الاخرى مساعداً انحاء محافظات الجمهورية



مادة أخرى :
يهدأ القرار من تاريخ صدوره

مجلد ١٩٩٤ رقم (١٥٤) لسنة ١٩٩٤

السيد / استاذ مدير عام أوقاف
السلام عليكم ورحمة الله

خطرتنا الدارق السوفية بكتابها بأمر المجلس الأعلى للطرق السوفية أصدر قراراً بحظر نشاط
راهم محمد عبده الجرجاني وجماعته التابعه من ايرتق البرهانية الدسوقية الدالية التابعة للطريقة
لشيخها السيد / محمد علي عاشور وذلك لما نسب اليه وخروجه على قواعد واداب وأحكام التصوف
خلال بعض الاعمال الخبيثة لتكرار نشرهم لكنايس (تورقة الذمة في تصح الامة) ومطابق المخطوط
أوتد اولها لما استقر عليه رأي الجهات الدينية ولاءه الاسلام من تصفيتها مخالقات صارخة للمصحح
بين وما يرتب على شرعها من اثاره للامانة بين الناس ورغم سبق تصيد المذاهب بعاج نشرها أوتد اولها
وقد تم كتاب اخراسة (شرب الوصل) تصيد الكفر من المخالقات والاربابا منسوبة الى الدين والتصوف
وذلك من اجل الجرح الاسلامي

وتشبه بالمديونية بشار التعامل مع هذه الجماعة ((الدائرة البرهانية الدسوقية)) لشيخها ابراهيم
محمد فان عبده البرهاني وعدم التصريح - لا في منسب هذه الدائرة بأي حشوا أو طاعة ذكره في
المسائل الحكومية أو الامنية والمديونية مسؤولة مسؤولة امامة عن أي مخالفة في هذا الشأن

مدير عام المساجد الحكومية

١٩٩٤/١٠/٨

ميم /

(مدير أوقاف المساجد)

وكيل الوزارة الاول

١٩٩٤

(احمد الرستوي)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وبه نستعين

الشيخ
للطرق الصوفية
تاهق
٩٠٥٣٩٣٠
مكتب
شيخ المشايخ

تلغرافيا : التصوف بالقاهرة

التاريخ ٨ / ٥ / ١٤٤٠ م

الرقم ١٠ / ٢٤ / ١٩٩٣ م

٥٦٧

ال د اللوات / مساعد وزير الداخلية

مدير من كفر الشيخ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ...

أتشرف بأن أرسل لسيداتكم رفق هذا الطلب المقدم اليها من السيد / محمد علي عاشور

ش الطريقة البرهامية للموافقة على سير الموكب البرهاني يوم الجمعة الموافق ٥ / ١١ / ١٩٩٣

خذا المولد سيدى ابراهيم الدسوقي بمدينة دسوق ابتداء من الكوبرى الجديد حتى المسجد

الاهيمى وذلك بعد صلاة الجمعة مباشرة ، وحضرة صوفية داخل المسجد .

ولما كانت المشيخة العامة للطرق الصوفية توافق على سير هذا الموكب كعادته كل عام .

فأ نرجو سيادتك التكرم بالتصريح بسيره مع عدم التصريح للجماعة العسما (البرهانية)

ال سوقية الشاذلية) والتي تستظل بالمدعو ابراهيم محمد عثمان عبده البرهاني بسير أى موكب

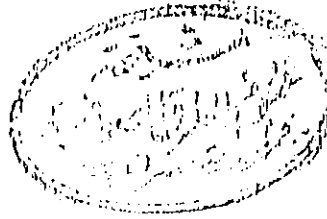
لم ، والموكب المطلوب تحت اشراف السيد / محمد علي عاشور شيخ الطريقة البرهامية .

وتفضلوا سيادتك بقبول وافرا الاحترام ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

شيخ مشايخ الطرق الصوفية

(د . أهوالوف الغنيمي التفتازانى)



الامين العام

(عبد الحميد عبد اللطيف)

مشيخة عموم طريقة السادة البرهامية

بجمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وقل جاء الحق وذهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾

صدق الله العظيم

بيمان همام جسد

إلى جميع أبناء الطريقة البرهامية بجمهورية مصر العربية .

* صدور قرار المجلس الأعلى للطرق الصوفية بتاريخ ٢ / ٧ / ١٩٩٤ - بشأن حظر النشاط الصوفي
إمام محمد عثمان عبده البرهاني السوداني الجنسية - وجميع أتباعه من أبناء البيت البرهاني
لجمهورية :

ير العلم والعمل على تنفيذ تعليمات المشيخة الآتية :-

- ١) عدم السماح لإتباع المذكور بإقامة ندوات أو حضرات أو مراكز صوفية - وعدم حضور احتفالات موالد
البيت .
 - ٢) عدم التعاون معهم أو السماح لهم بممارسة أى نشاط صوفى فى أى مكان عام أو خاص أو مساجد أهلية
مساجد أوقاف .
 - ٣) جميع الكارنيهات والأجازات وتصاريح الحضرات والزوايا والساحات التى تحمل اسم بيت البرهانية
سوقية الشاذلية تعتبر لاغية من تاريخه ويعاقب حاملها فى حالة إظهارها .
 - ٤) إبلاغ وكلاء المشيخة العامة للطرق الصوفية بأية مخالفة لهذه التعليمات .
 - ٥) إبلاغ المشيخة البرهامية بأى تجاوز أو تهاون فى تنفيذ قرار المجلس الأعلى للطرق الصوفية المشار إليه .
 - ٦) هذا القرار ليست له علاقة ببناء الطريقة البرهامية بالدراسة .
 - ٧) على جميع أبناء الطريقة مراعاة تنفيذ بيان المشيخة بكل دقة وحزم .
- والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الشيخ / محمد على عاشور

شيخ عموم طريقة السادة

البرهامية بجمهورية مصر العربية

الجمادى الأولى

رضاءة لتزكية النفس .. وصحیح المسئل

www.E7saan.com

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

أ

ب

ز

١

١

١

٧

١٠

١٧

٢٢

٢٢

٢٣

٢٥

٢٦

٢٧

٢٩

٢٩

٣١

٣٣

٣٦

٤١

٤١

٤٢

٤٣

الموضوع

كلمة شكر

ملخص الرسالة

المقدمة

الفصل الأول : نشأة وظهور التصوف في الإسلام

المبحث الأول : تعريف التصوف

تعريف الصوفية لغة واصطلاحاً

سبب التسمية

نشأة التصوف وتطوره

العلم اللدني

الأصول السلوكية والتعبدية للتصوف

السلوك الصوفي

علاقة المرید بالشيخ

الذكر الصوفي

الغاية من العبادة الصوفية

العزلة والخلوة والجوع

مدى تأثير التصوف بالمؤثرات الخارجية

الأصول الفكرية للتصوف

المصدر النصراني

المصدر الهندي

المصدر اليوناني

المبحث الثاني : نشأة الطريقة البرهانية

ظهور الطرق الصوفية

التعريف بالطريقة الصوفية

دخول الطرق الصوفية السودان

٤٦	ظهور الطريقة البرهانية ومؤسسها إبراهيم الدسوقي
٥١	التعريف ببعض مشايخ الطريقة البرهانية
٥١	أبو الحسن الشاذلي
٥٣	محمد عثمان عبده البرهاني
٦٠	دخول الطريقة البرهانية السودان
٦٦	تطور الطريقة البرهانية في السودان
٦٦	جمال السنهوري ودوره في نشر الطريقة البرهانية
٦٨	تغيير اسم الطريقة البرهانية
٦٩	انفصال النائب الأول للطريقة البرهانية إبراهيم أحمد داود
٧٠	صدور فتوى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بمصر
٧٢	إبراهيم محمد عثمان عبده شيخاً للطريقة البرهانية
٧٢	الطريقة الفخرية البرهانية الدسوقية الشاذلية
٧٣	حظر النشاط الصوفي لإبراهيم محمد عثمان عبده وأتباعه بمصر
٧٣	محمد نجيب صالح مرشداً للطريقة الفخرية
٧٣	سبب عزل محمد نجيب صالح عن الطريقة البرهانية
٧٥	الهيكل التنظيمي للطريقة البرهانية
٧٥	أماكن انتشار الطريقة البرهانية في السودان
٧٦	أماكن انتشار الطريقة البرهانية في العالم
٧٧	كيفية الدخول في الطريقة البرهانية
٧٧	العهد
٧٧	سلوك الأوراد
٨٢	علاقة الطريقة البرهانية بالطرق الصوفية الأخرى
٨٤	الفصل الثاني : مصادر التلقي عند الطريقة البرهانية
٨٥	المبحث الأول : المصادر المشتركة
٨٥	القرءان الكريم
٨٥	إعتقاد البرهانية بأن للقرءان ظاهراً وباطناً
٨٦	أخذهم القرءان من الموطن الذي أخذ منه جبريل عليه السلام

٩٧	السنة النبوية
١٠٤	المبحث الثاني : المصادر الخاصة
١٠٤	المصدر الأول الكشف
١٠٤	تعريف الكشف لغة واصطلاحاً
١٠٥	أنواع الكشف
١٠٥	الرؤية اليقظية للأنبياء والأولياء بعد موتهم
١٠٨	الرؤي المنامية وفوائدها
١١١	رؤية الخضر عليه السلام
١١٣	الإلهام
١١٥	الفراسة
١١٧	الهواتف
١١٨	الإسراءات المعاريح
١٢٠	الكشف الحسي
١٢٣	المصدر الثاني الوجد
١٢٧	المصدر الثالث الذوق
١٣١	المصدر الرابع : التلقي من الموتى
١٣٤	الفصل الثالث : مبادئ وتعاليم الطريقة البرهانية
١٣٤	المبحث الأول : الإلهيات
١٣٤	عقيدة البرهانية في الله عز وجل
١٣٤	وحدة الوجود والخلود والاتحاد
١٦٣	مفهوم التوحيد عند البرهانية
١٦٦	عقيدة البرهانية في أسماء الله الحسنى
١٦٦	تسمية الله بما لم يسم به نفسه
١٧١	إنكار بعض ما سمي الله به نفسه
١٧٣	تسمية غير الله بأسماء الله تعالى
١٧٨	الإسم والمسمى
١٧٩	أسماء الله تعالى والخلق منها

١٨٠	إحصاء أسماء الله الحسنى
١٨٣	الملائكة الموكلة بخدمة أسماء الله الحسنى
١٨٥	عقيدة البرهانية في صفات الله تعالى
١٨٥	الذات والصفات
٢٠٨	علم الغيب
٢٠٩	إعتقاد البرهانية بأن إبليس يعلم الغيب
٢١٧	المبحث الثاني : السمعيات
٢١٧	عقيدة البرهانية في الملائكة
٢١٨	إعتقاد البرهانية بأن الملائكة يعلمون الغيب
٢١٩	إعتقاد البرهانية في أعمال وصفات بعض الملائكة
٢٢٠	تسخير الملائكة
٢٢٣	عقيدة البرهانية في الجن
٢٢٦	عقيدة البرهانية في الشفاعة
٢٦٧	شفاعة الأقطاب
٢٣٢	عقيدة البرهانية في الحياة البرزخية
٢٣٨	المبحث الثالث : النبوات
٢٣٨	عقيدة البرهانية في الأنبياء
٢٣٨	إعتقادهم بوجود بعض أو كل الأنبياء الرسل أحياء بعد موتهم
٢٣٩	تنقيصهم من قدر الأنبياء عليهم السلام
٢٤١	تفضيلهم الأولياء على الأنبياء
٢٤٢	إعتقادهم بأن الأنبياء يعلمون الغيب
٢٤٢	إعتقادهم بأن كل أمة مخلوقة من نبيها
٢٤٢	إعتقادهم بأن ما جاز للأنبياء من المعجزة يجوز كرامة للأولياء بشرط عدم التحدي
٢٤٢	تعريف الكرامة والمعجزة
٢٤٦	إعتقادهم بأن الأنبياء مخلوقون من أسماء الله تعالى الذاتية
٢٤٧	إعتقادهم بنظرية الفيض في خلق الأنبياء
٢٤٩	عقيدة البرهانية في النبي صلى الله عليه وسلم

٢٤٩	عقيدة النور المحمدي
٢٥٦	الحقيقة المحمدية
٢٦٤	إعتقادهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الممد لكل الأنبياء
٢٦٦	إعتقادهم بأن القرآن كان عند النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول جبريل عليه السلام
٢٧١	التجزؤ الجسدي للنبي صلى الله عليه وسلم
٢٧٢	القول بنفي أمية النبي صلى الله عليه وسلم
٢٧٤	إعتقادهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بكتمان بعض ما أنزل إليه وخير في بعض
٢٧٦	إعتقادهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب
٢٧٧	تأليه النبي صلى الله عليه وسلم
٢٨٠	عقيدة البرهانية في الولاية والأولياء
٢٨١	إعتقادهم بأن الأولياء يعلمون الغيب
٢٨٣	إعتقادهم بعصمة الأولياء
٢٨٣	إعتقادهم بأن عدد الأولياء محصور في عدد معين في كل عصر
٢٨٤	إعتقادهم بأن أرواح الأولياء مخلوقة من أنفاس أرواح الأنبياء
٢٨٤	إعتقادهم بأن للولاية مناشير يكتبها النبي صلى الله عليه وسلم
٢٨٦	إعتقادهم بأن للأولياء إسراءات ومعاريج
٢٨٧	درجات الأولياء ومراتبهم
٢٩١	حصر الولاية في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
٢٩٢	المبحث الرابع : مبادئ وتعاليم البرهانية في السلوك
٢٩٢	تقرير مبادئ السلوك
٢٩٦	فائدة القسم وشرطية الإذن به
٣٠٢	وسائل تقرير السلوك
٣٠٢	علاقة المريد بالشيخ
٣٠٤	أساس الطريقة ومبناها في السلوك
٣٠٤	الجوع والسهر والصمت والعزلة
٣٠٨	المبحث الخامس : عقيدة البرهانية في العبادة وأصولها

٣٠٨	مفهوم العبادة
٣١٠	الغاية من العبادة
٣١١	مفهوم البرهانية للعبادة
٣١٦	الغاية من العبادة لدى البرهانية
٣١٦	مراتب العباد عند البرهانية
٣١٩	الاحتفال بالموالد والحواليات
٣١٩	الإحتفال بالمولد النبوي
٣٢١	الأوراد والأذكار
٣٢٣	مصادر الأوراد
٣٣٩	فضائل بعض أوراد البرهانية
٣٣٩	فضل الأساس وأهميته
٣٤١	الحزب السيفي وفضله
٣٤٥	فوائد الأوراد
٣٥٢	الفصل الرابع : الأفكار التي تأثرت بها الطريقة البرهانية
٣٥٢	المبحث الأول : الأفكار الفلسفية
٣٥٣	إيمان البرهانية بنظرية الفيض والعقول العشرة
٣٦٣	تقديس الأعداد والحروف
٤٦٨	المبحث الثاني : الأفكار الشيعية
٣٦٨	محبة آل البيت والانتساب إليهم
٣٧٠	التأويل الباطني
٣٧٢	تعظيم المشاهد والأضرحة
٣٧٥	تقديس الأشخاص
٣٧٧	التبني الروحي
٣٧٩	المبحث الثالث : الأفكار الأصولية
٣٨٠	الإجماع
٣٨٣	القياس
٣٨٩	مسائل أصولية متفرقة

٣٠٨	مفهوم العبادة
٣١٠	الغاية من العبادة
٣١١	مفهوم البرهانية للعبادة
٣١٦	الغاية من العبادة لدى البرهانية
٣١٦	مراتب العباد عند البرهانية
٣١٩	الاحتفال بالموالد والحواليات
٣١٩	الإحتفال بالمولد النبوي
٣٢١	الأوراد والأذكار
٣٢٣	مصادر الأوراد
٣٣٩	فضائل بعض أوراد البرهانية
٣٣٩	فضل الأساس وأهميته
٣٤١	الحزب السيفي وفضله
٣٤٥	فوائد الأوراد
٣٥٢	الفصل الرابع : الأفكار التي تأثرت بها الطريقة البرهانية
٣٥٢	المبحث الأول : الأفكار الفلسفية
٣٥٣	إيمان البرهانية بنظرية الفيض والعقول العشرة
٣٦٣	تقديس الأعداد والحروف
٤٦٨	المبحث الثاني : الأفكار الشيعية
٣٦٨	محبة آل البيت والانتساب إليهم
٣٧٠	التأويل الباطني
٣٧٢	تعظيم المشاهد والأضرحة
٣٧٥	تقديس الأشخاص
٣٧٧	التبني الروحي
٣٧٩	المبحث الثالث : الأفكار الأصولية
٣٨٠	الإجماع
٣٨٣	القياس
٣٨٩	مسائل أصولية متفرقة

٣٩٢	الخاتمة والتوصيات
٣٩٥	الملاحق
٤٢١	الفهارس
٤٢١	فهرس الآيات القراءانية
٤٣٨	فهرس الأحاديث والآثار
٤٤٤	فهرس الأعلام المترجم لهم
٤٤٨	فهرس المصادر والمراجع
٤٦٨	فهرس الموضوعات